المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
الجمعية العلمية السعودية
لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب







مجلة الدراسات العقدية

مجلّةٌ عِلْميّةٌ محكَّمَة مُتخَصِّصَة

العدد ١٩ - السَّنة التاسعة - رجب ١٤٣٨هـ

ردمد: ١٦٥٨-٥١٦X

رقم الإيداع: ٧٦١٧ / ١٤٣٠


بسم الله الرحمن الرحيم

عنوان المراسلات:

تكون المراسلات باسم مدير التحرير

جوال: ٠٥٥٢٥٣٤٢٨٢

هاتـف: ٠١٤٨٤٧١١٥٥

فاكس: ٠١٤٨٤٧٣٠٧٦

البريد الالكتروني

aqeedaamm@gmail.com

تعريف بالمجلّة

مجلة الدراسات العقدية: مجلّة علمية محكّمة تصدر عن الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، بإشراف الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، تختصّ بنشر البحوث والدراسات العلمية المتخصِّصة في حقل علوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب الفكرية؛ يتولّى تحريرها هيئة علميّة مختصّة مكونةٌ من عددٍ من أساتذةٍ جامعيّين، تجيز نشر البحث بموافقة اثنين من المختصّين، صدر أوّل عدد من المجلة في محرّم ١٤٣٠هـ، وتصدر دوريًّا بواقع عددين سنويًّا.

قواعد النشر في مجلة الدراسات العقدية

تلتزم المجلة في نشر المواد العلمية بالقواعد الآتية:

١ - أن لا تكون منشورة ولا مقدمة للنشر في جهة أخرى.

٢ - أن تكون خاصة بالمجلة.

٣- أن تكون أصيلة من حيث الجدّة والابتكار والإضافة للمعرفة.

٤ - أن تراعى فيها قواعد البحث العلمي الأصيل ومنهجيته.

٥ - أن تكون في مجال تخصص الجمعية.

٦- أن لا تكون أجزاء من بحوث مستفيضة قد تمّ نشرها للباحث، ولا أجزاء من رسالته العلمية في (الدكتوراه) أو (الماجستير).

٧ - أن تكون مطبوعة على قرص حاسب آلي.

٨ - أن لا يزيد عدد صفحاتها عن مائة صفحة للإصدار الواحد، ولا يقل عن عشر صفحات، ولهيئة تحرير المجلة الاستثناء عند الضرورة.

٩ - أن تصدّر بنبذة مختصرة - لا تزيد عن نصف صفحة - للتعريف بها.

١٠- أن يُرافقها نبذة مختصرة عن صاحبها تبيّن عمله وعنوانه وأهم أعماله العلمية.

١١- أن يُقدّم صاحبها خمس نسخ منها.

١٢- تقدم المادة العلمية مطبوعة وفق المواصفات الفنية التالية:

أ- البرنامج: الوورد *xp* أو ما يماثله.

ب- نوع الحرف: *Lotus Linotype* .

جـ- نوع حرف الآيات القرآنية على النحو التالي: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣].

د- مقاس الصفحة الكلي: ١٢سم × ٢٠سم = (إعداد الصفحة: ٥أعلى، ٤,٧٥ أسفل، ٤,٥ أيسر وأيمن).

هـ- حرف المتن: ١٦ غير مسود.

و- حرف الحواشي السفلى: ١٢غير مسود.

ز- رأس الصفحة: ١٢أسود.

ح- العنوان الرئيسي: ١٨ أسود.

ط- العنوان الجانبي: ١٦ أسود.

١٣- أن يقدم البحث في صورته النهائية في ثلاث نسخ، منها نسختان قرصان مستقلان، ونسخة على ورق.

١٤- لا تلتزم المجلة بإعادة البحوث إلى أصحابها، نشرت أم لم تنشر.

١٥- يعطى الباحث ثلاث نسخ من العدد المنشور فيه بحثه +١٥ مستلّةً منه.

مجلة الدراسات العقدية

المواد المنشورة

في المجلة

تعبّر عن آراء أصحابها

محتويات العدد




الأسماء الحسنى

(تعريفها، ضابطها، أقسامها)

د. ذياب بن مدحل العلوي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بقسم العقيدة،
الجامعة الإسلامية



ملخص البحث

تألّف هذا البحث من مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

بيّن المبحث الأول اشتقاق الاسم وتعريفه في اللغة، وتضمّن المبحث الثاني بيان تعريف الحسنى في اللغة، ثم معنى كون أسماء الله ﷻ حسنى، وذكر المبحث الثالث أربعة ضوابط لأسماء الله ﷻ الحسنى؛ وهي: الأول: أن يكون الاسم مذكوراً في الكتاب والسنة، والثاني: أن يكون الاسم وارداً في النصوص الشرعية بصيغة الاسم، والثالث: أن يكون الاسم من الأسماء الواردة في النصوص الشرعية ويدل على معنى حسن في حق الله ﷻ مطلقـًا، بدون قيد أو شرط، والرابع: أن يصح دعاء الله ﷻ به.

وقد بيّن البحث أن أسماء الله الحسنى تنقسم باعتبار أدلتها الشرعية والعقلية إلى قسمين؛ أحدها: ما دل عليه السمع فقط (أسماء خبرية)، والآخر: ما دل عليه السمع، والعقل (أسماء سمعية «خبرية» عقلية).

وبيّن أن أسماء الله الحسنى تنقسم بحسب ورودها في النصوص الشرعية إلى قسمين؛ أحدها: ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً، والآخر: ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً ومقترنا بغيره من الأسماء الحسنى، واقتران الأسماء الحسنى في النصوص الشرعية جاء على ضربين؛ الأول: اقتران الأسماء الحسنى بدون ذكر حرف العطف بينها، وهذا قد يكون بين اسمين، أو أكثر، والآخر: اقتران الأسماء الحسنى بذكر حرف العطف بينها.

كما بيّن البحث أن أسماء الله الحسنى تنقسم بحسب ما تدل عليه من الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام؛ الأول: أسماء الله الحسنى التي تدل على جميع الأسماء والصفات، والثاني: أسماء الله الحسنى التي تدل على أكثر من صفة، والثالث: أسماء الله الحسنى التي تدل على صفة واحدة.

وبيّن أن أسماء الله الحسنى تنقسم بحسب ما تدل عليه من معان ثبوتية أو منفية إلى قسمين؛ الأول: أسماء الله الحسنى التي تتضمن معانيَ منفية وثبوتية، والثاني: أسماء الله الحسنى التي تدل على معانٍ ثبوتية.

وأنها تنقسم بحسب ما تدل عليه من الصفات الفعلية والذاتية إلى قسمين؛ الأول: ما يدل على صفة ذاتية، والآخر: من أسماء الله الحسنى ما يدل على صفة ذاتية فعلية، والصفة الفعلية التي يدل عليها الاسم الأحسن قد تكون صفة متعدية، وقد تكون صفة لازمة.

ثم خُتم البحث بخاتمة تضمّنت أبرز نتائجه.

ذياب بن مدحل العلوي

diyabmedhel@gmail.com

Al-Asma al-Husna:
Their definition, principles and categories

Dr. Dhiyab bin Medhel al-Alawi

Saudi academic, associate professor, at the Department of Creed in the Islamic University

Abstract

This essay is composed of an introduction, four chapters and an ending.

The first chapter explains the etymology of the word 'name' and it's definition in the language.

The second chapter includes a definition of *al-Husna* (the best and the most beautiful) in the language and the meaning that Allah's names are *Husna*.

The third chapter mentioned four principles for *al-Asma al-Husna*; and they are as follows:

The first: that the name is mentioned in the Quran and the Sunnah.

The second: that the name is mentioned in the Islamic texts in the shape of a name.

The third: that the name that's mentioned in the Islamic texts indicates a good meaning for Allah in all aspects without any reservation or condition.

The fourth: that it's allowed to invoke Allah with that name.

The essay explained that *al-Asma al-Husna* is divided in two categories in concern to it's Islamic and intellectual evidences:

The first: The names that only the Islamic evidences denote (*Asma Khabariyyah*).

The second: The names that the Islamic as well as the intellectual evidences denote (*Asma Sam'iyyah Khabariyyah 'Aqliyyah*).

The essay explained as well that *al-Asma al-Husna* are divided into two categories in concern to how they are mentioned in the Islamic evidences:

The first: the name mentioned by itself in the Islamic texts.
The second: the name mentioned in the Islamic texts by itself or connected with other names.

The names mentioned together in the Islamic texts have two categories:

The first: names mentioned together without a conjunction particle between them. This can happen with two names or more.

The second: names mentioned together with a conjunction particle between them.

The essay also explained that *al-Asma al-Husna* are divided into three categories in concern to what the names and the attributes denote:

The first: Allah's names that denote all of the names and attributes.

The second: Allah's names that denote more than one attribute.

The third: Allah's names that denote one attribute.

The essay also explained that *al-Asma al-Husna* are divided into two categories in accordance to what they denote of affirmative and negated meanings:

The first: *al-Asma al-Husna* that include affirmative and negated meanings.

The second: *al-Asma al-Husna* that denote affirmative meanings.

The essay also explained that *al-Asma al-Husna* are divided into two categories in accordance to their denoting of attributes of continues actions and chosen actions:

The first: the names that denotes attributes of chosen actions.

The second: the names that denote attributes of chosen action and continues actions. The attribute of chosen action that the name denote can be transitive or non-transitive.

The essay was completed with an ending that included it's most important results.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله، حمداً كثيراً، طيباً، مباركاً فيه، كما يحب ربنا، ويرضى، أهل الثناء، والمجد، أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد.

وأشهد أن لا إله إلا الله، شهادة من يطلب أن يكون ممن يسعى بها إليه، ويحفد.

وأشهد أن محمداً عبد لله، ورسول من الإله، اصطفاه، فهداه، واجتباه، فأعلاه، في دنياه، وأخراه.

اللهم صل وسلم عليه، وعلى آله، وأصحابه، وأتباعه إلى يوم نلقاه.

وبعد، فإن أهمية العلم بأسماء ﷻ الحسنى، وصفاته العُلا في المكان الذي لا يخفى، وفي العلو الأسمى، فبأسماء الله الحسنى وصفاته العلا يعرف الرب ويعظم، قال تعالى: ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر: ٦٧].

وبها يتعبد العبد ويتذلل، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمن هذه الأهمية كانت فكرة هذا البحث الذي يجمع ثلاث مسائل مهمة من مسائل الأسماء، والصفات، **أولاها**: متعلقة بتعريف الأسماء

الحسنى، **والثانية**: تحديد ضابط أسماء الله ﷻ، **والثالثة**: تقسيمات أسماء الله ﷻ الحسنى.

وأرجو أن أكون قد وفقت في تحديد التعريف والضابط لأسماء الله الحسنى، وجمع ما تفرق من كلام أهل العلم في تقسيمات أسماء الله ﷻ الحسنى.

وقد جعلت البحث في مقدمة، وأربعة مباحث، وخاتمة.

المبحث الأول: تعريف الاسم: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: اشتقاق الاسم في اللغة.

المطلب الثاني: تعريف الاسم اصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف الحسنى: وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الحسنى في اللغة.

المطلب الثاني: معنى كون أسماء الله ﷻ حسنى.

المبحث الثالث: ضابط أسماء الله الحسنى.

المبحث الرابع: أقسام الأسماء الحسنى: وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: أقسام الأسماء عموماً باعتبار تسمية الله ﷻ بها، وتسمية المخلوق.

المطلب الثاني: أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما يدل عليها من النصوص الشرعية، والأدلة العقلية.

المطلب الثالث: أقسام الأسماء الحسنى بحسب ورودها في النصوص الشرعية مفردة أو مقترنة بغيرها من الأسماء.

المطلب الرابع: أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الأسماء، والصفات.

المطلب الخامس: أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من معان ثبوتية، أو منفية.

المطلب السادس: أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الصفات الفعلية، والذاتية.

أمّا **الخاتمة** فسأذكر فيها أهم ما ورد في البحث.

والله أسأل أن ينفعني بهذا البحث دنيا، وأخرى.

وصلِّ اللهم على عبدك، ونبيك، ورسولك؛ محمد، وسلِّم، تسليمـًا كثيراً.

المبحث الأول

تعريف الاسم

المطلب الأول

اشتقاق الاسم في اللغة

اختلف البصريون والكوفيون في اشتقاق (الاسم)(١):

فقال الكوفيون: إنه مشتق من الفعل: (وَسَم)، والاسم منه: (الوَسْمُ)، وَ(السِّمَة)، وهي: العلامة، فكأن الاسم علامة على المسمى باللفظ، وعلامة أيضـًا على المعنى المراد باللفظ، ثم حذفت الواو من أوله؛ التي هي فاؤه، ثم عوضوه بالهمزة في أوله.

وقال البصريون: إنه مشتق من الفعل: (سَمَو)، والاسم منه: (السُّمُو)، وهو بمعنى: العلو، والارتفاع، ثم حذفت الواو من آخره؛ التي هي لامه، ثم عوضوه بالهمزة في أوله.

وقول البصريين أرجح، لأمور(٢):

---

(١) ينظر في هذه المسألة: المخصص لابن سيده (٥/ ٢١٥)، وشرح المفصل لابن يعيش (١/ ٨٣)، والصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص (٤٨)، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٩)، وتفسير البغوي ص (٧)، والجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٨٠)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ٢٠٧).

(٢) هناك مباحث واعتراضات في المسألة ليس هذا موضعها، وانظر: الإنصاف في مسائل =

الأول: وجود همزة الوصل في أول اللفظ، وهمزة الوصل لا تكون إلا فيما حذفت لامه، لا فاؤه، بل العرب لا تعرف لفظاً اجتمعت فيه همزة الوصل مع حذف فائه، يقول ابن سيده: «لا يعرف شيء إذا حذفت فاؤه دخله ألف الوصل، إنما تدخله تاء التأنيث، كالزنة، والعدة، والصفة، وما أشبه ذلك»(١)، وهذا يدل على أن (الاسم) مشتق من الفعل: (سَمَو)، لا من الفعل: (وسم).

الثاني: يؤيد قول البصريين تصاريف الكلمة؛ من فعل ماض، وتصغير، وجمع، فإنك تقول في الماضي: (سمّيت) أو (أسميت)، لا: (وسمت)، وفي التصغير: (سُمَيّ)، لا: (وُسَيم)، وتجمعه على: (أسماء)، لا: (أوسام)، «والجمع والتصغير يردان الأشياء إلى أصولها»(٢)، ويقال لصاحبه: (مسمى)، ولا يقال: (موسوم)، وهذا كله يدل على أن (الاسم) مشتق من الفعل: (سَمَو)، لا من الفعل: (وسم)(٣).

وإن كان قول البصريين من جهة اللفظ هو الصحيح، لكن من جهة المعنى الأمر قريب، يقول ابن يعيش: «وكلاهما حسن من جهة المعنى، إلا أن اللفظ يشهد مع البصريين»(٤).

= الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لأبي البركات الأنباري (١/ ٩).

(١) المخصص لابن سيده (٥/ ٢١٥)، وكذا قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه (١/ ٤٠).

(٢) من كلام القرطبي في تفسيره (١/ ٨٠).

(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٨٣).

(٤) شرح المفصل لابن يعيش (١/ ٨٣).

ويقعد الكفوي قاعدة عامة بين البصريين والكوفيين فيقول: «كلما وقع التعارض بين المذهبين فمذهب البصريين من حيث اللفظ أصح، وأفصح، ومذهب الكوفيين من حيث المعنى أقوى، وأصلح»[(١)].

الثالث: يقول القرطبي بعد أن رجح أن الاسم مشتق من (السمو)، لا من (السمة): «ويدل على صحته أيضـًا فائدة الخلاف...: فإن من قال: الاسم مشتق من العلو يقول: لم يزل الله -سبحانه- موصوفـًا قبل وجود الخلق، وبعد وجودهم، وعند فنائهم، ولا تأثير لهم في أسمائه، ولا صفاته، وهذا قول أهل السنة.

ومن قال: الاسم مشتق من: (السمة)؛ يقول: كان الله في الأزل بلا اسم، ولا صفة، فلما خلق الخلق جعلوا له أسماء، وصفات، فإذا أفناهم بقي بلا اسم، ولا صفة، وهذا قول المعتزلة، وهو خلاف ما أجمعت عليه الأمة، وهو أعظم في الخطأ من قولهم: إن كلامه مخلوق -تعالى الله عن ذلك-»[(٢)].

المطلب الثاني

تعريف الاسم اصطلاحًا

من يريد أن يُعَرِّفَ الاسم يواجه عدة صعوبات، منها:

أولاً: كثرة علامات الاسم اللفظية والمعنوية، مما يصعب بالتالي وضع

(١) الكليات ص (٨٣).

(٢) تفسير القرطبي (١/ ٨٠).

تعريف جامع مانع[١] للاسم[٢].

ثانياً: كثرة التعريفات الذي تذكر للاسم، حتى قيل: إنه لا حد له، يقول أبو البركات الأنباري: «قد ذكر فيه النحويون حدوداً كثيرة، تنيف على سبعين حداً... ومنهم من قال: لا حد له؛ ولهذا لم يحده سيبويه، وإنما اكتفى فيه بالمثال، فقال: الاسم: رجل، وفرس[٣]»[٤].

ثالثاً: كثرة الاعتراضات من أهل العلم على كل أو معظم تعريفات الاسم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في معرض كلام له: «إنه إلى الساعة لا يعلم للناس حد مستقيم على أصلهم... حتى إن النحاة لما دخل متأخروهم في الحدود ذكروا للاسم بضعة وعشرين حداً، وكلها معترض عليها على أصلهم، بل إنهم ذكروا للاسم سبعين حداً لم يصح منها شيء، كما ذكر ذلك ابن الأنباري المتأخر... وعامة الحدود المذكورة في كتب الفلاسفة، والأطباء، والنحاة، والأصوليين، والمتكلمة؛ معترضة على أصلهم، وإن قيل

---

(١) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على المنطقيين ص (٣٩٦) في معرض كلام له: «لا يمكن أن تحد القضايا العلمية بحد جامع مانع، بل تختلف باختلاف أحوال من علمها، ومن لم يعلمها» ا.هـ.

(٢) ينظر في علامات الاسم: همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٢٧)، وضياء السالك إلى أوضح المسالك (١/ ٢٤).

(٣) ينظر: الكتاب لسيبويه (١/ ١٢)، ونصه: «فالاسم: رجل، وفرس، وحائط».

(٤) أسرار العربية (١/ ٣٨).

بسلامة بعضها كان قليلاً، بل منتفيا»(١).

وقال ابن فارس بعد أن ذكر عدة تعريفات للاسم، واعترض عليها: «هذه مقالات القوم في حد الاسم يعارضها ما قد ذكرته، وما أعلم شيئًا مما ذكرته سلم من معارضة، والله أعلم أيّ ذلك أصح، وذكر لي عن بعض أهل العربية أن الاسم: ما كان مستقراً على المسمى وقت ذكرك إياه، ولازمًا له، وهذا قريب»(٢).

بعد هذا لا إخال نفسي إلا ذاكراً بعض تعريفات أهل العلم للاسم، من ذلك:

أولاً: «حد الاسم: كل كلمة دلت على معنى في نفسها، ولم تتعرض بنيتها للزمان»(٣).

ثانيًا: الاسم: ما جاز أن يكون فاعلاً، أو مفعولاً، وقال فيه السُّهَيلي بعد أن ذكره: «قول صحيح في صناعة النحو، ولا يلتفت إلى غيرها»(٤).

ثالثًا: ويقول المبرد: «أما الأسماء فما كان واقعًا على معنى؛ نحو: رجل، وفرس، وزيد، وعمرو، وما أشبه ذلك، وتعتبر الأسماء بواحدة كل ما دخل

---

(١) الرد على المنطقيين ص (٨).

(٢) الصاحبي في فقه اللغة لابن فارس ص (٤٩)، وينظر: الكليات ص (٨٣)، والتفسير الكبير (١/ ٤٥).

(٣) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي (١/ ٢٥).

(٤) نتائج الفكر ص (٥٠).

عليه حرف من حروف الجر فهو اسم، وإن امتنع من ذلك فليس باسم»[١].

رابعًا: ويقول ابن السَّرّاج: «الاسم: ما دل على معنى مفرد، وذلك المعنى يكون شخصًا، وغير شخص، فالشخص نحو: رجل، وفرس، وحجر، وبلد، وعمر، وبكر، وأما ما كان غير شخص فنحو: الضرب، والأكل، والظن، والعلم، واليوم، والليلة، والساعة»[٢].

خامسًا: ويقول ابن جني: «الاسم: ما حسن فيه حرف من حروف الجر، أو كان عبارة عن شخص، فحرف الجر: نحو قولك: من زيد، وإلى عمرو، وكونه عبارة عن شخص: نحو قولك: هذا رجل، وهذه امرأة»[٣].

وهذه التعاريف وغيرها إما أن تعرف الاسم بالنظر إلى معناه، ودلالته، كمن قال: إنه ما دل على معنى مفرد، أو غير مقترن بزمان، أو أن تعرف الاسم بالنظر إلى العلامات كمن قال: إنه اللفظ الذي يصح أن يقع فاعلاً، أو مفعولاً، أو يصح أن تدخل عليه حروف الجر، والله أعلم.

---

(١) المقتضب لابن المبرد (١/ ٣).

(٢) الأصول في النحو (١/ ٣٦).

(٣) اللمع في العربية لابن جني ص (٧).

المبحث الثاني

تعريف الحسنى

المطلب الأول

تعريف الحسنى في اللغة(١)

الحسنى من الفعل: حسن، يحسن، حسناً، فهو حسن، وأحسن، وهي حسنة، وحسناء، وحسنى.

والحسنى -على وزن فُعلى-: مؤنث كلمة: الأحسن، كالكبرى: تأنيث: الأكبر، والصغرى: تأنيث: الأصغر، يقال: رجل أحسن، وامرأة حسنى.

وليست الحسنى مؤنث كلمة: الحسن؛ فإن جمعه: حسان، ومؤنثه: حسنة، وحسناء، وحُسَّانَة.

والحسن: بمعنى: الجمال، والبهاء، والكمال، وهو ضد: القبح، ونقيضه، ليس له في اللغة معنى غير هذا، يقول ابن فارس: «الحاء والسين والنون: أصل واحد، فالحُسن: ضد القبح... وليس في الباب إلا هذا»(٢).

---

(١) انظر مادة (حسن) في: معجم مقاييس اللغة ص (٢٤٣)، ولسان العرب (٣/ ١٧٧)، والقاموس المحيط ص (١١٨٩)، ومعجم تهذيب اللغة (١/ ٨٢١)، والكليات ص (٤٠٢)، والتعريفات ص (٨٧)، والمفردات في غريب القرآن ص (١٢٥)، وإعراب القرآن وبيانه (٣/ ٥٠١)، والبحر المحيط (٥/ ٢٣١).

(٢) معجم مقاييس اللغة ص (٢٤٣).

وصح وصف الله ﷻ لأسمائه وهي جمع بـ (الحسنى)، وهو لفظ يوصف به المؤنث المفرد في مثل قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]؛ لأن جمع التكسير مطلقًا وجمع المؤنث السالم يجريان مجرى المؤنثة الواحدة المجازية التأنيث، فجميع الجموع -ما عدا جمع العاقل المذكر- يصح وصفها بالمؤنث، وهذا مثل قوله تعالى: ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]، ولم يقل: الكبريات.

وقوله تعالى: ﴿وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]، ولم يقل: أخريات.

يقول الشنقيطي: «قوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾: تأنيث الأحسن، وإنما وصف أسماءه -جل وعلا- بلفظ المؤنث المفرد؛ لأن جمع التكسير مطلقا وجمع المؤنث السالم يجريان مجرى المؤنثة الواحدة المجازية التأنيث، كما أشار له في الخلاصة بقوله:

والتاءُ معْ جمعٍ سوى السالمِ مِنْ   مذكّر كالتّاء مِن إحدى اللَّبِنْ

ونظير قوله هنا: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾، من وصف الجمع بلفظ المفرد المؤنث قوله: ﴿مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى﴾ [طه: ٢٣]، وقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ﴾ [طه: ١٨]»[١].

---

(١) أضواء البيان (٤/ ٣٠٧)، وانظر: المحرر الوجيز ص (٧٦٣) و(١٢٤٥)، والكشاف ص (٦٥١)، وينظر من كتب اللغة: معجم تهذيب اللغة (١/ ٨٢١)، ولسان العرب (٣/ ١٧٧).

المطلب الثاني

معنى كون أسماء الله ﷻ حسنى

معنى أن أسماء الله ﷻ حسنى أي: بلغت في الحسن والجمال الغاية، وفي الفضل والكمال النهاية، فلا يتصور حسن وكمال وجمال يقارب ويماثل حسنها وكمالها وجمالها فضلاً أن يفوقها ويتعداها، وليس فيها ما يدل على نقص، بأي وجه من الوجوه، مما يدل على عظمة الرب المتسمي بها، وهو الله ﷻ.

فحسن أسماء الله ﷻ يتضمن: حسن الاسم لفظـًا، وحسن الاسم معنى، وحسن من يتسمى به، وهو الله ﷻ.

على هذا تواردت وتواترت كلمة أهل العلم، يقول ابن القيم: «كل ما ينزه -سبحانه- عنه من العيوب والنقائص فهو داخل فيما نزه نفسه عنه، وفيما يسبح به، ويقدس، ويحمد، ويمجد، وداخل في معاني أسمائه الحسنى، وبذلك كانت حسنى؛ أي: أحسن من غيرها، فهي أفعل تفضيل، معرّفة باللام؛ أي: لا أحسن منها بوجه من الوجوه، بل لها الحسن الكامل التام المطلق»[1].

ويقول: «من استقرأ الأسماء الحسنى وجدها مدائحَ، وثناءً، تقصر بلاغات الواصفين عن بلوغ كنهها، وتعجز الأوهام عن الإحاطة بالواحد منها، ومع ذلك فلله -سبحانه- محامد ومدائح وأنواع من الثناء لم تتحرك بها الخواطر،

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٤٣).

ولا هجست في الضمائر، ولا لاحت لمتوسم، ولا سنحت في فكر»[(١)].

ويقول: «لما كان المقصود بالاسم التعريف، والتمييز، وكان الاسم الواحد كافياً في ذلك؛ كان الاقتصار عليه أولى.

ويجوز التسمية بأكثر من اسم واحد، كما يوضع له: اسم، وكنية، ولقب.

وأما أسماء الرب -تبارك وتعالى-، وأسماء كتابه، وأسماء رسوله؛ لما كانت نعوتاً دالة على المدح، والثناء؛ لم تكن من هذا الباب، بل من باب تكثير الأسماء؛ لجلالة المسمى، وعظمته، وفضله، كما قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠])[(٢)].

يقول ابن سعدي: «هو الجميل في أسمائه فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق، وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨٠]»[(٣)].

ويقول ابن عثيمين: «أسماء الله تعالى كلها حسنى، أي: بالغة في الحسن غايته، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]»[(٤)].

---

(١) طريق الهجرتين ص (١٣١).

(٢) تحفة المودود (٢٤٧).

(٣) الحق الواضح المبين ص (٢٢٦)، (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي).

(٤) القواعد المثلى ص (٢١).

المبحث الثالث

ضابط أسماء الله الحسنى

إن المتتبع لكتب أهل العلم يرى اختلافًا كبيراً في تعيين أسماء الله الحسنى، فبعضهم لم يبلغ بها تسعة وتسعين اسمًا، ومنهم من توسع في عدِّها فأدخل فيها ما ليس منها.

وهذا التباين الكبير في ذكر وتعيين الأسماء الحسنى كفيل بإبراز شيء من أهمية وضع ضابط لأسماء الله ﷻ الحسنى، بحيث يميز به ما يدخل في الأسماء الحسنى، وما يخرج منها؛ مما يذكره من اجتهد من أهل العلم في تعيينها، وإن كان تحديد الضابط ليس رافعًا للخلاف، وإنما هو مخفف له، ففرق بين أن يقال: ضابط أسماء الله الحسنى، وبين أن يقال: أهذا اسم لله ﷻ، أم لا؟، ففرق بين الضابط، وبين تطبيقه على الأسماء الواردة في النصوص الشرعية.

ومهما يكن من أمر فبعد استعراض المعاني اللغوية والاصطلاحية لمعنى (الاسم)، ولمعنى (الحسنى)، وبعد التأمل في كلام أهل العلم ممن ذكر بعض الضوابط في أسماء الله الحسنى[1]، والنظر في مناهج أهل العلم في

---

(١) من الكتب المعاصرة التي اعتنت بذكر ضابط لأسماء الله الحسنى: كتاب (أسماء الله وصفاته) لعمر بن سليمان الأشقر، وكتاب (معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى) للدكتور: محمد بن خليفة التميمي، وكتاب (أسماء الله الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة) للدكتور: محمود عبد الرازق الرضواني.

تعداد الأسماء الحسنى[1]؛ يمكن أن يقال: إن ضابط الأسماء الحسنى هو ما ذكره الله ﷻ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ أَسۡمَٰٓئِهِۦۚ سَيُجۡزَوۡنَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذه الآية الكريمة ذكرت أربعة ضوابط لأسماء الله ﷻ الحسنى، جمعت كل ما وقفت عليه من كلام أهل العلم، وإليك البيان والتفصيل:

الضابط الأول: أن يكون الاسم مذكوراً في الكتاب والسنة (الوقوف على ما ذكر في الكتاب والسنة من الأسماء):

وقد دلت الآية على هذا الضابط من خمسة أوجه:

الوجه الأول: قوله: ﴿وَلِلَّهِ﴾، ووجهه: أن الله ﷻ أخبر أن الأسماء الحسنى له، وما يتعلق بالله ذاتـًا، وأسماءً، وصفاتٍ؛ كلُّه غيب؛ ولا طريق لنا للعلم به إلا الخبر من كتاب، أو سنة، فيجب الوقوف في إثبات الأسماء على ما ورد في الكتاب، والسنة، يقول ابن عاشور في الآية: «إضافة الأسماء إلى

---

(١) اجتهد بعض العلماء في عَدِّ الأسماء الحسنى، وهم كثر، منهم: البيهقي في (الأسماء والصفات)، وابن منده في (التوحيد)، وابن العربي في (أحكام القرآن).

وبعض أهل العلم ذكر شيئـًا من مناهج أهل العلم في تعيين أسماء الله الحسنى، منهم: الحافظ ابن حجر في (فتح الباري) (١١/ ٢١٨)، والدكتور: محمد بن خليفة التميمي في كتابه (معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى)، والدكتور: عبد الله بن صالح الغصن في كتابه (أسماء الله الحسنى).

الله تؤذن بأن المقصود أسماؤه التي ورد في الشرع ما يقتضي تسميته بها»[١].

وقد نص عامة أهل السنة على أن أسماء الله ﷻ وصفاته توقيفية، يقول الإمام أحمد: «لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله، لا يُتَجَاوز القرآن والحديث[٢]»[٣].

ويقول ابن قدامة: «مذهب السلف -رحمة الله عليهم- الإيمان بصفات الله -تعالى-، وأسمائه؛ التي وصف بها نفسه في آياته، وتنزيله، وعلى لسان رسوله، من غير زيادة عليها، ولا نقص منها»[٤].

ويقول ابن القيم: «إن ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات[٥]

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٨٩)، ويقول أيضاً (١٦/ ١٩٢): «تقديم المجرور في قوله: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨] للاختصاص؛ أي: لا لغيره؛ لأن غيره إما أن يكون اسمه مجرداً من المعاني المدلولة للأسماء مثل: الأصنام، وإما أن تكون حقائقها فيه غير بالغة منتهى كمال حقيقتها، كاتصاف البشر بالرحمة، والملك، وإما أن يكون الاتصاف بها كذباً، لا حقيقة، كاتصاف البشر بالكبر؛ إذ ليس أهلاً للكبر، والجبروت، والعزة».

(٢) يقول فالح بن مهدي في التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية (١/ ٢٥) في شرح قول الإمام أحمد: «قول الإمام أحمد: لا يُتجاوز القرآن والحديث؛ معناه: أن الأسماء والصفات توقيفية، فمصدرها: الكتاب، والسنة».

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ٢٦).

(٤) ذم التأويل ص (١١).

(٥) **فائدة:** جاء من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ بعث رجلاً على سرية، وكان يقرأ لأصحابه في صلاتهم، فيختم بـ(قل هو الله أحد)، فلما رجعوا ذكروا ذلك للنبي ﷺ، فقال: «سلوه: لأي شيء يصنع ذلك؟»، فسألوه، فقال: لأنها صفة الرحمن، وأنا أحب أن أقرأ =

توقيفي»(١).

=

بها، فقال النبي ﷺ: «أخبروه أن الله يحبه»، رواه البخاري، رقم: (٧٣٧٥).

يقول الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١٣/ ٣٦٩): «وفي حديث الباب: حجة لمن أثبت أن لله صفة، وهو قول الجمهور، وشذ ابن حزم، فقال: هذه لفظة اصطلح عليها أهل الكلام من المعتزلة، ومن تبعهم، ولم تثبت عن النبي ﷺ، ولا عن أحد من أصحابه، فإن اعترضوا بحديث الباب فهو من أفراد سعيد بن أبي هلال، وفيه ضعف.

قال: وعلى تقدير صحته فـ(قل هو الله أحد) صفة الرحمن، كما جاء في هذا الحديث، ولا يزاد عليه، بخلاف الصفة التي يطلقونها، فإنها في لغة العرب لا تطلق إلا على جوهر، أو عرض»، ثم أخذ في تفنيده، لمن يحب الرجوع إليه.

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧).

عامة أهل العلم على أن الأسماء والصفات توقيفية، وممن نص من أهل العلم على توقيفية الأسماء والصفات: الحافظ ابن حجر في نكته على ابن الصلاح (١/ ٥٦)، والسجزي في كتاب الحرف والصوت ص (١٢١ - ١٢٢)، والخطابي في شأن الدعاء ص (١١١)، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (١٠/ ٢٢٠)، والسفاريني في لوامع الأنوار (١/ ١٢٤)، وغيرهم كثير.

ونص الأشاعرة على أن أسماء الله ﷻ توقيفية، وقالت المعتزلة، والكرامية: يجوز إطلاق ما لم يرد به النص، إن دل على المدح في حق الله ﷻ، ووافقهم الباقلاني من الأشاعرة.

يقول الرازي في كتابه لوامع البينات ص (١٨): «مذهب أصحابنا -يعني: الأشاعرة-: أنها توقيفية، وقالت المعتزلة، والكرامية: إن اللفظ إذا دل العقل على أن المعنى ثابت في حق الله سبحانه جاز إطلاق ذلك اللفظ على الله تعالى، سواء ورد التوقيف به، أو لم يرد، وهو قول القاضي أبي بكر الباقلاني من أصحابنا»ا.هـ، وينظر قول القاضي أبي بكر الباقلاني في كتابه تمهيد الأوائل ص (٢٦١).

واختار الغزالي أن التوقيف مختص بالأسماء، دون الصفات، وهذا في قوله: «الاسم غير،

=

الوجه الثاني: قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ﴾، ووجهه: أن الألف واللام في الأسماء للعهد[1]، ولا معهود إلا ما ذكر في الكتاب، والسنة، فوجب الوقوف عليهما.

يقول ابن حزم: «لا يحل لأحد أن يسمي الله ﷻ بغير ما سمى به نفسه،

=

والصفة غير، فاسمي محمد، واسمك أبو بكر، فهذا من باب الأسماء، وأما الصفات فمثل وصف هذا الإنسان بكونه طويلاً، فقيها، وكذا، وكذا، إذا عرفت هذا الفرق فيقال: إما إطلاق الاسم على الله فلا يجوز إلا عند وروده في القرآن، والخبر، أما الصفات فإنه لا تتوقف على التوقيف»ا.هـ، ذكر قول الغزالي هذا: الحافظ ابن حجر في الفتح (١١/ ٢٢٦)، والرازي في تفسيره (١/ ١٥٤)، وفي لوامع البينات ص (١٨).

وتوقف إمام الحرمين الجويني في الإرشاد ص (١٤٣) في الأسماء التي لم يرد فيها نص، وهذا في قوله: «ما ورد الشرع بإطلاقه في أسماء الله –تعالى– وصفاته أطلقناه، وما منع الشرع من إطلاقه منعناه، وما لم يرد فيه إذن ولا منع لن نقض فيه بتحليل، ولا تحريم، فإن الأحكام الشرعية تتلقى من موارد السمع، ولو قضينا بتحليل أو تحريم من غير شرع لكنا مثبتين حكما دون السمع»ا.هـ.

ونسب هذا القول الزركشي في شرح جمع الجوامع (٤/ ٨٦٩) إلى الباقلاني، فلعل له في المسألة قولين.

وذكر الشهاب الخفاجي في حاشيته على تفسير البيضاوي (٤/٢٣٨) قولاً ولم ينسبه لأحد: «أنه يكفي ورود مادته في لسان الشارع، فإن وردت جاز».

وينظر –غير ما ذكر–: المحرر الوجيز ص (٧٦٣)، والبحر المحيط (٥/ ٢٣١)، وشرح المقاصد للتفتازاني (٤/ ٣٤٤)، وشرح جوهرة اللقاني للباجوري ص (٨٩).

(١) هذا على رأي ابن حزم، ومن أهل التفسير من يرى أن الألف واللام هنا جنسية؛ التي تأتي بمعنى: كل، والمعنى: أن لله ﷻ كل الأسماء الحسنى، وسيأتي مزيد بيان له في الضابط الثالث.

ولا أن يصفه بغير ما أخبر به -تعالى- عن نفسه، قال ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فمنع -تعالى- أن يسمى إلا بأسمائه الحسنى، وأخبر أن من سماه بغيرها فقد ألحد.

والأسماء الحسنى بالألف واللام لا تكون إلا معهودة، ولا معروف في ذلك إلا ما نص الله – تعالى – عليه، ومن ادعى زيادة على ذلك كلف البرهان على ما ادعى، ولا سبيل له إليه، ومن لا برهان له فهو كاذب في قوله، ودعواه، قال ﷻ: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١]»(١).

الوجه الثالث: قوله: ﴿ٱلْحُسْنَىٰ﴾، فالمعنى: أن أسماء الله قد بلغت الغاية في الحسن، والنهاية في الجمال، بحيث لا يقوم غيرها مقامها، فيجب الوقوف فيها على ما ورد في الكتاب، أو السنة، وإلا لزم أن يُسمى ﷻ بما ليس بحسن، يقول ابن عطية: «وحُسن الأسماء إنما يتوجه بتحسين الشرع لإطلاقها، والنص عليها»(٢).

الوجه الرابع: قوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾، ووجهه: أن الله ﷻ أمر أن ندعوه بأسمائه، وأسماؤه ما ذكر في الكتاب، والسنة، يقول الخازن: «يعني: ادعوا الله بأسمائه التي سَمَّى بها نفسه، أو سَمَّاه بها رسوله ﷺ، ففيه دليل على أن

(١) المحلى لابن حزم (١/ ٤٩ – ٥٠).

(٢) المحرر الوجيز ص (٧٦٣).

أسماء الله توقيفية؛ لا اصطلاحية»[١].

الوجه الخامس: قوله تعالى: ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾:

ففي الآية وعيد من الله ﷻ للذين يلحدون في أسمائه، وذكر أهل العلم أن من الإلحاد في أسماء الله ﷻ: تسميته بما لم يرد لا في الكتاب، ولا في السنة.

يقول البغوي: «قال أهل المعاني: الإلحاد في أسماء الله تسميته بما لم يتسم به، ولم ينطق به كتاب الله، ولا سنة رسوله ﷺ»[٢].

ويقول الحافظ ابن حجر: «قد قال أهل التفسير: من الإلحاد في أسمائه تسميته بما لم يرد في الكتاب، أو السنة الصحيحة»[٣].

ويخرج بهذا الضابط الأول أمور ثلاثة:

الأمر الأول: كل ما لم يذكر في الكتاب والسنة من الأسماء، مما قد يطلقه الإنسان لجهله، أو يستحسنه برأيه، ويؤديه إليه عقله؛ إذ العقل لا مدخل له في أسماء الله ﷻ، وصفاته على سبيل التفصيل[٤]، فمهما بلغ

---

(١) تفسير الخازن (٢/ ٢٧٦).

(٢) تفسير البغوي ص (٥٠٤).

(٣) فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

(٤) يذكر أهل العلم أن العقل لا مدخل له في الأسماء والصفات على سبيل التفصيل، ولكن على سبيل الإجمال، فالله ﷻ جبل الناس على الإقرار بتعظيمه، والخضوع لعظمته، لكن =

الرأي، وعظم الفكر، وأعمل العقل؛ فهو غير مأمون أن يسمي الله ﷻ باسم ليس بحسن، فالعقل قاصر، والفكر ناقص، والرأي متهم.

يقول ابن عطية: «الصواب: ألا يُسمى الله - تعالى - إلا باسم قد أطلقته الشريعة، ووقفت عليه أيضـاً، فإن هذه الشريطة التي في جواز إطلاقه من أن يكون مدحـاً خالصـاً لا شبهة فيه، ولا اشتراك، أمر لا يحسنه إلا الأقل من أهل العلوم، فإذا أُبيح ذلك تَسَوَّر عليه من يظن بنفسه الإحسان -وهو لا يُحسن- فأدخل في أسماء الله ما لا يجوز إجماعـاً»[1].

الأمر الثاني: ويخرج بهذا الضابط: الأسماء التي قد يقيسها بعض الناس على أسماء الله ﷻ؛ المذكورة في الكتاب، والسنة؛ لأن أسماء الله ﷻ

=

العلم بتفاصيل الأسماء، والصفات، وما يثبت لله ﷻ منها، وما ينفي عنه؛ فهذا لا يتلقى إلا عن طريق الشرع، يقول ابن القيم في شفاء العليل ص (٤٩٨): «وهكذا باب التوحيد وإثبات الصفات، فإن في الفطرة الإقرار بالكمال المطلق، الذي لا نقص فيه للخالق - سبحانه- ولكن معرفة هذا الكمال على التفصيل مما يتوقف على الرسل، وكذلك تنزيهه عن النقائص والعيوب، هو أمر مستقر في فطر الخلائق... فليس في العقول أبين ولا أجلى من معرفتها بكمال خالق هذا العالم، وتنزيهه عن العيوب، والنقائص، وجاءت الرسل بالتذكرة بهذه المعرفة، وتفصيلها».

ويقول ابن عثيمين في تقريب التدمرية ص (١٥): «القول في أسماء الله وصفاته من باب الخبر المحض؛ الذي لا يمكن للعقل إدراك تفاصيله؛ فوجب الوقوف فيه على ما جاء به السمع».

(١) المحرر الوجيز ص (٧٦٣)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٧٥).

الحسنى توقيفية لا يقاس عليها، وهذا ابن عبد البر يمنع القياس في باب التوحيد عمومـًا، ويحكي عدم الخلاف بين أهل السنة في هذا حينما يقول: «لا خلاف بين فقهاء الأمصار، وسائر أهل السنة -وهم أهل الفقه، والحديث- في نفي القياس في التوحيد، وإثباته في الأحكام، إلا داود بن علي بن خلف الأصفهاني، ثم البغدادي، ومن قال بقولهم، فإنهم نفوا القياس في التوحيد والأحكام جميعـًا، وأما أهل البدع فعلى قولين في هذا الباب -سوى القولين المذكورين-: منهم من أثبت القياس في التوحيد والأحكام جميعـًا، ومنهم من أثبته في التوحيد، ونفاه في الأحكام»(١).

ويبين الخطابي هذا بأمثلته في قوله: «من عِلْم هذا الباب - أعني: الأسماء والصفات -، ومما يدخل في أحكامه، ويتعلق به من شرائط: أنه لا يتجاوز فيها التوقيف، ولا يستعمل فيها القياس؛ فيلحق بالشيء نظيره في ظاهر وضع اللغة، ومتعارض الكلام.

فالجواد لا يجوز أن يقاس عليه: السخي، وإن كانا متقاربين في ظاهر الكلام، وذلك أن السخي لم يرد به التوقيف كما ورد بالجواد، ثم إن السخاوة موضوعة في باب الرخاوة واللين، يقال: أرض سخية، وسخاوية؛ إذا كان فيها لين ورخاوة.

وكذلك لا يقاس عليه السمح؛ لما يدخل السماحة من معنى اللين والسهولة، وأما الجود فإنما هو سعة العطاء من قولك: جاد السحاب؛ إذا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله ص (٢/ ٨٨٧).

أمطر فأغزر، ومطر جود وفرس جواد؛ إذا بد ما في وسعه من الجري.

وقد جاء في الأسماء: القوي، ولا يقاس عليه: الجَلْدُ، وإن كانا يتقاربان في نعوت الآدميين؛ لأن باب التجلد يدخله التكلف، والاجتهاد.

ولا يقاس على القادر: المطيق، ولا المستطيع؛ لأن الطاقة والاستطاعة إنما تطلقان على معنى قوة البنية، وتركيب الخِلقة.

ولا يقاس على الرحيم: الرقيق، وإن كانت الرحمةُ في نعوت الآدميين نوعـاً من رقة القلب، وضعفه عن احتمال القسوة.

وفي صفات الله سبحانه: الحليم، والصبور، فلا يجوز أن يقاس عليهما: الوقور، والرزين.

وفي أسمائه العليم ومن صفته العلم؛ فلا يجوز قياساً عليه أن يسمى: عارفاً؛ لما تقتضيه المعرفة من تقديم الأسباب التي يتوصل بها إلى علم الشيء، وكذلك لا يوصف بالعاقل.

وهذا الباب يجب أن يراعى ولا يُغفل؛ فإن عائدته عظيمة، والجهل به ضار، وبالله التوفيق»[١].

وكذا يبينه البغوي في قوله: «أسماء الله تعالى على التوقيف؛ فإنه يسمى جواداً ولا يسمى سخياً، وإن كان في معنى الجواد، ويسمى رحيمـاً ولا يسمى رفيقـاً، ويسمى عالمـاً ولا يسمى عاقلاً.

---

(١) شأن الدعاء ص (١١١ – ١١٣).

وقال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال عز من قائل: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤].

ولا يقال: يا مخادع، يا مكار، بل يدعى بأسمائه التي ورد بها التوقيف على وجه التعظيم، فيقال: يا الله، يا رحمن، يا رحيم، يا عزيز، يا كريم، ونحو ذلك»[1].

وبعض سر هذا -والعلم عند الله- أن الله ﷻ يتسمى بأفضل الأسماء؛ التي تدل على أكمل الصفات، مع البعد في دلالتها عن كل نقص، فمن أسماء صفات الإحسان: البر، الرحيم، الودود، الرفيق، الشفوق؛ نرى أن الله ﷻ تسمى بالبر، الرحيم، الودود؛ دون الرفيق، والشفوق.

وحتى وزن الاسم وصيغته يختار الله ﷻ منه أكمله، فاختار السميع، دون السامع، والباصر، دون المبصر، والناظر.

هذا ما صرح به أو أشار إليه ابن القيم في قوله: «أسماؤه الدالة على صفاته هي أحسن الأسماء وأكملها؛ فليس في الأسماء أحسن منها، ولا يقوم غيرها مقامها، ولا يؤدي معناها، وتفسير الاسم منها بغيره ليس تفسيراً بمرادف محض، بل هو على سبيل التقريب والتفهيم.

---

(١) تفسير البغوي ص (٥٠٤)، ونص على هذا أيضاً: ابن خزيمة في كتاب التوحيد (١/ ١٣٧)، والخازن في تفسيره (٢/ ٢٧٦)، والزجاج فيما ذكره عنه ابن الجوزي في زاد المسير ص (٤٦٥)، وأبو الحسن القابسي فيما ذكره عنه ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٢٦).

وإذا عرفت هذا فله من كل صفة كمال أحسن اسم، وأكمله، وأتمه معنى، وأبعده وأنزهه عن شائبة عيب أو نقص؛ فله من صفة الإدراكات: العليم الخبير دون العاقل الفقيه، والسميع البصير، دون السامع، والباصر، والناظر، ومن صفات الإحسان: البر، الرحيم، الودود؛ دون الرفيق، والشفوق، ونحوهما.

وكذلك: العلي، العظيم؛ دون الرفيع، الشريف.

وكذلك: الكريم، دون السخي، والخالق، الباريء، المصور؛ دون الفاعل، الصانع، المشكل، والغفور، العفو؛ دون الصفوح، الساتر.

وكذلك سائر أسمائه -تعالى- يجري على نفسه منها أكملها، وأحسنها، وما لا يقوم غيره مقامه، فتأمل ذلك؛ فأسماؤه أحسن الأسماء؛ كما أن صفاته أكمل الصفات، فلا تعدل عما سمى به نفسه إلى غيره؛ كما لا تتجاوز ما وصف به نفسه ووصفه به رسوله إلى ما وصفه به المبطلون، والمعطلون»[١].

الأمر الثالث: ويخرج بهذا الضابط: كل ما يذكر في باب الإخبار عن الله ﷻ، وإن كان على صيغة الاسم، لأن باب الأسماء توقيفي، وباب الأخبار غير توقيفي، يقول ابن القيم: «ما يطلق عليه في باب الأسماء والصفات توقيفي، وما يطلق عليه من الأخبار لا يجب أن يكون توقيفاً، كالقديم،

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٥٢)، وانظر: مدارج السالكين (٣/ ٣٨٤ – ٣٨٥).

والشيء، والموجود، والقائم بنفسه[١]، فهذا فصل الخطاب في مسألة أسمائه: هل هي توقيفية، أو يجوز أن يطلق عليه منها بعض ما لم يرد به السمع؟»[٢].

الضابط الثاني: أن يكون الاسم وارداً في النصوص الشرعية (بصيغة الاسم)[٣]، وهذا الضابط ذكره الله ﷻ في قوله: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾.

فكل ما لم يرد في النصوص الشرعية بصيغة الاسم فليس هو من الأسماء الحسنى، لأنه ليس باسم، والله ﷻ قال: ﴿ٱلۡأَسۡمَآءُ﴾، ولم يقل: الصفات، ولا الأفعال، ولا غيرها.

---

(١) الألفاظ التي تدخل تحت باب الخبر، ولا تدخل تحت باب الأسماء والصفات؛ نوعان:

الأول: ألفاظ وردت في الكتاب والسنة، أو أشار الكتاب والسنة إليهما، فمن الوارد لفظ: الصنع، والاتقان؛ المذكوران في قوله تعالى: ﴿صُنۡعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِيٓ أَتۡقَنَ كُلَّ شَيۡءٍۚ﴾ [النمل: ٨٨].

ومن المشار إليه لفظ (الشيء) في قوله: ﴿قُلۡ أَيُّ شَيۡءٍ أَكۡبَرُ شَهَٰدَةٗۖ قُلِ ٱللَّهُۖ شَهِيدُۢ بَيۡنِي وَبَيۡنَكُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٩].

الثاني: الألفاظ التي لم ترد في الكتاب، ولا في السنة، وهي تدخل تحت باب الإخبار، وهذا مثل لفظ: الذات، والقديم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه (٩/ ٣٠١): «وأما إذا احتيج إلى الإخبار عنه، مثل أن يقال: ليس هو بقديم، ولا موجود، ولا ذات قائمة بنفسها، ونحو ذلك، فقيل في تحقيق الإثبات: بل هو سبحانه قديم، موجود، وهو ذات قائمة بنفسها، وقيل: ليس بشيء، فقيل: بل هو شيء، فهذا سائغ».

(٢) بدائع الفوائد (١/ ١٤٧).

(٣) هذا لفظ الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/ ٢٢٤).

والمقصود بالاسم في حق الله ﷻ: هو اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على ذات الله ﷻ، وعلى المعاني التي تقوم بالذات.

أما الصفة: فهي اللفظ الثابت في النصوص الشرعية الدال على المعاني التي تقوم بالذات.

فالعليم اسم من أسماء الله ﷻ؛ لأنه يدل على ذات الله ﷻ، وعلى اتصاف الذات بصفة العلم، والعلم صفة لله ﷻ، لا اسم؛ لأنه يدل على اتصاف الله ﷻ بالعلم، فالاسم يدل على أمرين: الذات، والمعنى القائم بالذات، والصفة تدل على المعنى القائم بالذات فقط.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «كل اسم من أسمائه يدل على الذات المسماة، وعلى الصفة التي تضمنها الاسم، كـ(العليم): يدل على الذات، والعلم، و(القدير) يدل على الذات، والقدرة، و(الرحيم) يدل على الذات، والرحمة»[(١)].

ويقول ابن القيم: «إن الاسم من أسمائه -تبارك وتعالى- كما يدل على الذات والصفة التي اشتق منها بالمطابقة؛ فإنه يدل عليه دلالتين أخريين بالتضمن واللزوم، فيدل على الصفة بمفردها بالتضمن، وكذلك على الذات المجردة عن الصفة، ويدل على الصفة الأخرى باللزوم، فإن اسم السميع يدل على ذات الرب وسمعه بالمطابقة، وعلى الذات وحدها، وعلى السمع

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٣٣ - ٣٣٤)، وانظر: مجموع الفتاوى (١٣/ ٣٨٣).

وحده بالتضمن، ويدل على اسم الحي، وصفة الحياة بالالتزام، وكذلك سائر أسمائه، وصفاته»[١].

وقالت اللجنة الدائمة: «الفرق بين الاسم، والصفة: أن الاسم: ما دل على الذات، وما قام بها من صفات، وأما الصفة: فهي ما قام بالذات مما يميزها عن غيرها من معان ذاتية، كالعلم، والقدرة، أو فعلية، كالخلق، والرزق، والإحياء، والإماتة»[٢].

وقالت اللجنة الدائمة أيضـًا: «أسماء الله كل ما دل على ذات الله مع صفات الكمال القائمة به؛ مثل: القادر، العليم، الحكيم، السميع، البصير؛ فإن هذه الأسماء دلت على ذات الله، وعلى ما قام بها من العلم، والحكمة، والسمع، والبصر، أما الصفات فهي نعوت الكمال القائمة بالذات؛ كالعلم، والحكمة، والسمع، والبصر، فالاسم دل على أمرين، والصفة دلت على أمر واحد، ويقال: الاسم متضمن للصفة، والصفة مستلزمة للاسم»[٣].

ويقول ابن عثيمين: «الفرق بين الاسم والصفة: أن الاسم: ما سمى الله به، والصفة: ما وصف الله به، وبينهما فرق ظاهر، فالاسم يعتبر علمـًا على

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٤)، وانظر: توضيح الكافية الشافية لابن سعدي ص (٢٠٧ – ٢٠٨).

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة (٢/ ٣٦٥) «المجموعة الثانية».

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة (٣/ ١٦٠).

الله ﷻ متضمناً للصفة»[١].

ويخرج بهذا الضابط أمور أربعة:

الأمر الأول: كل الصفات المذكورة في الكتاب والسنة، لأنها ليست بأسماء، فلا توجد صفة واحدة يشتق لله ﷻ منها اسم على الإطلاق، يقول ابن عثيمين: «ليس هناك صفة يشتق منها اسم أبداً، هذا غلط، وليس بصحيح، لأننا لو اشتققنا من كل صفة اسماً ما بقي للأسماء فائدة، ولقلنا: الله ممسك، وباطش، وآخذ، ومستهزئ، وهذا لا يمكن»[٢].

ويقول: «الصفة لا يشتق منها اسم»[٣].

ويقول ابن القيم في خصوص الأفعال المقيدة؛ التي هي من الصفات: «لا يلزم من الإخبار عنه بالفعل مقيدا أن يشتق له منه اسم مطلق، كما غلط فيه بعض المتأخرين، فجعل من أسمائه الحسنى: المضل، الفاتن، الماكر -تعالى الله عن قوله-؛ فإن هذه الأسماء لم يطلق عليه سبحانه منها إلا أفعال

---

(١) مجموع فتاوى ابن عثيمين (١/ ١٢٢).

(٢) الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية ص (٩٢).

ولا يشكل على هذا بعض الصفات التي وردت منها أسماؤها في النصوص الشرعية كاسم الله ﷻ: الرحيم، وصفته: الرحمة، فهذا يطلق عليه الاسم لوروده في النص الشرعي، وليس أخذاً له من الصفة الواردة في نص شرعي آخر.

(٣) شرح العقيدة السفارينية ص (٣٦).

مخصوصة معينة، فلا يجوز أن يسمى بأسمائها المطلقة، والله أعلم»(١).

الأمر الثاني: ويخرج بهذا الضابط: كل ما يدخل تحت باب الإخبار، وإن كان بصيغة الاسم؛ لأنها أخبار وردت بصيغة الاسم، وليست أسماء لله ﷻ.

يقول ابن القيم في مزيد توضيح لعدم دخول الأفعال ضمن أسماء الله ﷻ، وأن ما يطلق على الله ﷻ من باب الإخبار لا يتسمى به: «إن الفعل أوسع من الاسم، ولهذا أطلق الله على نفسه أفعالاً لم يتسم منها بأسماء الفاعل، كأراد، وشاء، وأحدث، ولم يُسمَّ بالمريد والشائي والمحدث، كما لم يُسمَّ نفسه بالصانع والفاعل والمتقن، وغير ذلك من الأسماء التي أطلق على نفسه، فباب الأفعال أوسع من باب الأسماء.

وقد أخطأ أقبح خطأ من اشتق له من كل فعل اسمـاً، وبلغ بأسمائه زيادة على الألف، فسماه: الماكر والمخادع، والفاتن والكائد، ونحو ذلك.

وكذلك باب الإخبار عنه بالاسم أوسع من تسميته به، فإنه يُخبر عنه بأنه شيء، وموجود، ومذكور، ومعلوم، ومراد، ولا يُسَمَّى بذلك»(٢).

الأمر الثالث: ويخرج بهذا الضابط: كل ما يذكره أهل العلم من الأسماء المضافة؛ لأنها لم ترد بصيغة الاسم، وإنما على سبيل الإضافة.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلى عَدِّ الأسماء المضافة من أسماء الله

---

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى ص (٢٤ - ٢٥).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

الحسنى، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أسماؤه المضافة: مثل: أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ورب العالمين، ومالك يوم الدين، وأحسن الخالقين، وجامع الناس ليوم لا ريب فيه، ومقلب القلوب، وغير ذلك، مما ثبت في الكتاب، والسنة، وثبت الدعاء بها؛ بإجماع المسلمين»[1].

ويقول الأصبهاني عند تعداده لبعض الأسماء الحسنى: «ومن الأسماء المضافة: ذو الجلال والإكرام... خير الفاصلين»[2].

ويقول ابن عثيمين: «من أسماء الله تعالى ما يكون مضافاً مثل: مالك الملك، ذي الجلال والإكرام»[3].

لكن الذي يظهر -والعلم عند الله- أن ما ورد على سبيل الإضافة ليس اسماً لله ﷻ؛ لأنه لم يرد بصيغة الاسم، يقول ابن الوزير بعد أن عدَّ جملة مباركة من الأسماء الحسنى: «وقد تركت التكرار، فاكتفيت باسم (الرب) عن: رب كل شيء، ورب العالمين، ورب العزة، ورب العرش العظيم، ورب الملائكة والروح.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٥)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٤٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/ ١٦٣)، وانظر: المصدر نفسه (١/ ١٦٥).

(٣) القواعد المثلى ص (٤٨)، وممن عد الأسماء المضافة أيضاً: الخطابي في شأن الدعاء ص (٩١) و(١٠٤)، وابن العربي في الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٨٦)، وابن سعدي في آخر تفسيره ص (٩٤٧) و(٩٤٨).

واكتفيت بالواسع عن: واسع المغفرة، وواسع كل شيء رحمة وعلماً، ونحو ذلك.

وتركت ما كان من صفات أفعاله، وأسمائه، مثل: شديد العقاب، وسريع الحساب، ونحو ذلك؛ لأنه لم يسم نفسه بها، ولا علمت أحدا عدها في أسمائه، بل عدت في أفعاله ﷻ؛ لأنه لا فرق في المعنى بين قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢]، وبين قوله: إن عذاب الله لشديد، فتأمل ذلك»[1].

الأمر الرابع: ويخرج بهذا الضابط ما ورد مُبْتَدَأً بـ(ذو)، وقد عَدَّه بعض أهل العلم من الأسماء الحسنى.

وما ورد مُبْتَدَأً بـ(ذو) مطلقاً على الله ﷻ ثلاثة أقسام[2]:

القسم الأول: ما أضيف إلى مخلوق من مخلوقاته، وهذا مثل: ذو العرش.

القسم الثاني: ما أضيف إلى فعل من أفعاله، وهذا مثل: ذو عقاب أليم.

القسم الثالث: ما أضيف إلى صفة من صفات الله ﷻ، وهذا نوعان:

النوع الأول: أن تكون لهذه الصفات أسماء تدل عليها صرحت بها النصوص، مثل: ذو الرحمة، ذو القوة، ذو الجبروت، والأسماء التي تضمنت هذه الصفات هي: الرحمن، الرحيم، القوي، الجبار.

---

(١) إيثار الحق ص (١٦٠).

(٢) انظر: أسماء الله وصفاته للأشقر ص (٦٢ - ٦٣).

فهذه الألفاظ -والعلم عند الله- الأصل فيها الاسم المفرد ، دون ما ورد مضافًا، وسبق شيء من هذا قريبًا في الأسماء المضافة، والنقل عن ابن الوزير.

النوع الثاني: صفات لم ترد بصيغة الاسم في الكتاب والسنة، مثل: ذو الطول، ذو الفضل، ذو الجلال والإكرام.

وقد عَدَّ بعض أهل العلم ما ورد مُبْتَدَأً بـ(ذو) من الأسماء الحسنى، وسبق النقل عن الأصبهاني، وابن عثيمين قريبًا.

والذي يظهر -والعلم عند الله- أن ما ورد مُبْتَدَأً بـ(ذو) فالراجح أنه ليس من الأسماء الحسنى؛ لأنه لم يرد بصيغة الاسم، يؤيده: أن (ذو) في اللغة بمعنى: صاحب، وتدل في لغة العرب على التشريف للصفة، والتشريف للموصوف(١).

---

(١) يقول السهيلي في غوامض الأسماء المبهمة ص (١١٧): «قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، هو يونس بن متى، أضاف هنا إلى النون، وهو: الحوت، وقد قال في سورة (نٓ ﷺ): ﴿ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ ﴾ [القلم: ٤٨]، فسماه هناك صاحب الحوت، وكناه هنا ذا النون، والمعنى واحد، ولكن بين اللفظين تفاوت كبير في حسن الإشارة إلى الحالتين، وتنزيل الكلام في الموضعين، فإنه حين ذكره في موضع الثناء عليه قال: ذا النون، ولم يقل: صاحب النون، والإضافة بذو أشرف من الإضافة بصاحب، لأن قولك: (ذو) يضاف إلى التابع، وصاحب يضاف إلى المتبوع، لقول: أبي هريرة صاحب النبي ﷺ، ولا تقل: النبي ﷺ صاحب أبي هريرة، إلا على جهة ما.

=

يقول أبو حيان في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]: «قد تقدم أن (ذو) بمعنى: صاحب، وذكر جملة من أحكام (ذو)، والوصف بـ(ذو) أشرف عندهم من الوصف بصاحب؛ لأنهم ذكروا أن (ذو) أبداً لا تكون إلا مضافة لاسم، فمدلولها أشرف[1].

ولذلك جاء: ذو رعين، وذو يزن، وذو الكلاع، ولم يسمعوا بصاحب رعين، ولا صاحب يزن، ونحوها.

=

وأما (ذو) فإنك تقول للاسم فيها: ذو المال، وذو العرش، فتجد الاسم متبوعـًا غير تابع، ولذلك سميت أقيال حمير بالأذواء، فمنهم: ذو جدن، وذو يزن، وذو عين، وذو عمرو، وذو كلاع، وفي الإسلام أيضـًا: ذو العين، وذو الشهادتين، وذو الشمالين، وذو اليدين، وفي العرب: ذو الجدين، وذو الرياستين، وهذا كله تفخيم للمسمى بهذا، وليس ذلك في لفظ: صاحب، وإنما فيه تعريف لا يفترق به في هذا المعنى.

ثم أضاف في هذه الآية إلى النون، وهو: الحوت، ولكن لفظ ذي النون أشرف؛ لوجود هذا الاسم في حروف التهجي، في أوائل السور، نحو: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]، وقد قيل: إن هذا قسم بالنون والقلم، وإن لم يكن قسمـًا فقد عظمه بعطف المقسم به عليه، وهو القلم، وهذا الاستدلال يشرف هذا الاسم، وليس في الاسم الآخر ما يشرفه وهو الحوت.

وكذلك فالتفت إلى تنزيل الكلام في الآيتين يَلُحْ لك ما أشرنا إليه في هذا الغرض، فإن التدبر لإعجاز القرآن واجب ومفترض في هذا الغرض» ا.ه، وقال مثله الكفوي في الكليات ص (٤٦٠).

(١) يقول أبو حيان في البحر المحيط (٣/ ١٨): «الوصف بذو أبلغ من الوصف بصاحب، ولذلك لم يجئ في صفات الله صاحب».

وامتنع أن يقول في صحابي أبي سعيد أو جابر: ذو رسول الله ﷺ، وجاز أن يقول: صاحب رسول الله ﷺ.

ولذلك وصف الله -تعالى- نفسه بقوله: ذو الجلال، ذو الفضل»[١].

ويقول ابن القيم: «ثم قال: ذو العرش: فأضاف العرش إلى نفسه، كما تضاف إليه الأشياء العظيمة، الشريفة، وهذا يدل على عظمة العرش وقربه منه - سبحانه -، واختصاصه به، بل يدل على غاية القرب، والاختصاص، كما يضيف إلى نفسه بـ(ذو) صفاته القائمة به، كقوله: ذو القوة، ذو الجلال والإكرام، ويقال: ذو العزة، وذو الملك، وذو الرحمة، ونظائر ذلك، فلو كان حظ العرش منه حظ الأرض السابعة لكان لا فرق أن يقال: ذو العرش، وذو الأرض»[٢].

ويقول ابن عاشور مقرراً عدم دخول الأسماء المضافة، وما كان مبتدءاً بـ(ذو)؛ ضمن الأسماء الحسنى: «الأسماء هي: الألفاظ المجعولة أعلاما على الذات بالتخصيص، أو بالغلبة، فاسم الجلالة وهو (الله) علم على ذات الإله الحق بالتخصيص، شأن الأعلام، و(الرحمن) و(الرحيم): اسمان لله بالغلبة.

وكذلك كل لفظ مفرد دل على صفة من صفات الله، وأطلق إطلاق الإعلام نحو: الرب، والخالق، والعزيز، والحكيم، والغفور.

(١) البحر المحيط (١/ ٥٤٦).

(٢) التبيان في أقسام القرآن ص (٥٥).

ولا يدخل في هذا ما كان مركبـًا إضافيـًا، نحو: ذو الجلال، ورب العرش، فإن ذلك بالأوصاف أشبه، وإن كان دالاً على معنى لا يليق إلا بالله، نحو: ملك يوم الدين»(١).

الضابط الثالث: أن يكون الاسم من الأسماء الواردة في النصوص الشرعية يدل على الحسن في حق الله ﷻ مطلقـًا، بدون قيد، أو شرط، وهو المذكور في قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾.

فالآية نص على أن الله ﷻ له جميع الأسماء الحسنى(٢)، وهي نص على أن كل أسماء الله ﷻ حسنى(٣)، وحُسْن الاسم إنما يكون بجميل مدلوله، وحسن معناه، والحسن في الآية مطلق غير مقيد، وعام غير مخصوص، فشمل قوله: ﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾: أن جميع الأسماء الحسنى لله ﷻ، وأن أسماء الله ﷻ كلها حسنى، وأن أسماء الله ﷻ كلها حسنى بدون قيد، أو

---

(١) التحرير والتنوير (٩/ ١٨٦).

(٢) يقول ابن عاشور في التحرير والتنوير (٩/ ١٨٦): «تقديم المجرور المسند على المسند إليه لمجرد الاهتمام؛ المفيد تأكيد استحقاقه إياها؛ المستفاد من اللام، والمعنى: أن اتسامه بها أمر ثابت، وذلك تمهيد لقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وقد التزم مثل هذا التقديم في جميع الآي التي في هذا الغرض مثل قوله في سورة الإسراء: ﴿فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وسورة طه: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]، وفي سورة الحشر: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الحشر: ٢٤]».

(٣) انظر: النكت الدالة على البيان في أنواع العلوم والأحكام للقصاب (١/ ٥٤٠).

شرط.

يقول ابن القيم: «كل ما ينزه -سبحانه- عنه من العيوب والنقائص فهو داخل فيما نزه نفسه عنه، وفيما يسبح به، ويقدس، ويحمد، ويمجد، وداخل في معاني أسمائه الحسنى، وبذلك كانت حسنى؛ أي: أحسن من غيرها، فهي أفعل تفضيل، معرفة باللام، أي: لا أحسن منها بوجه من الوجوه، بل لها الحسن الكامل، التام، المطلق»(١).

ويقول ابن القيم: «أسماء الرب تعالى كلها أسماء مدح، ولو كانت ألفاظًا مجردة لا معانيَ لها لم تدل على المدح، وقد وصفها الله -سبحانه- بأنها حسنى كلها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهي لم تكن حسنى لمجرد اللفظ، بل لدلالتها على أوصاف الكمال»(٢).

ويقول السعدي: «هو الجميل في أسمائه فإنها كلها حسنى، بل أحسن الأسماء على الإطلاق، وأجملها، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]»(٣).

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٤٤٣).

(٢) جلاء الأفهام ص (٢٧٨ - ٢٧٩).

(٣) الحق الواضح المبين ص (٢٢٦)، (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي).

ويقول في قوله تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر: ٢٤]: «أي: له الأسماء الكثيرة جداً؛ التي لا يحصيها ولا يعلمها أحد إلا هو، ومع ذلك فكلها حسنى؛ أي: صفات كمال(١)، بل تدل على أكمل الصفات، وأعظمها، لا نقص في شيء منها بوجه من الوجوه»(٢).

ويقول السعدي: «﴿ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾؛ أي: له كل اسم حسن، وضابطه: أنه كل اسم دال على صفة كمال عظيمة(٣)، وبذلك كانت حسنى، فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علَماً محضاً لم تكن حسنى، وكذلك لو دلت على صفة ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص، أو صفة منقسمة إلى: المدح، والقدح؛ لم تكن حسنى، فكل اسم من أسمائه دال على جميع

(١) أسماء الله ﷻ كلها مما وصف الله ﷻ بها نفسه، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى الكبرى (٥/ ٦): «جميع أسماء الله الحسنى هي مما وصف به نفسه، كقوله: الغفور، الرحيم، العزيز، الحكيم، العليم، القدير، العلي، العظيم، الكبير، المتعال، العزيز، القوي، الرزاق، ذو القوة المتين، الغفور، الودود، ذو العرش المجيد، فعال لما يريد».

ويقول ابن القيم في النونية ص (١٨٦):

أسماؤه أوصافُ مدح كلُّها ... مشتقّةٌ قد حمّلت لمعانِ

ويقول في النونية ص (١٥٣):

والوصف معنى قام بالموصوف والـ ... أسماء أعلام له بوزان
أسماؤه دلّت على أوصافِهِ ... مشتقّة منها اشتقاقَ معانِ
وصفاتُه دلّت على أسمائِهِ ... والفعلُ مرتبط به الأمرانِ

(٢) تفسير السعدي ص (٨٥٤).

(٣) هذا المبحث كله في ضابط الأسماء الحسنى؛ الذي أرجو أن يكون فصل الخطاب، والله أعلم.

الصفة التي اشتق منها، مستغرق لجميع معناها.

وذلك نحو: (العليم): الدال على: أن له علماً محيطاً عاماً لجميع الأشياء، فلا يخرج عن علمه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء.

وكـ(الرحيم): الدال على أن له رحمة عظيمة، واسعة لكل شيء.

وكـ(القدير): الدال على أن له قدرة عامة، لا يعجزها شيء، ونحو ذلك.

ومن تمام كونها حسنى أنه لا يدعى إلا بها، ولذلك قال: ﴿ فَٱدۡعُوهُ بِهَا ﴾: وهذا شامل لدعاء العبادة، ودعاء المسألة، فيدعى في كل مطلوب بما يناسب ذلك المطلوب، فيقول الداعي مثلاً: اللهم! اغفر لي، وارحمني، إنك أنت الغفور، الرحيم، وتب علي، يا تواب، وارزقني، يا رزاق، والطف بي، يا لطيف، ونحو ذلك»[١].

ويقول ابن عثيمين: «أسماء الله -تعالى- مشتقة؛ أي: أنها تتضمن معانيَ، وأوصافاً، فكل اسم منها يتضمن الصفة التي اشتق منها... فأسماء الله تعالى إذا أعلام دالة على صفة، ولولا ذلك ما كانت حسنى؛ لأنها إذا لم تتضمن معنى صارت أسماء جامدة، لا معنى لها، وإذا كانت أسماء جامدة لا معنى لها فلا توصف بالحسنة، والله ﷻ وصفها بأنها حسنة؛ أي: بالغة في الحسن كماله»[٢].

---

(١) تفسير السعدي ص (٣٠٩ - ٣١٠).

(٢) شرح العقيدة السفارينية ص (١٦١).

ويخرج بهذا الضابط أمور خمسة:

الأمر الأول: كل ما يذكره الناس من الأسماء، وهو مشعرٌ ذماً، أو موهمٌ نقصاً؛ لأنها ليست بحسنى، كالمضل، والفاتن، والماكر، يقول الحافظ ابن حجر: «اتفقوا على أنه لا يجوز أن يطلق عليه اسم ولا صفة توهم نقصاً، ولو ورد ذلك نصاً، فلا يقال: ماهد، ولا زارع، ولا فالق، ولا نحو ذلك، وإن ثبت في قوله: ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨]، ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ﴾ [الواقعة: ٦٤]، ﴿فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ﴾ [الأنعام: ٩٥]، ونحوها.

ولا يقال له: ماكر، ولا بناء، وإن ورد: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَـٰهَا﴾ [الذاريات: ٤٧]»[1].

الأمر الثاني: ويخرج بهذا الضابط: كل ما يذكره الناس من الأسماء، ومعناه ينقسم إلى: ما يمدح، ويذم؛ لأنها ليست بحسنى على الإطلاق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما تسميته سبحانه بأنه مريد، وأنه متكلم؛ فإن هذين الاسمين لم يردا في القرآن، ولا في الأسماء الحسنى المعروفة، ومعناهما حق، ولكن الأسماء الحسنى المعروفة هي التي يدعى الله بها، وهي التي جاءت في الكتاب والسنة، وهي التي تقتضي المدح والثناء بنفسها.

والعلم، والقدرة، والرحمة، ونحو ذلك؛ هي في نفسها صفات مدح،

---

(١) فتح الباري لابن حجر (١١/ ٢٢٦).

والأسماء الدالة عليها أسماء مدح.

وأما الكلام والإرادة فلما كان جنسه ينقسم إلى: محمود؛ كالصدق، والعدل، وإلى: مذموم؛ كالظلم، والكذب، والله تعالى لا يوصف إلا بالمحمود، دون المذموم؛ جاء ما يوصف به من الكلام والإرادة في أسماء تخص المحمود، كاسمه الحكيم، والرحيم، والصادق، والمؤمن، والشهيد، والرؤوف، والحليم، والفتاح، ونحو ذلك.

فلهذا لم يجئ في أسمائه الحسنى المأثورة: المتكلم، المريد»[١].

ويقول ابن القيم: «ما كان مسماه منقسماً إلى: كامل، وناقص، وخير، وشر؛ لم يدخل اسمه في الأسماء الحسنى، كالشيء، والمعلوم.

ولذلك لم يسم بالمريد، ولا بالمتكلم، وإن كان له الإرادة، والكلام؛ لانقسام مسمى (المريد) و(المتكلم).

وهذا من دقيق فقه الأسماء الحسنى، فتأمله، وبالله التوفيق»[٢].

ولعل من هذا اسم (المسعّر)، و(القابض)، و(الباسط)؛ الواردة في حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: غلا السعر بالمدينة على عهد رسول الله ﷺ، فقال الناس: يا رسول الله! غلا السعر، سعر لنا، فقال رسول الله ﷺ: «إن الله المسعّر، القابض، الباسط، الرزاق، إني لأرجو أن ألقى الله وليس أحد

---

(١) شرح الأصفهانية ص (٢٤)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٤٢).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣٨٤ – ٣٨٥)، وانظر: فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى ص(٢٤).

منكم يطلبني بمظلمة، في دم، ولا مال»[١].

فالمسعر، والقابض، والباسط؛ هنا وردت بصيغة الاسم، لكنها ليست من الأسماء الحسنى؛ لأنها لا تدل على الحسن بإطلاقه، بل معناها ينقسم إلى ما يمدح، ويذم، والله أعلم[٢].

ويلحق بها: (المقدم) و(المؤخر)، فهي ليست من الأسماء الحسنى، لأنها لا تدل على الحسن بإطلاقه، بل معناها ينقسم إلى ما يمدح، ويذم، والله أعلم[٣].

---

(١) رواه أحمد في المسند (٢١/ ٤٤٤)، رقم: (١٤٠٥٧)، وقال محققوه: «إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم»، وأبو داود، كتاب البيوع، باب في التسعير، ص (٤٩٩)، رقم: (٣٤٥١)، والترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في التسعير، ص (٣١٩)، رقم: (١٣١٤)، وقال الترمذي: «حسن، صحيح»، وابن ماجه، كتاب التجارات، باب من كره أن يُسَعِّرَ، ص (٣١٥)، رقم: (٢٢٠٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢/ ٢٢٢).

(٢) عد القرطبي (المسعّر) من الأسماء في كتابه الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (١/ ٥٠٢ - ٥٠٣).

(٣) جاء ذكر (المقدم) و(المؤخر) في عدة أحاديث، منها: حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يدعو بهذا الدعاء: «رب! اغفر لي خطيئتي، وجهلي، وإسرافي في أمري كله، وما أنت أعلم به مني، اللهم! اغفر لي خطاياي، وعمدي، وجهلي، وَجِدِّي، وكل ذلك عندي، اللهم! اغفر لي ما قدمت، وما أخرت، وما أسررت، وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، وأنت على كل شيء قدير».

رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب قول النبي ﷺ: «اللهم! اغفر لي ما قدمت، وما =

الأمر الثالث: ويخرج بهذا الضابط الأسماء الجامدة؛ لأنها أعلام محضة، لا تدل على معان حسنة، وأسماء الله ﷻ كلها حسنى.

يقول ابن عثيمين: «إن أسماءه سبحانه وتعالى حسنى؛ أي: بالغة في الحسن أكمله، فلا بد أن تشتمل على وصف ومعنى هو أحسن ما يكون من الأوصاف والمعاني في دلالة هذه الكلمة، ولهذا لا تجد في أسماء الله تعالى اسماً جامداً، والدهر اسم جامد لا يحمل معنى إلا أنه اسم للأوقات»(١).

ومن هذا لفظ (الدهر)(٢)؛ الوارد في قوله ﷺ: «قال الله -تعالى-: يؤذيني ابن آدم، يسب الدهر، وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»(٣).

الأمر الرابع: ويخرج بهذا الضابط الأسماء التي تتضمن شراً، فالله ﷻ لا

=

أخرت»، ص (١١١١)، رقم: (٦٣٩٨)، ومسلم، كتاب الذكر، والدعاء، باب في الأدعية ص (١١٨٠ - ١١٨١) رقم: (٦٩٠١).

(١) مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين (١/ ١٦٣).

(٢) ذهب بعض أهل العلم إلى أن «الدهر من أسماء الله -تعالى-، ومعناه: القديم الأزلي... وهذا المعنى صحيح؛ لأن الله -سبحانه- هو الأول ليس قبله شيء، وهو الآخر ليس بعده شيء، فهذا المعنى صحيح، إنما النزاع في كونه يسمى دهراً بكل حال، فقد أجمع المسلمون -وهو مما علم بالعقل الصريح-: أن الله سبحانه وتعالى ليس هو الدهر؛ الذي هو الزمان، أو ما يجري مجرى الزمان» ا.هـ من مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢/ ٤٩٤).

(٣) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]، ص (١٢٩١)، رقم: (٧٤٩١)، واللفظ له، ومسلم، كتاب الألفاظ من الأدب، وغيرها، باب النهي عن سب الدهر، ص (٩٩٧)، رقم: (٥٨٦٢).

ينسب الشر إليه مطلقًا بأي وجه من الوجوه، لا يُنسب اسمًا، ولا صفة، يقول ابن القيم: «الصواب في هذا الباب ما دل عليه القرآن والسنة من: أن الشر لا يضاف إلى الرب -تعالى-، لا وصفًا، ولا فعلاً، ولا يتسمى باسمه بوجه من الوجوه»[١].

الأمر الخامس: ويخرج بهذا الضابط: كل ما أخبر به عن الله ﷻ بصيغة الاسم؛ لأن باب الخبر مبناه على صحة الإطلاق، وعدم سوء الاسم، وليس الحسن شرطًا فيه، وأسماء الله ﷻ كلها حسنى بإطلاق، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما الإخبار عنه، فلا يكون باسم سيء، لكن قد يكون باسم حسن، أو باسم ليس بسيِّئ، وإن لم يحكم بحسنه، مثل اسم شيء، وذات، وموجود»[٢].

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «إذا أخبر عنه يخبر باسم حسن، أو باسم لا ينفي الحسن، ولا يجب أن يكون حسنا»[٣].

الضابط الرابع: أن يصح دعاء الله ﷻ به، وهذا مذكور في قوله ﷻ: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾.

فمن تمام حسن أسماء الله ﷻ أنه أمرَنا بدعائه بها[٤]؛ إذ الآية فيها خبر،

(١) شفاء العليل ص (٤٤٧).

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٤٢).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٦/ ١٤٣).

(٤) **فائدة**: يقول ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٥١): «قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ
=

وأمر، خبر بأن لله ﷻ الأسماء الحسنى، ثم أمر بدعائه بهذه الأسماء، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الله في القرآن قال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فأمر أن يُدعى بأسمائه الحسنى مطلقاً»[١].

ويقول السعدي: «ومن حسنها: أنه أمر العباد أن يدعوه بها؛ لأنها وسيلة مقربة إليه، يحبها، ويحب من يحبها، ويحب من يحفظها، ويحب من يبحث عن معانيها، ويتعبد له بها»[٢].

ويقول ابن عثيمين: «إن الله تعالى وصف أسماءه بأنها حسنى، وأمرنا بدعائه بها، فقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

وهذا يقتضي أن تكون دالة على معانٍ عظيمة تكون وسيلة لنا في دعائنا، ولا يصح خلوها عنها، ولو كانت أعلاماً محضة لكانت غير دالة على معنى سوى تعيين المسمى، فضلاً عن أن تكون حسنى، ووسيلة في الدعاء»[٣].

وبعد هذا الاستعراض المبارك لآيات الذكر الكريم، مطرزة بأحاديث النبي الكريم ﷺ، محلّاة ببعض كلام السلف الكريم؛ يمكن القول: إن

= ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] فلا ينبغي أن يعطل دعاؤه بأسمائه الحسنى التي هي أعظم ما يدعو بها الداعي».

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٢/ ٤٨٦)، وانظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٩/ ٣٠١)، والجواب الصحيح (٥/ ٨).

(٢) تفسير السعدي ص (٥٠٢).

(٣) تقريب التدمرية ص (٢٩).

ضابط الأسماء الحسنى هو:

الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة، بصيغة الاسم، التي تدل على معانٍ حسنة في حق الله ﷻ على سبيل الإطلاق، ويصحّ دعاء الله ﷻ بها.

المبحث الرابع

أقسام الأسماء الحسنى

المطلب الأول

أقسام الأسماء عموماً باعتبار تسمية الله ﷻ بها، وتسمية المخلوق(١)

تنقسم الأسماء عمومًا باعتبار إطلاقها على الله ﷻ، وإطلاقها على المخلوق؛ إلى قسمين:

القسم الأول: من الأسماء ما هو خاص بالله سبحانه وتعالى، لا يطلق إلا عليه، ولا يتسمى به إلا هو:

وهذا مثل: اسم الرب ﷻ: (الله)، يقول القرطبي: «(الله): هذا الاسم أكبر أسمائه -سبحانه-، وأجمعها، حتى قال بعض العلماء: إنه اسم الله الأعظم، ولم يتسمَّ به غيره، لذلك لم يُثَنَّ، ولم يجمع، وهو أحد تأويلَي قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا﴾ [مريم: ٦٥]؛ أي: مَنْ تسمى باسمه الذي هو

---

(١) من المعلوم أن هذا التقسيم أعم من عنوان البحث، لكن له تعلق ظاهر به، فله ذكر.

(الله)»[1].

ومثل: اسم الله ﷻ: (الرحمن)، يقول القرطبي في اسمَي الله: (الرحمن) و(الرحيم): «لعظمهما كثرت الأقوال فيهما، وتشعبت، فقال بعضهم: إنه لا يجوز أن يجمع بين الرحمن الرحيم إلا لله ﷻ، وجائز أن يقال: رجل رحمان، كما قيل: رجل رحيم.

وأكثر العلماء على أن الرحمن مختص بالله ﷻ، لا يجوز أن يسمى به غيره، ألا ترى أنه سبحانه قال: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠]، فعادل الرحمن بالاسم الذي لا يشركه تعالى فيه غيره.

وقال: ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥]، فأخبرنا أن الرحمن هو المستحق للعبادة جل وعز. وأيضاً لما كان معنى (الرحمن): استغراق الخلق بالرحمة... لم يكن لتمام معناه وجود في الخلق، فلم يَجْرِ بحق على أحد منهم، وإنما يوجد فيهم حظ خاص من معناه يجري عليهم به اسم (الرحيم)، لا اسم (الرحمن). فلذلك لحق اسم (الرحمن) في معنى استغراقه باسم (الله) في ذات إحاطته، فقال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وقد قيل في اسمه (الرحمن): إنه اسم الله الأعظم، ذكره ابن العربي.

قال ابن الحصار: والمعتمد في الباب: الإجماع من العلماء على أنه لا

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ٨٠).

يجوز أن يوصف بهذا الوصف ولا يتسمى بهذا الاسم إلا الله ﷻ.

وقد تجاسر مسيلمة الكذاب فتسمى برحمان اليمامة، فذل، وكفر، يقول الشاعر:

وجوه يوم بدرٍ ناظراتٌ   إلى الرحمنِ يأتي بالخلاصِ

أي: منتظرة، وليس من النظر في شيء.

قال ابن الحصار: وألزمه الله نعت الكذب، وقد علمنا أن كل كافر كذاب، ولكن قد صار هذا الوصف لمسيلمة علما يعرف به، ألزمه الله إياه، لما وصف نفسه برحمان اليمامة، وقد كان نقمة على أهل اليمامة، وسبب دمارها، وهلاك من أطاعه بها، مع ما ينقلبون إليه، ولم يتسمَّ به -لعنه الله- حتى فرغ جمعه»[1].

ومثل: اسم الله ﷻ: (الرب)؛ المحلى بأل المقطوع عن الإضافة، أو منكّراً غير مضاف، فهذه لا يجوز أن يُسمى بها المخلوق، ولا تطلق إلا على الله ﷻ[2]، يقول ابن قتيبة: «ولا يقال لمخلوق: هذا الرب؛ معرفًا بالألف

---

(١) الأسنى للقرطبي (١/ ٦١ - ٦٣).

(٢) **فائدة**: يقول ابن القيم في الفوائد ص (٣٠) في معرض حديثه عن سورة الفاتحة: «الأسماء المذكورة في هذه السورة هي أصول الأسماء الحسنى، وهي: اسم الله، والرب، والرحمن، فاسم الله متضمن لصفات الألوهية، واسم الرب متضمن الربوبية، واسم الرحمن متضمن لصفات الإحسان والجود والبر، ومعاني أسمائه تدور على هذا»ا.ه، وكذا قال في الصلاة وأحكام تاركها ص (٢٠٢)، وفي زاد المعاد (٤/ ١٦٣).

واللام؛ كما يقال لله، إنما يقال: هذا رب كذا، فيعرف بالإضافة؛ لأن الله مالك كل شيء، فإذا قيل: الرب؛ دلت الألف واللام على معنى العموم، وإذا قيل لمخلوق: رب كذا، ورب كذا؛ نسب إلى شيء خاص، لأنه لا يملك شيئا غيره»[١].

يقول الراغب: «ولا يقال الرب مطلقاً إلا لله -تعالى- المتكفل بمصلحة الموجودات، نحو قوله: ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ: ١٥]»[٢].

ويقول ابن الأثير: «الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم، ولا يطلق غير مضاف إلا على الله -تعالى-، وإذا أطلق على غيره أضيف، فيقال: رب كذا، وقد جاء في الشعر مطلقا على غير الله - تعالى -، وليس بالكثير»[٣].

ويقول القرطبي: «ويجوز إجراؤه على العبد منكراً، كما ورد في التنزيل: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ﴾ [يوسف: ٥٠]، وأما معرفا بالألف واللام فيختص بالله تعالى»[٤].

القسم الثاني: من الأسماء ما يطلق على الله ﷻ، ويطلق على المخلوق:

هذه الأسماء يتسمى بها الرب ﷻ، ويتسمى بها المخلوق، لكن ما ثبت

---

(١) غريب القرآن ص (٩).

(٢) المفردات في غريب القرآن ص (١٩٠).

(٣) النهاية في غريب الحديث ص (٣٣٤).

(٤) الأسنى (١/ ٣٩١).

للخالق منها لا يثبت للمخلوق، فليس بينهما إلا اشتراك الأسماء.

وهذا مثل: اسم: (الحي)، يتسمى به الخالق ﷻ، والمخلوق، لكن ليست حياة الخالق مثل حياة المخلوق، فحياة الله ﷻ حياة كاملة، لم تسبق بعدم، ولا يلحقها زوال، ولا يتخللها كلال، وحياة المخلوق حياة ناقصة، مسبوقة بعدم، ويتخللها النقص من سنة، ونوم...

ومثل هذا يقال في اسم: (السميع)، (البصير)، (الكريم)، (العزيز)... إلى آخر الأسماء التي تطلق على الله ﷯ ويراد كمالها، وتمامها، وتطلق أيضـًا على المخلوق ويراد بها القدر من المعنى الذي يليق بالمخلوق، مع العلم بأن الفرق بين أسماء الخالق، والمخلوق، كالفرق بين ذات الله ﷯، وذات المخلوق.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «الأسماء والصفات نوعان: **نوع يختص به الرب**: مثل: الإله، ورب العالمين، ونحو ذلك، فهذا لا يثبت للعبد بحال، ومن هنا ضل المشركون الذين جعلوا لله أنداداً.

والثاني: ما يوصف به العبد في الجملة، كالحي، والعالم، والقادر، فهذا لا يجوز أن يثبت للعبد مثل ما يثبت للرب أصلاً؛ فإنه لو ثبت له مثل ما يثبت له للزم أن يجوز على أحدهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، وذلك يستلزم اجتماع النقيضين»[١].

---

(١) منهاج السنة النبوية (٢/ ٥٩٥).

ويقول ابن القيم: «مما يمنع تسمية الإنسان به: أسماء الرب -تبارك وتعالى-، فلا تجوز التسمية بالأحد، ولا بالصمد، ولا بالخالق، ولا بالرازق، وكذلك سائر الأسماء المختصة بالرب -تبارك وتعالى-، ولا تجوز تسمية الملوك بالقاهر، والظاهر، كما لا يجوز تسميتهم بالجبار، والمتكبر، والأول، والآخر، والباطن، وعلام الغيوب»[1]، إلى أن قال: «والمقصود: أنه لا يجوز لأحد أن يتسمى بأسماء الله المختصة به، وأما الأسماء التي تطلق عليه وعلى غيره كالسميع، والبصير، والرؤوف، والرحيم؛ فيجوز أن يخبر بمعانيها عن المخلوق، ولا يجوز أن يتسمى بها على الإطلاق، بحيث يطلق عليه كما يطلق على الرب تعالى»[2].

المطلب الثاني

أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما يدل عليها من النصوص الشرعية، والأدلة العقلية

تنقسم أسماء الله الحسنى باعتبار أدلتها الشرعية، والعقلية؛ إلى قسمين:

القسم الأول: من أسماء الله الحسنى ما دل عليه السمع فقط (أسماء خبرية):

وهذا مثل اسم الله ﷻ: (الباطن)، واسمه: (الآخِر): فلولا ورود السمع

(١) تحفة المودود ص (٢١١).

(٢) تحفة المودود ص (٢١٥).

من كتاب وسنة لكان في إثبات هذين الاسمين شيء من النظر، فقد يقال: إن الأول مضاد للآخِر في نظرنا، ومحل علمنا، فالمتناقضان لا يجتمعان، ولا يرتفعان، وكذا يقال: في الباطن مع الظاهر، والله أعلم.

القسم الثاني: من أسماء الله الحسنى ما دل عليه السمع، والعقل (أسماء سمعية (خبرية) عقلية):

هذا مثل: اسم الله ﷻ: (العلي)، و(الخالق)، و(الرازق)، و(العظيم)، وغيرها من الأسماء الحسنى.

وقد أشار إلى هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية في قوله: «العلو من الصفات المعلومة بالسمع، مع العقل، والشرع؛ عند الأئمة المثبتة، وأما الاستواء على العرش فمن الصفات المعلومة بالسمع فقط، دون العقل»[١].

أما ثبوت اسم الله ﷻ: (العلي) بالسمع ففي مثل قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

قال ابن القيم: «إنه قد ثبت بصريح العقل أن الأمرين المتقابلين إذا كان أحدهما صفة كمال والآخر صفة نقص فإن الله سبحانه يوصف بالكمال منهما، دون النقص، ولهذا لما تقابل الموت والحياة وصف بالحياة، دون الموت، ولما تقابل العلم والجهل وصف بالعلم، دون الجهل، وكذلك العجز والقدرة، والكلام والخرس، والبصر والعمى، والسمع والصمم،

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥/ ١٢٢)، وانظر: التدمرية ص (٨١).

والغنى والفقر... وتقابل العلو والسفول وصف بالعلو، دون السفول»[١].

وقال ابن عثيمين: «أما العقل: فقد دل على وجوب صفة الكمال لله تعالى، وتنزيهه عن النقص. والعلو صفة كمال، والسفل نقص، فوجب لله تعالى صفة العلو، وتنزيهه عن ضده»[٢].

المطلب الثالث

أقسام الأسماء الحسنى بحسب ورودها في النصوص الشرعية مفردة أو مقترنة بغيرها من الأسماء

تنقسم الأسماء الحسنى بحسب ورودها في النصوص الشرعية إلى قسمين:

القسم الأول: من أسماء الله الحسنى ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً[٣]:

من أسماء الله الحسنى ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً، ولم يرد

---

(١) الصواعق المرسلة (٤/ ١٣٠٧)، وانظر: الصواعق المرسلة (٤/ ١٢٨٠).

(٢) القواعد المثلى ص (١٦٦).

(٣) يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع فتاواه (١٩/ ١٦٨): «أسماء الرب -تعالى- إذا قيل: الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالق، البارىء، المصور، فكل اسم يدل على معنى ليس هو المعنى الذي في الاسم الآخر، فالذات واحدة، والصفات متعددة، فهذا في الأسماء المفردة».

مقترنـاً بغيره من الأسماء الحسنى[١].

وهذا مثل: اسم الله ﷻ (الشافي)، فإنه لم يأت في النصوص إلا مرة واحدة منفرداً، وهذا في حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: أن رسول الله ﷺ كان إذا أتى مريضـاً، أو أتي به إليه؛ قال: «أذهب البأس، رب الناس، اشف، وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقمـاً»[٢].

القسم الثاني: من أسماء الله الحسنى ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً، ومقترنـاً بغيره من الأسماء الحسنى:

معظم أسماء الله الحسنى من هذا القسم، فترد تارة مقترنة بغيرها، وترد تارة مفردة، وقد ذكر ابن القيم هذا القسم في قوله: «إن أسماءه -تعالى- منها: ما يطلق عليه مفرداً، ومقترنـاً بغيره، وهو غالب الأسماء، كالقدير، والسميع، والبصير، والعزيز، والحكيم.

وهذا يسوغ أن يُدعى به مفرداً ومقترنـاً بغيره، فتقول: يا عزيز، يا حليم، يا غفور، يا رحيم، وأن يفرد كل اسم، وكذلك في الثناء عليه، والخبر عنه، بما

---

(١) من المعلوم أن أسماء الله الحسنى الأصل فيها جواز إفرادها، واقترانها بغيرها من الأسماء الحسنى، وما أردته هنا هو: بيان: أورد في النص مفرداً، أم مقترنـاً؟

(٢) رواه البخاري، كتاب المرض، باب دعاء العائد للمريض، ص (١٠٠٥)، رقم: (٥٦٧٥)، واللفظ له، ومسلم، كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، ص (٩٧٢)، رقم: (٥٧٠٧).

يسوغ لك: الإفراد، والجمع»[١].

وإذا اقترن أحد الأسماء الحسنى بآخر فإنه يعطي معنى يزيد على المفهوم من إطلاق كل اسم على حده، فيحصل باقتران الاسم من أسماء الله الحسنى بغيره كمال فوق كمالهما، وحسن وجمال فوق حسنهما، وجمالهما.

واقتران الأسماء الحسنى في النصوص الشرعية جاء على ضربين[٢]:

---

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات ص (٤٠ – ٤١)، و(١٧ – ٢٢).

(٢) **فائدة**: يقول ابن القيم في بدائع الفوائد (٣/ ٤٤ – ٤٦): «إن الصفات إذا ذكرت في مقام التعداد: فتارة يتوسط بينها حرف العطف؛ لتغايرها في نفسها، وللإيذان بأن المراد ذكر كل صفة بمفردها، وتارة لا يتوسطها العاطف؛ لاتحاد موصوفها، وتلازمها في نفسها، وللإيذان بأنها في تلازمها كالصفة الواحدة، وتارة يتوسط العاطف بين بعضها، ويحذف مع بعض؛ بحسب هذين المقامين.

فإذا كان المقام مقام تعداد الصفات من غير نظر إلى جمع، أو انفراد؛ حسن إسقاط حرف العطف، وإن أريد الجمع بين الصفات، أو التنبيه على تغايرها؛ حسن إدخال حرف العطف.

فمثال الأول: ﴿ٱلتَّـٰٓئِبُونَ ٱلۡعَـٰبِدُونَ ٱلۡحَـٰمِدُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

وقوله: ﴿مُسۡلِمَـٰتٖ مُّؤۡمِنَـٰتٖ قَـٰنِتَـٰتٖ تَـٰٓئِبَـٰتٍ﴾ [التحريم: ٥].

ومثال الثاني: قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّـٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: ٣].

وتأمل كيف اجتمع النوعان في قوله تعالى: ﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ [غافر: ١ – ٣]، فأتى بالواو في الوصفين الأولين، وحذفها في الوصفين الأخيرين، لأن غفران الذنب، وقبول التوب؛ قد يظن أنهما يجريان مجرى الوصف الواحد لتلازمهما، فمن غفر الذنب قبل التوب، فكان في عطف أحدهما على الآخر مايدل على أنهما صفتان وفعلان متغايران، ومفهومان مختلفان، لكل منهما حكمه؛ **أحدهما**: يتعلق بالإساءة، والإعراض، وهو: المغفرة، =

=

والثاني: يتعلق بالإحسان والإقبال على الله تعالى، والرجوع إليه، وهو: التوبة، فتقبل هذه الحسنة، وتغفر تلك السيئة، وحَسَّنَ العطف ههنا هذا التغاير الظاهر.

وكلما كان التغاير أبين كان العطف أحسن، ولهذا جاء العطف في قوله: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾ [الحديد: ٣]، وترك في قوله: ﴿ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله: ﴿ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾ [الحشر: ٢٤].

وأما: ﴿ شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ ﴾ [غافر: ٣]، فترك العطف بينهما لنكته بديعة، وهي: الدلالة على اجتماع هذين الأمرين في ذاته -سبحانه-، وأنه حال كونه شديد العقاب فهو ذو الطول، وطوله لا ينافي شدة عقابه، بل هما مجتمعان له، بخلاف: ﴿ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ ﴾، فإن الأولية لا تجامع الآخرية، ولهذا فسرها النبي ﷺ بقوله: «أنت الأول، فليس قبلك شيء، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء»، فأوليته: أزليته، وآخريته: أبديته.

فإن قلت: فما تصنع بقوله: ﴿ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ﴾: فإن ظهوره -تعالى- ثابت، مع بطونه، فيجتمع في حقه: الظهور، والبطون، والنبي ﷺ فسر الظاهر بأنه الذي ليس فوقه شيء، والباطن بأنه الذي ليس دونه شيء، وهذا العلو والفوقية مجامع لهذا القرب، والدنو، والإحاطة؟

قلت [القائل هو ابن القيم]: هذا سؤال حَسَنٌ، والذي حَسَّنَ دخول الواو ههنا: أن هذه الصفات متقابلة، متضادة، وقد عطف الثاني منها على الأول للمقابلة التي بينهما، والصفتان الأخريان كالأوليين في المقابلة، ونسبة الباطن إلى الظاهر كنسبة الآخر إلى الأول، فكما حسن العطف بين الأوليين حسن بين الأخريين...» ا.ه.

ويقول أيضاً في موضع آخر في البدائع (١/ ١٧٠ - ١٧١): «الواو تقتضي تحقيق الوصف المتقدم، وتقريره يكون في الكلام متضمناً لنوع من التأكيد من مزيد التقرير، وبيان ذلك بمثال نذكره مرقاة إلى فهم ما نحن فيه: إذا كان لرجل مثلاً أربع صفات، هي: عالم، وجواد، وشجاع، وغني، وكان المخاطب لا يعلم ذلك، أو لا يقر به، ويعجب من اجتماع هذه الصفات في رجل، فإذا قلت: زيد عالم، وكان ذهنه استبعد ذلك؛ فتقول:
=

الأول: اقتران الأسماء الحسنى بدون ذكر حرف العطف بينها، وهذا قد يكون بين اسمين، أو أكثر.

مثال اقتران الاسمين: اجتماع اسم الله: (العزيز) باسمه: (الحكيم)، كما في قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٨].

وقوله: ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الحديد: ١].

فاسم الله: (العزيز): يدل على اتصاف الله ﷻ بالعزة الكاملة، كما قال

=

وجواد، أي: وهو مع ذلك جواد، فإذا قدرت استبعاده لذلك قلت: وشجاع، أي: وهو مع ذلك شجاع، وغني، فيكون في العطف مزيد تقرير، وتوكيد، لا يحصل بدونه، تدرأ به توهم الإنكار، وإذا عرفت هذا فالوهم قد يعتريه إنكار، لاجتماع هذه المقابلات في موصوف واحد، فإذا قيل: هو الأول؛ ربما سرى الوهم إلى أن كونه أولاً يقتضي أن يكون الآخر غيره؛ لأن الأولية والآخرية من المتضايفات، وكذلك: الظاهر، والباطن، إذا قيل: هو ظاهر؛ ربما سرى الوهم إلى أن الباطن مقابله، فقطع هذا الوهم بحرف العطف الدال على أن الموصوف بالأولية هو الموصوف بالآخرية، فكأنه قيل: هو الأول، وهو الآخر، وهو الظاهر، وهو الباطن، لا سواه.

فتأمل ذلك، فإنه من لطيف العربية، ودقيقها، والذي يوضح لك ذلك: أنه إذا كان للبلد مثلاً قاض، وخطيب، وأمير، فاجتمعت في رجل؛ حسن أن تقول: زيد هو الخطيب، والقاضي، والأمير، وكان للعطف هنا مزية ليست للنعت المجرد، فعطف الصفات هاهنا أحسن، قطعا لوهم متوهم أن الخطيب غيره، وأن الأمير غيره...»ا.ه، وانظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ١٨٢).

تعالى: ﴿ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الصافات: ١٨٠].

وكما قال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٦٥].

واسم الله: (الحكيم): يدل على اتصاف الله سبحانه وتعالى بأنه ذو الحكم الكامل الشامل لجميع المخلوقات، كما قال تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]، وكما دل عليه عموم قوله: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وأنه سبحانه وتعالى له في كل حكم وأمر الحكمة البالغة، كما دل عليه مثل قوله في ليلة القدر: ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾[الدخان: ٤].

وعموم قوله: ﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة: ٥٠].

والجمع بين هذين الاسمين من أسماء الله الحسنى «دال على كمال آخر وهو: أن عزته تعالى مقرونة بالحكمة، فعزته لا تقتضي ظلمـًا، وجوراً، وسوء فعل، كما يكون من أعزاء المخلوقين، فإن العزيز منهم قد تأخذه العزة بالإثم؛ فيظلم، ويجور، ويسيء التصرف.

وكذلك حُكْمُه -تعالى- وحِكْمَتُه مقرونان بالعز الكامل، بخلاف حُكم المخلوق، وحِكمته؛ فإنهما يعتريهما الذل»[١].

---

(١) القواعد المثلى ص (٢٣)، وانظر: فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات ص (٢٢)، ومجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٠/ ٢٥١ - ٢٥٢)، وفقه الأسماء الحسنى =

ومثال اقتران أكثر من اسمين: اقتران عدة أسماء حسنى لله ﷻ في قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الحشر: ٢٣ – ٢٤].

الثاني: اقتران الأسماء الحسنى بذكر حرف العطف بينها، وهذا مثل: أسماء الله ﷻ: (الأول والآخر والظاهر والباطن)؛ المذكورة في قوله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الحديد: ٣].

ووردت هذه الأسماء مفردة في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: قول النبي ﷺ: «اللهم! أنت الأول، فليس قبلك شيء[١]، وأنت الآخر، فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر[٢]، فليس فوقك شيء، وأنت الباطن، فليس دونك

=

لعبد الرزاق البدر ص (٤١ – ٤٤)، وانظر في بعض دلالات تذييل الآيات بالأسماء الحسنى كتاب (أسماء الله الحسنى) ص (٩٩).

(١) يقول ابن عثيمين في شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٨١): «هنا فسر الإثبات بالنفي، فجعل هذه الصفة الثبوتية صفة سلبية، وقد ذكرنا فيما سبق أن الصفات الثبوتية أكمل، وأكثر، فلماذا؟ فنقول: فسرها النبي ﷺ بذلك لتوكيد الأولية، يعني: أنها مطلقة، أولية ليست أولية إضافية، فيقال: هذا أول باعتبار ما بعده، وفيه شيء آخر قبله، فصار تفسيرها بأمر سلبي أدل على العموم على أنها أولية مطلقة، ولهذا قال: ليس قبله شيء، وهذا باعتبار التقدم الزمني...».

(٢) يقول ابن القيم كما في مختصر الصواعق (٣/ ١٠٦٧): «جعل كمال الظهور موجباً لكمال الفوقية، ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شيء بذاته، والظهور هنا: العلو، ومنه
=

شيء، اقض عنا الدين، وأغننا من الفقر»(١).

ويذكر أهل العلم أن هذه الأسماء المتقابلة في المعنى تدل على كمال وحدانية الله ﷻ، وتمام ملكه، وإحاطته بجميع خلقه.

يقول ابن القيم: «أولية الله ﷻ سابقة على أولية كل ما سواه، وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته: سبقه لكل شيء، وآخريته: بقاؤه بعد كل شيء، وظاهريته -سبحانه-: فوقيته وعلوه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضى: العلو، وظاهر الشيء هو: ما علا منه، وأحاط بباطنه، وبطونه -سبحانه-: إحاطته بكل شيء، بحيث يكون أقرب إليه من نفسه... فمدار هذه الأسماء الأربعة على الإحاطة، وهى إحاطتان: زمانيه، ومكانيه، فأحاطت أوليته وآخريته بالقبل، والبعد، فكل سابق انتهى إلى أوليته، وكل آخر انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليته وآخريته بالأوائل، والأواخر، وأحاطت ظاهريته وباطنيته بكل ظاهر، وباطن، فما من ظاهر إلا والله فوقه، وما من باطن إلا والله دونه، وما من أول إلا والله قبله، وما من آخر إلا والله

=

قوله: ﴿ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ ﴾ [الكهف: ٩٧]: أي: يعلوه.

وقرر هذا المعنى بقوله: «فليس فوقك شيء»: أي: أنت فوق الأشياء كلها، ليس لهذا اللفظ معنى غير ذلك، ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة، لأنه قابله بقوله: «وأنت الباطن».

فهذه الأسماء الأربعة متقابلة: اسمان لأزل الرب -تعالى- وأبده، واسمان لعلوه، وقربه» ا.ه، وانظر: تلبيس الجهمية (٤/ ٤١).

(١) رواه مسلم، كتاب الذكر، والدعاء، باب الدعاء عند النوم، ص (١١٧٩)، رقم: (٦٨٨٩).

بعده، فالأول: قِدمه، والآخر: دوامه، وبقاؤه، والظاهر: علوه، وعظمته، والباطن: قربه، ودنوه.

فسبق كل شيء بأوليته، وبقى بعد كل شيء بآخريته، وعلا على كل شيء بظهوره، ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضا، ولا يحجب عنه ظاهر باطن، بل الباطن له ظاهر، والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية.

فهذه الأسماء الأربعة تشتمل على أركان التوحيد، فهو الأول في آخريته، والآخر في أوليته، والظاهر في بطونه، والباطن في ظهوره، لم يزل أولاً، وآخراً، وظاهراً، وباطنـًا»[1].

---

(١) هذا من ضمن كلام نفيس لابن القيم في طريق الهجرتين ص (٢٥) في الكلام على هذه الأسماء الأربعة، وانظر: تفسير البغوي ص (١٢٧٥)، وبيان تلبيس الجهمية (٤/ ٣٨)، وزاد المعاد (٢/ ٤٢٢)، وتفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، مجلة الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، العدد (١١٢)، لسنة (١٤٢١هـ)، وتفسير الحجرات والحديد لابن عثيمين (١/ ٣٦٢).

المطلب الرابع

أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الأسماء والصفات[(١)]

تنقسم أسماء الله الحسنى بحسب ما تدل عليه من الأسماء والصفات إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أسماء الله الحسنى التي تدل على جميع الأسماء، والصفات:

هذا القسم منحصر في اسم الرب ﷻ: (الله) خاصة، يقول ابن العربي: «الله: وهو اسمه الأعظم؛ الذي يرجع إليه كل اسم، ويُضاف إلى تفسيره كل معنى»[(٢)].

ويقول ابن القيم: «اسم (الله): دال على جميع الأسماء الحسنى، والصفات العليا... ولهذا يضيف الله تعالى سائر الأسماء الحسنى إلى هذا الاسم العظيم، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

ويقال: الرحمن، والرحيم، والقدوس، والسلام، والعزيز، والحكيم؛

---

(١) تنقسم الدلالة اللفظية الوضعية إلى ثلاثة أقسام: **الأول**: دلالة المطابقة، **الثاني**: دلالة التضمن، **الثالث**: دلالة الالتزام، والاستتباع، والمقصود القسم الثاني، دون الآخَرين، وينظر لهذه الأقسام، وبعض ما يتعلق بها: المبين شرح ألفاظ الحكماء والمتكلمين ص (٦٩)، معيار العلم ص (٧٢)، التعريفات ص (١٠٤ - ١٠٥).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٢٩٠).

من أسماء الله، ولا يقال: (الله) من أسماء (الرحمن)، ولا من أسماء (العزيز)، ونحو ذلك، فعُلم أن اسمه (الله) مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى، دال عليها بالإجمال، والأسماء الحسنى تفصيل وتبيين لصفات الإلهية؛ التي اشتق منها اسم: (الله)»[١].

ويقول السعدي: «اسم: (الله) هو: الجامع لجميع الأسماء الحسنى، والصفات العُلا»[٢].

ولا يرد على هذا قول الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢]، فإن في الاسم الأحسن[٣]: ﴿ٱللَّهِ﴾ قراءتان[٤]:

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٥٥ - ٥٦).

(٢) الحق الواضح المبين ص (٢٦٥) (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ).

(٣) الاسم الأحسن لفظ شرعي مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وهو أولى من قول: (لفظ الجلالة)، وإن كان جائزاً، فموافقة النص أولى، أفاده صالح العصيمي في شريط تفسير الفاتحة، ولعل قول ابن القيم في طريق الهجرتين ص (١٢٥): «لا يسمى إلا بأحسن الأسماء»ا.هـ؛ يشير إليه، والله أعلم.

(٤) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٤١٤)، وتفسير ابن كثير (٨/ ١٧٥)، وتفسير البغوي ص (٦٨١)، والبحر المحيط (٦/ ٤٠٦)، وقد ذكر عن بعض القراء كيعقوب الحضرمي أنه إذا وصل الآيات قرأ لفظ الجلالة بالخفض، وإلا فبالرفع.

القراءة الأولى: قراءة الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ بالرفع على أنه مبتدأ، وخبره إما أن يكون الموصول بعده، أو يكون الخبر محذوفاً قدّره بعضهم بأنه: الله الذي له ما في السماوات والأرض، العزيز الحميد؛ بدلالة الآية قبله، أو أنه خبر لمبتدأ مضمر تقديره: هو الله الذي له ما في السماوات والأرض.

وهي قراءة أبي جعفر، ونافع، وابن عامر، وعلى قراءة الرفع لا إتباع في الآية، ولا إشكال.

القراءة الثانية: قراءة الاسم الأحسن ﴿ٱللَّهِ﴾ بالخفض، وفي توجيهها ثلاثة أقوال:

القول الأول: أن في الآية تقديماً، وتأخيراً، وتقدير الكلام: إلى صراط الله العزيز الحميد، فيكون من باب تقديم الصفة على الموصوف، ومن باب توسط الموصوف للصفات، كما لو قلت: الشيخ العالم محمد الفقيه. يقول أبو عمرو بن العلاء: «الخفض على التقديم والتأخير، تقديره: إلى صراط الله العزيز الحميد»[١].

القول الثاني: أن الاسم الأحسن هنا بدل من العزيز الحميد، أو معطوف عطف بيان. يقول الزمخشري: «قوله: ﴿ٱللَّهِ﴾: عطف بيان للعزيز الحميد؛ لأنه جرى مجرى الأسماء الأعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود؛ الذي تحق

---

(١) تفسير البغوي ص (٦٨١)، وانظر: تفسير الطبري (٧/ ٤١٤).

له العبادة، كما غلب النجم في الثريا»[١].

ويقول ابن عثيمين: «(الله): عَلَمٌ على الرب ﷻ لا يُسَمَّى به غيره، وهو أصل الأسماء، ولهذا تأتي الأسماء تابعة له، ولا يأتي تابعا للأسماء، إلا في آية واحدة، وهي قول الله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ [إبراهيم: ١ - ٢]، لكن لفظ الاسم الكريم هنا بدل من العزيز، وليست صفة، لأن جميع الأسماء إنما تكون تابعة لهذا الاسم العظيم»[٢].

وعليه فلا إشكال أيضـًا في الآية في هذين القولين.

القول الثالث: أن الاسم الأحسن هنا نعت للعزيز الحميد. يقول البغوي ضمن تعداده القراءات في الآية: «وقرأ الآخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد»[٣]. وهذا التوجيه يظهر -والعلم عند الله- أنه ضعيف؛ لعدم النظير له، فلم يُعْهَد أن يكون الاسم الأحسن: ﴿ٱللَّهِ﴾ تابعـًا لغيره في النصوص الشرعية، وسبق كلام ابن القيم، وابن عثيمين، مما يُغني عن إعادته هنا، وتتبع موارد اللفظ في النصوص من الأمور المرجحة، والله أعلم.

القسم الثاني: أسماء الله الحسنى التي تدل على أكثر من صفة:

---

(١) تفسير الزمخشري ص (٥٤٤).

(٢) شرح الأربعين النووية لابن عثيمين ص (٢٣ - ٢٤).

(٣) انظر: تفسير البغوي ص (٦٨١).

من الأمور المقررة عند أهل العلم: أنه إذا كان الاسم من أسماء الله ﷻ دالاً على عدة معان فإنه يتناولها تناول الاسم الدال على معنى واحد لمعناه.

وقرر ابن القيم هذا القسم بأمثلته في قوله: «إن من أسمائه الحسنى ما يكون دالاً على عدة صفات، ويكون ذلك الاسم متناولاً لجميعها تناول الاسم الدال على الصفة الواحدة لها، كما تقدم بيانه[1]، كاسمه: (العظيم)، و(المجيد)، و(الصمد)، كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيما رواه عنه ابن أبي حاتم في تفسيره: الصمد: السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع شرفه، وسؤدده، وهو الله سبحانه، هذه صفته، لا تنبغي إلا له، ليس له كفواً أحد، وليس كمثله شيء، سبحان الله الواحد القهار[2]، هذا لفظه.

وهذا مما خفي على كثيرٍ ممن تعاطى الكلام في تفسير الأسماء الحسنى؛ ففسر الاسم بدون معناه، ونقصه من حيث لا يعلم، فمن لم يحط بهذا علماً بخس الاسم الأعظم حقه، وهضمه معناه، فتدبره»[3].

القسم الثالث: أسماء الله الحسنى التي تدل على صفة واحدة:

---

(١) ينظر: فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات، ص (١٧)، فما بعدها.

(٢) رواه ابن جرير في تفسيره (١٢/ ٧٤٤).

(٣) فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات، ص (٤٤ – ٤٥).

على هذا القسم أكثر أسماء الله الحسنى، مثل: اسم الله ﷻ: (السميع): يدل على صفة: (السمع).

ومثل: اسم الله ﷻ: (البصير): يدل على صفة: (البصر).

ومثل اسم الله ﷻ: (الخالق): يدل على صفة: (الخلق).

المطلب الخامس

أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من معان ثبوتية، أو منفية

تنقسم أسماء الله الحسنى بحسب ما تدل عليه من معان ثبوتية، أو منفية؛ إلى قسمين:

القسم الأول: أسماء الله الحسنى التي تتضمن معانيَ منفية، وثبوتية:

من أمثلة أسماء الله الحسنى الداخلة تحت هذا القسم: اسم الله ﷻ: (السلام): فمعناه: السالم في نفسه ذاتـًا، وأسماءً، وصفاتٍ؛ من كل نقص، والـمُسَلِّمُ لغيره.

يقول ابن القيم: «وكذلك اسمه: (السلام): فإنه الذي سلم من العيوب، والنقائص، ووصفه بالسلام أبلغ في ذلك من وصفه بالسالم.

ومن موجبات وصفه بذلك: سلامة خلقه من ظلمه لهم، فسلم سبحانه من إرادة الظلم، والشر، ومن التسمية به، ومن فعله، ومن نسبته إليه، فهو السلام من صفات النقص، وأفعال النقص، وأسماء النقص؛ المسلم لخلقه

من الظلم...

وكذلك: (الكبير) من أسمائه، و(المتكبر): قال قتادة وغيره: هو الذي تكبر عن السوء.

وقال أيضـًا: الذي تكبر عن السيئات.

وقال مقاتل: المتعظم عن كل سوء.

وقال أبو إسحاق: الذي يكبر عن ظلم عباده.

وكذلك: اسمه (العزيز): الذي له العزة التامة، ومن تمام عزته براءته عن كل سوء، وشر، وعيب، فإن ذلك ينافي العزة التامة.

وكذلك: اسمه (العلي): الذي علا عن كل عيب، وسوء، ونقص، ومن كمال علوه أن لا يكون فوقه شيء، بل يكون فوق كل شيء.

وكذلك: اسمه (الحميد): وهو الذي له الحمد كله، فكمال حمده يوجب أن لا ينسب إليه شر، ولا سوء، ولا نقص، لا في أسمائه، ولا في أفعاله، ولا في صفاته.

فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر، والسوء، والظلم إليه، مع أنه -سبحانه- الخالق لكل شيء»[1].

---

(١) شفاء العليل ص (٣٠٢ - ٣٠٣)، ولابن القيم في أحكام أهل الذمة (١/ ٤١٥) كلام في تخطئة من جعل اسم الله ﷻ: (السلام)، من أسماء السلوب المحضة، لمن أحب الرجوع إليه.

ويقول ابن عثيمين: «(السلام): اسم ثبوتي، سلبي.

فسلبي: أي: أنه يراد به نفي كل نقص أو عيب يتصوره الذهن، أو يتخيله العقل، فلا يلحقه نقص في ذاته، أو صفاته، أو أفعاله، أو أحكامه.

وثبوتي: أي: يراد به ثبوت هذا الاسم له، والصفة التي تضمنها، وهي: السلامة»[(١)].

ومثل: اسم الله ﷻ (المتكبر): فمعناه: الذي له الكبرياء، والملك، والعظمة، المتكبر عن كل سوء، المتعاظم عما لا يليق به، فدل اسمه: (المتكبر) على إثبات صفات: التكبر، والعظمة، والملك؛ لله ﷻ، ودل على نفي صفات السوء التي تكبر عنها؛ لأنها لا تليق به سبحانه وتعالى، يقول البغوي: «﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٣]: الذي تكبر عن كل سوء، وقيل: المتعظم عما لا يليق به، وأصل الكبر، والكبرياء: الامتناع، وقيل: ذو الكبرياء، وهو: الملك»[(٢)].

ويقول السعدي: «﴿ٱلۡمُتَكَبِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]: الذي له الكبرياء، والعظمة، المتنزه عن جميع العيوب، والظلم، والجور»[(٣)].

---

(١) القول المفيد (٢/ ٣٢٥)، وانظر: شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٤٧ - ١٤٨)، وفائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات، ص (١٧ - ٢٣)، وإعانة المستفيد (٢/ ٢١٦)، ولابن القيم في بدائع الفوائد (٢/ ١١٦) تفسير جميل لاسم الله ﷻ (السلام).

(٢) تفسير البغوي ص (١٣٠٠ - ١٣٠١).

(٣) تفسير السعدي ص (٨٥٤).

القسم الثاني: من أسماء الله الحسنى ما يدل على معان ثبوتية:

أكثر أسماء الله الحسنى من هذا القسم، مثل: اسم الله ﷻ (السميع): يدل على ثبوت صفة (السمع).

ومثل: اسم الله ﷻ (البصير): يدل على ثبوت صفة: (البصر).

ومثل: اسم الله ﷻ (القدير): يدل على ثبوت صفة: (القدرة).

المطلب السادس

أقسام أسماء الله الحسنى باعتبار ما تدل عليه من الصفات الفعلية، والذاتية

تنقسم أسماء الله الحسنى بحسب ما تدل عليه من الصفات الفعلية، والذاتية؛ إلى قسمين:

القسم الأول: من أسماء الله الحسنى ما يدل على صفة ذاتية:

من هذا القسم: اسم الله ﷻ (البصير): يدل على ثبوت صفة: (البصر)، وصفة (البصر) من الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى.

ومثل: اسم الله ﷻ (الحي): يدل على ثبوت صفة: (الحياة)، وصفة (الحياة) من الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى.

القسم الثاني: من أسماء الله الحسنى ما يدل على صفة ذاتية فعلية:

من هذا القسم: اسم الله ﷻ (الغفور): يدل على ثبوت صفة: (المغفرة)،

وصفة (المغفرة) من الصفات الفعلية لله ﷻ.

ومثل: اسم الله ﷻ (الرحيم): يدل على ثبوت صفة: (الرحمة)، وصفة (الرحمة) من الصفات الفعلية لله ﷻ.

ومثل: اسم الله ﷻ (الخالق): يدل على ثبوت صفة: (الخلق)، وصفة (الخلق) من الصفات الذاتية الفعلية لله ﷻ.

ومثل: اسم الله ﷻ (الرازق): يدل على ثبوت صفة: (الرزق)، وصفة (الرزق) من الصفات الذاتية الفعلية لله ﷻ.

والصفة الفعلية التي يدل عليها الاسم الأحسن قد تكون صفة متعدية، وقد تكون صفة لازمة[1]:

فمثلا: اسم الله ﷻ (الغفور)، يدل على صفة: (المغفرة)، والمغفرة من الصفات الفعلية المتعدية، وكذا اسمه (الرحيم)، و(الخالق)، و(العفو)، و(الوهّاب)، و(الشافي).

أما اسم الله ﷻ (الحي)، فيدل على صفة: (الحياة)، والحياة من الصفات الفعلية اللازمة، وكذا اسمه: (القوي)، (المتين)، (الأحد)، (العليّ).

---

(١) المتعدي هو: الذي يتوقف فهمه على تعقل المفعول به، كضرب، واللازم هو: الذي لا يتوقف فهمه على تعقله، كقعد، انظر: دستور العلماء (٣/ ١١٣)، وأوضح المسالك إلى ألفية الإمام مالك (٢/ ١٥٦)، واللمع في العربية لابن جني ص (٥١).

يقول ابن القيم: «الاسم إذا أطلق عليه جاز أن يشتق منه: المصدر، والفعل، فيخبر به عنه فعلاً، ومصدراً، نحو: (السميع)، (البصير)، (القدير)، يطلق عليه منه: (السمع)، و(البصر)، و(القدرة)، ويخبر عنه بالأفعال من ذلك، نحو: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ﴾ [المجادلة: ١]، ﴿فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣].

هذا إن كان الفعل متعدياً، فإن كان لازماً لم يخبر عنه به، نحو: (الحي)، بل يطلق عليه الاسم والمصدر، دون الفعل، فلا يقال: حَيِيَ»[١].

ويقول ابن عثيمين بعد كلام سابق: «فعلى هذا تكون الأسماء على قسمين: متعدٍّ، ولازم.

والمتعدي لا يتم الإيمان به إلا بالأمور الثلاثة: الإيمان بالاسم، ثم بالصفة، ثم بالأثر.

وأما اللازم فإنه لا يتم الإيمان إلا بإثبات أمرين؛ أحدهما: الاسم، والثاني: الصفة»[٢].

---

(١) فائدة جليلة في قواعد الأسماء والصفات، ص (٢٦)، وأشار إلى هذا التقسيم شيخ الإسلام ابن تيمية في درء التعارض (٢/ ٤)، وفي مجموع الفتاوى (٥/ ٣٢٤) و(٥/ ٥١٨).

(٢) أسماء الله وصفاته وموقف أهل السنه منها ص (١٥).

الخاتمة

أهم ما جاء في البحث ما يأتي:

- الصحيح أن الاسم في اللغة مشتق من: (السمو)؛ بمعنى: العلو، لا من: (السمة)؛ بمعنى: العلامة، وذكر النحويون في حدّه أكثر من سبعين تعريفـًا لا تكاد تسلم من اعتراض.

- الحسنى في اللغة: تأنيث الأحسن، بمعنى: الجمال؛ الذي هو ضد القبح، ليس له في اللغة معنى إلا هذا، ومعنى كون أسماء الله ﷻ حسنى: أنها بلغت في الحسن والجمال الغايةَ، وفي الفضل والكمال النهايةَ، فلا يُتصوَّر حسن وكمال وجمال يقارب ويماثل حسنها وكمالها وجمالها فضلاً أن يفوقها ويتعداها، وليس فيها ما يدل على نقص، بأي وجه من الوجوه، مما يدل على عظمة الرب المتسمي بها، وهو الله ﷻ.

- أن ضابط الأسماء الحسنى هو ما ذكره الله ﷻ بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فذكرت هذه الآية الكريمة أربعة ضوابط لأسماء الله ﷻ الحسنى: **الضابط الأول**: أن يكون الاسم مذكوراً في الكتاب والسنة (الوقوف على ما ذكر في الكتاب والسنة من الأسماء)، ويخرج بهذا الضابط أمور ثلاثة: **الأول**: كل ما لم يذكر في الكتاب والسنة من الأسماء، **والثاني**: الأسماء التي قد يقيسها بعض الناس على أسماء الله ﷻ؛ المذكورة في الكتاب والسنة، **والثالث**: كل ما يذكر في باب الإخبار عن الله ﷻ، وإن كان

على صيغة الاسم؛ لأن باب الأسماء توقيفي، وباب الأخبار غير توقيفي. **الضابط الثاني**: أن يكون الاسم وارداً في النصوص الشرعية بصيغة الاسم، ويخرج بهذا الضابط أمور أربعة: **الأول**: كل الصفات المذكور في الكتاب والسنة؛ لأنها ليست بأسماء، **والثاني**: كل ما يدخل تحت باب الإخبار، وإن كان بصيغة الاسم؛ لأنها أخبار وردت بصيغة الاسم، وليست أسماء لله ﷻ، **والثالث**: كل ما يذكره أهل العلم من الأسماء المضافة؛ لأنها لم ترد بصيغة الاسم، وإنما على سبيل الإضافة، **والرابع**: جميع الأسماء التي تبدأ بـ(ذو). **الضابط الثالث**: أن يكون الاسم من الأسماء الواردة في النصوص الشرعية يدل على الحسن في حق الله ﷻ مطلقـًا، بدون قيد، أو شرط، ويخرج بهذا الضابط أمور خمسة: **الأول**: كل ما يذكره الناس من الأسماء، وهو مشعر ذمـًا، أو موهم نقصـًا؛ لأنها ليست بحسنى، **والثاني**: ويخرج بهذا الضابط: كل ما يذكره الناس من الأسماء، ومعناه ينقسم إلى: ما يمدح، ويذم؛ لأنها ليست بحسنى على الإطلاق، **والثالث**: الأسماء الجامدة؛ لأنها أعلام محضة، لا تدل على معان حسنة، وأسماء الله ﷻ كلها حسنى، **والرابع**: الأسماء التي تتضمن شراً، فالله ﷻ لا ينسب الشر إليه مطلقـًا بأي وجه من الوجوه، لا اسمـًا، ولا صفة، **والخامس**: ويخرج بهذا الضابط: كل ما أُخبر به عن الله ﷻ بصيغة الاسم؛ لأن باب الخبر مبناه على صحة الإطلاق، وعدم سوء الاسم، وليس الحسن شرطـًا فيه، وأسماء الله ﷻ كلها حسنى بإطلاق. **الضابط الرابع**: أن يصح دعاء الله ﷻ به، وإذا تبينت هذه الضوابط فإن ضابط الأسماء الحسنى هو: **الألفاظ الواردة في الكتاب، والسنة؛ بصيغة الاسم التي**

تدل على معان حسنة في حق الله ﷻ على سبيل الإطلاق، ويصح دعاء الله ﷻ بها.

- أن الأسماء عمومـًا تنقسم باعتبار إطلاقها على الله ﷻ، وإطلاقها على المخلوق إلى قسمين؛ **الأول**: من الأسماء ما هو خاص بالله ﷻ، لا يطلق إلا عليه، ولا يتسمى به إلا هو، **والثاني**: من الأسماء ما يطلق على الله ﷻ، ويطلق على المخلوق.

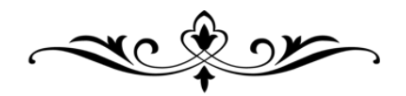
- أن أسماء الله الحسنى تنقسم باعتبار أدلتها الشرعية، والعقلية إلى قسمين؛ **الأول**: ما دل عليه السمع فقط (أسماء خبرية)، **والثاني**: ما دل عليه السمع والعقل (أسماء سمعية (خبرية) عقلية).

- أن أسماء الله الحسنى تنقسم بحسب ورودها في النصوص الشرعية إلى قسمين؛ **الأول**: ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً، **والثاني**: ما ورد في النصوص الشرعية مفرداً، ومقترنـًا بغيره من الأسماء الحسنى، واقتران الأسماء الحسنى في النصوص الشرعية جاء على ضربين: **الأول**: اقتران الأسماء الحسنى بدون ذكر حرف العطف بينها، وهذا قد يكون بين اسمين، أو أكثر، **والثاني**: اقتران الأسماء الحسنى بذكر حرف العطف بينها.

- أن أسماء الله الحسنى تنقسم بحسب ما تدل عليه من الأسماء، والصفات إلى ثلاثة أقسام؛ **الأول**: أسماء الله الحسنى التي تدل على جميع الأسماء، والصفات، **والثاني**: أسماء الله الحسنى التي تدل أكثر من صفة، **والثالث**: أسماء الله الحسنى التي تدل على صفة واحدة.

- تنقسم أسماء الله الحسنى بحسب ما تدل عليه من معان ثبوتية، أو منفية؛ إلى قسمين؛ **الأول**: أسماء الله الحسنى التي تتضمن معانيَ منفية، وثبوتية، **والثاني**: من أسماء الله الحسنى ما يدل على معان ثبوتية.

- تنقسم أسماء الله الحسنى بحسب ما تدل عليه من الصفات الفعلية، والذاتية؛ إلى قسمين؛ **الأول**: ما يدل على صفة ذاتية، **والثاني**: ما يدل على صفة فعلية، والصفة الفعلية التي يدل عليها الاسم الأحسن قد تكون صفة متعدية، وقد تكون صفة لازمة.



ثبت المراجع

۞ أحكام أهل الذمة، محمد بن أبي بكر بن أيوب، ابن قيم الجوزية، تحقيق: يوسف بن أحمد البكري وشاكر بن توفيق العاروري، رمادى للنشر، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

۞ الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، إمام الحرمين الجويني، حققه وعلق عليه وقدم له وفهرسه: الدكتور / محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، ١٣٦٩هـ.

۞ أسرار العربية، عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ أسماء الله الحسنى، عبد الله بن صالح الغصن، دار الوطن، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

۞ أسماء الله وصفاته في معتقد أهل السنة والجماعة، الدكتور / عمر سليمان الأشقر، الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ، دار النفائس، الأردن.

۞ الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، محمد بن أحمد القرطبي، ضبط النص وشرح مادته اللغوية: أ.د محمد حسن جبل، خرج أحاديثه وعلق عليه: طارق أحمد محمد، أشرف عليه وقدم له: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة، طنطا، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

۞ الأصول في النحو، محمد بن السري، المعروف بابن السراج، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت.

۞ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، خرج آياته، وأحاديثه: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

۞ إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، شرح معالي الشيخ الدكتور: صالح بن فوزان الفوزان، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ.

۞ إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص ودار اليمامة، دمشق، ودار ابن كثير، دمشق، الطبعة الرابعة، ١٤١٥هـ.

۞ الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين (البصريين والكوفيين)، عبد الرحمن بن محمد، أبو البركات، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

۞ أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، عبد الله بن يوسف، بن هشام تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

۞ إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات إلى المذهب الحق من أصول التوحيد، محمد بن إبراهيم بن الوزير، اليماني، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٧م.

۞ البحر المحيط في التفسير، محمد بن يوسف بن حيان، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

۞ بدائع الفوائد، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقريظ، وتقديم:

الدكتور: وهبة الزحيلي، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: معروف مصطفى زريق ومحمد وهبي سليمان وعلي عبد الحميد بلطه جي، دار الخاني، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

۞ بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية، أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، حققه مجموعة من الباحثين كل جزء باحث، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، إشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٦هـ.

۞ التبيان في أقسام القرآن، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، المكتبة العصرية، بيروت، اعتنى به وراجعه محمد العرب، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

۞ التحفة المهدية شرح الرسالة التدمرية، فالح بن مهدي آل مهدي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ.

۞ تحفة المودود بأحكام المولود، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، دار ابن القيم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

۞ التدمرية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد بن عودة السعوي، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

۞ التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٦هـ.

۞ تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي، تحقيق: عبيد بن علي العبيد، مجلة

الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، العدد (١١٢)، لسنة (١٤٢١)ه.

۞ تفسير التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر، بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.

۞ تفسير (الحجرات – الحديد)، محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

۞ تفسير الطبري (جامع البيان في تأويل القرآن)، محمد بن جرير الطبري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

۞ تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء، إسماعيل بن كثير، تحقيق: مصطفى السيد محمد، ومحمد السيد رشاد، ومحمد فضل العجماوي، وعلي أحمد عبد الباقي، وحسن عباس قطب، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

۞ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، لمحمد بن عمر، الرازي، قدم له: هاني الحاج، حققه، وعلق عليه، وخرج أحاديثه: عماد زكي البارودي، المكتبة التوقيفية، مصر.

۞ تفسير الكشاف، جار الله محمود الزمخشري، اعتنى به، وخرج أحاديثه، وعلق عليه: خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

۞ تقريب التدمرية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، ١٤٢٤هـ.

۞ تشنيف المسامع بجمع الجوامع لتاج الدين السبكي، محمد بن عبد

الله الزركشي، دراسة وتحقيق: د. سيد عبد العزيز، د. عبد الله ربيع، مكتبة قرطبة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

۞ تمهيد الأوائل في تلخيص الدلائل، محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

۞ التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ، محمد بن إسحاق بن خزيمة، تحقيق: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الخامسة، ١٤١٤هـ.

۞ توضيح الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن قيم الجوزية، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، اعتنى به، ونسقه، وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، قدم له فضيلة الشيخ: عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، وفضيلة الشيخ محمد الصالح العثيمين، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

۞ جامع بيان العلم وفضله، يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

۞ جامع الترمذي، لمحمد بن عيسى، الترمذي، دار السلام، الرياض،

الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي، اعتنى به، وصححه: الشيخ: هشام سمير البخاري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ الجامع لأحكام القرآن، محمد بن عبد الله ابن العربي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

۞ جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على محمد خير الأنام، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، قرأه وضبط نصه وعلق عليه وخرج أحاديثه / مشهور حسن آل سلمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

۞ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق، وتعليق: الدكتور. علي بن حسن بن ناصر، والدكتور. عبد العزيز العسكر، والدكتور. حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

۞ حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (عناية القاضي وكفاية الراضي على تفسير البيضاوي)، شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي، دار صادر، بيروت.

۞ الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، قوام السنة إسماعيل بن محمد الأصبهاني، تحقيق ودراسة: محمد بن محمود أبو

رحيم، دار الراية، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

۞ الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ)، مركز صالح بن صالح الثقافي، عنيزة، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ.

۞ درء التعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية.

۞ الدرة العثيمينية بشرح فتح رب البرية بتلخيص الحموية، محمد بن صالح العثيمين، أعده: غزاي بن حمدان الأسلمي وفهد بن أحمد الغامدي، مكتبة الإمام الذهبي، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ.

۞ دستور العلماء (جامع العلوم في اصطلاحات الفنون)، القاضي الأحمد نكري، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

۞ ذم التأويل، أبو محمد موفق الدين بن قدامة المقدسي، تحقيق: بدر بن عبد الله البدر، الدار السلفية، الكويت.

۞ الرد على المنطقيين، شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

۞ رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت، عبيد الله بن سعيد السجزي، تحقيق: محمد با كريم با عبد الله، عمادة

البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الثانية، ١٤٢٣هـ.

۞ زاد المسير في علم المسير، ابن الجوزي، المكتب الإسلامي، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

۞ زاد المعاد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، حقق نصوصه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، شعيب وعبد القادر الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة عشر، ١٤٠٦هـ.

۞ سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث، السجستاني، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ سنن ابن ماجه، لمحمد، بن يزيد، ابن ماجه، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ شأن الدعاء، أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، دار الثقافة العربية، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

۞ شرح الأربعين النووية، محمد بن صالح العثيمين، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، دار الثريا للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٢٥هـ.

۞ شرح المقاصد في علم الكلام، سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني، تحقيق: الناشر دار المعارف النعمانية، ١٤٠١ه، باكستان.

۞ شرح العقيدة الأصفهانية، شيخ الإسلام ابن تيمية، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

۞ شرح العقيدة السفارينية، محمد بن صالح العثيمين، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

۞ شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرحه الشيخ: محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه واعتنى به: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الخامسة، ١٤١٩هـ.

۞ شرح المفصل للزمخشري، يعيش بن علي بن يعيش، قدم له: الدكتور/ إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ شفاء العليل في مسائل القضاء والحكمة والتعليل، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية و١٤١٣هـ.

۞ الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ.

۞ صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل، البخاري، دار السلام، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

۞ صحيح سنن ابن ماجة، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

۞ صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، القشيري، دار السلام، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

۞ الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، محمد بن أبي بكر ابن قيم

الجوزية، حققه، وخرج أحاديثه، وعلق عليه، وقدم له: الدكتور. علي بن محمد، الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ.

۞ الصلاة وحكم تاركها، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، بعناية / بسام الجابي، دار ابن حزم، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ.

۞ ضياء السالك إلى أوضح المسالك، محمد عبد العزيز النجار، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ طريق الهجرتين وباب السعادتين، محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق: سيد إبراهيم بن عمران، دار الحديث، القاهرة.

۞ غريب القرآن، عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

۞ غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة، أبو القاسم خلف بن عبد الملك بن بشكوال، تحقيق: د / عز الدين علي السيد ومحمد كمال الدين عز الدين، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

۞ فائدة جليلة في قواعد الأسماء الحسنى، محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، دار غراس، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ.

۞ الفتاوى الكبرى لابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

۞ فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية، اللجنة الدائمة للبحوث

العلمية والإفتاء، جمع وترتيب: أحمد بن عبد الرزاق الدويش.

۞ فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي، ابن حجر العسقلاني، رقم كتبه، وأبوابه، وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه، وتصحيح تجاربه: محب الدين الخطيب، راجعه: قصي الدين محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

۞ الفوائد، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

۞ القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بإشراف: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤١٩هـ.

۞ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد الصالح العثيمين، خرج أحاديثه، وعلق عليه: أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف، الرياض، ١٤١٦هـ.

۞ القول المفيد على كتاب التوحيد، شرح: محمد الصالح العثيمين، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الرابعة، ١٤٢١هـ.

۞ الكتاب، عمرو بن عثمان الملقب بسيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ.

۞ الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، أيوب بن موسى الكفوي، قابله على نسخة خطية، وأعده للطبع، ووضع فهارسه: الدكتور. عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية،

١٤١٩هـ.

۞ لباب التأويل في معاني التنزيل، علي بن محمد، المعروف بالخازن، تصحيح: محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ.

۞ لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ.

۞ اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية، الكويت.

۞ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية، محمد بن أحمد السفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها، دمشق، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ.

۞ لوامع البينات شرح أسماء الله تعالى والصفات، محمد بن عمر الرازي، المطبعة الشرفية، مصر. الطبعة الأولى، ١٣٢٣هـ.

۞ المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين، سيف الدين الآمدي، تحقيق وتقديم: الدكتور / حسن محمود الشافعي، مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ.

۞ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، وساعده ابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، تحت إشراف وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف، والدعوة، والإرشاد،

١٤٢٥هـ.

۞ مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع، وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الثريا، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ.

۞ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن عطية الأندلسي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

۞ المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن حزم الظاهري، دار الفكر، بيروت.

۞ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، اختصار: محمد بن الموصلي، قرأه وخرج نصوصه وعلق عليه وقدم له: الدكتور/ الحسن بن عبد الرحمن العلوي، أضواء السلف، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ.

۞ المخصص، علي بن إسماعيل، بن سيده، تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

۞ مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين، محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، تحقيق، وتعليق: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ.

۞ مسند الإمام أحمد، لأحمد بن حنبل، الشيباني، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ.

۞ معالم التنزيل، الحسين بن مسعود البغوي، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

۞ معاني القرآن وإعرابه، إبراهيم بن السري، أبو إسحاق الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

۞ معجم تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق الدكتور: رياض زكي قاسم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، اعتنى به: الدكتور. محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

۞ معتقد أهل السنة والجماعة في أسماء الله الحسنى، د. محمد بن خليفة التميمي، دار إيلاف الدولية للنشر والتوزيع والدعاية والإعلان، الكويت، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ.

۞ معيار العلم في فن المنطق، محمد بن محمد الغزالي، تحقيق: الدكتور سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ١٩٦١ م.

۞ المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، ضبطه وراجعه/ محمد خليل العيتاني، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ.

۞ المقتضب، محمد بن يزيد، أبو العباس، المعروف بالمبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب، بيروت.

۞ منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبد الحليم شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق الدكتور. محمد رشاد سالم، مكتبة ابن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٩هـ.

۞ نتائج الفكر في النحو، عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم، السهيلي،

دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ.

۞ النكت على كتاب ابن الصلاح، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: ربيع بن هادي عمير المدخلي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ.

۞ النهاية في غريب الحديث والأثر، المبارك بن محمد الجزري (ابن الأثير)، اعتنى به/ رائد بن صبري ابن أبي علفة، بيت الأفكار الدولية.

۞ همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة التوفيقية، مصر.

❐ المخطوطات:

۞ شرح اللقاني على جوهرة التوحيد، إبراهيم بن إبراهيم اللقاني، نسخة مصورة بمكتبة جامعة الملك سعود، رقم: ٤٤٤٨ ف ٩٠٦ / ١٢، تاريخ النسخ: القرن الثالث عشر هجري، عدد: ١٠ أوراق.

فهرس الموضوعات




حديث: «اجعل لنا ذاتَ أنواط»

دراسةٌ حديثيةٌ عقديةٌ

د. عبدالله بن عيسى بن موسى الأحمدي

أكاديمي سعودي، أستاذ مشارك بكلية العلوم
والآداب بجامعة الملك عبد العزيز، فرع رابغ

ملخص البحث

هدف البحث: دراسة حديث: اجعل لنا ذات أنواط، وبيان صحته، وبعض مسائله.

وتبين: أنَّ التبرك بالأشجار ونحوها مما لا يجوز، وأنه منهيٌّ عنه وهو من المشابهة لأهل الكتاب المنهيِّ عنها، ومن المشابهة للمشركين أيضـًا، وتبين أنَّ البركة من الله سبحانه وتعالى، وأن الشرك ينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر، كلاهما بُيِّن، وذكر ضابط الشرك الأصغر، وذكرت الفروق بينهما، وتبين: أن التبرك ينقسم إلى قسمين، تبرك مشروع، وتبرك ممنوع، وأن ما طلبه بعض الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنۡهُمۡ من النبي عَلَيۡهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ ترجح أنه من الشرك الأصغر، وبُيِّن سبب الترجيح، وتبين حرمة التشبه بالكفار وأن مشابهة الكفار ستقع في هذه الأمة، في المعاصي وفيما هو كفرٌ على الصحيح، وغير ذلك مما ذكر في البحث من مسائل تتعلق بدراسة الحديث الشريف.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

د. عبد الله بن عيسى الأحمدي

alahmadi999@gmail.com

The Hadith (Dhat Anwat)
A creedal and hadith study

Dr. Abdullah bin Isa bin Musa al-Ahmadi

Saudi academic, Associate Professor at the Science and Arts College at the King Abdulaziz University, the Rabigh branch

Abstract

Research Objective:

- Studying the Hadeeth: “Make a tree for us like Dhaat Anwaat…”
- Explaining the Hadeeth’s authenticity.
- Explaining some issues derived from the Hadeeth.

The research pointed out that seeking blessing from trees and other objects isn't permitted. It's forbidden because it's a way of imitating the People of the Scripture.

Another point discussed in this research is that blessings only comes from Allah the Almighty, and that shirk (associating partners with Allah) is divided into two categories: major shirk and minor shirk.

Both types were explained in detail along with a comparison between them.

In addition to that, the research went on to clarify that seeking blessing is divided into two categories: lawful and prohibited, and that the request by some companions’ of

making a tree for them like Dhaat Anwaat is considered minor shirk. The reasoning of this verdict was also clarified.

The prohibition of imitating the nonbelievers, and the fact that some Muslims will follow their path, including the disobedience of Allah and commitment of acts of disbelief, among other issues, were also discussed in the research.

May Allah exalt and send peace to Muhammad, his family and companions.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد:

فهذا بحث بعنوان:

دراسة لحديث «اجعل لنا ذات أنواط»

دراسةٌ حديثيةٌ عقديةٌ

فمما لا شك فيه أنَّ أهل السنة والجماعة قد تميزوا في إثباتهم عقيدتهم وتقريرهم لها بالاعتماد على مصادر ميزتهم عن المخالفين من أهل البدع، وكان هذا الأمر مما جنبهم الوقوع فيما وقع فيه غيرهم من البدع والمحدثات التي وقع فيها أهل الأهواء الذين لم يعتمدوا على مصادر أهل السنة في الاعتقاد، وليس من الغريب أن يضل في هذا الباب أو يزيغ عن الحق مَن لم يستق من تلك المصادر الشرعية التي هي وحي الله؛ لأن من يعتمد على النصوص الضعيفة والعقول القاصرة وحدها فإنه سيزلّ في هذا الباب. ولا شك أن العقول مهما بلغت من الذكاء فهي قاصرة ومعرّضة لمجانبة الصواب، كما أن ما بينها من تفاوت في الإدراك، يجعلها غير متفقة على أمر إذا كانت هي الحاكمة وحدها، ولافتقار الناس إلى تحقيق السعادة في الحياتين أُرسلت الرسل، وأُنزلت الكتب رحمة من الله بعباده، وتبصرة بالطريق القويم لهم.

ولأهل السنة مصادرهم التي يستقون منها معتقدَهم، فهم أهل اتّباع وأثر،

مع سلامة في منطلقاتهم الفطرية والعقلية، ومن ذلك اعتمادهم على الصحيح مما ثبت عن المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في أخذ معتقدهم وتقريرهم له والإيمان به، وهذا البحث يهدف إلى دراسة حديث: **اجعل لنا ذات أنواط**، سنداً، ومتناً، مع إبراز مسائل العقيدة ذات العلاقة بالحديث، ولا يخفى ما في مثل هذه الدراسات من الفائدة إذا اعتمدت على النصوص الشرعية باعتبارها مصدراً للاستدلال، مع تمييز ما صح عن رسول الله ﷺ من الحديث فيُعمل به، مما لم يصح عنه ﷺ فيُجتنب؛ اكتفاء بالثابت من النص ودفعاً لكثير من العقائد الباطلة التي قررها أهل البدع، وحجتهم إما نصٌ غير صحيح، وإما عقل غير صحيح، ودراسة النصوص الحديثية باستخدام المنهج العلمي الذي أحكمَ بنيانَه أهلُ الحديث نافع في فهم النص؛ لأنَّ جمع طرق الحديث كما يعين في بيان صحة الحديث فإنه يعين في فهم النص ومعرفة معانيه وبيان المراد منه والتفقه فيه، ولذا قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «الحديثُ إذا لم تَجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»(١).

❐ أهمية البحث وأسباب اختياره:

١ - إن الهدف من البحث الاعتماد على النصوص الصحيحة فيما يجب اعتقاده.

٢ - أنه جانب تطبيقي يحاول السير على طريقة أهل السنة والجماعة في

(١) الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢/ ٢١٢).

اعتمادهم على النصوص الشرعية الصحيحة.

٣ – أنه جمع لطرق الحديث ليتبين معناه، ومن ثمَّ بيان للمسائل المستنبطة من النص، وتقدم قول الإمام أحمد رحمه الله تعالى: «الحديثُ إذا لم تَجمع طرقه لم تفهمه، والحديث يفسر بعضه بعضًا»(١).

٤ – أن الحديث المراد دراسته من الأحاديث العظيمة الدالة على مسائل تمس العقيدة، وفي بيانها وإيضاحها إسهام في نشر العقيدة الصحيحة.

٥ – بعض المسائل التي دلَّ الحديث عليها قد خالف فيها أهل البدع، كمسائل التبرك، وبيان العقيدة الصحيحة من خلال النص الصحيح من أعظم ما يبطل شبهات أهل البدع، ومن أعظم ما يكسر باطلهم.

٦ – لم أطلع على بحث انفرد بدراسة الحديث من الناحية العقدية ومن الناحية الحديثية، فأحببت المشاركة في دراسته مع قلة البضاعة؛ مشاركةً في علم نافع يفيد الأمة، ولا شك أنَّ من أنفع العلوم علم العقيدة المستمد من نصوص الوحي الشريف.

٧ – أن الحديث قد طعن فيه بعض الباحثين.

❑ منهج البحث:

سأتبع المنهج الاستقرائي والتحليلي مع النقد، ملتزمـًا في بحثي بما يلي:

١ – إيراد نص الحديث كما في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مع بيان

(١) سبق ذكره في الصفحة السابقة.

حال الرواة من الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي، وذكر **أعدل** الأقوال في بيان حال الراوي، للوصول إلى درجة الحديث في الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه.

٢ - بيان الأئمة الذين رووا الحديث في مصنفاتهم بأسانيدهم.

٣- جمع طرق الحديث المختلفة ليتبين بذلك خلو الحديث من الشذوذ والعلة، وليتبين معنى الحديث.

٤ – بيان مَن صحح الحديث من أهل العلم.

٥ – بيان الغريب من الكلمات.

٦ – ذكر أهم مسائل العقيدة المستفادة من الحديث.

٧- الاعتماد على نصوص الكتاب والسنة الصحيحة في دراسة مسائل البحث.

٨- عزو الآيات لمواضعها من السور.

٩- تخريج الأحاديث، فإن لم تكن في الصحيحين أو أحدهما أجتهد في بيان درجة الحديث، مستعيناً بما قاله أهل العلم بهذا الفن في درجة الحديث.

١٠- نسبة الأقوال لأصحابها في مظانها ما أمكن.

١١- ترجمة الأعلام غير المشهورين، ولكون الشهرة أمراً نسبياً فبحسب غلبة الظن عند الباحث يكون تحديدها.

١٢- عمل الفهارس اللازمة.

❑ خطة البحث:

وقد سرت في دراستي للحديث على الخطة التالية:

المبحث الأول: الدراسة الحديثية للنص، وفيه المطالب التالية:

أولاً: إيراد نص الحديث كما في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ثانياً: بيان حال الرواة في الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي، وذكر **أعدل** الأقوال في بيان حال الراوي؛ للوصول إلى درجة الحديث في الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه.

ثالثاً: بيان الأئمة الذين رووا الحديث في مصنفاتهم بأسانيدهم.

رابعاً: جمع طرق الحديث المختلفة؛ ليتبين بذلك خلو الحديث من الشذوذ والعلة، وليتبين معنى الحديث.

خامساً: بيان من صحح الحديث من أهل العلم.

المبحث الثاني: المسائل العقدية التي دلَّ النص عليها، وفيه المطالب التالية:

أولاً: شرح الغريب من الكلمات.

ثانياً: ذكر أهم مسائل العقيدة التي دلَّ الحديث عليها.

الخاتمة.

الفهارس.

سائلاً الله أن يوفقني وإخواني من طلبة العلم للصواب والرشاد وما فيه خير للإسلام والمسلمين.

المبحث الأول

الدراسة الحديثية للنص

وفيه المطالب التالية:

۞ **أولًا**: إيراد نص الحديث كما في سنن الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **ثانيًا**: بيان حال الرواة في الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي وذكر أعدل الأقوال في بيان حال الراوي، للوصول إلى درجة الحديث في الطريق التي أخرجها الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سننه.

۞ **ثالثًا**: بيان الأئمة الذين رووا الحديث في مصنفاتهم بأسانيدهم غير الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

۞ **رابعًا**: جمع طرق الحديث المختلفة ليتبين بذلك خلو الحديث من الشذوذ والعلة، وليتبين معنى الحديث.

۞ **خامسًا**: بيان من صحح الحديث من أهل العلم.

المطلب الأول

نص الحديث كما هو عند الإمام الترمذي

قال الإمام الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حَدَّثَنَا سَعِيدُ بن عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَخْزُومِيُّ، قَالَ: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ سِنَانِ بن أَبِي سِنَانٍ، عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَمَّا

خَرَجَ إِلَى حُنَيْنٍ مَرَّ بِشَجَرَةٍ لِلْمُشْرِكِينَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ أَنْوَاطٍ يُعَلِّقُونَ عَلَيْهَا أَسْلِحَتَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (**سُبْحَانَ اللهِ! هَذَا كَمَا قَالَ قَوْمُ مُوسَى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَرْكَبُنَّ سُنَّةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**) هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ»(١).

المطلب الثاني

الذين أورد روايتهم الإمام الترمذي

في هذا المطلب ترجمة للرواة الذين أورد الإمام الترمذي حديثهم، وهي فيما يلي:

١- سعيد بن عبدالرحمن المخزومي:

وهو سعيد بن عبدالرحمن بن حسان، يقال لجده: أبو سعيد أو عبد الله المخزومي، من صغار العاشرة، مات سنة تسع وأربعين ومئتين، وهو ثقة؛ وثقه النسائي، وابن حبان، وابن حجر(٢).

٢- سفيان بن عيينة:

(١) أخرجه الترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ٤/ ٤٩-٥٠، برقم [٢١٨٠].

(٢) ينظر: الثقات، لابن حبان، ٨/ ٢٧٠، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٤/ ٤٢، وتهذيب الكمال، للمزي، ٧/ ٢٤٧، تقريب التهذيب، ٣٨٢.

هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي، ثم المكي، ثقة حافظ فقيه، وكان إمامًا حجة، إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربما يدلس لكن عن الثقات، مات سنة ثمان وتسعين ومئة ودفن بالحجون، وكان له إحدى وتسعون سنة[1].

٣- الزهري:

هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله القرشي، الزهري، كنيته أبو بكر، الفقيه الحافظ متفق على جلالته وإتقانه قيل: مات سنة مئة وأربع وعشرين، وقيل: خمس وعشرين ومئة، وقيل: ثلاث وعشرين ومئة[2].

٤- سنان بن أبي سنان:

وهو سنان بن أبي سنان الديلي، المدني، ثقة، مات سنة خمس ومئة، قال العجلي: «سنان بن أبي سنان الديلي: مدني، تابعي، **ثقة**»[3].

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ٦/ ٤١، ٤٢، والتاريخ الكبير، للبخاري، ٤/ ٩٤، والثقات، للعجلي، ١٩٤، والجرح والتعديل، لابن أبي حاتم، ٤/ ٢٢٥، ٢٢٦، والثقات، لابن حبان، ٦/ ٤٠٣، ٤٠٤، وتهذيب الكمال، للمزي، ٧/ ٣٦٨، وتقريب التهذيب لابن حجر، ٣٩٥.

(٢) ينظر: الثقات، لابن حبان، ٥/ ٣٤٩، ٣٥٠، وتهذيب الكمال، ١٨/ ٢٢٠، وتقريب التهذيب، ٨٩٦.

(٣) تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلى الكوفي (المتوفى: =

٥- **أبو واقد الليثي:**

صحابي جليل، قيل: اسمه الحارث بن مالك، وقيل: ابن عوف، وقيل: عوف بن الحارث، مات سنة ثمان وستين[١].

- **وسند الترمذي متصلٌ**، ورواته ثقات، ولكن لا بدَّ من جمع طرق الحديث لبيان خلوه من الشذوذ والعلة، وذلك كما في المطلب الرابع، وسيأتي بحول الله تعالى.

المطلب الثالث

الأئمة الذين رووا الحديث في مصنفاتهم غير الإمام الترمذي

وقد ورد الحديث مسنداً في بعض مصنفات الأئمة غير الترمذي رحمهم

=

٢٦١هـ)، ٢٠٨، **وينظر**: التاريخ الكبير، للبخاري، ٤/ ١٦٢، والثقات، لابن حبان، ٤/ ٣٣٦، والمؤتَلِف والمختَلِف، لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي الدارقطني (المتوفى: ٣٨٥هـ)، ٣/ ١٢٠٢، والهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسداد، لأحمد بن محمد الكلاباذي (المتوفى: ٣٩٨هـ)، ١/ ٣٤٤، ورجال صحيح مسلم، لأحمد بن علي أبو بكر بن مَنْجُويَه (المتوفى: ٤٢٨هـ)، ١/ ٢٩٣، والتعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح، لأبي الوليد سليمان بن خلف التجيبي القرطبي الباجي الأندلسي (المتوفى: ٤٧٤هـ)، ٣/ ١١٤٨، والكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، للذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، ١/ ٤٦٨، وتهذيب الكمال، ٨/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام، للذهبي، ٣/ ٥٩، وتقريب التهذيب، ٤١٧.

(١) ينظر: تقريب التهذيب، ١٢٢٠، والإصابة، لابن حجر، ٧/ ٣٧٠.

الله تعالى، ومن تلك المصنفات:

- الجامع، لمعمر، ١١/ ٣٦٩، برقم [٢٠٧٦٣].
- المسند، للإمام أحمد، ٣٦/ ٢٢٧، برقم [٢١٨٩٨].
- التفسير، لعبدالرزاق، ٢/ ٨٨، برقم [٩٣١].
- المسند، للطيالسي، ٢/ ٦٨٢، برقم [١٤٤٣].
- المسند، للحميدي، ٢/ ٣٧٥، برقم [٨٤٨].
- المصنف، لابن أبي شيبة،١٥/ ١٠١، برقم [٣٨٥٣٠].
- السنن الكبرى، للنسائي، ١٠/ ١٠٠، برقم [١١١٢١].
- السنة، لابن أبي عاصم، ١/ ٣٧، برقم [٧٦].
- التفسير، لابن جرير، ١٠/ ٤١٠.
- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، ١٦، ١٧، برقم [٣٧-٤٠].
- معجم الصحابة، لابن قانع، ١/ ١٧٢.
- المعجم الكبير، للطبراني، برقم [٣٢٩٠-٣٢٩٤].
- المسند، لأبي يعلى الموصلي، ٣/ ٣٠، برقم [١٤٤١].
- صحيح ابن حبان، ١٥/ ٩٤، برقم [٦٧٠٢].
- دلائل النبوة، للبيهقي، ٥/ ١٢٤-١٢٦.
- التفسير، للبغوي، ٣/ ٢٧٤.
- شرح أصول الاعتقاد، للالكائي، ١/ ١٢٤، برقم [٢٠٤،٢٠٥]
- أخبار مكة، للأزرقي، ١/ ١٢٩، ١٣٠.
- ذم الكلام وأهله، للهروي، ٢/ ٣٨٣، برقم [٤٦٧].

كلهم رووه من طريق:

الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي، بنحوه.

وهناك طريقان آخران للحديث، وهما:

ما أورده الأزرقي في أخبار مكة، ١/ ١٣٠، إذ قال: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ مُحَمَّدِ بن إِدْرِيسَ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بن الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: «كَانَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ شَجَرَةً يُعَظِّمُهَا أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، يَذْبَحُونَ لَهَا، وَيَعْكُفُونَ عِنْدَهَا يَوْمًا، وَكَانَ مَنْ حَجَّ مِنْهُمْ وَضَعَ زَادَهُ عِنْدَهَا وَيَدْخُلُ بِغَيْرِ زَادٍ؛ تَعْظِيمًا لَهَا، فَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى حُنَيْنٍ قَالَ لَهُ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فِيهِمُ الْحَارِثُ بن مَالِكٍ: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لَهُمْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ. قَالَ: فَكَبَّرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَقَالَ: «هَكَذَا فَعَلَ قَوْمُ مُوسَى بِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ».

- **وما أورده الطبراني في الكبير، ١٧، ٢١، برقم [٢٧] إذ قال:**

حَدَّثَنَا مَسْعَدَةُ بن سَعْدٍ الْعَطَّارُ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بن الْمُنْذِرِ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ، عَنْ كَثِيرِ بن عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، وَنَحْنُ أَلْفٌ وَنَيِّفٌ، فَفَتَحَ اللهُ لَنَا مَكَّةَ، وحُنَيْنًا، حَتَّى إِذَا كُنَّا بَيْنَ حُنَيْنٍ وَالطَّائِفِ أَبْصَرَ شَجَرَةً كَانَ يُنَاطُ بِهَا السِّلَاحُ، فَسُمِّيَتْ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، وَكَانَتْ تُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللهِ، فَلَمَّا رَآهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ انْصَرَفَ عَنْهَا فِي يَوْمٍ صَائِفٍ إِلَى ظِلٍّ هُوَ أَدْنَى مِنْهَا، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، اجْعَلْ لَنَا ذَاتَ أَنْوَاطٍ كَمَا لِهَؤُلَاءِ ذَاتُ أَنْوَاطٍ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: إِنَّهَا السُّنَنُ، قُلْتُمْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا

لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾، فَقَالَ: أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا، وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ».

- وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور، ٣/ ٥٣٣ إلى: ابن أبي حاتم، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.

المطلب الرابع

طرق الحديث ورواياته المختلفة

أولاً – الطريق الأول: جاء عند الأزرقي في أخبار مكة، إذ قال فيه: حَدَّثَنِي جَدِّي، عَنْ مُحَمَّدِ بن إِدْرِيسَ، عَنِ الْوَاقِدِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ أَبِي حَبِيبَةَ، عَنْ دَاوُدَ بن الْحُصَيْنِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وهذه الطريق انفرد بها الأزرقي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي سنده الواقدي، كذبه الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغيره[1].

كما أنَّ الأزرقي أخرج الحديث بالطريق آخر عن الإمام الزهري عن سنان ابن أبي سنان عن أبي واقد الليثي، لكنه عنده من طريق الواقدي المذكور حاله آنفا.

ثانيًا – الطريق الثاني: جاء عند الطبراني في الكبير، ١٧، ٢١، برقم [٢٧] إذ قال: حدثنا مسعدة بن سعد العطار، ثنا إبراهيم بن المنذر، ثنا ابن أبي فديك، عن كثير بن عبد الله المزني، عن أبيه، عن جده.

---

(١) ينظر: المجروحين، لابن حبان، ٢/ ٢٩٠، والكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد بن عدي الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، ٧/ ٤٨١.

وفيها كثير بن عبدالله المزني، قال فيه الجوزجاني: «كثير بن عبدالله بن عمرو بن عوف ضعيف الحديث»[1]، وقال ابن حبان: «كثير بن عَبْدِ اللهِ بن عَمْرِو بن عَوْف الْمُزنِيّ يروي عَن أَبِيه عَن جده، روى عَنهُ مَرْوَان بن مُعَاوِيَة، وَإِسْمَاعِيل بن أبي أويس؛ مُنكر الحَدِيث جدا، يروي عَن أَبِيه عَن جده نُسْخَة مَوْضُوعَة لَا يحل ذكرهَا فِي الْكتب وَلَا الرِّوَايَة عَنه»[2].

ثالثًا – الطريق الثالث: جاء الحديث مسنداً عند الأئمة الذين ذُكروا في المطلب الثاني بطرق دارت على: الإمام الزهري، عن سنان بن أبي سنان، عن أبي واقد الليثي –ويظهر ذلك من المشجرة التي أُرفقت آخر البحث– وقد ورواه عن الزهري الرواة التالي ذكرهم:

- **أولاً: سفيان بن عيينة:**

ورواه عن سفيان:

١- سعيد بن عبدالرحمن المخزومي، أخرج روايته الإمام الترمذي في سننه، ٤/ ٤٩، برقم [٢١٨٠]

٢- عبيدالله بن سعيد:

أخرج روايته المروزي في السنة، ص٦٤ برقم [٣٨] وكذلك الحميدي

(١) أحوال الرجال، لإبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني، أبو إسحاق (المتوفى: ٢٥٩هـ)، ١٣٨.

(٢) المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين، لابن حبان، ٢/ ٢٢١، وينظر: الكامل في ضعفاء الرجال، لابن عدي، ٧/ ١٨٧.

في مسنده، ٢/ ٣٧٥، يمثل رواية الترمذي إلا أن فيهما لفظ: «الله أكبر» بدلاً من: «سبحان الله»،

٣- الحميدي:

بمثل لفظ الترمذي إلا أن فيه لفظ: «الله أكبر» بدلاً من: «سبحان الله»، وأخرجه الحميدي في مسنده، ٢/ ٣٧٥، ورواه عن الحميديِّ الطبرانيُّ في الكبير بمثله، ٣/ ٢٤٤ برقم [٣٢٩٢].

٤- أبو بكر بن أبي شيبة:

ورواه عنه أبو يعلى بدون جملة «كما لهم ذات أنواط»، وفي روايته «حين أتى خيبراً»[١]، وهي شاذة؛ فقد خالف أبوبكر بن أبي شيبة -وهو ثقة[٢]- الرواةَ الذين شاركوه الرواية عن سفيان، وخالف أيضـًا الرواة الذين شاركوا سفيان رواية الحديث وجلهم ثقات؛ فدلَّ على شذوذ رواية أبي بكر بن أبي شيبة، والمحفوظ: (حين أتى حُنينـًا).

- **ثانيـًا: يونس:**

وقد أخرج روايته ابن حبان بسنده إليه عن الزهري بنحو لفظ الحميدي

---

(١) ينظر: ينظر مسند أبي يعلى، ٣/ ٣٠.

(٢) ينظر: أسامي من روى عنهم محمد بن إسماعيل البخاري من مشايخه (في جامعه الصحيح)، لأبي أحمد عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد ابن مبارك بن القطان الجرجاني (المتوفى: ٣٦٥هـ)، ١٤٧، وتاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ٦/ ١٧٢.

عن سفيان، ينظر صحيح ابن حبان، ١٥/ ٩٤، برقم [٦٧٠٢].

- **ثالثًا: مالك:**

ورواه عن مالك:

١- القعنبي بمثل لفظ الحميدي عن سفيان، وأخرج روايته الطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ٢٤٤، برقم [٣٢٩١].

٢- جويرية دون قوله: (كما لهم ذات أنواط) وفيها زيادة لفظة: (إنها السنن، الله أكبر)، والزيادة هي قوله: (إنها السنن)، أخرجها المروزي في السنة، ٦٣، برقم [٤٠]، وهي زيادة مقبولة، وفيها أيضا قول: «ونحن حديثو عهد بكفر»، برقم [٣٩].

- **رابعًا: محمد بن إسحاق:**

أخرج روايته الطبراني في المعجم الكبير بسنده إليه بمثله، ينظر المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٤٤ برقم [٣٢٩٣]، وفيه قول: «ونحن حديثو عهد بجاهلية».

- **خامسًا: عقيل بن خالد:**

ورواه عن عقيلٍ الليثُ، ورواه عن الليث:

١- أبو صالح:

أخرج ابن جرير حديثه بسنده إليه في جامع البيان، ١٠/ ٤١١، وأخرج حديثه المروزي في السنة بسنده إليه، ص ٦٤، برقم [٤١]، لكن رواية المروزي بدون جملة: «سبحان الله»، وبدون جملة: «الله أكبر»،

٢- حجاج:

أخرج حديثه الإمام أحمد بدون جملة التعجب، وبدون جملة: «كما لهم ذات أنواط» ينظر المسند، ١٦/ ١٢٩ برقم [٢١٧٩٤].

- **سادسًا: معمر بن راشد:**

ورواه عن معمر:

١- عبدالرزاق:

بنحو لفظ الترمذي، لكن فيه بدل «سبحان الله»: «الله أكبر»، وهو في الجامع الملحق بمصنف عبدالرزاق، ١١/ ٣٦٩، وقد رواه عن عبدالرزاق:

أ) النسائي في السنن الكبرى، ٦/ ٣٤٦، برقم [١١١٨٥].

ب) والمروزي في السنة، ٦٢، برقم [٣٩].

ج) والطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ٢٤٤، برقم [٣٢٩٠].

د) وابن جرير في تفسيره جامع البيان، ١٠/ ٤١٠.

٢- محمد بن ثور:

وقد أخرج حديثه ابن جرير بسنده إليه عن معمر، ينظر جامع البيان، ١٠/ ٤١٠.

- **سابعًا: إبراهيم بن سعد:**

وقد رواه عن إبراهيم بن سعد:

١- يعقوب بن حميد:

وأخرج حديثه ابن أبي عاصم في السنة، ١/ ٣٧ برقم [٧٦]، وفيه قول:

«ونحن حديثو عهد بكفر».

٢- أبو داود الطيالسي:

بمثل لفظ الترمذي، إلا أن فيه بدل جملة «سبحان الله» لفظ: «الله أكبر»، ينظر مسند أبي داود، ٢/ ٦٨٢، برقم [١٤٤٣].

وفيه قول: «ونحن حديثو عهد بكفر».

٣- يحيى الحماني:

وقد أخرج حديثه الطبراني بسنده إليه، بنحو لفظ أبي يعلى عن أبي بكر بن أبي شيبة عن سفيان، لكن روايته: «حين أتى حنينًا»، أما رواية أبي يعلى ففيها: «حين أتى خيبرَ»، وهي شاذة، والمحفوظ الأولى –وقد بُيِّن آنفًا في الرواة عن سفيان بن عيينة–، ينظر: المعجم الكبير للطبراني، ٣/ ٢٤٤، برقم [٣٢٩٤]، وفيه قول: «ونحن حديثو عهد بكفر».

المطلب الخامس

العلماء الذين صححوا الحديث

من العلماء الذين قالوا بصحة الحديث:

١-الإمام الترمذي في سننه[1].

---

(١) ينظر: السنن للترمذي، كتاب الفتن، باب ما جاء لتركبن سنن من كان قبلكم، ٤/ ٤٩-٥٠، برقم [٢١٨٠] وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح.

٢-وابن حبان في صحيحه[1].

٣-وشيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ، إذ أقر تصحيح الترمذي وتحسينه[2].

٤-وابن حجر العسقلاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[3].

٥-والشيخ عبدالرحمن المعلمي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[4].

٦-والألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ[5].

٧-والأرنؤوط رَحِمَهُ ٱللَّهُ[6].

تنبيه حول تخريج الحديث:

عزا الحديث للإمام البخاري كل من الإمام الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ[7]، وابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ[8] تقليداً منه للطرطوشي، والحديث ليس في صحيح البخاري.

---

(١) ينظر: صحيح ابن حبان، ١٥/ ٩٤، برقم [٦٧٠٢].

(٢) ينظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ١/ ١٦٩.

(٣) ينظر: الإصابة، ٤/ ٢١٦.

(٤) ينظر: رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله (ضمن آثار الشيخ العلامة عبدالرحمن المعلمي)، ٢/ ٢٣٠.

(٥) ينظر: سنن الترمذي، ٤٩٣، برقم [٢١٨٠]، وظلال الجنة في تخريج السنة، ١/ ٣٧-٣٨.

(٦) ينظر: تحقيقه لجامع الأصول لابن الأثير، ١٠/ ٣٤.

(٧) الحوادث والبدع، ٣٨.

(٨) إغاثة اللهفان، ١/ ٣٢١-٣٢٢.

المبحث الثاني

المسائل العقدية التي دلَّ النص عليها

وفيه المطالب التالية:

۞ **أولاً**: شرح الغريب من الكلمات في الحديث.

۞ **ثانيًا**: ذكر أهم مسائل العقيدة التي دلَّ الحديث عليها.

المطلب الأول

شرح الغريب من الكلمات في الحديث

١- **حُنَيْنٌ**: قال الهمداني: «وحنين الآخر بين مكة وقرن وبه يوم حنين»(١)، وقال البكري: «هو واد قريب من الطائف، بينه وبين مكّة بضعة عشر ميلاً»(٢)، وقال أبو بكر الهمداني: «وادي حُنين قُربَ الطائف»(٣)، وقال الحموي: «يجوز أن يكون تصغير الحنان، وهو الرحمة، تصغيرَ ترخيم، ويجوز أن يكون تصغير الحنّ، وهو حيّ من الجن، وقال السّهيلي: سمي بحنين بن قانية بن مهلائيل، قال: وأظنه من العماليق، حكاه عن أبي عبيد

---

(١) صفة جزيرة العرب، لابن الحائك، أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الشهير بالهمداني (المتوفى: ٣٣٤هـ)، ١٨٢.

(٢) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، للبكري، ٢/ ٤٧١.

(٣) الأماكن أو ما اتفق لفظه وافترق مسماه من الأمكنة، لأبي بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي الهمداني، ٤٢٠.

البكري، وهو اليوم الذي ذكره جلّ وعز في كتابه الكريم: وهو قريب من مكة، وقيل: هو واد قبل الطائف، وقيل: واد بجنب ذي المجاز، وقال الواقدي: بينه وبين مكة ثلاث ليال، وقيل: بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا، وهو يذكر ويؤنث، فإن قصدت به البلد ذكّرته وصرفته كقوله عزّ وجل: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ [التوبة: ٢٥]، وإن قصدت به البلدة والبقعة أنّثته ولم تصرفه»[١]، وقال البلادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حُنَيْنٌ تَصْغِيرُ حِنٍّ، يَتَرَدَّدُ ذِكْرُهُ كَثِيرًا فِي السِّيرَةِ، وَغَزْوَتُهُ مِنْ أَشْهَرِ غَزَوَاتِ الرَّسُولِ ﷺ بَعْدَ بَدْرٍ، كَانَتْ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ[٢]، بَعْدَ الْفَتْحِ، وَهُوَ وَادٍ مِنْ أَوْدِيَةِ مَكَّةَ، يَقَعُ شَرْقَهَا بِقَرَابَةِ ثَلَاثِينَ كَيْلًا، يُسَمَّى الْيَوْمَ وَادِي الشَّرَائِعِ، وَأَعْلَاهُ الصَّدْرُ - صَدْرُ حُنَيْنٍ -، وَمَاؤُهُ يَصُبُّ فِي الْمُغَمَّسِ فَيَذْهَبُ فِي سَيْلِ عُرَنَةَ إِذَا كُنْت خَارِجًا مِنْ مَكَّةَ إِلَى الطَّائِفِ عَلَى طَرِيقِ الْيَمَانِيَّةِ، لَقِيت الشَّرَائِعِ عَلَى (٢٨) كَيْلًا مِنْ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، وَهِيَ عَيْنٌ وَقَرْيَةٌ نُسِبَ الْوَادِي إِلَيْهَا، كَانَتْ عَيْنُهَا تُسَمَّى الْمُشَاشَ، وَقَدْ أَجْرَتْهَا زُبَيْدَةُ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ انْقَطَعَتْ عَنْ مَكَّةَ. وَلَا يَعْرِفُ الْيَوْمَ اسْمَ حُنَيْنٍ إِلَّا الْخَاصَّةُ مِنْ النَّاسِ»[٣].

---

(١) معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي، ٢/ ٣١٣، وينظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، لعبد المؤمن بن عبد الحق القطيعي البغدادي، صفيّ الدين، ١/ ٤٣٢، والروض المعطار في خبر الأقطار، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، ٢٠٢.

(٢) هكذا عنده، والصواب في الثامنة، ينظر: روضة الأنوار، للمباركفوري، ١٨٨-١٩٧.

(٣) معجم الْمَعَالِمِ الْجُغْرَافِيَّةِ فِي السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ، لعاتق بن غيث البلادي، ٣٤١.

٢- **لما خرج**: أي من مكة[(١)] بعد الفتح.

٣- **ذات أنواط**: شجرة كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم ويعلقونه عليها، قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «..."اجْعل لَنَا ذاتَ أَنْوَاطٍ" هِيَ اسْمُ شجرةٍ بِعَيْنِهَا كَانَتْ لِلْمُشْرِكِينَ يَنُوطُونَ بِهَا سِلاحَهم: أَيْ يُعَلِّقونه بِهَا، ويَعْكُفون حَوْلهَا، فَسَأَلُوهُ أَنْ يَجْعل لَهُمْ مِثْلَهَا، فنَهاهم عَنْ ذَلِكَ...»[(٢)].

٤- **أنواط**: جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط، والمراد به: التعليق، قال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «نوط: النَّوْطُ: مصدر ناط ينوط نَوْطـًا، تقول: نُطْتُ القِرْبَةَ بنياطها نَوْطـًا، أي: علّقتها. والنَّوْط: علق شيء يُجْعل فيه تَمْر ونحوه، أُو ما كان يعلّق من محمل وغيره. والمَنُوطُ: جرابٌ صغيرٌ يُجْعلُ فيه التَّمْر وما شاكله. والنَّوْط: جُلَيْلَةٌ صغيرةٌ تَسَعُ خمسين منّـًا، أو أقلّ، وجَمْعُهُ: [نياطٌ]، تُسْتَخَفُّ لحَمْلِ الزّادِ إلى مكّة، أو إلى سَفَرٍ. وناط عنّي فلانٌ، أي: تباعد»[(٣)].

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «النَوْط: وهو التعليق»[(٤)].

وقال ابن قتيبة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والأنواط: المعاليق، واحده نوط»[(٥)].

---

(١) ينظر: مرقاة المفاتيح، لعلي بن سلطان القاري، ٨/ ٣٤٠٣، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٦/ ٣٩٩، والقول المفيد، لابن عثيمين، ٣/ ٢٠١-٢٠٣، وفتح المجيد، ٢/ ٢٥٩-٢٦١.

(٢) النهاية في غريب الحديث، لمجد الدين ابن الأثير، ٥/ ١٢٨.

(٣) العين، ٧/ ٤٥٥، وينظر: تهذيب اللغة، للأزهري، ١٤/ ٢٢.

(٤) الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، ٣٩٧.

(٥) تأويل مشكل القرآن، ٣٠٧، وينظر: غريب الحديث، لابن قتبة، ٢/ ١٣٢.

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «(أنواط: جمع نَوْط، وهو مصدر نُطْتُ به كذا وكذا أنُوط نَوْطـًا: إذا علقتَه به، ويسمَّى المَنْوط بالنَّوْط»[1].

٥- **سبحان الله**: تنزيهٌ وتعجب، قال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُبْحانَ اللهِ: تنزيه لله عن كل ما لا ينبغي أن يُوصَف به، ونَصبُه في موضع فِعْلٍ على معنى: تَسبيحـًا لله، تُريدُ: سَبَّحْتُ تَسبيحـًا للهِ [أي: نزَّهتُه تنزيهـًا]. ويقال: نُصِبَ سُبحانَ الله على الصرف، وليس بذاك، والأول أجود»[2].

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَمِنْه قيل: سُبْحَانَ الله: إِنَّمَا هُوَ تَعْظِيم الله وتنزيهه»[3].

وقال الأزهري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقوله سبحانك اللهم وبحمدك، معناه، أسبحك أي: أنزهك عما يقول الظالمون فيك، وسبحان: مصدر أريد به الفعل؛ قال الله عز وجل: (فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون) [الروم: ١٧] أي: سبحوا الله حين تمسون، أي: صلوا له، وقوله في الركوع سبحان ربي العظيم؛ أي: أسبح ربي العظيم، وتنزيه الله سبحانه وتعالى: إبعاده من الشرك، وهو بمعنى التسبيح، ومن صفات الله تعالى: سبوح قدوس، والسبوح: البعيد عن الشكل[4] والنظير والضد والنديد، **وقيل**: **سبحان الله**،

(١) جامع الأصول، لمجد الدين ابن الأثير، ١٠/ ٣٤.

(٢) العين، ٣/ ١٥١.

(٣) غريب الحديث، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ٣/ ١٧٣.

(٤) المقصود المشاكل؛ أي النظير والمثيل.

أي: براءة الله؛ كأنه يقول: أبرئ الله عز وجل عن كل ضد وند»[١].

٦- **هذا كما قال قوم موسى:** لا يخفى ما بينهما من التفاوت، فليس حال الصحابة كحال قوم موسى، ويستفاد هذا من التشبيه، حيث إن وجه الشبه يكون أقوى في المشبه به[٢].

٧- **لتَركَبُنَّ:** أي لتتبعنَّ ولتذهبُنَّ[٣].

٨- **سنّة:** السنّة هي الطريقة، والسيرة، والمنهج، وكلمة (السنة) مأخوذة من (سنن)، ومما قاله أهل اللغة في بيان معناها:

قال الأزهري رحمه الله تعالى: «يُقال: استَنَّ فلانٌ يَعدو، إذا مضى على سنته، فلا يعرج يميناً ولا شمالاً»[٤]، أي: مشى على طريقة.

وقال ابن فارس رحمه الله تعالى: «ومما اشتق منه: السنّة، وهي: السيرة، وسنة رسول الله ﷺ: سيرته»[٥]، وقال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد تكرر في

---

(١) الزاهر، ١٦٣.

(٢) ينظر: فيض القدير، للمناوي، ٥/ ٣٣٢، ومرقاة المفاتيح، لعلي بن سلطان القاري، ٨/ ٣٤٠٤، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٦/ ٣٩٩، وفتح المجيد، ٢/ ٢٥٩-٢٦١، والقول المفيد، لابن عثيمين، ١/ ٢٠١-٢٠٣.

(٣) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، ١٣/ ٣٠١ ومرقاة المفاتيح، لعلي بن سلطان القاري، ٨/ ٣٤٠٤.

(٤) الزاهر، ٢٧٤.

(٥) معجم مقاييس اللغة، ٤٧٤.

الحديث ذكرُ السنة وما تصرف منها، والأصل فيها: الطريقة والسيرة»[1].

وجاء في لسان العرب: «السنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة..، وكل من ابتدأ أمراً عمل به قوم بعده، قيل: هو الذي سنه»[2].

وقال الفيروز آبادي - رحمه الله تعالى -:

«والسنّة.. بالضم: .. السيرة..وسنن الطريق: نهجه وجهته»[3].

مما سبق يتبين لنا أن المقصود بالسنة في اللغة:

الطريقة، والسيرة، والمنهج، ونحو ذلك من العبارات التي تتوافق في المعنى مع ما سبق ذكره.

المطلب الثاني

ذكر أهم مسائل العقيدة التي دلَّ الحديث عليها

❑ المسألة الأولى:

التبرك بالأشجار ونحوها، ومثله العكوف عليها: لا يجوز شرعًا، وقد نُهي عنه؛ فهو من المشابهة لأهل الكتاب.

قال الطرطوشي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

---

(١) النهاية، ٢/ ٢٢٣.

(٢) لسان العرب، ٢/ ٢٢٢.

(٣) القاموس المحيط، ٤/ ٢٣٩.

«فانظروا رحمكم الله، أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء والشفاء من قبلها، وينوطون بها المسامير والخرق؛ فهي ذات أنواط، فاقطعوها»[١].

يقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فأما العكوف والمجاورة عند شجرة أو حجر تمثال أو غير تمثال، أو العكوف والمجاورة عند قبر نبي أو غير نبي، أو مقام نبي أو غير نبي؛ فليس هذا من دين المسلمين، بل هو من جنس دين المشركين، الذين أخبر الله عنهم بما ذكره في كتابه»[٢].

وقال أيضـاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الأشجار والأحجار والعيون ونحوها مما ينذر بها بعض العامة، أو يعلقون بها خرقـاً، أو غير ذلك، أو يأخذون ورقها يتبركون به، أو يصلون عندها، أو نحو ذلك، فهذا كله من البدع المنكرة وهو من عمل أهل الجاهلية، ومن أسباب الشرك بالله تعالى»[٣].

وقد بوب الإمام محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب التوحيد بابـاً فقال فيه: «باب من تبرك بشجر أو حجر ونحوها»[٤]؛ وأورد الحديث تحت بابه المذكور.

---

(١) الحوادث والبدع، ٣٩.

(٢) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ٣٥٦.

(٣) مجموع الفتاوى، ٢٧/ ١٣٦-١٣٧.

(٤) كتاب التوحيد مع شرحه فتح المجيد، ١/ ٥٣.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن ما يفعله من يعتقد في الأشجار والقبور والأحجار من التبرك بها والعكوف عندها، والذبح لها، هو الشرك، ولا يغتر بالعوام والطغام، ولا يستبعد كون هذا شركـًا»[١].

كل هذه النقول تدل على توافق أهل العلم السابقين رحمهم الله تعالى في أن التبرك بالأشجار ونحوها مما لا يجوز، وأنه منهي عنه، وهو من المشابهة لأهل الكتاب المنهي عنها، وكذا العكوف عليها.

ولا بد من بيان بعض المسائل المهمة المتعلقة بالتبرك الموضحة لأحكامه، التي دلَّ عليها الحديث، وترتبط بإيضاح معناه، وما يستفاد منه، وهي:

○ أولاً: ما معنى البركة في اللغة والشرع؟

يراد بالبركة في اللغة:

١ – ثبات الشيء:

قال ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَرَكَ: الباء والراء والكاف أصلٌ واحد؛ وهو: ثبات الشيء، ثم يتفرع فروعـًا يقارب بعضها بعضـًا...»[٢].

٢ – الزيادة والنماء:

قال الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والبَرَكةُ: الزيادة والنماء»[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ١٨٤.

(٢) معجم المقاييس في اللغة، ١٢٧.

(٣) العين، ٥/ ٣٦٨، وينظر: معجم المقاييس في اللغة، ١٢٧.

وقال ابن دريد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وَالْبركَة: مَعْرُوف. وَيُقَال: لَا بَارك الله فِيهِ؛ أَي لَا نماه... و(تبارك) لَا يُوصف بِهِ إِلَّا الله تبَارك وَتَعَالَى، وَلَا يُقَالُ: تبَارك فلَان فِي معنى جلّ وَعظم؛ هَذِه صفة لَا تنبغي إِلَّا لله عز وَجل، وَذكر أَبُو زيد أَنه سمع أَعْرَابَ قيسٍ يَقُولُونَ: مَا أبرك هَذَا الطَّعَام؛ أَي مَا أنماه، وَذكر أَبُو مَالك أَنه سمع: طَعَامٌ بريك فِي معنى مبارك»[1].

قال ابن الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«(بَرَكَ)... وَهُوَ مِنْ بَرَكَ البعيرُ؛ إِذَا نَاخَ فِي مَوْضِعٍ فَلزِمَه، وتُطلق البَرَكَة أَيْضًا عَلَى الزِّيَادَةِ. والأصلُ الأوّلُ»[2].

ويراد بالبركة في الاصطلاح:

طلب البركة؛ والمقصود به: طلب كثرة الخير في الشيء مع نمائه وزيادته وثباته، فتبرَّكَ: أي: طلب البركة ورجاها من الشيء المعين أو اعتقدها فيه[3].

---

(١) جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، ١/ ٣٢٥.

(٢) النهاية، ١/ ١٢٠.

(٣) ينظر: بدائع الفوائد، لابن القيم، ٢/ ١٨١، ١٨٢، والتعليق المفيد على كتاب التوحيد، لابن باز، ٧٥، والقول المفيد على كتاب التوحيد، للعثيمين، ١/ ١٩١، والسبك الفريد، لابن جبرين، ١/ ٢٠٠، والمحاورات لطلب الأمر الرشيد في تفهم كتاب التوحيد، للغنيمان، ١/ ٢٦٥، والتمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، ١٢٦، ومنحة الحميد، لخالد الدبيخي، ١٧٣،.

○ ثانيًا: البركة من الله سبحانه وتعالى:

دلّت النصوص الشرعية من الكتاب والسنة النبوية -على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم- على أن البركة من الله وحده سبحانه وتعالى، وأن الله هو من يبارك الخلق، ولا أحد يبارك الخلق غيره، قال تعالى: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١]، وقال عن إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وابنهِ: ﴿وَبَٰرَكۡنَا عَلَيۡهِ وَعَلَىٰٓ إِسۡحَٰقَ﴾ [الصافات: ١١٣]، وقال عن عيسى عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم: ٣١]، وروى الإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ أنه قال: قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «البركَةُ من اللهِ»[1]، قال القسطلاني رحمه الله تعالى: «"البركة من الله" أي هذا الذي ترونه من زيادة الماء إنما هو من فضل الله وبركته ليس مني وهو الموجد للأشياء لا غيره»[2]، فهذه النصوص الشريفة وما كان في معناها تبين أن البركة من الله وحده سبحانه وتعالى وأنه هو من يبارك الأشياء.

---

(١) الصحيح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٤/ ١٧١.

(٢) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، لأحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القسطلاني المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، ٨/ ٣٣٩.

○ **ثالثًا: أقسام التبرك:**

ينقسم التبرك إلى قسمين، هما[1]:

١ – التبرك المشروع:

وضابطه: أن يلتمس المسلم البركة فيما أذن له الشرع بالتماس البركة فيه وفي حدود المأذون فيه.

وذلك مثل: التماس البركة في قراءة القرآن، فيريد الثواب من ذلك أو الشفاء في قراءته ونحو ذلك، وكالتماس أجر الصلاة في المسجد الحرام ومضاعفة الأجر فيه، ونحوه.

٢ – التبرك الممنوع:

وضابطه: أن يلتمس المسلم البركة فيما لم يأذن به الشرع، أو يتجاوز الحد المأذون فيه إلى ما لم يأذن به الشرع.

وذلك مثل: تعليق التمائم، أو يلتمس البركة بآثار الصالحين وما انفصل من أجسادهم، ونحو ذلك.

وينقسم التبرك الممنوع إلى قسمين، هما:

---

(١) ينظر: سبل السلام، للصنعاني، ١/ ٥٨٩، وتيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله، ١٧٤-١٨٦، وفتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن، ١/ ٢٥٣-٢٦٤، والتبرك أنواعه وأحكامه، د/ ناصر الجديع، ٣٩، وشرح تسهيل العقيدة الإسلامية، د/ عبدالله الجبرين، ٣٣٥، ٣٣٦.

أ – تبرك شركي:

وضابطه: اعتقاد استقلال المخلوق بذاته في منح البركة وهبتها.

مثل: من يعتقد أن صاحب القبر يهبه الولد أو ينمي ماله أو يزيل مرضه، **فهذا ونحوه من الشرك الأكبر**.

ب – تبرك بدعي:

وضابطه: أن يلتمس المسلم البركة فيما لم يأذن به الشرع، أو يتجاوز الحد المأذون فيه إلى ما لم يأذن به الشرع، مع اعتقاده أن الله هو من وضع البركة فيه.

والتبرك البدعي أنواع، فقد يكون من **الشرك الأصغر، كلبس التمائم**؛ لأنه اعتقد ما ليس بسبب سبباً، والتمائم هي: ما علق على المرضى ونحوهم لدفع البلاء أو رفعه[١]، فإن اعتقد أنها سببٌ مع اعتقاده أن النافع والضار هو الله وحده؛ كان فعله من الشرك الأصغر، لما رواه الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: قال عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «من علق تميمة فقد أشرك»[٢]، وإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهذا شرك أكبر[٣].

---

(١) ينظر: التمهيد، لابن عبدالبر، ١٧/ ١٦٢، والقوانين الفقهية، لابن جزي، ٢٩٥.

(٢) المسند، ٤/ ١٥٦، وينظر: المستدرك، للحاكم، ٤/ ٢١٩، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم [٦٣٩٤].

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله، ١٦٢-١٧٤، وفتح المجيد، =

وقد يكون محرماً، وهذا أقل أحواله، مثل: التبرك بالأزمان التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها، كالليلة التي يقال أنه حصل فيها الإسراء والمعراج، ونحوه[(١)].

○ **رابعًا: ما طلبه بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بخصوص ذات أنواط أيُعَدّ من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر؟**

حتى يتبين الجواب على هذا السؤال؛ لا بدَّ من بيان ما هو الشرك الأكبر وما هو الشرك الأصغر، وما الفرق بينهما؟

ثم بعد ذلك يُجاب عن السؤال المطروح، وهو: أيُعدّ طلب بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الشرك الأكبر أم من الشرك الأصغر.

وعلى هذا فهنا ثلاثة فروع، وهي:

۞ **الفرع الأول: ما هو الشرك الأكبر؟ وما هو الشرك الأصغر؟**

تعريف الشرك الأكبر:

إنَّ أجمع تعريف للشرك الأكبر في الشرع هو قوله ﷺ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما سئل: أي الذنب أعظم؟

=

للشيخ عبدالرحمن بن حسن،١/ ٢٣٩-٢٥١، والقول المفيد، لابن عثيمين،١/ ١٥٩-١٦٢.

(١) ينظر: التبرك أنواعه وأحكامه، د/ ناصر الجديع، ٣٧٤ – ٣٧٧، المختصر في العقيدة، د/ خالد المشيقح، ١٢٩-١٣١، متن الخلاصة في العقيدة، د/ خالد المشيقح، ٥٦- ٥٨.

قال ﷺ: (أن تجعل لله نداً وهو خلقك)[١].

والنِد -بالكسر- هو: المثيل، والشبيه، والنظير، قال الحميدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيه: «والنديد: المِثْلُ»[٢]، وقال ابن منظور رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنِدُّ -بالكسر- المِثل والنظير»[٣]. وقال أيضـاً: «نِدُّ فلان، ونديده، ونديدته، أي: مثله وشبهه»[٤].

وقد تنوعت عبارات أهل العلم في تعريف الشرك؛ فمنهم من كان تعريفه غير شامل، ومنهم من كان تعريفه شاملاً، وقد ورد البعض من هذه التعريفات في ثنايا كلامهم دون قصدٍ منهم للتعريف، كما ينبغي ملاحظة أمرين على هذه التعريفات التي لم تكن شاملة، وهما:

١- أن تعريفهم للشرك بتعريف غير شامل لا يعني عدم معرفتهم له.

٢- كما أن تعريفهم غير الشامل قصد به التنبيه على ما هو منتشر أكثر من غيره، وما شاع في الناس دون ما لم يشع، ولهذا قصروا تعريفهم على نوعٍ معينٍ منه، إيضاحـاً لهذا النوع؛ ليدركه الناس، ولم يكونوا بصدد تأليف

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب قوله تعالى﴿ فلا تجعلوا الله أنداداً ﴾، ٨/ ٢٠٥، برقم [٤٤٧٧]، كما أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب،١/ ٣٥٧، برقم [٨٦].

(٢) تفسير غريب ما في الصحيحين، لمحمد بن أبي نصر الحميدي،٦٥، وينظر: مفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني، ٧٩٦، وينظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ١/ ٣٥٣.

(٣) لسان العرب، ٣/ ٦٠٧، وينظر الكليات، لأبي البقاء،٩١٣.

(٤) لسان العرب، ٣/ ٦٠٧.

كتاب عن هذا النوع من الشرك.

وأسوق بعض تعريفاتهم الشاملة التامة، فمنها:

١- قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الشرك: «فمن جعل لله نداً من خلقه فيما يستحقه عز وجل من الإلهية والربوبية فقد كفر إجماعـًا»(١).

٢- وقال الدهلوي(٢) رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن حقيقة الشرك: أن يأتي الإنسان بخلال وأعمال، خصها الله بذاته العلية، وجعلها شعاراً للعبودية، لأحد من الناس، كالسجود لأحد، والذبح باسمه والنذر له، والاستغاثة به في الشدة، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان، وإثبات قدرة التصرف له، [فذلك](٣) يثبت به الشرك ويصبح الإنسان به مشركـًا»(٤).

٣- وقال محمد بن سلطان المعصومي(٥): «فمن اعتقد أنّ إنسانـًا، أو

---

(١) مجموع الفتاوى، ١/ ٨٨.

(٢) هو: أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي، أبو عبد العزيز (١١١٠-١١٧٦هـ)، لقب: شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين، من أهل دهلي بالهند، أحيا الله به وبأبنائه وطلابه علم الحديث والسنة بالهند، له عدَّة مصنفات منها: حجة الله البالغة، والفوز الكبير بأصول التفسير، والإنصاف في أسباب الخلاف وغيرها.

ينظر: أبجد العلوم، لصديق حسن خان، ٣/ ٢٤٣، والأعلام، للزركلي، ١/ ١٤٩.

(٣) في الأصل وكذلك ولعل الصواب ما ذكر.

(٤) رسالة التوحيد، ٣٢ - ٣٣.

(٥) هو محمد سلطان بن محمد أورون بن ملا مير سعيد بن ملا عبدالرحيم بن عبدالله بن عبد الصمد الخجندي، الحنفي، أبو عبد الكريم (١٢٩٧-١٣٧٩هـ) ولد في خجندة =

ملكـاً، أو غيرهما من الموجودات يخلق كما يخلق الله، أو يقدر على تدبير شيء من أمور الخلق والتصرف فيها بقدرته الذاتية غير مقيد بسنن الله تعالى العامة في الأسباب والمسببات كأمثاله من أبناء جنسه، فقد اتخذه ربـاً.

وكذلك من أعطى أي إنسان حق التشريع الديني بوضع العبادات كالأوراد المبتدعة التي تتخذ شعائر موقوتة كالفرائض، فقد اتخذه ربـاً.

وأمّا إذا دعاه فيما لا يقدر عليه المخلوقون بما لهم من الكسب في دائرة السنن الكونية والأسباب الدنيوية، أو سجد له، أو ذبح القرابين له أو طاف بقبره، وتمسح به وقبّله تقربـاً إليه وابتغاءَ مرضاته وعطفه، أو إرضائه الله عنه، وتقريبِه إليه زلفى، ولم يعتقد مع هذا أنه يخلق، ويرزق، ويدبر أمور العباد فقد اتخذه إلهـاً لا ربـاً، فإن جمع بين الأمرين فهو المشرك في الربوبية والألوهية معـاً»(1).

٤- وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حقيقة الشرك بالله: أن يُعبد المخلوق كما يعبد الله، أو يعظم كما يعظم الله، أو يصرف له نوعٌ من خصائص الربوبية

=

وسافر إلى خوقند ثم إلى بخارى لطلب العلم، ثم لمكة ثم للمدينة المنورة ثم للشام ثم لمصر ثم لتركيا ثم لبلده خجندة، ألف أكثر من تسعين كتابـاً، منها: تمييز المحظوظين عن المحرومين، وحكم الله الواحد الأحد، وتحفة الأبرار في فضائل سيد الاستغفار. ينظر: مقدمة كتاب تمييز المحظوظين حيث ترجم له محقق الكتاب،٩-١٥.

(1) حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، ٣٣٩، ضمن المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد، دار أطلس، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

والإلهية»[١].

ومن السابق يتضح أنَّ تعريف الشرك الأكبر هو:

صرف أي نوعٍ من خصائص الربوبية والإلهية لغير الله من العبادة والتعظيم وغيرهما، مما يختص بربوبية الله وألوهيته.

أو يقال هو: أن يجعل الإنسان لله نداً في: ربوبيته، أو ألوهيته، أو أسمائه وصفاته.

تعريف الشرك الأصغر:

أما تعريف الشرك الأصغر فقد قام أهل العلم رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ بتعريف الشرك الأصغر بما يضبطه، ويميزه من غيره، وتنوعت عباراتهم، فمن تلك التعريفات:

١- أنه «شرك في العمل لا ينقل عن الملة، وهو الرياء»[٢].

وهذا التعريف يعترض عليه بأمرين:

أ- حصره للشرك الأصغر بالرياء.

ب- حصره له بالعمل مع أنه يكون في غيره، في الألفاظ، والنيات.

٢ - وقال الراغب الأصفهاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ عنه: «والثاني: الشرك الأصغر:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن، ٢٧٩.

(٢) تعظيم قدر الصلاة، ٢/ ٥٢٧.

وهو مراعاة غير الله معه في بعض الأمور، وهو الرياء، والنفاق»[١].

ويلاحظ حصره للشرك الأصغر بالرياء والنفاق مع أن النفاق -وكذا الرياء- قد يكون أكبر.

٣ - وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...»[٢].

وهذا تعريف بالمثال، ولم يذكر ضابطـًا مميزاً له.

٤- وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن: «النوع الثاني: شرك أصغر: وهو الرياء»[٣].

وهنا عرفه بالمثال، وحصره في الرياء مع أن له أنواعـًا كثيرة.

٥ - وقال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هو جميع الأقوال والأفعال التي يتوسل بها إلى الشرك، كالغلوَّ في المخلوق الذي لا يبلغ رتبه العبادة، كالحلف بغير الله، ويسير الرياء، ونحو ذلك»[٤].

ويعترض عليه بأنَّ الشرك الأصغر قد يكون بالنيات وليس محصوراً في الأقوال والأفعال، ثم إن التعريف لم يبين حقيقة الشرك الأصغر وما هيته

---

(١) مفردات القرآن، ٤٥٢.

(٢) مدارج السالكين،١/ ٣٨٤.

(٣) رسالة أنواع التوحيد وأنواع الشرك «ضمن الجامع الفريد» ٣٤٢.

(٤) القول السديد، ٢٤.

المميزة له من غيره.

٦- وقال الشيخ عبد العزيز السلمان: «إنه كل وسيلة وذريعة يتطرق بها إلى الأكبر»[١].

ويقال في هذا التعريف ما قيل في السابق.

٧- وقال الشيخ محمد العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الشرك الأصغر: وهو كل عمل قولي أو فعلي أطلق عليه الشرع وصف الشرك، ولكنه لا يخرج عن الملة»[٢].

ويعترض عليه بأنه حصره بما ورد به النص، وعلى هذا لا يدخل فيه ما لم يرد به نصٌ، مما هو من جنس الشرك الأصغر، وبهذا لا يكون التعريف جامعـًا.

٨ - وقال البريكان: «هو تسوية غير الله بالله في هيئة العمل، أو أقوال اللسان، فالشرك في هيئة العمل هو: الرياء، والشرك في أقوال اللسان: هو الألفاظ التي فيها معنى التسوية بين الله وغيره، كقوله ما شاء الله وشئت، وقوله اللهم اغفر لي إن شئت، وقوله عبد الحارث، ونحو ذلك»[٣].

---

(١) الكواشف الجلية ٣٢١، مكتبة الرياض الحديثة، السادسة، ١٣٩٨هـ.

(٢) شرح ثلاثة الأصول، ٤٢، بعناية فهد ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض الثانية، ١٤١٧هـ، وينظر المجموع الثمين، لمحمد العثيمين، ٢/ ٢٧، جمع فهد ناصر السليمان، دار الوطن، الثانية، ١٤١١هـ.

(٣) المدخل لدراسة العقيد الإسلامية، ١٢٦-١٢٧.

فهذا التعريف غير مانع فقد تكون التسوية ببعض الأعمال التي تعد من الشرك الأكبر كالسجود لغير الله، والذبح لغير الله لمن كان معظماً لمن فعل له ذلك[١]، كما أنه لم يشر إلّا إلى القول والعمل، وترك الشرك الأصغر في المقاصد والنيات.

٩ - وجاء في تعريف له في بعض فتاوى اللجنة الدائمة: «هو كل ما نهى عنه الشرع مما هو ذريعة إلى الشرك الأكبر ووسيلة للوقوع فيه، وجاء في النصوص تسميته شركًا»[٢].

وهذا التعريف غير جامع؛ لأنه قصر أنواعه على ما ورد به النص، كما أنَّ الذنوب بريد الشرك والكفر، مما يبين أنَّ التعريف لا يضبط أنواع الشرك الأصغر، والله أعلم.

ولعل تعريف الشرك الأصغر: **بضرب المثال عليه**؛ مما يضبطه ويميزه -وهي من طرق السلف في التعريف- وهو ما فعله ابن القيم رحمه -كما تقدم- فقال: «وأما الشرك الأصغر: فكيسير الرياء، والتصنع للخلق، والحلف بغير الله...»[٣].

---

(١) ينظر: نواقض الإيمان القولية والعملية، د/ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ٢٨٢، دار الوطن، الثانية، ١٤١٥هـ.

(٢) فتاوى اللجنة الدائمة، ١/ ٥١٧، العاصمة الرياض، الأولى، ١٤١١هـ.

(٣) مدارج السالكين،١/ ٣٨٤.

وهو ما فعله غير واحد من أهل العلم[1] رحمهم الله تعالى.

بعد عرض التعريفات السابقة أقترح تعريفًا لا أجزم به، بل هو اختيار مني، عرضة للأخذ والرد قابل للصواب والخطأ، وهو:

«صرف يسير لبعض حقوق الله تعالى لغيره؛ بحيث لا يكون المصروف ممّا يحمل معنى النِّدّية (المماثلة) بين الله تعالى وغيره».

شرح التعريف:

- **صرف يسير لبعض:**

يسير: احترازاً من صرف كل الأعمال، واحترازاً من صرف غالب العمل الواحد[2].

لبعض: احترازاً من بعض الحقوق التي يعتبر مجرد صرفها مماثلة بين الله تعالى وغيره، كالسجود لغيره تعالى وكالذبح لغيره تعالى، فإن صرف هذه الأعمال يعد شركًا أكبر.

- **حقوق الله تعالى لغيره:**

---

(١) وقد عرفه بالمثال عدد من العلماء: ينظر تيسير العزيز الحميد، لسليمان عبد الله آل الشيخ، ٤٥، وفتح المجيد، لعبدالرحمن بن حسن، ١/ ١٨٠، وأعلام السنة المنشورة، للحكمي، ٥١، والإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للشيخ الفوزان، ١٣٤، ونور الهدى وظلمات الضلال، د/ سعيد علي وهف القحطاني، ١٠٣.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، ١/ ٣٨٤، تيسير العزيز الحميد، ٥٣٣، ومعارج القبول، للحكمي، ٢/ ٤٤٢، والقول المفيد، لابن عثيمين، ٢/ ٢٢٧.

سواء كانت متعلقة بألوهية الله، أو ربوبيته، أو أسمائه وصفاته، وسواء كان فعلاً، أو قولاً، أو نيةً.

- **بحيث لا يكون المصروف مما يحمل معنى الندية (المماثلة) بين الله تعالى وغيره:**

لأنه لو اتخذ غير الله تعالى نداً لله، النديةَ التي تحمل معنى التمثيل بين الخالق والمخلوق؛ لأصبح شركـًا أكبر كما سبق بيانه في تعريف الشرك الأكبر.

ولكن يرد السؤال: ما الضابط لهذه الندية؟ ومتى يمكن أن يقال: إن هذا المصروف من الشرك الأكبر أو من الشرك الأصغر؟

والجواب قد سبق القول في بيان معنى الند وأنَّ هذه الكلمة تعني: المثيل، والنظير، والشبيه، ولما كانت أنواع المصروفات كثيرة فمنها ما كان من الأقوال، ومنها ما كان من الأفعال، ومنها ما كان من النيات، وكل هذه المصروفات قد تكون مما له تعلق بالألوهية، أو الربوبية، أو الأسماء والصفات، فإنَّ الندية في كل شيءٍ بحسبه، ومدارها على المقاصد، فالحلف بغير الله يكون شركـًا أكبر إن قصد تعظيم المحلوف، ويكون أصغر إن لم يقصد ذلك بل جرى به لسانه عادةً، كما أنَّ من المصروفات ما لا يحمل إلا معنى الندية التي تقتضي المماثلة بين الخالق والمخلوق، كالسجود لصنم،

والذبح لغير الله، وغيره؛ لهذا كانت الندية في كل شيءٍ بحسبه[١]، لكنها متى ما كانت فيها مماثلة، ومشابهة، لغير الله بالله فإنها من الشرك الأكبر، وإلاَّ فمن الشرك الأصغر.

إذن: عند النظر إلى عمل ما؛ أهو من الشرك الأصغر أم من الشرك الأكبر؟ يُنظر إليه في أمرين؛ هما:

١ – النية والقصد:

لأن من صرف ولو أيسر حق من حقوق الله تعالى لغيره – ولو كان رياءً – لكنه فعله قاصداً مماثلة غير الله سبحانه وتعالى به؛ لأصبح شركـًا أكبر.

٢ – نوع العمل:

فمن الأعمال ما يكون مجرد صرفه شركـًا أكبر، كالذبح لغير الله تعالى، وكالسجود لغيره تعالى؛ لأنها تحمل معانيَ التعظيم التي لا يليق صرفها إلا لله تعالى، وصارفها مماثل لله تعالى بغيره ولو ادعى غير ذلك، والله أعلم.

۞ الفرع الثاني: ما الفرق بين الشرك الأكبر والشرك الأصغر؟

يوجد فروق بين كل من الشرك الأصغر والشرك الأكبر، ذكرها أهل العلم وأوضحوها؛ حتى يتميز حكم كل منهما، وحتى لا يقع الخلط بينهما في الأحكام، فمن تلك الفروق التي ذكرت:

---

(١) لعل هذا السبب هو الذي جعل الكثير من أهل العلم يؤثر تعريفه بالمثال، والله أعلم.

١- أنَّ الشرك الأكبر يخرج صاحبه من الملة، أما الشرك الأصغر فلا يخرج صاحبه من الملة، لكن الواقع فيه: ناقص الإيمان، فاسق بهذا الشرك، وهذا واضح مما سبق في حكميهما.

٢- الشرك الأكبر محبط لجميع الأعمال كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان: ٢٣].

أما الشرك الأصغر فلا يحبط من العمل إلاَّ ما خالطه.

٣- من مات على الشرك الأكبر فإنَّه يخلد في نار جهنم، قال ﷺ: (من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئا دخل النار)(١)، أما المشرك شركاً أصغر فلو دخل النار بهذا الشرك فمصيره إلى الجنة، بما معه من توحيد، قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد يقال: الشرك لا يغفر منه شيء، لا أكبر ولا أصغر على مقتضى عموم القرآن، وإن كان صاحب الشرك الأصغر يموت مسلماً، لكنَّ شركه لا يغفر له، بل يعاقب عليه وإن دخل بعد ذلك الجنة»(٢).

٤- الشرك الأكبر يبيح الدم والمال، بعكس الشرك الأصغر فصاحبه مسلم ناقص الإيمان، فاسق بهذا الشرك.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله، ١/ ٣٧٠، برقم [٩٣].

(٢) تلخيص الاستغاثة، ١/ ٣٠١.

٥- الشرك الأكبر غير مغفور لصاحبه بإجماع الأمة[1]، أما الأصغر فاختلف في حكم صاحبه أهو تحت المشيئة فيكون مغفوراً لصاحبه أم ليس تحت المشيئة فلا يكون مغفوراً لصاحبه، لكن مآل صاحبه إلى الجنة، وإن دخل النار.

٦- الشرك الأكبر يوجب عداوة المؤمنين، ولا يجوز أن يُحَبّ المشركُ شركـًا أكبر، ولا يوالى، ولو كان أقرب قريب، أما المشرك شركـًا أصغر، فلا يمنع شركه هذا من موالاته مطلقـًا، بل صاحبه يحب بقدر ما معه من إيمان ويوالى كذلك، ويبغض ويعادى بقدر ما فيه من عصيان.

٧- الشرك الأكبر الداعي له إما معدوم في نفوس المؤمنين وإما ضعيف؛ ولهذا كان الإلقاء في النار أسهل في قلوبهم من الشرك الأكبر، لما يعرفون من عظمة إثمه، وبغض الله له، وكونه أظلم الظلم ....وغيرها من مفاسده العظيمة.

أما الشرك الأصغر فقد يقع منهم؛ لأنَّ النفوس جبلت على حب الرياسة والمدح والثناء... مما هو موقع في الشرك الأصغر؛ ولهذا خافه رسول الله ﷺ على صحابته، فقال ﷺ: (أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر)[2]،

---

(١) ينظر: الاستذكار، لابن عبد البر، ٢٦/ ١٥٦، ومجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام، ١/ ٨٨، وموسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، لسعدي أبو جيب، ٣/ ٩١٤ و٣/ ١٠٥٥، و٣/ ١١٥٠.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ١٧/ ٥٩، برقم [٢٣٥٢١]، وأخرجه الضراب في ذم =

مما يبين لك عظم البلاء بهذا الشرك، وعظم الداعي له[(١)].

۞ الفرع الثالث: طلب بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يجعل النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ذاتَ أنواط هل يعد من الشرك الأكبر أم يعد من الشرك الأصغر؟

ذهب أهل العلم رحمهم الله تعالى إلى قولين في هذه المسألة، هما:

القول الأول: أنه من الشرك الأصغر وليس من الشرك الأكبر.

وممن قال بهذا القول:

ابن عطية في تفسيره، قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال القاضي أبو محمد والظاهر من مقالة بني إسرائيل لموسى ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، أنهم استحسنوا ما رأوه من آلهة أولئك القوم، فأرادوا أن يكون ذلك في شرع موسى وفي جملة ما يتقرب به إلى الله، وإلا فبعيد أن يقولوا لموسى اجعل لنا صنماً نفرده بالعبادة ونكفر بربك، فعرفهم موسى أن هذا جهل منهم؛ إذ سألوا أمراً

=

الرياء، ١٢٦،برقم (٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، ١/ ١٢٠، برقم[٣٢].

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان آل الشيخ، ١١٨-١١٩، وينظر في الفروق السابقة ما يلي: المدخل لدراسة العقيدة، للبريكان، ١٢٧-١٢٨، والإخلاص والشرك الأصغر، د/ عبد العزيز العبد اللطيف، ٣٤-٣٦، دار الوطن، الأولى، ١٤١٢هـ، ونور الهدى وظلمات الضلال، د/ سعيد علي القحطاني، ١٥٨-١٥٩، وبعض أنواع الشرك الأصغر، د/ عواد المعتق، ١٤.

حرامـًا، فيه الإشراك في العبادة، ومنه يتطرق إلى إفراد الأصنام بالعبادة والكفر بالله عز وجل، وعلى هذا الذي قلت يقع التشابه الذي قصه النبي ﷺ في قول أبي واقد الليثي له في غزوة حنين؛ إذ مروا على دوح سدرة خضراء عظيمة: «اجعل لنا يا رسول الله ذات أنواط كما لهم ذات أنواط»، وكانت ذات أنواط سرحة[١] لبعض المشركين يعلقون بها أسلحتهم، ولها يوم يجتمعون إليها فيه، فأراد أبو واقد وغيره أن يُشرِّع ذلك رسول الله ﷺ في الإسلام؛ فرأى رسول الله ﷺ أنها **ذريعة** إلى عبادة تلك السرحة؛ فأنكره وقال: «الله أكبر قلتم والله كما قالت بنو إسرائيل ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾، لتتبعن سنن من قبلكم»، قال القاضي أبو محمد: ولم يقصد أبو واقد بمقالته فساداً، وقال بعض الناس: كان ذلك من بني إسرائيل كفراً ولفظة الإله تقتضي ذلك وهذا محتمل وما ذكرته أولا أصح عندي والله تعالى أعلم»[٢]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ولما كان للمشركين شجرة يعلقون عليها أسلحتهم، ويسمونها ذات

---

(١) السرح: شجر عظام طوال واحده سرحة، ينظر المعجم الوسيط، ١/ ٤٢٥، والمعجم المفسر، لطارق عوض الله، ٣٠٣.

(٢) المحرر الوجيز، لابن عطية، ٢/ ٥١٤، ٥١٥، وينظر: لباب التأويل في معاني التنزيل، لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن، ٢/ ٢٤٣، والبحر المحيط، لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، ٥/ ١٥٧.

أنواط، فقال بعض الناس: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط، كما لهم ذات أنواط. فقال: «الله أكبر، قلتم كما قال قوم موسى: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾، إنها السنن، لتركبن سنن من كان قبلكم»، فأنكر النبي ﷺ مجرد مشابهتهم للكفار في اتخاذ شجرة يعكفون عليها، معلقين عليها سلاحهم؛ فكيف بما هو أعظم من ذلك من مشابهتهم المشركين، أو هو الشرك بعينه؟

فمن قصد بقعة يرجو الخير بقصدها -ولم تستحب الشريعة ذلك- فهو من المنكرات، وبعضه أشد من بعض، سواء كانت البقعة شجرة أو عين ماء، أو قناة جارية، أو جبلاً، أو مغارة، وسواء قصدها ليصلي عندها، أو ليدعو عندها، أو ليقرأ عندها، أو ليذكر الله سبحانه عندها، أو ليتنسك عندها، بحيث يخص تلك البقعة بنوع من العبادة التي لم يشرع تخصيص تلك البقعة به لا عينًا ولا نوعًا»[1].

وقال الشاطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فَإِنَّ اتِّخَاذَ ذَاتِ أَنْوَاطٍ يُشْبِهُ اتِّخَاذَ الْآلِهَةِ مِنْ دُونِ اللهِ، لا أَنَّهُ هُوَ بِنَفْسِهِ، فَلِذَلِكَ لَا يَلْزَمُ الِاعْتِبَارُ بِالْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَنُصَّ عَلَيْهِ مِثْلُهُ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ»[2].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ثم إن هذا الطلب لم يكن -كما قال محيي السنة البغوي- عن شك منهم بوحدانية الله تعالى، وإنما كان غرضهم إلهًا

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، ٢/ ١٥٧، ١٥٨.

(٢) الاعتصام، ٢/ ٧٥٢، وينظر: مرقاة المفاتيح، ٨/ ٣٤٠٤.

يعظمونه ويتقربون بتعظيمه إلى الله تعالى، وظنوا أن ذلك لا يضر بالديانة، وكان ذلك لشدة جهلهم[1]، كما أذنت به الآيات، وقيل: إن غرضهم عبادة الصنم حقيقة فيكون ذلك ردة منهم، وأيـاً ما كان فالقائل بعضهم لا كلهم، وقد اتفق في هذه الأمة نحو ذلك»[2].

وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقـاً على حديث أبي واقد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «الحادية عشرة: أن الشرك فيه أكبر وأصغر؛ لأنهم لم يرتدوا بهذا»[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وذات أنواط وسيلة إلى الشرك الأكبر، فإذا وضعوا عليها أسلحتهم وتبركوا بها، يتدرج بهم الشيطان إلى عبادتها، وسؤالهم حوائجهم منها مباشرة، فلهذا سد النبي ﷺ الذرائع»[4].

القول الثاني: أنه من الشرك الأكبر وليس من الشرك الأصغر.

وممن قال بهذا القول:

ابن القيم، إذ قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا كان اتخاذ هذه الشجرة لتعليق الأسلحة

---

(١) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل، ٢/ ٢٢٧.

(٢) روح المعاني، للآلوسي، ٥/ ٤١.

(٣) كتاب التوحيد مع شرحه منحة الحميد، ١٧٩.

(٤) القول المفيد، ١/ ٢١٠.

والعكوف حولها اتخاذ إله مع الله تعالى مع أنهم لا يعبدونها ولا يسألونها؛ فما الظن بالعكوف حول القبر والدعاء به ودعائه والدعاء عنده، فأي نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر؟! لو كان أهل الشرك والبدعة يعلمون!»[(١)].

وقال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولم يكن قصدهم أن يعبدوا تلك الشجرة أو يطلبوا منها ما يطلبه القبوريون من أهل القبور، فأخبرهم ﷺ أن ذلك بمنزلة الشرك الصريح وأنه بمنزلة طلب آلهة غير الله تعالى»[(٢)].

وجاء في التعليق على فتح المجيد مما أقره الشيخ ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ليس ما طلبوه من الشرك الأصغر، ولو كان منه لما جعله النبي ﷺ نظير قول بني إسرائيل: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾، وأقسم على ذلك، بل هو من الشرك الأكبر، كما أنّ ما طلبه بنو إسرائيل من الأكبر، وإنما لم يكفروا بطلبهم؛ لأنهم حدثاء عهد بالإسلام[(٣)]»[(٤)].

والذي يظهر لي والله تعالى أعلم:

---

(١) إغاثة اللهفان، ١/ ٢٠٥، وينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، ١/ ٢٢٩.

(٢) الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد للشوكاني، ٩.

(٣) إشارة للرواية «حدثاء عهد بكفر» وهي عند الطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ٢٤٤، برقم [٣٢٩١]، ووردت بلفظ آخر «حديثو عهد بكفر»، خرجها الطيالسي في مسنده، ٢/ ٦٨٢، برقم [١٤٤٣]، وابن أبي عاصم في السنة، ١/ ٣٧، برقم [٧٦]، والمروزي في السنة، ١٧، برقم [٣٩]، والطبراني في المعجم الكبير، ٣/ ٢٤٤، برقم [٣٢٩٣، ٣٢٩٤].

(٤) مما أقرها الشيخ ابن باز على فتح المجيد، ١٦٨، وينظر: المحاورات لطلب الأمر الرشيد، للغنيمان، ١/ ٢٧٨، ونواقض الإسلام الاعتقادية، للوهيبي، ١/ ٢٣٥.

أنّ الصواب هو القول الأول؛ لأنَّ الصحابة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ عربٌ فصحاء ما نطقوا بالشهادتين التي هي مفتاح الدخول في الإسلام إلا وهم يعلمون معناها أنه: لا معبود بحق إلا الله، **ولو كانوا قريبي عهد في الإسلام وحدثاء عهد بكفر**، فكيف سيطلبون عبادتها، أو سيعتقدون استقلالها بالتأثير من دون الله تعالى، ومما يدلُّ على أنهم فهموا معناها قوله تعالى: ﴿ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥]، قال مكي بن أبي طالب القيسي رَحِمَهُٱللَّهُ في تفسيره: «ثم قال تعالى عنهم – أي عن المشركين –: إنهم قالوا: {أَجَعَلَ الآلهة إلها وَاحِداً} أي: أَجَعَلَ محمد المعبود معبوداً واحداً؟! {إِنَّ هذا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}؛ أي: عجيب، قال قتادة: عجب المشركون أن دُعُوا إلى الله وحده وقالوا: يسمع لحاجاتنا جميعـًا إله واحد، ما سمعنا بهذا (في الملة الآخرة)، رُوي أن النبي ﷺ قال للمشركين: **«أسألكم أن تجيبوني إلى واحدة تدين بها لكم العرب، وتعطيكم بها الخرج العجم. فقالو: ما هي!؟ قال: تقولون لا إله إلا الله»**[(١)]، فعند ذلك قالوا: أجعل الآلهة إلها واحداً، تعجبـًا من ذلك»[(٢)].

أيضـًا تقدم التفريق بين التبرك الشركي والتبرك البدعي، **وأن التبرك**

(١) أخرجه أحمد في مسنده، ٣/ ٤٥٨، برقم [٢٠٠٨]، والترمذي،٥/ ٢١٩، برقم [٣٢٣٢]، باب من سورة ص، والنسائي في الكبرى، ٨/ ٩٠، برقم [٨٧١٦]، وأبو يعلى في مسنده، ٤/ ٤٥٥، برقم [٢٥٨٣]، وابن حبان، ١٥/ ٨٠، برقم [٦٦٨٦]، وابن أبي شيبة في مصنفه، ١٤/ ٢٩٩، برقم [٣٧٧١٩]، وضعفه شعيب الأرنؤوط في تعليقه على المسند.

(٢) الهداية إلى بلوغ النهاية، ١٠/ ٦٢٠١-٦٢٠٢.

الشركي ضابطه: اعتقاد استقلال المخلوق بذاته في منح البركة وهبتها، مثل: من يعتقد أن صاحب القبر يهبه الولد أو ينمي ماله أو يزيل مرضه، **فهذا ونحوه من الشرك الأكبر، والتبرك البدعي** ضابطه: أن يلتمس المسلم البركة فيما لم يأذن به الشرع، أو يتجاوز الحد المأذون فيه إلى ما لم يأذن به الشرع، مع اعتقاده أن الله هو من وضع البركة فيه، وبينا أن التبرك البدعي أنواع، فقد يكون من **الشرك الأصغر، كلبس التمائم**؛ لأنه اعتقد ما ليس بسبب سببًا، والتمائم هي: ما علق على المرضى ونحوهم لدفع البلاء أو رفعه[١]، فإن اعتقد أنها سببٌ مع اعتقاده أن النافع والضار هو الله وحده؛ كان فعله من الشرك الأصغر؛ لما رواه الإمام أحمد بسنده عن عقبة بن عامر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أنه قال: قال عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ: «من علق تميمة فقد أشرك»[٢]، وإن اعتقد أنها تنفع بذاتها من دون الله فهذا شرك أكبر[٣].

وقد يكون محرمًا، وهذا أقل أحواله، مثل: التبرك بالأزمان التي لم يرد في الشرع ما يدل على مشروعية التبرك بها، كالليلة التي يقال إنه حصل فيها

---

(١) ينظر: التمهيد، لابن عبدالبر، ١٧/ ١٦٢، والقوانين الفقهية، لابن جزي، ٢٩٥.

(٢) المسند، ٤/ ١٥٦، وينظر: المستدرك، للحاكم، ٤/ ٢١٩، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع برقم [٦٣٩٤].

(٣) ينظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله، ١٦٢-١٧٤، وفتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن،١/ ٢٣٩-٢٥١، والقول المفيد، لابن عثيمين،١/ ١٥٩-١٦٢.

الإسراء والمعراج، ونحوه[١].

كما أنه تقدم التفريق بين الشرك الأكبر والأصغر بأن المرجع فيه النية ونوع العمل، أما النية فكيف نجزم أنهم أرادوا بها التبرك الشركي -الشرك الأكبر- ولا دليل على نيتهم مع أنهم عرب فصحاء يعرفون معنى (لا إله إلا الله) ولو كانوا حدثاء إسلام، مما يبعد عنهم النية التي يقع فيها صاحبها بالشرك الأكبر.

كما أن الواجب في أمرٍ محتمل لنيتين أن نحملها على الأخف من باب إحسان الظن الواجب بالمسلمين، فكيف بصحابة خاتم الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ.

وأما نوع العمل فهو كلبس التمائم، وتقدم أن لبسها على حالين، بحسب نية لابسها، فكذلك ما وقع من بعض الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وقد يقال: فلم قال النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ كما في رواية الترمذي التي تقدم ذكرها أول البحث: «سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، والذي نفسي بيده لتركبن سنة من كان قبلكم»، فالجواب:

(١) ينظر: تيسير العزيز الحميد، للشيخ سليمان بن عبدالله، ١٦٢-١٧٤، وفتح المجيد، للشيخ عبدالرحمن بن حسن،١/ ٢٣٩-٢٥١، القول المفيد، لابن عثيمين،١/ ١٥٩-١٦٢، التبرك أنواعه وأحكامه، د/ ناصر الجديع، ٣٧٤ – ٣٧٧، المختصر في العقيدة، د/ خالد المشيقح، ١٢٩-١٣١، ومتن الخلاصة في العقيدة، د/ خالد المشيقح، ٥٦- ٥٨.

أن هذا من تشبيه القول بالقول وليس من تشبيه الحال بالحال؛ ولذا نبه بعض شراح الحديث على أنه: لا يخفى ما بينهما من التفاوت، فليس حال الصحابة كحال قوم موسى، ويستفاد هذا من التشبيه حيث إن وجه الشبه يكون أقوى في المشبه به(١)، وأيضـًا فالنبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ شبه القول بالقول حتى يحذرهم من وسائل الشرك الأكبر وذرائعه الموصلة إليه، وأنهم لو فعلوا -وحاشاهم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ- لقادهم أو قاد من بعدهم إلى الوقوع في الشرك الأكبر، وفي قوله هذا عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ دليلٌ لقول أهل العلم الذين يقررون أن الشرك الأصغر ذريعة وموصلٌ للشرك الأكبر، والله تعالى أعلم.

وأما قول بعض الصحابة: إنهم (**حديثو عهد بكفر**)، فهذا من تقديم العذر منهم على ما وقع منهم، والإشكال: ما هو الذي وقع منهم: والجواب: هو ما بُيِّن آنفـًا وترجيح القول فيه، قال العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن هذه اللفظة: «معناه: أنه يعتذر عما طلبوا حيث طلبوا...وعلى هذا نقول: إنه ينبغي للإنسان أن يقدم العذر عن قوله أو فعله حتى لا يعرض نفسه إلى القول بما ليس فيه»(٢)، وعلى هذا فليس في هذه الجملة حجة لمن قال إنها تفيد أنهم وقعوا في الشرك الأكبر ؛ فغاية ما تفيد: الاعتذار عن خطأ وقع، ولكن ما هو؟!، هذا ما حاولت إيضاحه آنفـًا، ولله الحمد.

---

(١) ينظر: فيض القدير، للمناوي، ٥/ ٣٣٢، ومرقاة المفاتيح، لعلي بن سلطان القاري، ٨/ ٣٤٠٤، وتحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٦/ ٣٩٩، وفتح المجيد، ٢/ ٢٥٩-٢٦١، والقول المفيد، للعثيمين، ٣/ ٢٠١-٢٠٣.

(٢) القول المفيد، ١/ ٢٠٩.

المسألة الثانية:

ومن المسائل التي تستفاد من الحديث: النهي عن مشابهة الكفار:

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي الحديث النهي عن التشبه بأهل الجاهلية وأهل الكتاب فيما كانوا يفعلونه، إلا ما دل الدليل على أنه من شريعة محمد ﷺ»(١).

ولا شك أن الشارع منع من التشبه بالكفار، فمن النصوص الناهية عن التشبه بالكفار ما رواه أبو داود بسنده عن ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال، قال عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: **«من تشبه بقوم فهو منهم»**(٢).

وعن قَتَادَةَ، أَنَّ عُمَرَ بن الْخَطَّابِ رَأَى رَجُلًا قَدْ حَلَقَ قَفَاهُ، وَلَبِسَ حَرِيرًا، فَقَالَ: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»(٣)، فالنصوص الصحيحة الصريحة، والآثار عن السلف الصالح رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ بينة وظاهرة في المنع من التشبه بالكفار.

---

(١) فتح المجيد، ١/ ٢٦٣.

(٢) السنن، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ٤/ ٤٤، برقم [٤٠٣١] وممن أخرجه: ابن أبي شيبة في مصنفه، ١٢/ ٣٥١، برقم [٣٣٦٨٧]، وأحمد في مسنده، ٩/ ١٢٦، برقم [٥١١٥]، والبزار في مسنده، ٧/ ٣٦٨، برقم [٢٩٦٦]، والطبراني في الأوسط، ٨/ ١٧٩، برقم [٨٣٢٧]، والبيهقي في شعبه، ٢/ ٧٥، برقم [١١٩٩] وصححه الألباني في إرواء الغليل، ٥/ ١٠٩، برقم [١٢٦٩]

(٣) الجامع، لمعمر بن راشد، ١١/ ٤٥٣، برقم [٢٠٩٨٦]

❐ المسألة الثالثة:

إنَّ مشابهة الكفار ستقع في هذه الأمة:

دلَّ الحديث أن المشابهة ستقع في هذه الأمة للكفار، ولكن هل المراد الموافقة في المعاصي أو في الكفر، أو فيهما معـًا؟

قال المباركفوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال النووي: المراد الموافقة في المعاصي والمخالفات لا في الكفر، وفي هذا معجزة ظاهرة لرسول الله ﷺ؛ فقد وقع ما أخبر به ﷺ. انتهى»[(١)].

والصحيح أن المراد فيهما معـًا، قال الشيخ سليمان بن عبد الله: «وفيه أن الشرك لا بد أن يقع في هذه الأمة كما وقع فيمن قبلها، ففيه رد على من قال إن الشرك لا يقع في هذه الأمة»[(٢)].

والواقع يشهد لصحة ترجيح الشيخ سليمان بن عبدالله رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد وُجد قديمـًا وحديثـًا من وقع في الشرك بالله والكفر بالله تقليداً للكفار؛ بل هناك من وقع في الإلحاد والعياذ بالله وسار بسير الكفرة الملاحدة في إنكار وجود الله تعالى.

---

(١) تحفة الأحوذي، ٦/ ٣٤٠.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ١٨٥.

▢ المسألة الرابعة:

إنَّ العبرة بالمعاني لا بالأسماء:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفيها أن الاعتبار في الأحكام بالمعاني لا بالأسماء، ولهذا جعل النبي ﷺ طلبتهم كطلبة بني إسرائيل، ولم يلتفت إلى كونهم سموها ذات أنواط، فالمشرك وإن سمى شركه ما سماه كمن يسمي دعاء الأموات، والذبح لهم والنذر ونحو ذلك: تعظيماً ومحبة؛ فإن ذلك هو الشرك»(١).

ومما يدل على هذه القاعدة العظيمة ما رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي مالك الأشعري أَنَّهُ: سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا»، وَالَّذِي حَدَّثَنِي أَصْدَقُ مِنِّي وَمِنْكَ، وَالَّذِي حَدَّثَ بِهِ أَصْدَقُ مِنْهُ وَمِنِّي وَمِنْكَ. فَقَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَقَدْ سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّدَهُ عَلَيْهِ ثَلَاثًا فَقَالَ الضَّحَّاكُ: أُفٍّ لَهُ مِنْ شَرَابِ آخِرِ الدَّهْرِ»(٢).

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ١٨٤-، ١٨٥، وينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان، ١/ ١٦٢.

(٢) المسند، ٣٧/ ٥٣٤، برقم [٢٢٩٠٠]، وممن أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الأشربة، بَابٌ فِي الدَّاذِيِّ، ٣/ ٣٢٩، برقم [٣٦٨٨]، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، ٢/ ٩٥٩، برقم [٥٤٥٣].

❐ المسألة الخامسة:

في الحديث وجوب سد ذرائع الشرك:

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذات أنواط وسيلة إلى الشرك الأكبر فإذا وضعوا عليها أسلحتهم وتبركوا بها، يتدرج بهم الشيطان إلى عبادتها، وسؤالهم حوائجهم منها مباشرة، فلهذا سد النبي ﷺ الذرائع»(١).

❐ المسألة السادسة:

الحديث دليل على مشروعية سد الذرائع المفضية إلى أمر محرم:

إن قاعدة سد الذرائع إحدى أرباع التكليف، قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وباب سد الذرائع أحد أرباع التكليف، فإنه أمر ونهي، والأمر نوعان؛ أحدهما: مقصود لنفسه، والثاني: وسيلة إلى المقصود، والنهي نوعان؛ أحدهما: ما يكون المنهي مفسدة في نفسه، والثاني: ما يكون وسيلة إلى المفسدة، فسار سد الذرائع المفضية إلى الحرام أحد أرباع الدين»(٢).

وإذا كان كذلك ففيه جواز قطع مثل هذه الأشجار ونحوها مما يتعلق به العوام سداً لذريعة الشرك، وقد قطع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الشجرة التي بايع الصحابة رسول الله ﷺ تحتها لما بلغه أن الناس يتناولونها، فمن باب أولى ما عداها من الأنصاب التي عظمت الفتنة بها واشتدت البلوى

---

(١) القول المفيد، ١/ ٢١٠.

(٢) إعلام الموقعين، ٣/ ٢٠٨.

بسببها[١].

قال الآلوسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا زالت الصحابة تسد ذرائع التوسل الذي ادعاه المجوزون، كما فعل عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من قطع الشجرة التي بويع تحتها رسول الله ﷺ»[٢].

المسألة السابعة:

إن الجهل قد يكون عذراً:

فلم يُؤثمهم رسول الله ﷺ بطلبهم، والمسألة من المسائل الدقيقة التي ألفت فيها رسائل علمية لا تخفى على طلبة العلم، لكن أشير إلى بعض أقوال أهل العلم فيها، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي هذا الحديث[٣] دليل على أن الإثم مرفوع عمن لم يعلم، قال الله عز وجل: (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً) [الإسراء: ١] ومن أمكنه التعلم ولم يتعلم أثم والله أعلم»[٤]،

---

(١) روى القصة ابن سعد في طبقاته، ٢/ ١٠٠، وابن أبي شيبة في مصنفه، ٢/ ٣٧٥، وابن وضاح في البدع والنهي عنها، ٩١، وصححها الشيخ شمس الدين الأفغاني، ينظر عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، ٣/ ٢٦١-٢٦٢، وقال الحافظ عنها في الفتح: (عند ابن سعد بإسناد صحيح عن نافع أنَّ ابن عمر بلغه...).

(٢) جلاء العينين، ٤٥٩.

(٣) يقصد حديث الرجل الذي أهدى راوية الخمر إلى رسول الله ﷺ، أخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب تحريم بيع الخمر، برقم [١٥٧٩].

(٤) التمهيد، ٤/ ١٤٠.

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لكن من الناس من يكون جاهلاً ببعض هذه الأحكام جهلاً يعذر به، فلا يحكم بكفر أحد حتى تقوم عليه حجة من جهة بلاغ الرسالة... ولهذا لو أسلم رجل ولم يعلم أن الصلاة واجبة عليه أو لم يعلم أن الخمر يحرم لم يكفر بعدم اعتقاد إيجاب هذا وتحريم هذا، بل ولم يعاقب حتى تبلغه الحجة النبوية»(١)، والعذر بالجهل ليس مقبولاً لكل من ادعاه، يقول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«إن من العلم ما لا يسع بالغـًا غير مغلوب على عقله جهله، مثل: الصلوات الخمس...، وما كان في معنى هذا»(٢).

ويقول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن الأمكنة والأزمنة التي تفتر فيها النبوة لا يكون حكم من خفيت عليه آثار النبوة حتى أنكر ما جاءت به خطأً كما يكون حكمه في الأمكنة والأزمنة التي ظهرت فيها آثار النبوة»(٣)

❑ المسألة الثامنة:

وجوب إنكار المنكر، فقد أنكر ﷺ على صحابته طلبهم.

والنصوص الحاثة على إنكار المنكر كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ

---

(١) مجموع الفتاوى، ١١/ ٤٠٦.

(٢) الرسالة، ٣٥٧.

(٣) بغية المرتاد، ٣١١.

ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾ [الحج: ٤١].

ومن الأحاديث ما رواه الإمام مسلم رَحِمَهُ ٱللَّهُ بسنده عن أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّهُ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ، فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَى»(١).

ومن كلام الأئمة في وجوب إنكار المنكر أن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ سُئِلَ: الْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجِبٌ، عَلَى الْمُسْلِمِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنْ خَشِيَ؟ قال: «هُوَ وَاجِبٌ عَلَيْهِ حَتَّى يَخَافَ، فَإِذَا خَشِيَ عَلَى نَفْسِهِ فَلَا يَفْعَلُ»(٢).

❑ المسألة التاسعة:

أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وأما تأخيره من غير حاجة فالصحيح جوازه(٣)، قال المرداوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قَوْله: (لَا يُؤَخر الْبَيَان عَن وَقت الْحَاجة إِلَّا على تَكْلِيف الْمحَال)، فَمن أَجَاز تَكْلِيف الْمحَال أجَاز

(١) الصحيح، كتاب الصلاة، باب فضل صلاة الصبح، ١/ ٤٩٨، برقم [٧٢٠].
(٢) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأبي بكر الخَلَّال، ١/ ١٦.
(٣) ينظر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د/ محمد الأشقر، ١/ ٨٩-٩٠.

تَأْخِير الْبَيَان عَن وَقت الْحَاجة، وَمن مَنعه مَنعه.

وَصورته: أَن يَقُول: صلوا غَداً، ثمَّ لَا يبين لَهُم فِي غَد كَيفَ يصلونَ، أَو آتوا الزَّكَاة عِنْد رَأس الْحول، ثمَّ لَا يبين لَهُم عِنْد رَأس الْحول كم يؤدون، وَلَا لمن يؤدون، وَنَحْو ذَلِك؛ لِأَنَّهُ تَكْلِيف مَا لَا يُطَاق، والتفريع على امْتِنَاعه، هَذَا هُوَ الرَّاجِح عِنْد الْعلمَاء خلافًا للمعتزلة؛ لِأَن الْعلَّة فِي عدم وُقُوع التَّأْخِير عَن وَقت الْعَمَل أَن الْإِتْيَان بالشَّيْء مَعَ عدم الْعلم بِهِ مُمْتَنع، فالتكليف بذلك تَكْلِيف بِمَا لَا يُطَاق، وَلِهَذَا قَالَ أَبُو الْمَعَالِي: إِن منعنَا التَّكْلِيف بِمَا لَا يُطَاق فَلَا يجوز تَأْخِير الْبَيَان عَن وَقت الْحَاجة، وَإِلَّا جَازَ، وَلَكِن لم يَقع. انْتهى.»[١]

قال د/ عبدالكريم النملة: «لقد اتفق العلماء على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة إلى تنفيذ العمل - وهو وقت وجوب العمل بالخطاب -؛ لدليلين:

الدليل الأول: أن تأخير البيان عن وقت الحاجة يعتبر تكليفـاً بما لا يطاق وهو: لا يجوز؛ حيث لا قدرة للمكلف -حينئذ- على الامتثال.

الدليل الثاني: أن وقت الحاجة وقت للأداء، فإذا لم يكن مبيّنـاً تعذر الأداء، فالبيان - إذن - ضرورة من الضروريات التي لا بد منها.

مثل ما لو قال: «حجوا هذا العام»، ثم إذا جاء وقت الحج لم يبين لهم

---

(١) التحبير شرح التحرير في أصول الفقه، لعلاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان المرداوي الدمشقي الصالحي الحنبلي (المتوفى: ٨٨٥هـ)،٦/ ٢٨١٩،٢٨١٨.

كيفية الحج وطريقته.

وقد حكى إجماع العلماء على عدم الجواز -هنا- كثير من العلماء كابن السمعاني، والباجي، والغزالي، والسمرقندي، وابن قدامة، وغيرهم.

تنبيه: يلزم على مذهب القائلين بجواز تكليف ما لا يطاق أن يقولوا -هنا -: جواز تأخير البيان عن وقت الحاجة؛ لأن هذه المسألة فرد من أفراد جواز تكليف ما لا يطاق، فهنا وقع الخلاف، ولكنه يصرف إلى الجواز العقلي، أما الوقوع فقد اتفق العلماء على عدمه»[١].

ولا شك أن ما يتعلق بأمور العقيدة من أهم المهمات، ولذا حذر النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ صحابته مما قالوه وطلبوه وبين لهم عظيم خطره، ولم يؤخر البيان عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ في هذا الأمر العظيم؛ فدل على أهمية جانب التوحيد والعقيدة وعِظَمِ أمرهما، كما أن هذا يبين مدى بُعدِ بعضِ الجماعات والأحزاب عن هدي المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ؛ فيهملون جانب التوحيد ويجعلونه أمراً ثانويـاً في دعوتهم، مقدمين السياسة والدعوة إلى الاتفاق وترك الخلاف على الدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك، وكل خيرٍ في اتباع هدي المصطفى عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحابته الذين ساروا بسيره رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، وسلف الأمة الأخيار الذين اتبعوا هدي الرسول عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وصحبه في الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك وأهله أولاً.

---

(١) المهذب في أصول الفقه، ٣/ ١٢٦٤.

وإذا تأملنا السنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام نجد أن الرسول ﷺ كان يدعو الناس أولاً إلى إفراد الله تعالى بالعبادة وحده، ومن ذلك:

١-أخرج الإمام مسلم بسنده عن أبي أمامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال عمرو بن عبسة السلمي: كنت وأنا في الجاهلية أظن أنَّ الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل في مكة يخبر أخباراً، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيـًا، جرآء[1] عليه قومه، فتلطفت حتى دخلت عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «**أنا نبي**» فقلت وما نبي؟، قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟ قال: «**أرسلني الله بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحد الله ولا يشرك به شيئا**»[2].

٢-روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قصة هرقل مع أبي سفيان، وفيها أن هرقل قال لأبي سفيان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ماذا يأمركم؟ قلت: يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئـًا، واتركوا ما يقول آباؤكم،

---

(١) من الجراءة وهي: الإقدام والتسلط، ينظر: حاشية محمد فؤاد عبدالباقي على الصحيح، ١/ ٥٦٩.

(٢) الصحيح، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة، ١/ ٥٦٩، برقم[٨٣٢]، وينظر: صحيح ابن خزيمة، ١/ ٨٥، برقم[١٦٥]، ومسند أحمد ٤/ ١١١، ١١٢.

ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف، والصلة» الحديث[١].

فكلُّ هذه النصوص -وغيرها كثير- فيها بيانٌ وتأكيدٌ على ضرورة الدعوة إلى التوحيد أولاً، وأن الدعوة إليه يجب ألا تُؤخرُ؛ لعظيم أمره، فهو الغاية التي من أجلها خلق الخلق كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

◻ المسألة العاشرة:

في الحديث بيان شفقة رسول الله ﷺ على أمته، ورحمته بهم، وتحذيره لهم من كل وسائل الشرك وحبائله الموقعة به.

قال سبحانه وتعالى في وصف نبيه عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال مكي بن أبي طالب القيسي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية الكريمة:

«﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾.

أي: ما عنتكم، أي: ما أدخل عليكم المشقة.

وأصل «العنت»: الهلاك.

---

(١) الصحيح، كتاب بدء الوحي، باب رقم/ ٦، ١/ ٤٦، برقم[٧]، وأخرجه في عدة مواطن أخر وأرقامها: «٥١، ٢٦٨١، ٢٨٠٤، ٢٩٤١، ٢٩٧٨، ٣١٧٤، ٤٥٥٢..».

وقيل معنى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾، أي: عزيز عليه أن تدخلوا النار، ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾، أن تدخلوا الجنة.

وقيل معنى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾، أي: حريص على هدى ضُلاَّلِكُم وتوبتهم.

وقال قتادة: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ﴾ أي: عزيز عليه عَنَت مؤمنيكم.

وقال ابن عباس ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾: ما ضللتم.

وقال قتادة: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾، أي: حريص على هُدَى ضُلاَّلِكُم.

وهذا مخاطبة لأهل مكة»(١).

❑ المسألة الحادية عشرة:

وفي الحديث عِظَمُ متابعة الصحابة رضوان الله عليهم لرسول الله ﷺ وأنهم استجابوا لنهيه فانتهوا. ولهذا شهد لهم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بالخيرية؛ فقد قال عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فيما رواه البخاري رحمه الله تعالى بسنده عن عبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، ٤/ ٣٢٠٢،٣٢٠١.

«خير الناس قرنِي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

المسألة الثانية عشرة:

دلَّ الحديث على أن العبادات توقيفية، فلم يُقْدِم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ على الفعل حتى رجعوا للمصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ ليأخذوا الحكم منه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفيه أيضاً أن الاتباع والانقياد للنصوص مما يعصم الأمة من البدع والشرك بنوعيه، فعند رجوع الصحابة للمصطفى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بيّن لهم حكم ما طلبوه، كذلك نحن مأمورون بالعودة لكتاب الله الذي تكفل ربنا سبحانه بحفظه، وبالعودة لسنة رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بعد وفاته، بفهم سلف الأمة؛ حتى نحذر الشرك وأسبابه والبدع ومضلاتها[٢]، ولذا حث السلف على اتباع الأثر لينجو العبد، قال ابن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا يقولون: ما دام على الأثر؛ فهو على الطريق»[٣].

---

(١) الصحيح، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ، ٧/ ٦، برقم (٣٦٥١).

(٢) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان، ١/ ١٦٠.

(٣) ذم الكلام وأهله، للهروي، ٢/ ٢٦٦، برقم [٣٣٨].

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، أحمده على نعمه وإحسانه، فله الفضل في إنجاز هذا البحث، وفي نعمه الجزيلة علينا، والصلاة والسلام على رسوله الأمين.

وبعد، ففي خاتمة هذا البحث أسجل أهم نتائجه تاركًا تفاصيل مباحثه في متنه، وذلك على النحو التالي:

١- أنَّ الحديثَ صحيحٌ.

٢- أنَّ التبرك بالأشجار ونحوها مما لا يجوز، وأنه منهيٌّ عنه، وهو من المشابهة لأهل الكتاب المنهيِّ عنها، ومن المشابهة للمشركين.

٣- أنّ البركة من الله سبحانه وتعالى.

٤- أنّ الشرك ينقسم إلى شرك أكبر وشرك أصغر، كلاهما بُيِّن، وذُكر ضابط الشرك الأصغر، وذكرت الفروق بينهما.

٥- ينقسم التبرك إلى قسمين، تبركٌ مشروعٌ، **وضابطه**: أن يلتمس المسلم البركة فيما أذن له الشرع بالتماس البركة فيه، وفي حدود المأذون فيه، وتبركٌ ممنوعٌ، **وضابطه**: أن يلتمس المسلم البركة فيما لم يأذن به الشرع، أو يتجاوز الحد المأذون فيه إلى ما لم يأذن به الشرع، وينقسم التبرك الممنوع إلى قسمين، هما: أ - تبرك شركي **وضابطه**: اعتقاد استقلال المخلوق بذاته في منح البركة وهبتها، وتبرك بدعي **وضابطه**: أن يلتمس المسلم البركة فيما لم يأذن به الشرع، أو يتجاوز الحد المأذون فيه إلى ما لم

يأذن به الشرع، مع اعتقاده أن الله هو من وضع البركة فيه.

٦- ما طلبه بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من النبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ترجح أنه من الشرك الأصغر، وبُيّن سبب الترجيح.

٧- تبين حرمة التشبه بالكفار، وأن مشابهة الكفار ستقع في هذه الأمة، في المعاصي وفيما هو كفرٌ على الصحيح.

٨- تبين من الحديث أنَّ من القواعد التي يعمل بها في الشريعة الإسلامية سد الذرائع، وتبين من الحديث وجوب سد ذرائع الشرك، وهو أمرٌ واجبٌ دلت النصوص عليه، ومنها الحديث الذي تمت دراسته.

٩- وتبين من الحديث حرص النبي ﷺ على أمته، وشفقته بهم، وتحذيره لهم من كل المضلات والفتن.

١٠- وتبين من الحديث امتثال الصحابة لأمر رسول الله ﷺ، وأنهم يقدمون العلم قبل العمل؛ وبهذا اجتنبوا الوقوع في البدع والمحدثات.

١١- وتبين من الحديث وجوب إنكار المنكر.

١٢- وتبين من الحديث أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة، وأنَّ الدعوة إلى التوحيد ونبذ الشرك لا يجوز تأخيره؛ بحجج المصالح والسياسة ونحوها مما يردده من لم يسر على منهاج النبوة وخير القرون في الدعوة إلى الله تعالى.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه وسلم.

أبو واقد الليثي
↓
سنان بن أبي سنان
↓
الزهري

- سفيان بن عيينة
  - سعد بن عبدالرحمن المخزومي (ت)
  - عبيدالله بن سعيد ..... المروزي ص/ ٦٤ رقم (٤١) مثل الحميدي
  - الحميدي ٢/ ٣٧٥ بمثل لفظ الترمذي إلا أن فيه "الله أكبر" وعنه طب في الكبير بمثله (٣٢٩٢)
  - أبو بكر بن أبي شيبة
    - أبو يعلى ٣/ ٣٠ بدون جملة "كما لهم ذات أنواط" وفيه "حين أتى خيبر" وهي شاذة والمحفوظ أنه أتى حنينًا
- يونس ..... ابن حبان ١٥/ ٩٤ برقم (٦٧٠٢) بنحو لفظ الحميدي
- مالك
  - القعنبي بمثل لفظ الحميدي طب في الكبير ٣/ ٢٤٤ برقم (٣٢٩١)
  - جويرية دون لفظ "كما لهم.." وزيادة "إنها السنن" "حديثو عهد بكفر" المروزي السنة/ ٦٣
- إبراهيم بن سعد
  - يعقوب ابن حميد
    - ابن أبي عاصم ١/ ٨٢-٨٣ ١/ ٣٧ رقم (٧٦) بزيادة حديثو عهد بكفر
  - أبو داود الطيالسي ص/ ١٩٧ بمثل لفظ الترمذي إلا أن فيه "الله أكبر" وفيه زيادة "حديثو عهد بكفر"
  - يحيى الحماني ..... طب في الكبير برقم (٣٢٩٤) بنحو لفظ أبي يعلى إلا أن فيه حين أتى حنينًا وزيادة "حديثو.."
- ابن إسحاق ..... طب في الكبير برقم (٣٢٩٣) وفيه "حديثو عهد بجاهلية"
- عقيل بن خالد
  - الليث
    - أبو صالح ..... ابن جرير ١٠/ ٤١١ والمروزي ٦٤ برقم (٤١)
    - حجاج
      - (حم) ٣٦/ ٢٢٥ بدون جملة التعجب وبدون جملة "كما لهم ذات أنواط"
- معمر بن راشد
  - عبدالرزاق ١١/ ٣٦٩ بنحو الترمذي بلفظ "الله أكبر" وعنه:
    ١- الطبراني في الكبير برقم (٣٢٩٠)
    ٢- والنسائي في الكبرى ٦/ ٣٤٦ برقم (١١١٨٥)
    ٣- وابن جرير ١٠/ ٤١٠
    ٤- والمروزي في السنة ٦٢ برقم (٣٩)
  - محمد بن ثور ..... ابن جرير ١٠/ ٤١٠

مشجرة حديث «ذات أنواط»

فهرس أهم المصادر والمراجع

١- الإخلاص حقيقته ونواقضه، لعبدالله بن عيسى الأحمدي، مكتبة النصيحة، المدينة النبوية، الأولى،١٤٣٤هـ.

٢- الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر، تحقيق عادل البجاوي وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.

٣- الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد، للفوزان، دار ابن خزيمة، الثانية، ١٤١٧هـ.

٤- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، د/ صالح الفوزان، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤٢٢هـ.

٥- إعلام الموقعين، لابن القيم، تحقيق / عبدالرحمن الوكيل، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٦- أعلام السنة المنشورة، للحكمي، تحقيق أحمد المدخلي، الرشد، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

٧- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، العاشرة، ١٩٩٢م.

٨- إغاثة اللهفان، لابن القيم، تحقيق محمد عفيفي، المكتب الإسلامي، بيروت.

٩- أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام الشرعية، د/ محمد سليمان الأشقر، الرسالة، بيروت، السادسة، ١٤٢٤هـ.

١٠- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام، تحقيق د/ العقل، توزيع وزارة الشئون الإسلامية، السعودية، السابعة، ١٤١٩هـ.

١١- البداية والنهاية، لابن كثير، تحقيق مجموعة، دار الكتب العلمية،

بيروت.

١٢- بغية المرتاد، لشيخ الإسلام، تحقيق الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة.

١٣- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق/ إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٤- التبرك أنواعه وأحكامه، د/ ناصر الجديع، الرشد، الرياض، الثالثة، ١٤١٥هـ.

١٥- تحفة الطالب والجليس، عبداللطيف آل الشيخ، تحقيق/ عبد السلام برجس آل عبد الكريم، دار العاصمة، الرياض، الثانية، ١٤١٠هـ

١٦- تحفة الأحوذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٧- تعظيم قدر الصلاة، للمروزي، تحقيق الفريوائي، الدار، المدينة المنورة، الأولى، ١٤٠٦هـ.

١٨- تطهير الاعتقاد، للصنعاني، تعليق علي سنان، دار الكتاب الإسلامي، المدينة، ١٤١٠هـ.

١٩- التعليق المفيد على كتاب التوحيد، لابن باز، مكتبة إحياء التراث، مكة.

٢٠- تفسير ابن جرير (جامع البيان)، تحقيق عبدالمحسن التركي، دار هجر، مصر، الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢١- تفسير غريب ما في الصحيحين، للحميدي، تحقيق د. زبيدة محمد، مكتبة السنة، القاهرة، الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢- تقريب التهذيب، لابن حجر، تحقيق أبو الأشبال، دار العاصمة،

الأولى، ١٤١٦هـ.

٢٣- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح آل الشيخ، دار التوحيد، الرياض، الأولى، ١٤٢٣هـ.

٢٤- التمهيد، لابن عبد البر، حققه جماعة من الباحثين، طبع في المغرب، ١٤١٠هـ

٢٥- تهذيب الكمال، للمزي، تحقيق أحمد عبيد وآخرون، المكتبة التجارية لمصطفى الباز، ١٤١٤هـ.

٢٦- تهذيب اللغة، للأزهري، تحقيق عبدالسلام هارون، الدار المصرية للتأليف.

٢٧- تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبدالله آل الشيخ، المكتب الإسلامي، بيروت، السادسة، ١٤٠٥هـ.

٢٨- تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، تحقيق اللويحق، الرسالة، بيروت، الأولى، ١٤٢١هـ.

٢٩- جامع الأصول في أحاديث الرسول، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق/ عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني، الأولى.

٣٠- الجامع لأخلاق الراوي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغدادي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض.

٣١- جلاء العينين في محاكمة الأحمدين، لنعمان الآلوسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢- حكم الله الواحد الصمد في حكم الطالب من الميت المدد، للمعصومي، ضمن المجموع المفيد في نقض القبورية ونصرة التوحيد، دار أطلس، الرياض، الأولى، ١٤١٨هـ.

٣٣- الحوادث والبدع، للطرطوشي، تحقيق على حسن، دار ابن الجوزي، الدمام، الثالثة، ١٤١٩هـ.

٣٤- ذم الكلام وأهله، لأبي إسماعيل عبدالله بن محمد الهروي، تحقيق/ عبدالله بن محمد الأنصاري، مكتبة الغرباء، المدينة النبوية، الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٥- الرسالة، للشافعي، تحقيق أحمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٦- رسالة التوحيد، للدهلوي، ترجمة الندوي، المكتبة اليحيوية، الهند، ١٣٩٤هـ.

٣٧- الزاهر في غريب ألفاظ الشافعي، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق د/ عبدالمنعم طوعي بشناتي، دارالبشائر الإسلامية، بيروت، الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٨- سنن الترمذي، تحقيق د/ بشار عواد، دار الجيل، بيروت، الثانية، ١٩٩٨م. وأيضاً تحقيق مشهور سلمان طبع المعارف.

٣٩- السنن الكبرى، للنسائي تحقيق د/ عبدالغفار البنداري وآخر، دار الكتب العلمية، بيروت، الأولى، ١٤١١هـ.

٤٠- السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الثالثة، ١٤١٣هـ.

٤١- السنة، لمحمد بن نصر المروزي، تحقيق د/ عبدالله البصيري، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤٢٢هـ.

٤٢- سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق د. بشار عواد معروف، الرسالة، بيروت.

٤٣- شرح ثلاثة الأصول، للعثيمين، بعناية فهد ناصر السليمان، دار الثريا للنشر، الرياض الثانية، ١٤١٧هـ.

٤٤- شرح تسهيل العقيدة الإسلامية، د/ عبدالله الجبرين، الرشد، الرياض، الخامسة، ١٤٣٣هـ.

٤٥- صحيح ابن حبان، تحقيق شعيب الأرنؤوط، الرسالة، بيروت، الثالثة، ١٤١٩هـ.

٤٦- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دار صادر، بيروت.

٤٧- عداء الماتريدية للعقيدة السلفية، للشمس السلفي الأفغاني، الثانية، ١٤١٩هـ.

٤٨- رفع الاشتباه عن معنى العبادة والإله، لعبدالرحمن بن يحي المعلمي، تحقيق/ عثمان بن معلم، دار عالم الفوائد، مكة، الأولى،١٤٣٤هـ.

٤٩- كتاب العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، تحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

٥٠- غريب الحديث، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق/ د. عبد الله الجبوري، مطبعة العاني، بغداد، الأولى، ١٣٩٧.

٥١- فتاوى اللجنة الدائمة، العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١١هـ.

٥٢- فتح المجيد، لعبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، تحقيق د/ الوليد آل

فريان، دار الصميعي، الرياض، الثانية، ١٤١٧هـ.

٥٣- القاموس المحيط، للفيروز أبادي، مكتبة مصطفى الحلبي، مصر، الثانية، ١٣٧١هـ.

٥٤- القول المفيد، لابن عثيمين، د/ أبا الخيل ود/ المشيقح، دار العاصمة، الرياض، الأولى، ١٤١٥هـ.

٥٥- القول السديد في مقاصد التوحيد، للسعدي، طبع الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة.

٥٦- الكليات، لأبي البقاء، تحقيق الدرويش وآخر، الرسالة، بيروت، الثانية، ١٤١٣هـ.

٥٧- الكواشف الجلية، للسلمان، مكتبة الرياض الحديثة، السادسة، ١٣٩٨هـ.

٥٨- لسان العرب، لابن منظور، ترتيب الخياط، دار لسان العرب، بيروت، لبنان.

٥٩- ما جاء في البدع، لابن وضاح، تحقيق بدر البدر، دار الصميعي، الرياض، الأولى، ١٤١٦هـ.

٦٠- المجموع الثمين، لمحمد العثيمين، ٢/ ٢٧، جمع فهد ناصر السليمان، دار الوطن، الثانية، ١٤١١هـ.

٦١- مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع ابن قاسم، الرئاسة العامة لشئون الحرمين.

٦٢- المحاورات لطلب الأمر الرشيد، لعبدالله محمد الغنيمان، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤٣٣هـ.

٦٣- مدارج السالكين، لابن القيم، تحقيق أحمد فخري وآخر، دار الجيل، بيروت.

٦٤- المدخل لدراسة العقيد الإسلامية، للبريكان، دار السنة، الخبر، الثالثة، ١٤١هـ.

٦٥- المسند لأبي داود الطيالسي، تحقيق د/ عبدالله التركي، دار هجر، مصر، الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٦- مسند أبي يعلى الموصلي، تحقيق حسين سليم، دار المأمون، دمشق، الأولى، ١٤٠٤هـ.

٦٧- مسند الإمام أحمد، تحقيق حمزة الزين، دار الحديث، القاهرة، الأولى، ١٤١٦هـ، وأخرى طبع الرسالة.

٦٨- مسند الحميدي، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٦٩- مصباح الظلام، لعبد اللطيف آل الشيخ، دار الهداية، الرياض.

٧٠- المصنف، لابن أبي شيبة، تحقيق عبدالخالق الأفغاني، الدار السلفية، بومباي، الهند، الثانية، ١٣٩٩هـ.

٧١- المصنف لعبدالرزاق، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي، بيروت، الثانية، ١٤٠٣هـ.

٧٢- معارج القبول، للحكمي، تحقيق عمر أبو عمر، دار ابن القيم، الدمام، الأولى، ١٤١٨هـ.

٧٣- معجم المقاييس في اللغة، لأحمد بن فارس (ت/ ٣٩٥هـ)، دار الفكر، بيروت، الأولى، ١٤١٥هـ.

٧٤- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الثانية، ١٤٠٤هـ.

٧٥- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، دار القلم، دمشق، الثانية، ١٤١٨هـ.

٧٦- منحة الحميد في تقريب كتاب التوحيد، د/ خالد الدبيخي، دار ابن الجوزي، الدمام، الأولى، ١٤٣٣هـ.

٧٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م

٧٨- نور الهدى وظلمات الضلال، د/ سعيد علي وهف القحطاني، الأولى، ١٤٢٠هـ.

٧٩- نواقض الإيمان القولية والعملية، د/ عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، ٢٨٢، دار الوطن، الثانية، ١٤١٥هـ.

٨٠- نواقض الإيمان الاعتقادية، د/ محمد عبدالله الوهيبي، دار المسلم، الرياض، الأولى، ١٤١٦هـ.

فهرس الموضوعات




قولهُ ﷺ: «والشَّرُّ ليس إِلَيك»

دراسةٌ عقديةٌ تأصيليةٌ

أ. د. أحمد بن عبد الله بن جمعان

آل سرور الغامدي

أكاديمي سعودي، أستاذ الدراسات العليا بجامعة

الملك عبد العزيز، كلية الآداب

ملخصُ البحث

الحمدُ لله الذي جعل الظلماتِ والنور، ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، الحمدُ للهِ الذي إذا أراد شيئـًا فإنما يقولُ لهُ كن فيكون، والصلاة والسلام على نبينا محمد بن عبدالله خير خلق الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى من سار على نهجهم، واقتفى آثارهم.

أما بعد، فإن من أصول الإيمان: أن نؤمن بالقدر كله خيره وشره، وأنه ما من شيء واقع إلا بعلم الله تعالى وإرادته ومشيئته، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه خلق كل شيء فقدره تقديراً، هذا ما جاءت به النصوص الشرعية، ودلت عليه الفطرة والبراهين العقلية، وآمن به سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن تبعهم من العلماء والأئمة، وخالف في هذا من انحرفت فطرته فضلّ وجاء منكراً من القول وزوراً، واعتقد أن مع الله تعالى خالقـًا آخرَ وزعم أن ذلك عدلاً وتنزيهـًا، فنسب الخلق لغيره تعالى، وقال: إن العباد يخلقون أفعالهم؛ لأن فيها القبائح والشرور، والله تعالى منزه عن ذلك فأفعاله كلها حسنة، ولو نُسب له خلقُ الشر للزم وصفهُ بهِ، وهذا قولُ فرقةٍ من فرقِ الضلال في تاريخ المسلمين وهم القدرية، وقولهم هذا ليس بدعـًا من القول، بل لهم أسلاف سبقوهم إليه، وقالوا بوجود إلهين اثنين أحدهما للخير والآخر للشر، وهؤلاء هم الثنوية المجوسية، فشابهتهم القدرية وقالوا بقولهم، بل زادوا عليهم بأن جعلوا الخالِقين كثيرين، وزعموا

أن قولهم هذا تدل عليه البراهين العقلية، والنصوص الشرعية، ومن ذلك قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»، ولا حجة لهم فيه، بل إن الحديث يدل على خلاف ما يذهبون إليه.

أ. د. أحمد بن عبد الله بن جمعان
آل سرور الغامدي

ahmad_al_soroor@yahoo.com

The saying of the Prophet (sallallahu alayhi wa sallam): "Evil is not from You"
A creedal foundational comparison study

Dr. Ahmed bin Abdullah bin Jam'an Al Suror al-Ghamidi

Saudi Academic, Professor in higher studies at the King Abdulaziz University, the Faculty of Arts.

Abstract

All praise is due to Allah, who made the darkness and the light, then those who disbelieve equate others with their Lord. All praise is due to Allah who whenever he wants something He only say: "Be", and it is. And may Allah exalt the mention and send peace upon our prophet Muhammad, the son of Abdullah the best of all creation. May Allah exalt his mention, and his family, companions and those who pursue their way and follow their path.

To proceed, from the foundations of belief is to believe in everything pertaining to predestination, both the good and the bad, and to believe that everything happens is in accordance to Allah's knowledge and will. Whatever Allah wills happens, and whatever he doesn't want will not happen. He created each thing and determined it with precise determination. This is mentioned in the Islamic texts, and that's what the *Fitra* and

the intellectual evidences indicate. And that's what the predecessors of this *Ummah* like the companions, their students and those who followed their path from the scholars and the imams believed in. The people who had a deviated *Fitra* opposed this and said objectionable statements and falsehood. They believed that there are other creators by the side of Allah and claimed that this was a form of justice and *tanzih* (Doctrine of divine exemption according to which Allah is unique and in no way like anything created). Therefore, they ascribed the attribute of creating to others than Allah, and said: The servants create their own actions, because some of their actions are disgraceful and evil, and Allah is unflawed from that since all of his actions are good, and if he would be described with creating evil, then that would be one of his attributes. This is the statement of one of the deviant sects in the Islamic history who are called *Qadariyyah*. They have not innovated this statement by themselves; rather their predecessors preceded them in that. They said that there are two different gods, one who is for good and the other for evil. That is the religion of dualistic Zoroastrianism and the *Qadariyyah* resembled them and took from their doctrines. They even went further than them by claiming that there are many different creators and stated that their statements are in accordance with the intellectual proofs and Islamic texts. One of the evidences that they use is the statement of the Prophet (PBUH): "And evil is not ascribed to you", but that is not en evidence for them, rather the hadith is an evidence against them.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمدُ لله الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي أخرج المرعى، الحمد لله الذي بيده ملكوت كل شيء، وإذا أراد شيئًا فإنما يقول له كن فيكون، والصلاةُ والسلامُ على خاتم الأنبياءِ والمرسلين، محمد بن عبد الله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبهِ أجمعين، وعلى من سار على نهجهم واقتفى آثارهم إلى يوم الدين.

أما بعدُ، فإن اللهَ تبارك وتعالى خلق كل شيء وأحسن خلقه، وما من كبيرةٍ ولا صغيرةٍ خارجة عن خلقه وتقديره، وقد أقرَّت كل الأمم بربوبيته، ومن انحرف عن هذا الإقرار فلفسادٍ لَحِقَ بفطرته، ومن هذا الانحراف اعتقادُ أن يكون غير الله تعالى خالقًا، أو أن ينسب لغيره جل وعلا ما تفرد به، ومن ذلك خلقه تعالى لكل شيء، ولا سبيل لإخراج شيء من هذا العموم إلا بشبهات متهافتة، وهذا ما وقع فيه بعض الطوائف من الأمم السابقة فنسبت الخير لبعض الآلهة، والشر لبعضها الآخر، وإذا سلَّمنا بتناقل الأفكار بين أمم الأرض -مع تغاير صورها أحيانًا- فإن هذا القول قالت به بعض الفرق في تاريخ المسلمين، وزعم أهلها أن الإنسان يخلق فعله؛ لأن الله تعالى لا يخلق الشر، وأن هذا النفي مقتضى التنزيه، واحتجوا على قولهم هذا بعدة حجج سموها عقلية، كما استدلوا عليه ببعض النصوص الشرعية التي يرون أنها تؤيد قولهم وتدل عليه، ومن ذلك هذا الحديث

المقصود بالدراسة، وفي هذه الورقات بيان للمقصود بنفي نسبة الشر إليه سبحانه وتعالى، مع القول: إنه خالق كُل شيء، والله تعالى أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

❑ الدراسات السابقة:

لا ريب أن هذا الركن من أركان الإيمان قد حظي باهتمام أهل العلم من السلف الصالح ومن تبعهم حتى وقتنا الحاضر، وذلك ببيان الحق الذي يجب فيه، وقد تنوعت الدراسات العلمية في تناول هذا الباب تنوعاً كبيراً، ومن الدراسات العلمية في هذا الباب:

١- القضاء والقدر في ضوء الكتاب السنة ومذاهب الناس فيه، رسالة ماجستير، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، في كلية أصول الدين، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٢- مفهوم الشر ومصدره بين السلف والمعتزلة، رسالة ماجستير، بكلية التربية، جامعة الملك سعود، من إعداد الطالب/ حمدان بن محمد الحمدان، إشراف الأستاذ الدكتور/ محمد بن أحمد جلي.

٣- القواعد الكلية في باب القدر في ضوء منهج السلف، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، بالمدينة المنورة، إعداد الطالب/ ربيع أحمد بيطار، إشراف الأستاذ الدكتور/ صالح بن عبد العزيز السندي.

٤- الشبهات النقلية لمخالفي أهل السنة والجماعة في مسائل القدر عرضـًا ونقداً، رسالة دكتوراة، بكلية الدعوة وأصل الدين، بجامعة أم القرى، للطالبة هند بنت دخيل الله القثامي، بإشراف الأستاذ الدكتور/ عبد الله بن عمر الدميجي.

٥- جهود شيخ الإسلام ابن تيمية في توضيح الإيمان بالقدر، رسالة دكتوراة، من قسم العقيدة بالجامعة الإسلامية، للدكتور/ تامر محمد محمود متولي، وهي مطبوعة في مجلدين، عن طريق: الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق والمذاهب، سنة ١٤٣٢هـ.

إلى غير ذلك من الدراسات المتعلقة بالقدر ومسائله المختلفة.

❑ أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التي دفعتني للكتابة عن قوله ﷺ: «والشر ليس إليك» ما يلي:

١- أن باب القدر والإيمان به ركنٌ من أركان الإيمان، فالاهتمام بمسائله وبيانها وإزالة اللَّبس والتلبيس الذي يورده أهل الأهواء حولها من أوجب الواجبات.

٢- وجود بعضِ العباراتِ الواردةِ في كلام بعض الناس، كقولهم: إن الله لا يقدر الشر، أو لا يكتب الشر، ونحو ذلك، وهذا إطلاقٌ فيه إيهامٌ، مما يجعل التنبيه والإيضاح للمعنى المقصود من الحديث غايةً ومرامـًا.

٣- أن هذا البابَ وقعَ فيه الانحرافُ وضلتْ فيه بعض الفرق، ولايزال بعض الناس يعتقدون ويتبعون أهل الضلال والأهواء في أقوالهم، سواء تبعوهم في كل آرائهم أم في بعضها وبذات الشبهات، ومن هنا كان الحديثُ عن القدرِ وَفق ما جاءت به النصوصُ الشرعيةُ وقررتهُ = أصلاً من الأصول.

٤- أن المخالفين لأهل السنة والجماعة وما عليه سلف الأمة، استدلوا بهذا الحديث على باطلهم، مع أنه يدل على خلاف مذهبهم، ومن هنا رأيتُ أهمية الكتابة فيه، وفي هذا دلالة على أنه ما من نصٍ يَستدلُ به أهلُ الباطل على باطلهم؛ إلا ويُستدل به على إبطال باطلهم، وبيان فساد قولهم.

٥- أن المخالفين لأهل السنة والجماعة توهموا أن النصوصَ الشرعية التي ذُكر فيها أن الله تعالى خالق كُل شيء = تُناقض النصوصَ التي وردت في إثباتِ نسبةِ أفعالِ العباد إليهم وكون الشر منهم، ومن ثم تعيّنَ بيانُ المرادِ والمقصودِ من هذا النفي.

٦- أن هذه الأفكارَ والآراءَ المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة سبقَ إليها أهلُ الإلحادِ والوثنيةِ من الأممِ السابقة، وهي دخيلةٌ على الأمةِ المسلمة، كما أنها توجدُ ضمنَ الأفكارِ الباطلةِ الوافدةِ في هذا العصر، تحت مسمياتٍ ومصطلحاتٍ جديدةٍ؛ فتعيّنَ التنبيهُ، واللهَ تعالى أسألُ الهدى والرشاد.

وقد جعلت البحث في مقدمةٍ، وعدة مباحث، وخاتمة:

المقدمةُ: تحدثت فيها عن الدراسات السابقة، وأسباب اختيار

الموضوع.

المبحث الأول: نص الحديث والتعريف ببعض المصطلحات.

المبحث الثاني: نشأةُ القولِ بالقدر.

المبحث الثالث: الإيمانُ بالقدرِ خيرهِ وشرهِ والتحذيرُ من المخالفين في مسائلهِ.

المبحث الرابع: أقوالُ الناس في خلق أفعال العباد.

المبحث الخامس: القدرةُ والاستطاعة ومنشأ ضلال القدرية المجوسية.

المبحث السادس: المقصود بنفي الشر عن الله تعالى في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك».

الخاتمة: وفيها أبرز النتائج.



المبحثُ الأول

نص الحديث والتعريف ببعض المصطلحات

إن هذه اللفظة المختارة للدراسة من الحديث النبوي وهي: «والشر ليس إليك» جاءت في حديث صح عن رسول الله ﷺ، فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ أنه كان إذا قام إلى الصلاة قال: «وجهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرضَ حنيفاً وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرتُ وأنا من المسلمين، اللهم أنت الملكُ، لا إله إلا أنت؛ أنت ربي وأنا عبدك، ظلمتُ نفسي واعترفتُ بذنبي، فاغفر لي ذنوبي جميعاً؛ إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدني لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيّئها، لا يصرفُ عني سيّئها إلا أنت، لبيك وسعديك والخيُر كلهُ في يديكَ، والشرُّ ليسَ إليكَ، أنا بك وإليكَ، تباركتَ وتعاليتَ، أستغفركَ وأتوب إليك»، وإذا ركع قال: «اللهم لك ركعت، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، خشع لك سمعي، وبصري، ومخي، وعظمي، وعصبي»، وإذا رفع قال: «اللهم ربنا لك الحمدُ ملءَ السماوات وملء الأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئتَ من شيء بعد»، وإذا سجد قال: «اللهم لك سجدتُ، وبك آمنتُ، ولك أسلمتُ، سجد وجهي للذي خلقه وصورهُ، وشق سمعهُ وبصرهُ، تبارك الله أحسن الخالقين»، ثم يكون من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم: «اللهم اغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ،

وما أسرفتُ، وما أنت أعلمُ به مني؛ أنت المقدمُ وأنت المؤخرُ؛ لا إله إلا أنت»[١]. والحديث أخرجه غير واحد من الأئمة[٢].

ومن تأمل الحديث الشريف يجد أنه تضمن الإقرار لله تعالى بأنواع

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الصلاة، باب صلاة النبي ﷺ ودعائه بالليل، صحيح مسلم بشرح النووي (٦/ ٥٧- ٦٠). المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، مصر.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢/ ١٨٣ – ١٨٤) حديث رقم (٨٠٣). أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، بيروت، لبنان. وفي فضائل الصحابة ٢/ ١٧٢ – ١٧٣). حديث رقم (١١٨٨). حققه وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية. والترمذي، صحيح سنن الترمذي، كتاب الدعوات، باب ما جاء في الدعاء عند افتتاح الصلاة بالليل، باب منه، (٣/ ٤٠٦- ٤٠٧). حديث رقم (٣٤٢٢). الألباني، الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. والنسائي، في سننه (١٤٨). حديث رقم (٨٩٧). حكم على أحاديثه الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وابن حبان، صحيح ابن حبان، باب صفة الصلاة (٥/ ٧٠ – ٧١). حديث رقم (١٧٧٢). تحقيق شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريًّا. وأبو يعلى، في مسنده (١/ ٢٥٨). حديث رقم (٥٧٠). تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. والبيهقي، في كتاب القضاء والقدر (٢٧٤ – ٢٧٥).حديث رقم (٣٩٧). تحقيق محمد بن عبد الله آل عامر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

التوحيد الثلاثة، وفيه الإقرار بالافتقار له جل وعلا في كل حين، والبراءة من كل حول وقوة إلا به جل وعلا[١]، والاعتراف له تعالى بالفضل والإنعام، وسؤاله جل وعلا المغفرة عن كل ما يقع أو قد يقع فيه الإنسان، ولا غرابة أن يشتمل هذا الحديث على كل ذلك، ويكون فيه رد على كل مخالف هالك، فإنه ﷺ أوتي جوامع الكلم، ومما ذُكر في الحديث الإيمان بالقدر، فإن الأمور لا تخرج عن هذين الأمرين وهما: الخير، والشر، والله تبارك وتعالى خالق كل شيء، ومما تضمنه الحديث الآتي:

١- الإقرار لله تعالى بالربوبية فهو خالق السموات والأرض، وخلقهما أكبر من خلق الإنسان وأفعاله، وهو تبارك وتعالى أحسن الخالقين.

٢-الإقرار لله تعالى بالألوهية والخلوص من الشرك والوثنية، وأن كل عمل يقع من الإنسان فالأصل فيه أن يكون لله تعالى وحده لا شريك له.

٣-أن الحديث الشريف بدأ بذكر توحيد الربوبية، وتضمن الإشارة إلى بعض الأسماء والصفات، وخُتم بتوحيد الألوهية، مما يجعل كل رأي يخالف الحق، ويزعم قائله أن هذا الحديث يدل عليه، قول باطل بنص الحديث، ولله الحمد والمنة.

---

(١) انظر ما ذكره ابن رجب عن ذلك: شرح حديث لبيك اللهم لبيك (٤٢). تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

❐ القدرُ في اللغة والشرع:

القدر لغة: يقول ابن فارس[١]: «القاف والدال والراء أصلٌ صحيح يدلُّ على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته. فالقدر: مبلغُ كل شيء. يقال: قدْرُه كذا؛ أي مبلغه. وكذلك القَدَر. وقدرت الشيء أقدِره وأقْدُرُه من التقدير، وقدَّرته أُقدِّره. والقَدْر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القَدَرُ أيضا»[٢].

والقدَرُ ما يقدِّره الله عز وجل من القضاء[٣]. يقول الخليل بن أحمد[٤]:

---

(١) أحمد بن فارس، أحد علماء اللغة، له العديد من المؤلفات منها: اختلاف النحويين، فقه اللغة، مجمل اللغة، توفي سنة ٣٩٥هـ بالري. انظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان (١/ ٣٥-٣٦). ابن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،. بيروت، لبنان.

(٢) مقاييس اللغة (٥/ ٦٢- ٦٣). تحقيق/ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. وانظر: الصحاح (٨٤١). الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) انظر في ذلك: الصحاح (٨٤١)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (٢٨٥) أحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به أحمد جاد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(٤) الخليل بن أحمد الفراهيدي، إمام العربية في عصره، أحد الأعلام، أخذ عنه سيبويه النحو، والأصمعي وغيرهما، كان دينـًا، ورعـًا، قانعـًا، متواضعـًا، متقشفـًا، متعبداً، كبير الشأن، ولد سنة مائة للهجرة، ومات سنة سبعين، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء =

«القدرُ: القضاء الموفَّقُ، يقال: قدره الله تقديراً»[١]. والقدْر: الفعل، وهو: التقدير، ولفظُ التقدير يأتي على

وجوه من المعاني[٢]؛ منها: «الجعل والصنع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ [يونس: ٥]؛ أي جعل له، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠]. والتقدير أيضـًا: العلم والحكمة، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [المزمل: ٢٠]؛ أي يعلم...»[٣]. ومنها: التعظيم، ومنه قوله

=

(٧/ ٤٢٩- ٤٣١) الذهبي، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(١) كتاب العين (٣/ ٣٦٥). تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: تهذيب اللغة (م/ ٥ ج ٩/ ٣٨). الأزهري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) «أحدها: التروية والتفكير في تسوية أمر وتهيئته...والثاني: تقديره بعلامات يُقطِّعُه عليها. والثالث: أن تنوي أمرا بعقدِك، تقول: قدرت أمر كذا وكذا، أي نويتُه وعقدت عليه» تاج العروس (١٣/ ٢٠٨). ولمزيد في ذلك، انظر: (١٣/ ٢٠٦- ٢٠٧، ٢١٠). للزبيدي، وضع حواشيه الدكتور/ عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: مشارق الأنوار(٢/ ٢٨٩) القاضي عياض، خرج أحاديثه/ إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. لسان العرب (٥/ ٧٦). لابن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

(٣) تاج العروس (١٣/ ٢١٠).

تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي لم يعظموه حق عظمته، ولم يصفوه بصفته التي تنبغي له تعالى[١].

وتقدير الله الخلق: «تيسيره كلاً منهم لما علم أنهم صائرون إليه من سعادة أو شقاوة كتبت لهم، وذلك أنه علم ذلك منهم قبل خلقه إياهم، وحين أمر بنفخ الروح فيهم، فكتب علمه الأزلي السابق فيهم وقدره تقديراً»[٢].

القدر في الشرع: عُرِّف القدر بعدة تعاريف، وتلازُمها مع التعريف اللغوي ظاهر بيّن، ومن هذه التعريفات: أن القدر هو: «قدرة الله على العباد»[٣].

وقيل: القدر عبارة عما قضاه الله عز وجل، وحكم به من الأمور[٤].

وقيل: القدر تقدير الله تعالى للكائنات قبل حدوثها[٥].

---

(١) انظر: مقاييس اللغة (٥/ ٦٣).

(٢) تهذيب اللغة (م ٥/ ج ٩/ ٣٨). وانظر: لسان العرب (٥/ ٧٤).

(٣) مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ (٢/ ١٥٥). تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٠هـ، بيروت، لبنان.

(٤) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢٢). ابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: لسان العرب (٥/ ٧٤). تاج العروس (١٣/ ٢٠٤). مختار الصحاح (٣٨٥). الرازي، ضبط سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الكليات (٧٠٦).

(٥) انظر: الدرر السنية (١/ ٥١٢). جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، =

وقيل: القدر يطلق على معنين؛ الأول: التقدير؛ أي: إرادة الله عز وجل الشيءَ، الثاني: المقدر؛ أي: ما قدره الله عز وجل[١].

ويفرِّق بعضهم بين القدر والتقدير، بقوله: «التقدير يستعمل في أفعال الله تعالى وأفعال العباد، ولا يستعمل القدَر إلا في أفعال الله عز وجل. وقد يكون التقدير حسناً وقبيحاً[٢]... ولا يكون القدرُ إلا حسناً»[٣].

ومما تحسن الإشارةُ إليه هنا أن بعض أهل العلم يفرقون بين القضاءِ والقدر، فيرون أن القضاءَ سابقٌ على القدر، فالقضاء يعود إلى وجود جميع الموجودات في اللوح المحفوظ،

=

١٤١٧هـ/ ١٩٩٦م. القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ١٩٨). ابن عثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

(١) القول المفيد (٣/ ١٩٨). وانظر: (٣/ ٢٢١ - ٢٢٢). ولمزيد من التعريفات عند المتكلمين. انظر: التعريفات (٢٢٢). للجرجاني، تحقيق: الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت، لبنان. شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٤). التوحيد (٣٠٧). للماتريدي، حققه وقدم له الدكتور/ فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) «يمكن أن يكون في تقدير القبيح حكمة بالغة»، الكليات (٧٠٦). لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور/ عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) الفروق في اللغة (٣٢٨) أبو هلال العسكري، حققه: جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

وأما القدرُ فهو حصول ذلك ووجوده في الأعيان متفرقًا شيئًا فشيئًا، بعد حصول أسباب وقوعه[١]. وبعضهم يرى الأمر على العكس من ذلك، أي أن القدر هو الأصل، والقضاء هو الفصل في الأمر ووقوعه[٢]. وبعضهم لا يرى بينهما فرقًا، فإذا ذُكر أحدهما دخل فيه الآخر.

وإذا كان القدر إنما يكون في أفعال الله تعالى، فلفظ القضاء يدل على العديد من المعاني بحسب سياق الكلام، ومن ذلك: الخلق، الفعل، الإبرام، العهد، الأمر، الأجل، الفصل، قطع الخصام، المضي، الوجوب، الإعلام، الأداء[٣].

---

(١) انظر عن هذا: التعريفات (٢٢٢). الكليات (٧٠٥ – ٧٠٦). محاسن التأويل (٤/ ٥٤٤) للقاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دون ذكر لرقم الطبعة. وقارن التفسير الكبير(٩/ ١٧٠ – ١٧١) الرازي، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان.

(٢) انظر في هذا: الفروق في اللغة (٣٢٨). المفردات في غريب القرآن (٤٠٧) للأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) انظر: عقائد الثلاث والسبعين فرقة (١/ ٣٦٠ – ٣٦١) لأبي محمد اليمني، تحقيق الدكتور/ محمد زربان الغامدي، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية. مقالات الأشعري (٩٢–٩٣) ابن فورك، تحقيق وضبط الأستاذ الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر. الكليات (٧٠٥). الدرر السنية (١/ ٥١٢ – ٥١٣).

ومن المصطلحات التي يُشار إليها هنا مصطلح الخير والشر:

فالخير في اللغة: يبينه ابن فارس بقوله: «الخاء والياء والراء أصله العطف والميل، ثم يحمل عليه. فالخير: خلاف الشر؛ لأن كل أحد يميل إليه ويعطف على صاحبه. والِخيرَة: الخيار...ثم يصرف الكلام فيقال رجل خَيِّر وامرأة خيِّرة: فاضلة. وقوم خيار وأخيار...»[1].

والخِيار: خلاف الأشرار، ويقال: رجل خيِّر وخيْر مشدد ومخفف، وكذلك امرأة خيِّرة وخيْرة. قال تبارك وتعالى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡخَيۡرَٰتُۖ﴾ [التوبة: ٨٨]. جمع خيْرة، وهي الفاضلة من كل شيء، فإن أردت معنى التفضيل قلت: فلانة خيْر الناس ولم تقل: خيْرة، وفلان خيْر الناس، ولم تقل: أخير[2].

وأغلب كتب اللغة[3] تذكر أنه لا يقال في أفعل التفضيل هنا أخير، وأشر، إلا أنه ذكرت في بعض الأحاديث على وزن أفعل، فعن أبي سعيد الخدري

(١) مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٢).

(٢) انظر هذه المعاني في: الصحاح (٣٢٤-٣٢٥)، كتاب العين (١/ ٤٥٥)، جمهرة اللغة (١/ ٧٠٢) لابن دريد، علق عليه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، لسان العرب (٤/ ٢٦٤)، المفردات في غريب القرآن (١٦٨)، تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٣٩).

(٣) ذكر صاحب لسان العرب أنه يقال: أخير، وأشر. انظر: لسان العرب (٤/ ٢٦٥). وانظر: المصباح المنير (١١١). وفيه: «وهذا أخير من هذا، بالألف في لغة بني عامر، كذلك: أَشَرُّ منه، وسائر العرب تسقط الألف منهما».

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»[(١)]. وقد أشار لهذا النووي[(٢)].

الخير في الشرع:

الخير في الشرع: ضد الشر، ويقال: «الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل - مثلاً- والعدل والفضل والشيء النافع، وضده الشر. قيل: والخير ضربان: خير مطلق وهو أن يكون مرغوباً فيه بكل حال وعند كل أحد...وخير وشر مقيدان وهو أن يكون خيراً لواحد شراً لآخر كالمال الذي ربما يكون خيراً لزيد وشراً لعمرو...»[(٣)]. ولفظ الخير له عدة معانٍ، ويظهر معناه المراد من سياق الكلام الذي ورد فيه.

تعريف الشر في اللغة والشرع:

يقول ابن فارس: «الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير، من ذلك: الشر خلاف الخير، ورجل شرير، وهو الأصل؛ لانتشاره

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب النكاح، باب تحريم إفشاء سر المرأة، صحيح مسلم بشرح النووي (١٠/ ٨).

(٢) انظر تهذيب الأسماء واللغات (٢/ ١٤٠). تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) المفردات (١٦٧). وانظر: تاج العروس (م ٦/ ج ١١/ ١٢٨-١٢٩).

وكثرت»[١]. ورجل شَرٌّ؛ أي ذو شر، وقوم أشرار، وهذا شَرٌّ من ذاك، والأصل: أَشَرُّ بالألف على أفعل، واستعمال الأصل لغة لبني عامر[٢]. ويرى بعضهم أنه لا يقال: أشر، إلا في لغة رديئة[٣].

والشَّرُّ: السوء والفساد والظلم، والجمع: شُرُورٌ، وقوم أشرار: ضد الأخيار[٤].

وفي الشرع: ضد الخير، وهو الذي يرغب عنه الكل[٥].

أو يقال: هو السوء والظلم والفساد، وهو ما يناقض الخير.

وليس كل من فعل الشر شريراً، فقد يظهر لبعض الناس من جهة أنه ضر وشر ويكون فيه الخير، ومن ذلك مثلاً: شرب الدواء مع ما فيه من عدم الاستطابة، وقد يكون التداوي بأكثر من ذلك كالكي، والعمليات الجراحية، ففي ظاهرها شر، ولكن ليس الأمر كذلك.

---

(١) مقاييس اللغة (٣/ ١٨٠)، وانظر: الصحاح (٥٤١)، وفيه: «ورجل شرير؛ أي: كثير الشر».

(٢) انظر: المصباح المنير (١٨٠).

(٣) انظر: الصحاح (٥٤١).

(٤) انظر: تهذيب اللغة (م٦/ ج١١/ ١٨٦)، كتاب العين (٢/ ٣٢٠)، المصباح المنير (١٨٠). تاج العروس (١٢/ ٧٧).

(٥) انظر: المفردات في غريب القرآن (٢٦٠)، جمهرة اللغة (١/ ١٠٨).

المبحثُ الثاني

نشأةُ القولِ بالقدر

إن القول بالقدر قول محدَث، وقيل في نشأته عدة أقوال؛ منها: أن أول ما تُكلِّم في القدر عندما احترقت الكعبة[1].

وقال جماعة من أهل العلم[2]: إن أول من تكلَّم بالقدر رجل يقال له:

---

(١) عن الحسن بن محمد قال: «إن أول ما تكلم في القدر، أن طارت شرارة فأحرقت البيت، فقال رجل: كان هذا من قدر الله، وقال آخر: لم يكن من قدر الله...». كتاب القدر (٢٠٧). رقم الأثر (٣٥١). للفريابي، تحقيق: عبد الله بن أحمد المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار أضواء السلف لننشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وقال محققه: إسناده صحيح. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (م ١/ج٤/ ٤٨١)، رقم الأثر (١٣٩٢)، تحقيق، سيد عمران، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) يقول الإمام أحمد بن حنبل إمام أهل السنة والجماعة: «ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم في القدر غير معبد الجهني، ورجل من الأساورة، يقال له: سِسنويه». المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٤١). جمع وتحقيق الدكتور/ عبد الله بن سلمان الأحمدي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وانظر: السنة (٢/ ٢٢). رقم الأثر (٨٩١) لعبد الله بن الإمام أحمد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره أحمد بن علي الرياشي، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار النصيحة، المدينة النبوية، السعودية. وقال محققه: هذا أثر صحيح. وقال الإمام الأوزاعي: «أول من نطق في القدر: رجل من أهل العراق يقال له: سوسن كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، فأخذ عنه معبد الجهني، وأخذ غيلان عن معبد». أخرجه اللالكائي (م ١/ ج ٤/ ٤٨٢)، رقم الأثر =

«سيسويه» أو «سوسن»، كان نصرانياً فأسلم، ثم تنصر، وعنه[1] أُخذت هذه المقولة[2].

وهؤلاء هم القدرية الأولى: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «يحكون عنهم إنكار العلم والكتاب، وهؤلاء هم القدرية... الذين كانوا يقولون: إن الله أمر العباد ونهاهم، وهو لا يعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولا من يدخل الجنة ممن يدخل النار حتى فعلوا ذلك، فعلمه بعد ما فعلوه؛ ولهذا قالوا: الأمر أُنُف؛ أي: مستأنف... يعني أنه مستأنف العلم بالسعيد والشقي، ويبتدئ ذلك من غير أن يكون قد تقدم بذلك علم ولا كتاب، فلا يكون العمل على ما قد قدر فيحتذى به حذو القدر، بل هو أمر مستأنف

=

(١٣٩٨). وقال محققه: إسناده صحيح. وقال الإمام البخاري في المعتزلة: «ادعوا أن فعل الله مخلوق، وأن أفعال العباد غير مخلوقة، وهذا خلاف علم المسلمين إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسويه، كان مجوسياً فادعى الإسلام، فقال الحسن: أهلكتهم العجمة». خلق أفعال العباد (١/ ٨٧)، تحقيق/ سالم بن أحمد السلفي، محمد السعيد الإيباني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

(١) أخذها عنه: معبد الجهني، وعن معبد أخذها غيلان الدمشقي.

(٢) انظر: الإيمان (٣٦٨)، شيخ الإسلام ابن تيمية، تحقيق/ الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. وانظر ص (٣٠١ -٣٠٢). الفرق بين الفرق (٣٩)، البغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. فجر الإسلام (٢٨٢) وما بعدها، عن نشأة القدرية والجبرية، أحمد أمين، الطبعة الحادية عشر، ١٩٧٥م، دون ذكر لدار النشر.

مبتدأ...»[١].

والقائلون بهذا القول هم الغلاة منهم، وقد كفرهم الأئمة[٢]، وقالوا بقتلهم إن لم يتوبوا من قولهم، وذكر بعض أهل العلم أن هؤلاء الغلاة انقرضوا[٣]، والذين جاؤوا من بعدهم أقروا بتقدم العلم، ولكنهم أنكروا عموم مشيئة الله تعالى وخلقه، وهم بهذا الإنكار ضالون مبتدعون، إلا أنهم في منزلة من الضلال دون منزلة من سبقهم[٤]، وهم القائلون: إن الشر ليس

---

(١) الإيمان (٢٩٩).

(٢) سئل الإمام أحمد عمن يقول بالقدر أيكون كافراً؟ قال: «إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله عز وجل لم يكن عالماً، حتى خلق علماً، فعلم، فجحد علم الله عز وجل فهو كافر». السنة والرد على الجهمية (٢/ ٨)، الأثر رقم (٨٧٥)، وقال محققه: هذا أثر صحيح. وانظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٤٢) وما بعدها. وانظر أيضاً أقواله وأقوال غيره من العلماء في كتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ٩) وما بعدها. ويقول البر بهاري: «من قال: إنه لا يعلم ما كان وما هو كائن؛ فقد كفر بالله العظيم» شرح السنة (٧٦)، تحقيق/ خالد بن قاسم الردادي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٣) انظر ما ذكره النووي في ذلك: شرح النووي على صحيح مسلم (١/ ١٥٤)، وفيه: «قال أصحاب المقالات من المتكلمين: وقد انقرضت القدرية القائلون بهذا القول الشنيع الباطل، ولم يبق أحد من أهل القبلة عليه، وصارت القدرية في الأزمان المتأخرة تعتقد إثبات القدر، ولكن يقولون: الخير من الله، والشر من غيره، تعالى الله عن قولهم». وانظر أيضاً: فتح الباري (١/ ١١٩)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٤) انظر في ذلك: الإيمان (٣٠٢)، شرح النووي لصحيح مسلم (١/ ١٥٤).

من الله تعالى.

فهذه طائفة ضالة في باب القدر، إذ أثبتوا للعبد اختياراً وقدرة في عمله، وغلوا في ذلك حتى نفوا أن يكون لله تعالى في عمل العبد مشيئة أو خلق، ونفى غلاتهم علم الله به قبل وقوعه. وبإزائها طائفة أخرى وهي: الجبرية الجهمية ومن تبعهم، الذين أثبتوا قدر الله تعالى وغلوا في إثباته حتى سلبوا العبد اختياره وقدرته. وكما ترى فهم طرفان.

أما الطائفة الثالثة فهم الوسط، أهل العدل والحق، أهل السنة والجماعة، من سلف الأمة ومن تبعهم، الذين جمعوا بين الأدلة وسلكوا في طريقهم خير ملة، فآمنوا بقضاء الله وقدره، وقالوا: كل ما كان في الكون من حركة أو سكون أو وجود أو عدم؛ فإنه كائن بعلم الله تعالى ومشيئته، وآمنوا بأن للعبد مشيئة وقدرة، لكن مشيئته مسبوقة بمشيئة الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].[١].

ومما يجب التنبيه عليه أن بعض الناس يظن أن هذه الأقوال لم يعد لها

---

(١) انظر ما ذكره العلامة محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتابه: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ١٩٩، ٢٠٥). وانظر: فتح الحميد في شرح التوحيد (٤/ ١٩٠٥) وما بعدها، عثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق الدكتور/ سعود العريفي، والدكتور/ حسين السعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية. وانظر عن الطائفتين: شرح ثلاثة الأصول (١١٦- ١١٧)، محمد بن صالح العثيمين، إعداد فهد ابن ناصر السليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

وجود الآن، أو أنها انقرضت كما انقرضت القدرية الأولى الغلاة، وهو ظن فاسد، وادّعاء باطل يكذبه الواقع، فهذا حال أتباع فرق الضلال في تاريخ المسلمين، من رام الوقوف على مشابهتهم لأسلافهم من أهل البدع والأهواء فلن يجد كبير عناء، فهم يجاهرون بإقرار هذه الأقوال أو شيء منها، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، فتجد بعضهم يذهب لرأي المعتزلة وينتصر له، ويظهر ذلك إما عن طريق اهتمامهم بما تركوه من كتب، أو عن طريق التأليف المستقل عنهم وعن غيرهم، ويصرحون باعتقادهم، ويقولون: إن العباد هم الذين أوجدوا أفعالهم، وإن الله ليس هو من أوجدها، وليس هو من أحدثها، وليس هو من خلقها[١].

وإذا كان هذا حال أتباع فرق الضلال في تاريخ المسلمين، فإن البلاد الغربية لم تخل من هذا الاتجاه أو ذاك، إما القول بالجبر، وإما القول بالاختيار[٢]، وإن كانت قد ترد بمصطلحات أخرى، كالحتمية، وسلب الإرادة والاختيار، والخضوع لقوانين الطبيعة، كما يقولون، وبالمقابل:

---

(١) انظر: نقد الخطاب السلفي، ابن تيمية نموذجاً (٣٩١)، رائد السمهوري، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، دار مدارك للنشر، دبي. وعن مسألة القدر خاصة انظر: المرجع نفسه (٢٧١ – ٣٩١).

(٢) انظر عن ذلك: شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم (٧٦) وما بعدها، الدكتور عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، القضاء والقدر(٢١٥-٢١٩)، الدكتور عبد الرحمن المحمود، بمراجعه، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

القول بالحرية، والإرادة المطلقة للإنسان[١]، ونحو ذلك. والمراد أن الاتجاهين قد وُجدا في الغرب، في فلسفته الحديثة، كما هو الحال عند أصحاب الفلسفات والديانات الوضعية القديمة، التي ورثتها الفلسفة الأوروبية الحديثة باتجاهاتها المختلفة.

ولا ريب أن الأهواء والبدع تنشأ في حال البعد عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وتقديس العقل والوثوق به فيما لا يستطيع الاستقلال بمعرفته وإدراكه، ومن ذلك مسائل أصول الدين، ومنها القدر. يقول أبو المظفر بن السمعاني: «سبيل معرفة هذا الباب التوقيف من قبل الكتاب والسنة، دون محض القياس، ومجرد المعقول فمن عدل عن التوقيف في هذا الباب، ضل وتاه في بحار الحيرة...وسبيلنا أن ننتهي إلى ما حد لنا فيه، وأن لا نتجاوز إلى ما وراءه، فالبحث عنه تكلف، والاقتحام فيه تعمق وتهور»[٢].

ويقول البربهاري[٣]: «واعلم -رحمك الله- أن من قال في دين الله برأيه

---

(١) يقول جان بول سارتر: «إن الإنسان لا يستطيع أن يوجد ذاته إلا بإطلاق العنان لرغباته وشهواته، بحيث يفعل ما يشاء ويترك ما يريد، لا يبالي العرف أو الدين». المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها (٢١٠). الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار اللواء، الرياض، السعودية.

(٢) نقلاً من كتاب: الحجة في بيان المحجة (٢/ ٣٠) للأصبهاني، تحقيق محمد بن محمود أبو رحيم، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وانظر: فتح الباري (١١/ ٤٧٧).

(٣) الإمام القدوة، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البر بهاري الفقيه. كان قوالاً بالحق، =

وقياسه وتأويله، من غير حجة من السنة والجماعة، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم؛ فهو من المتكلفين»[١].

فأهل الأهواء والبدع يُعرضون عن الأخبار والآثار، بل يطعنون فيها وينكرونها ولا يقبلونها، وإن أعياهم ثبوتها تعسفوا في تأويلها، ومن كان هذا حاله اتُّهم في دينه. يقول البربهاري: «وإذا سمعت الرجل يطعن على الآثار ولا يقبلها أو ينكر شيئًا من أخبار رسول الله ﷺ؛ فاتهمه على الإسلام، فإنه رجل رديء القول والمذهب...»[٢].

وهذا حال القدرية من المعتزلة وغيرهم وأتباعهم، الذين أعرضوا عن الحق واتبعوا أهواءهم، فضلوا عن سواء السبيل، وكذبوا بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، ولهذا تظاهرت أقوال أهل السنة والجماعة من السلف ومن تبعهم بالرد عليهم، وبيان الحق في وجوب الإيمان بالقدر كله خيره وشره وذم المنكرين له.

=

داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم، مات سنة ٣٢٨هـ، وقيل غير ذلك. انظر: سير أعلام النبلاء (١٥/ ٩٠ – ٩٣).

(١) شرح السنة (٩٦– ٩٧).

(٢) شرح السنة (٨١).

المبحثُ الثالث

الإيمانُ بالقدرِ خيرِه وشرهِ والتحذيرُ من المخالفين في مسائلهِ

إن الإيمان بالقدر واعتقاد أنه كله من الله تعالى خيره وشره ركن من أركان الإيمان الستة، والنصوص الشرعية صريحة في بيانه وإيضاحه ووجوب الإيمان به، وكذلك جاءت أقوال السلف الصالح وكل من تبع نهجهم تبيّن فرضية الإيمان به وأنه أصل من أصول الدين، وتحذر من الابتداع فيه والقول في مسائله بلا علم. ولا ريب أن هذه المسألة من الظهور والتسليم بما لا يُحتاج معه إلى تتبع جميع النصوص والأقوال فيها، وإنما هذه إشارات حسب ما يقتضي المقام في مثل هذه الأبحاث، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢]، وقوله جل وعلا: ﴿ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴾ [الأعلى: ٣]، وقوله عز وجل: ﴿ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾ [الحجر: ٢١]، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر: ٤٩]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقد أخبر ﷺ أن الإيمان بالقدر خيره وشره من الإيمان، كما جاء في جوابه لجبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، عندما سأله عن الإيمان: «قالَ: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن

بالقدر خيره وشره قال صدقت»[١]. وفي رواية أخرى: «قال يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله، قال: صدقت»[٢].

ففي هذا الحديث دلالة واضحة على أن الخير والشر كلاهما بقدر الله تعالى، وهذا إخبار منه ﷺ، وهو حق، فماذا بعد الحق إلا الضلال.

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»[٣].

قال عبد الله[٤]: حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق- قال: «إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يومـًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكـًا فيؤمر بأربع كلمات ويقال لهُ: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم ينفخ فيه الروح، فإن الرجل منكم ليعمل حتى ما يكون بينه وبين الجنة إلا ذراع، فيسبق عليه كتابه فيعمل

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، تعريف الإسلام والإيمان، صحيح مسلم بشرح النووي، (١/ ١٥٧)، من حديث عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، أشراط الساعة صحيح مسلم بشرح النووي. (١/ ١٦٥)، من حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب القدر، حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٠٣).

(٤) ابن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

بعمل أهل النار. ويعمل حتى ما يكون بينه وبين النار إلا ذراع فيسبقُ عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة»[١].

يقول محمد بن عمر بحرق[٢]: «وهذا الحديث أصل في الإيمان بالقدر، ومعناه: أن الله سبحانه وتعالى قدر الأشياء كلها في الأزل، وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة، وعلى صفات مخصوصة، فهي واقعة على وَفق ما علمها، وعلى حسب ما قدرها، والإيمان بذلك واجب، وعليه أجمع أهل السنة، خلافا للقدرية المبتدعة»[٣].

وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: «جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في القدر، فنزلت ﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ

---

(١) متفق عليه، أخرجه البخاري والفظ له، كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، صحيح البخاري (٢/ ٩٩٣)، حديث رقم (٣٢٠٨). المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت، لبنان. ومسلم، في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه. صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١٩٠-١٩٢).

(٢) محمد بن عمر بن المبارك الحضرمي الشافعي الشهير ببحرق، ولد سنة ٨٦٩هـ/ ومات سنة ٩٣٠هـ، له العديد من المؤلفات منها: مختصر الترغيب والترهيب للمنذري، الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول، عقد الدرر في الإيمان بالقضاء والقدر. انظر: الضوء اللامع (٨/ ٢٢٠). السخاوي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر ترجمته في مقدمة كتاب الحديقة الأنيقة (٧-١٠) الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

(٣) الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة (٩٢).

شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر: ٤٨ – ٤٩]»[١].

يقول النووي: «وفي هذه الآية الكريمة والحديث تصريح بإثبات القدر وأنه عام في كل شيء، فكل ذلك مقدر في الأزل، معلوم لله، مراد له»[٢].

وعن طاووس[٣] قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. وقال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: «كلُّ شيء بقدرٍ، حتى العجز والكيْسُ، أو الكيس والعجز»[٤].

وعن عبد الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا خلق الله النسمة قال ملك الأرحام معرضاً: أي رب، ذكر أم أنثى؟ قال: فيقضي الله إليه أمره، قال: ثم يقول: أي رب، أشقي أم سعيد؟ فيقضي الله إليه أمره، ثم يكتب بين عينيه ما هو لاقٍ حتى النكبة ينكبها»[٥].

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ٢٠٥).

(٢) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٢٠٥).

(٣) طاووس بن كيسان الفقيه عالم اليمن، سمع من جماعة من الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ولازم ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مدة، وهو معدود في كبراء أصحابه، وولد زمن الخليفة الراشد عثمان بن عفان، رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ومات سنة ١٠٦هـ. انظر ترجمته في: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨- ٤٩).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كل شيء بقدر، صحيح مسلم بشرح النووي(١٦/ ٢٠٤).

(٥) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٢). حديث رقم (١٨٦). تحقيق الألباني، الطبعة =

وقد ورد في الحديث أن القدرية مجوس هذه الأمة، فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النبي ﷺ أنه قال: «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[١]. وهؤلاء القدرية هم الذين يقولون: إن الله تعالى لم يقدر المعاصي[٢]، وجعلوا للعبد قدرة توجد الفعل بانفرادها واستقلالها دون الله تعالى[٣]. وثبت عن بعض الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ والتابعين

=

الثالثة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان. وقال: صحيح. واللالكائي (م ١/ ج ٤/ ٣٨٢- ٣٨٣). حديث رقم (١٠٥١).

(١) هذا الحديث لا تخلو كل طرقه من مقال، وقد صححه بعض أهل العلم بمجموع طرقه، والحديث أخرجه غير واحد؛ فقد أخرجه: اللالكائي (١/ ٤١٢). رقم (١١٥٠)، وقال محققه: صحيح. وأبو داود في سننه (٧٠٣)، حديث رقم (٤٦٩١)، حكم على أحاديثه وآثاره الألباني، الطبعة الأولى، دون تاريخها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، وقال الألباني: حسن. وابن أبي عاصم (١٤٩)، حديث رقم (٣٣٨). وانظر: حديث رقم (٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢) وحكم الألباني بصحته لمجموع طرقه، انظر المرجع نفسه (١٥١).

(٢) عن «عكرمة بن عمار، قال: سألت يحيى بن أبي كثير من القدرية؟ فقال: الذين يقولون: إن الله لم يقدر المعاصي». شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٤٥٣)، رقم (١٢٩٨)، وقال محققه: إسناده صحيح. وكتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ٢٣)، الأثر رقم (٨٩٢). وقال محققه: هذا أثر صحيح.

(٣) انظر: جامع الأصول (٧/ ٢١٣). لابن الأثير، حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

تسمية القدرية بمجوس هذه الأمة[١]؛ «لمضاهاة مذهبهم مذهب المجوس في قولهم بالأصلين، وهما النور والظلمة، يزعمون أن الخير من فعل النور، والشر من فعل الظلمة، فصاروا ثَنَوية، وكذلك القدرية يضيفون الخير إلى الله عز وجل والشر إلى غيره، والله سبحانه خالق الخير والشر، لا يكون شيء منهما إلا بمشيئته. وخلقه الشر شراً في الحكمة كخلقه الخير خيراً، فإن الأمرين معـًا مضافان إليه خلقـًا وإيجاداً، وإلى الفاعلين لهما من عباده فعلاً واكتسابـًا»[٢].

والمقصود أن النصوص الشرعية جاءت بإثبات القدر، وأن الله تعالى هو الخالق لكل شيء، الخير والشر، لا خالق غيره، ولا رب سواه، فعن حذيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «إن الله خلق كل صانع وصنعته»[٣].

والأحاديث في هذا الباب كثيرة متظاهرة بإثباته، ووجوب الإيمان به، وأنه من الله تعالى خيره وشره، ولأجل ذلك جاءت أقوال الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى القول بإثباته، والدعوة إلى الإيمان به، والتحذير من القول فيه بغير علم.

---

(١) انظر: كتاب السنة والرد على الجهمية (٢/ ١٠٣- ١٠٤). الأثر رقم (١٠٠٨، ١٠١٠).

(٢) معالم السنن (٤/ ٧٧). تحقيق/ سعد بن نجدت عمر، شعبان العودة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان. وانظر: المرجع نفسه (٤/ ٨١).

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٣). رقم (٩٣). وانظر (٩٢). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٨). حديث رقم (٣٥٧). وقال الألباني: صحيح. وانظر رقم (٣٥٨). المرجع نفسه، ذات الصفحة.

ومما جاء عنهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وعمّن تبعهم بإحسان: ما قاله عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عندما سئل فقيل له: «أبا عبد الرحمن إنهُ قد ظهرَ قَبلنا ناسٌ يقرؤون القرآن، ويتقفرون[١] العلم، وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدَرَ وأن الأمر أُنُفٌ، قال: فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريءٌ منهم، وأنهم برآءُ مني، والذي يحلفُ به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثلَ أحدٍ ذهباً فأنفقه ما قَبِلَ الله منه حتى يؤمن بالقدر...»[٢].

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «كل شيء بقدر حتى وضعك يدك على خدك»[٣]. وقال طاووس لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «يا أبا عباس، الذين يقولون في القدر؟ قال: أروني بعضهم، قلت: تصنع ماذا؟، قال: إذاً أضع يدي في رأسه، وأدق عنقه»[٤].

وكذلك كانت أقوال التابعين وأتباعهم ومن جاء بعدهم تدل على الإقرار بالقدر والإيمان به، خيره وشره، وذم القدرية وهجرهم، والنهي عن مجالستهم[٥]، ونفيهم من ديار المسلمين، وتكفيرهم، والقول باستتابتهم،

---

(١) أي يطلبونه ويتتبعونه. انظر: شرح صحيح مسلم للنووي (١/ ١٥٥).

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، إثبات القدر (١/ ١٥٥ – ١٥٦). صحيح مسلم بشرح النووي. اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٣٧٨). رقم (١٠٣٨)

(٣) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد (١/ ٣٤). رقم (٩٦). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) أخرجه: الفريابي (١٧٦). الأثر رقم (٢٦٢). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر الأثر رقم (٢٦٣، ٢٦٤).

(٥) كان «الحسن ينهى عن مجالسة معبد الجهني ويقول: لا تجالسوه فإنه ضال مضل».
=

وإن لم يتوبوا فيعرضون على السيف، وكذلك روي عنهم منع الصلاة خلفهم، أو التزويج إليهم، أو أكل ذبائحهم[1]، وما ذلك إلا لشناعة قولهم، وسوء ما أحدثوه من الباطل، وحصر أقوال العلماء فيهم لا يتم إلا بكلفة ومشقة، ومما جاء عنهم: قول الحسن البصري[2]: «من كفر بالقدر، فقد كفر بالإسلام، ثم قال: إن الله خلق خلقا، فخلقهم بقدر، وقسم الآجال بقدر، وقسم أرزاقهم بقدر، والبلاء بقدر، والعافية بقدر»[3]. وسئل أيضـًا: «يا أبا

=

اللالكائي (١/ ٤١٠). رقم (١١٤٢). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر: كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (٢/ ١٠٦) وما بعدها: ما قاله العلماء في عمرو بن عبيد.

(١) انظر على سبيل المثال: السنة والرد على الجهمية (٢/ ٦) وما بعدها. شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٤٥٧) وما بعدها: أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان (١/ ١٢٩) وما بعدها. جمع ودراسة وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله المبدل، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية. وعن أقوال التابعين في ذم القدرية والتحذير منهم. انظر: أقوال التابعين في مسائل التوحيد (١/ ٣٧٠) وما بعدها.

(٢) الحسن بن أبي الحسن يسار، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كان زاهداً، عالمـًا بالحلال والحرام، مات سنة ١١٠هـ. انظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١١٤-١٣٢) لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) أخرجه الفريابي في القدر (١٨٨)، الأثر رقم (٢٩٥)، وقال محققه: إسناده صحيح. والآجري في الشريعة(٢١٢). الأثر رقم(٢٢٨)، تحقيق ياسر برهامي، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. اللالكائي (١/ ٤٤١). وقال محققه: إسناده صحيح. وابن بطة في الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة (٢/ ٢٦٢). تحقيق وتعليق الدكتور/ رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، =

سعيد من خلق الشيطان؟ فقال: سبحان الله! سبحان الله! وهل من خالق غير الله؟! ثم قال: إن الله عز وجل خلق الشيطان، وخلق الشر، وخلق الخير ، فقال رجل منهم: قاتلهم الله، يكذبون على الشيخ: [1].

وعن مالك بن أنس[2]، عن عمه[3] ، قال: «كنت أسيرُ مع عمر بن عبد العزيز، فقال: ما رأيك في هؤلاء القدرية؟ فقلت: رأيي أن تستتيبهم، فإن قبلوا، وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: وذلك رأيي. قال مالكٌ: وذلك رأيي»[4].

=

١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكة المكرمة، السعودية. دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: أقوال التابعين (١/ ١٣٧). الأثر رقم (٩٤). وقال: إسناده صحيح.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في كتاب السنة (٢/ ٨٩ - ٩٠). الأثر رقم (٩٩٢). وقال محققه: أثر صحيح. وأخرجه الأصبهاني من طريق عبد الله بن أحمد، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٧٦).

(٢) الإمام الحجة الثقة الفقيه الثبت الورع مالك بن أنس، ولد سنة ٩٣هـ، ومات سنة ١٧٩هـ. انظر عن ترجمته: ترتيب المدارك (١/ ١٠١) وما بعدها. للقاضي عياض، تحقيق الدكتور/ علي عمر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

(٣) هو أبو سهيل نافع بن مالك.

(٤) أخرجه الإمام مالك في الموطأ (٢/ ٤٨١). الأثر رقم (٢٦٢١). حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي، تونس. والفريابي في كتاب القدر (١٧٩). الأثر رقم (٢٧٣). وقال محققه: إسناده صحيح. وانظر الأثر رقم (٢٧٥ - ٢٧٨). وابن أبي عاصم في كتاب السنة (١/ ٨٨). رقم الأثر (١٩٩). وقال الألباني: إسناده صحيح. وعبد الله بن أحمد في كتاب السنة والرد على الجهمة (٢/ ٩٩). الأثر رقم (١٠٠٢). وقال محققه: أثر صحيح. وكذا الأثر رقم =

وقال: «ما أضلَّ من كذب بالقدر، لو لم يكن عليهم فيه حجة إلا قوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [التغابن: ٢] لكفى بها حجة»[١].

وقال: «لا يصلى خلف القدرية»[٢]. وسئل عن تزويج القدري، فقال: «﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ ﴾ [البقرة: ٢٢١]»[٣].

وكذلك يقولون بوجوب الإيمان بالقدر كله خيره وشره، لا يفرقون بين ذلك، حلوه ومره، وأنه كله من الله تعالى.

يقول الإمام أحمد بن حنبل[٤]: «ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله»[٥]. ويقول: «والمعاصي كلها بقضاء وقدر من غير أن

=

(١٠٠٣). وانظر: الأثر رقم (١٠٠٤). والآجري في الشريعة (٢٢١)، الأثر رقم (٢٧٧). وأخرجه اللالكائي (١/ ٤٥٩).

(١) أخرجه الفريابي في كتاب القدر (١٨٦)، الأثر رقم (٢٩١). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه الفريابي في كتاب القدر (١٥٥)، رقم الأثر(٢٢١). وقال محققه: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٨٨)، الأثر رقم (١٩٨). وقال الألباني: إسناده صحيح. وأخرجه اللالكائي (١/ ٤٧٢). وقال محققه: إسناده صحيح. ولمزيد من الأقوال: انظر المرجع نفسه (١/ ٤٥٧- ٤٦٨).

(٤) هو الإمام حقـًا، وشيخ الإسلام صدقـًا، الحافظ، الحجة، الزاهد، قال عنه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرجت من بغداد فما خلفت بها رجلاً أفضل، ولا أعلم، ولا أفقه، ولا أتقى من أحمد بن حنبل، ولد سنة ١٦٤هـ، ومات سنة ٢٤١هـ. انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٧- ٣٥٨).

(٥) العقيدة للإمام أحمد بن حنبل (٦٢)، دراسة وشرح وتحقيق: عبد العزيز عز الدين =

يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله الحجة البالغة على خلقه»[١].

ويقول: الإسماعيلي[٢]: «ويقولون: إن الخير والشر والحلو والمر بقضاء من الله عز وجل أمضاه وقدره، لا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعـاً، إلا ما شاء الله»[٣].

ويقول البربهاري: «ومن قال: المقادير كلها من الله عز وجل خيرها وشرها، يضل من يشاء، ويهدي من يشاء، فقد خرج من قول القدرية، أوله وآخره، وهو صاحب سنة»[٤].

ويقول المزني[٥]: «الخلق عاملون بسابق علمه، ونافذون لما خلقهم له

=

السيروان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: المسائل المروية عن الإمام أحمد (١/ ١٣٨). وقارن: كتاب الاعتقاد (٣١) لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى، تحقيق وتعليق الدكتور/ محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(١) العقيدة للإمام أحمد (٧٤).

(٢) الإمام الحافظ الفقيه أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي الشافعي، له تصانيف تدل على علمه في الفقه والحديث، منها: مسند عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والمستخرج على الصحيح. انظر عن ترجمته: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٩٢-٢٩٦).

(٣) اعتقاد أهل السنة (٤٢). تحقيق/ جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٤) شرح السنة (١٢٣).

(٥) الإمام العلامة، فقيه الملة، علم الزهاد، أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل =

من خير وشر، لا يملكون لأنفسهم من الطاعة نفعـًا، ولا يجدون إلى صرف المعصية عنها دفعـًا»[1].

ويقول الآجري[2]: «فإن المؤمنين قد علموا أن قلوبهم بيد الله، يزيغها إذا شاء عن الحق، ويهديها إذا شاء إلى الحق، ومن لم يؤمن بهذا كفر»[3].

والمقصود أنه مضت سنة الأولين من السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان إلى إثبات القدر حسب مقتضى النصوص الشرعية، وأنه كله من الله تعالى خيره وشره، وأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى[4]، وذم من أنكره، أو جاء بأمر مخالف في مسائله[5].

=

المزني، تلميذ الشافعي، ولد سنة ١٧٥هـ،ومات سنة ٢٦٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٤٩٢-٤٩٧).

(١) شرح السنة (٧٦). دراسة وتحقيق جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية.

(٢) الإمام المحدث القدوة أبو بكر محمد بن الحسين، كان دينـًا ثقة، له تصانيف، مات بمكة سنة ٣٦٠هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٩)، رقم الترجمة (٨٨٨)، الذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٣) الشريعة (١٦١).

(٤) انظر عن هذا على سبيل المثال: شرح اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ٣٣٧) وما بعدها. و(١/ ٤٢٦) وما بعدها. كتاب القضاء والقدر للبيهقي: (١٦٥) وما بعدها. أقوال التابعين (١/ ٤٣٩) وما بعدها.

(٥) انظر على سبيل المثال: القضاء والقدر للبيهقي (٢٩٧- ٣٣٠). الآثار من رقم (٤٦١- ٥٧٣).

المبحثُ الرابع

أقوالُ الناس في خلق أفعال العباد

إن هذه المسألة تعد من أكثر المسائل التي وقع فيها الخلاف بين سائر الطوائف المخالفة في تاريخ المسلمين، وهي متعلقة بالخلق والمشيئة، وكذا بأفعال العباد وقدرتهم. وقد اختلفوا فيها إلى عدة أقوال، وهذا ملخص لأهمها:

قولُ الجهمية:

قالوا إن العبد مجبور على فعله، وأنه لا إرادةَ له ولا اختيار، وسُمي هؤلاء الجبرية، وهم القائلون: «ليس للعباد في أفعالهم وأعمالهم صنعٌ، وإنما يضاف إليهم ذلك كما تضاف حركة الشجرة إذا حركتها الريح إلى الشجرة، وليست لها حركةٌ وإنما حركتها الريح، وكما يضافُ طلوعُ الشمس إلى الشمس وليس لها فعلٌ وإنما أطلعها الله، وكذهابِ الحجر إذا رمي به وليس له عملٌ، وإنما ذهب بدفع دافعٍ. وقالوا: لو جاز أن يكون فاعلٌ غير الله جاز أن يكون خالقٌ غيره. وقالوا: لا ثواب ولا عقاب، وإنما هما طينتان خلقتا إحداهما للنار وأخرى للجنة»[1].

---

(١) التبصير في الدين (١٦٩-١٧٠). الإسفراييني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت، لبنان. وانظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨). لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر. الفرق بين الفرق =

فهم يرون أنه لا فعل لأحد في الحقيقة إلا لله تعالى، وأن الناسَ إنما تنسبُ إليهم أفعالهم على سبيل المجاز، وإلا فلا استطاعة لهم، بل هم مضطرون مجبورون على أفعالهم، والأفعال تُخلق فيهم على حسب ما يُخلق في سائر الجمادات، وهم الجبرية الخالصة[1].

قول النجارية[2]:

يذهب النجارية إلى القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن العبد مكتسب لفعله «وأنه لا يكون في ملك الله سبحانه إلا ما يريده، وأن الله سبحانه لم يزل مريداً أن يكون في وقته ما علم أنه يكون في وقته، مريداً أن لا يكون ما علم أنه لا يكون... وأن المؤمن مؤمنٌ مهتد وفقه الله سبحانه وهداه، وأن الكافر مخذول، خذله الله سبحانه وأضله، وطبع على قلبه، ولم

=

(٢١١). أصول الدين (١٣٤) للبغدادي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

(١) انظر في ذلك: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨)، الفرق بين الفرق (٢١١). الملل والنحل(١/ ٨٦) للشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، أضواء السلف. أصول الدين (١٣٤)، و(٣٣٣). وانظر: الصواعق المرسلة (٣/ ٩٣١) ابن القيم، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

(٢) أتباع الحسين بن محمد النجار، مات سنة ٢٢٠هـ، له كتب منها: المخلوق، القضاء والقدر، الثواب والعقاب. انظر الأعلام (٢/ ٢٥٣). للزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

يهده، ولم ينظر له، وخلق كفره، ولم يصلحه، ولو نظر له وأصلحه لكان صالحًا»[١].

وكان يقول النجار: إن المقتول يقتل بأجله، والميت يموت بأجله، كما أنه يقول بالإرجاء، وبهذا يظهر مفارقته للمعتزلة، إلا أنه في التوحيد يقول بقولهم – كما يذكر الأشعري[٢]– إلا في باب الإرادة والجود[١]. كما أنه

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٠- ٣٤١). وانظر: التبصير في الدين (١٠١). كيد الشيطان لنفسه (١٩٤).

(٢) علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري، إليه تنسب الطائفة الأشعرية، ولد سنة ٢٦٠هـ، وقيل غير ذلك، ومات سنة ٣٢٤هـ، وقيل غير ذلك، له عدة مصنفات، منها: اللمع، الإبانة، الموجز، رسالة إلى أهل الثغر. انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٥-١٣٦). وقد عاش قرابة أربعين سنة على مذهب الاعتزال، فمن الله تعالى عليه بالعودة إلى مذهب أهل السنة، وقد أخبر هو عن نفسه بذلك في مقدمة كتابه الإبانة الذي يعد من آخر ما كتب، وفيه: «قولنا الذي نقول به وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وما روى عن السادة الصحابة والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل – نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته – قائلون، ولما خالف قوله مخالفون؛ لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل، الذي أبان الله به الحق، ودفع به الضلال، وأوضح به المنهاج، وقمع به بدع المبتدعين، وزيغ الزائغين، وشك الشاكين، فرحمة الله عليه من إمام مقدم، وجليل معظم، وكبير مفهم». الإبانة (١/ ٢٠-٢١). تحقيق الدكتورة/ فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار الأنصار، مصر. قلتُ: ولا ريب أن بعض المسائل بقيت عند أبي الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ غير دقيقة، ولم يوافق عليها من قبل علماء أهل السنة والجماعة، ومن ذلك مسألة الكسب في باب القدر الذي هو محور هذه =

وافقهم في نفي الصفات الوجودية، والرؤية بالأبصار[٢]. والأشاعرة يرون أن النجارية توافقهم في خلق أفعال العباد، على أنهم هم أهل السنة!!. يقول البغدادي: «أما قولهم في خلق أفعال العباد، وفي أن الاستطاعة مع الفعل، وفي أنه لا يكون إلا ما أراد الله تعالى... فكقول أهل السنة سواء»[٣].

قول الضرارية[٤]:

يقولون: إن أفعال العباد مخلوقة، وجوزوا حصول فعل لفاعلَيْن، أحدهما خلقه، وهو الله تعالى، والآخر اكتسبه، وهو العبد، وأن الله تعالى فاعل لأفعال العباد حقيقة، وهم فاعلون لها في الحقيقة[٥]. وهذا مما فارقت فيه الضراريةُ المعتزلةَ. ويرى شيخ الإسلام أن الضراريةَ والنجارية: «يقربون من جهم في

=

الدراسة.

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٢).

(٢) انظر: كيد الشيطان (١٩٤). ضمن مجموع.

(٣) أصول الدين (٣٣٤). وانظر: الفرق بين الفرق (٣٠٨). وفيه: «فالذي وافقوا فيه أصحابنا قولهم معنا بأن الله تعالى خالق أكساب العباد، وأن الاستطاعة مع الفعل، وأنه لا يحدث في العالم إلا ما يريده الله تعالى».

(٤) أتباع ضرار بن عمرو. من كبار المعتزلة، خالف المعتزلة في أمور فكفروه، قيل إنه صنف نحو ثلاثين كتاباً، مات سنة ١٩٠هـ، انظر: الأعلام (٣/ ٢١٥).

(٥) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٩). الفرق بين الفرق (٢١٤). الملل والنحل (١/ ١٤٣). التبصير في الدين (١٠٥).

مسائل القدر والإيمان»[١]. قلتُ: ولا غرابةَ أن يرى الأشاعرةُ قربَ هؤلاء منهم؛ لقرب الأشاعرة من الجهمية في مسألة القدر، وإن كانوا دونهم.

قولُ المعتزلة:

يذهبُ المعتزلةُ إلى أن أفعالَ العبادِ ليست مخلوقة لله تعالى، بل هم خالقون لأفعالهم، وهذا القول صرَّح به المعتزلة في كتبهم، ويقوم على إنكار الإرادةِ والخلقِ، يقول القاضي عبد الجبار[٢]: «وإذ قد فرغنا من بيان أقسام الفعل وما يتصل به، نعود إلى الدلالة على أن أفعال العباد غير مخلوقة فيهم، وأنهم هم المحدثون لها»[٣].

ومن أصول المعتزلة: العدل، ويقصدون به أن أفعاله تعالى «كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، ولا يخل بما هو واجب عليه»[٤]. ويقولون: إذا نظرنا إلى أفعال العباد وجدنا فيها الشر، والقبيح، والظلم. يقول القاضي: إن «أحد ما يدل على أنه تعالى لا يجوز أن يكون خالقاً لأفعال العباد، هو أن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقاً لها لوجب أن يكون

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٠٢).

(٢) القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، شيخ الاعتزال، كان شافعي المذهب، مات سنة ٤١٥هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/ ٢٠٢-٢٠٣).

(٣) شرح الأصول الخمسة (٣٣٢). تحقيق الدكتور/ عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. وانظر: ما بعدها. وانظر: (٧٧١، ٧٧٨-٧٧٩).

(٤) شرح الأصول الخمسة (١٣٢).

ظالمـاً جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»[١].

ويقول: والشر «لا يكون إلا ضرراً قبيحـًا»[٢]. فلو قيل: إن الله تعالى هو خالق أفعالهم لوصف بذلك، ونسب إليه، يقول القاضي في شيوخه: «ومنها ما ألزموهم من القول بأنه تعالى إذا كان قد فعل الشر كله، أن يكون شريراً؛ لأن الشرير من كثر الشر منه... وإذا كان تعالى، عندهم، هو الفاعل لكل شر، فهو بهذه التسمية أحق»[٣]. ويقول: «ولو كان ما يفعله يوصف بذلك في الحقيقة، لوجب أن يكون موصوفـًا منه بأنه شرير، وبأنه شر الأشرار، وهذا كفر من قائله، وهذا أحد ما يدل على أن الشر الواقع من العباد ليس من قبله، وإلا وجب كونه موصوفـًا بما ذكرناه»[٤]. وعلى هذا رتب المعتزلة قولهم: إن العباد يخلقون أفعالهم، وزعموا أن الدلائل العقلية تؤيد ذلك، ونصوص الكتاب والسنة تدل عليه، وكان من بين الأخبار التي استدلوا بها، قوله ﷺ:

---

(١) شرح الأصول الخمسة (٣٤٥). وانظر: ما بعدها. وعن تنزه الله تعالى عن فعل القبيح والظلم والجور، كما يقولون ليصلوا إلى قولهم: إن الله تعالى ليس بخالق لأفعال العباد. انظر على سبيل المثال: متشابه القرآن، (١/ ٩٦-٩٧، ٢٧٣، ٢٧٧، ٣٢٤، ٢/ ٣٦٤، ٤٦٣-٤٦٤، ٤٧٠، ٤٧٨-٤٧٩، ٤٨٤-٤٨٥، ٥٠٠-٥٠١، ٥١٥، ٥١٧، ٥٤٢، ٥٤٤، ٥٤٩). للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور/ عدنان محمد زرزور، دار التراث، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) متشابه القرآن (١/ ١٩٨).

(٣) المغني (٨/ ٢٥٥). تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٤) متشابه القرآن (٢/ ٥٠٠).

«والشر ليس إليك»؛ فيرى المعتزلة أن الشر لا ينسب لله تعالى، ومن ثم فإنه لم يخلقه، يقول القاضي: «فنفى أن يكون الشر إليه، ومن عنده»(١). كما حكى علماء أهل السنة وغيرهم من أهل الكلام، كلام المعتزلة هذا(٢)، وما لزمهم والتزموه من اللوازم الباطلة، والآثار الفاسدة بسببه(٣).

معتزلة العصر: وأما القائلون بهذا القول -وهو أن أفعال العباد ليست مخلوقة- من المعاصرين؛ فيظهر ذلك إما عن طريق إخراجهم لكتب المعتزلة وتأييدهم لما فيها(٤)، وإما لما يكتبونه ابتداء ويؤيدون فيه هذا القول

(١) المغني (٨/ ٢٦٤). وانظر: المرجع نفسه (٨/ ٢٤٨). متشابه القرآن (٢/ ٤٥٢).

(٢) انظر: التبصير في معالم الدين (١٦٧). للطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبدالعزيز الشبل، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، دار العاصمة، الرياض، السعودية. طريق الهجرتين (١٤٤) ضبط نصوصه جمال مرعشلي، الطبعة الأولى،١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان. مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٨ – ٢٩٩). الفرق بين الفرق (١١٤ – ١١٥). وانظر ما بعدها.

(٣) انظر على سبيل المثال: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٩٩) وما بعدها. ومما ذكره على سبيل المثال: أقوالهم في الاستطاعة، والقدرة هل هي قبل الفعل أم بعده، وهل للإنسان قدرة على ضد ما فعله، وهل هي جنس واحد، وهل هو قادر على ما يخطر بباله، وهل يعجز القادر، وهل القادر يقدر على ما هو أكثر منه، إلى غير ذلك.

(٤) مثل: الدكتور عدنان زرزور وهو محقق كتاب متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار المعتزلي، ويرى أن فكر المعتزلة شوه عن طريق الأشاعرة، ولم يستثن هذا الرجل مذهب السلف من قوله: : ولا تخلو فرقة واحدة من الغلو في جانب، والتفريط في جانب آخر». مقدمة تحقيق متشابه القرآن (٤) وذكر أنه رجع لكتب المعتزلة «الخاصة بهم، تحريا للدقة، ورفعـًا لظلامة ركبت المعتزلة قرونـًا متطاولة، كانت آراؤهم فيها تؤخذ من =

ويزعمون نقد وردّ مذهب أهل السنة والجماعة وما كان عليه سلف الأمة[١]، وهم أتباع مردّدون لما قاله أسلافهم من المعتزلة وغيرهم من أهل الأهواء، بذات الشبهات والآراء.

قولُ الإمامية الرافضة:

يرون أن الله تعالى لا يفعل القبيح، ولا يخلق إلا الحسن، ففي شرح توحيد الصدوق: «والله لا يفعل القبيح والشر ولا معاصي العباد»[٢].

وذكر أبو الحسن الأشعري أنهم ثلاث طوائف، ففرقة منهم قالت: إن

=

كتب خصومهم». المرجع نفسه (٦٧). وكذلك الدكتور عبد الكريم عثمان في تقديمه لكتاب شرح الأصول الخمسة، وهو محقق الكتاب. حيث ذكر دفاع المعتزلة عن عقيدة التوحيد ورفضهم «أن يتحول القول بوحدانية الله [تعالى] إلى نوع من التجسيم، يعود بالمسلمين إلى وثنية جديدة» ص (٣٥). قلتُ: والتجسيم الذي تنفيه المعتزلة إنما يقصدون به نفي صفات الكمال الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله، فأي وثنية قصدها الدكتور؟!!. انظر: مقدمة شرح الأصول الخمسة (٢٥ – ٣٥).

(١) مثل صاحب كتاب نقد الخطاب السلفي ابن تيمية نموذجًا. وما يخص مسألة القدر، القسم الثالث، من ص(٢٧١- ٣٩١). وهو تكرار لشبهات المعتزلة. وأوهم الكاتب نفسه بأن الغلبة له ولما ذهب إليه أسلافه القدرية!! في حين أن نصوص الكتاب والسنة، وأقوال سلف الأمة، ومن تبعهم من الأئمة كلها تبطل قولهم، وتكشف شبهاتهم، وماذا بعد الحق إلا الضلال.

(٢) شرح توحيد الصدوق (٢/ ١٣٨). لسعيد بن محمد القمي، صححه وعلق عليه الدكتور/ نجفقلي حبيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، طهران.

أعمال العباد مخلوقة لله تعالى(١). وفرقة منهم لم يقولوا في خلق أعمال العباد شيئـًا، لا أنها مخلوقة، ولا أنها غير مخلوقة(٢). والفرقة الثالثة قالت: إن أعمال العباد غير مخلوقة لله تعالى(٣). وهم يرون أن الحوادث تحدث بغير قدرته ولا خلقه، وأن الله تعالى لا يقدر أن يهدي ضالاً، ولا يقدر أن يضل مهتديـًا، وأن الله يشاء ما لا يكون، ويكون ما لا يشاء، وفي الجملة هؤلاء لا يثبتون مشيئة عامة، ولا قدرة تامة، ولا خلقـًا متناولاً لكل حادث، وهذا القول أخذوه عن المعتزلة، هم أئمتهم فيه(٤). وتأمل هذا التشابه بين

---

(١) وهذا قول هشام بن الحكم الرافضي، «وحكى جعفر بن حرب عن هشام بن الحكم أنه كان يقول: إن أفعال الإنسان اختيار له من وجه، اضطرار من وجه، اختيار من جهة أنه أرادها واكتسبها، واضطرار من جهة أنها لا تكون منه إلا عند حدوث السبب المهيج عليها». مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤).

(٢) وهؤلاء هم الواقفة، ومعنى قولهم هو معنى قول أهل السنة، ولكن توقفوا في إطلاق اللفظ. انظر: منهاج السنة (٢/ ٣٠١). لابن تيمية، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

(٣) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤-١١٥). وانظر: الفرق بين الفرق (٦٧، ٦٩). وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن منهم طوائف تثبت القدر وتنكر مسائل التعديل والتجوير. انظر: منهاج السنة (١/ ١٢٨). و(٢/ ٢٩٩-٣٠١).

(٤) انظر: منهاج السنة النبوية (١/ ١٢٩ – ١٣٠). ومما يحسن التنبيه عليه هنا أن من الرافضة الخبثاء طائفة يُقال لها: المفوضة، وهم قوم زعموا أن الله تعالى خلق محمداً، ثم فوض إليه خلق العالم وتدبيره، فهو الذي خلق العالم، ثم فوض محمدٌ تدبير العالم إلى علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فهو المدبر الثاني. وهذا الفرقة شرٌّ من المجوس، الذين زعموا أن الله تعالى خلق الشيطان، ثم إن الشيطان خلق الشرور، وشرٌّ من النصارى الذي سموا عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ =

المجوس والقدرية، ومنهم الرافضة الإمامية!!

قول الزيدية[(١)]:

إن الطائفة الزيدية تتبع المعتزلة في عقائدها، ومن ذلك نفيهم للقدر، واعتقادهم أن العباد يخلقون أفعالهم، يقول الرصاص[(٢)]: «مذهبنا أن أفعال العباد حسنها وقبحها منهم، لا من الله تعالى»[(٣)]. ويذكر الأشعري أنهم اختلفوا؛ فمنهم من قال: إن أعمال العباد مخلوقة لله، خلقها وأبدعها واخترعها بعد أن لم تكن، فهي محدثة له مخترعة. ومنهم من قال: إنها غير مخلوقة لله، ولا محدثة له مخترعة، وإنما هي كسب للعباد اخترعوها وأبدعوها وأحدثوها وفعلوها[(٤)].

=

مدبراً ثانياً. انظر: الفرق بين الفرق (٢٥١). وقال: «فمن عد مفوضة الرافضة من فرق الإسلام فهو بمنزلة من عد المجوس والنصارى من فرق الإسلام».

(١) نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ولد سنة ٧٨هـ، ومات سنة ١٢٢هـ. انظر عن حياته: الإمام زيد بن علي المفترى عليه (٣٤) وما بعدها. لشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دون ذكر لرقم الطبعة. وعن كذب المعتزلة في ذكرهم له من طبقاتهم ومخالفته لهم؛ انظر: المرجع نفسه (١٤٧) وما بعدها.

(٢) أحمد بن محمد الحسن الرصاص، فقيه يمني، من أعيان الزيدية، مات سنة ٦٥٦هـ. انظر: الأعلام (١/ ٢١٩).

(٣) الخلاصة النافعة (١٢٣) تحقيق إمام حنفي سيّد عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٤) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٤٨). وعن قولهم في الاستطاعة: منهم من قال مع

=

قول الخوارج: يقول كثير منهم بقول المعتزلة في القدر[1]؛ أي أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى، ومنهم من قال: أعمال العباد مخلوقة[2]، و«الله سبحانه لم يزل مريداً لما علم أنه يكون أن يكون، ولما علم أنه لا يكون أن لا يكون، وإنه مريد لما علم من طاعات العباد ومعاصيهم، لا بأن أحب ذلك، ولكن بمعنى أنه ليس بآب عنه ولا بمكره عليه»[3].

قول الكلابية[4]:

يرى الأشعري أن ابن كلاب يقول في القدر بقول أهل السنة

=

الفعل، ومنهم من قال: قبل الفعل. المرجع نفسه (١/ ١٤٨ – ١٤٩).

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٧، ١٧٩، ١٨٤). الفرق بين الفرق (٩٦، ٩٧، ٩٨، ١٠٥).

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٧٨). الفرق بين الفرق (٩٤، ٩٥).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٧).

(٤) أتباع عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان، رأس المتكلمين بالبصرة في زمانه، صنف في الرد على المعتزلة، وربما وافقهم، من كتبه: خلق الأفعال، قال من لا يعلم إنه ابتدع ما ابتدعه ليدس دين النصارى في ملتنا، وهو قول باطل، بل هو من أقرب المتكلمين إلى السنة. انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ١٧٤ – ١٧٦). ومن عقائد ابن كلاب: إثبات بعض الصفات، ونفي بعضها الآخر، ومما أثبت صفة الاستواء والعلو، وأما صفة الكلام فقال: إن كلام الله تعالى غير مخلوق، ولكنه قال: إنه كلام أزلي قائم بذاته تعالى، وليس بحروف ولا أصوات، والقرآن عبارة عن كلام الله تعالى. وأثبت ابن كلاب الرؤية. انظر عن ذلك: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥٠-٣٥١، ٢/ ٢٢٥-٢٢٦). موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٤٤٢- ٤٥٢)، الدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

والحديث[١]، ويُنقل عنه أنه قال: «أقول في الجملة: إن الله أراد حدوث الحوادث كلها خيرها وشرها، ولا أقول في التفصيل: إنه أراد المعاصي، وإن كانت من جملة الحوادث التي أراد حدوثها، كما أقول في الجملة عند الدعاء يا خالق الأجسام ولا أقول في الدعاء على التفصيل يا خالق القرود والخنازير والدم والنجاسات، وإن كان هو الخالق لهذه الأشياء كلها»[٢].

قول الأشاعرة:

يقولون: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، وهم بهذا القول يوافقون أهل السنة والجماعة، وقولهم هذا حق، لكنهم يعتقدون في أفعال العباد ما يجعلهم يشابهون الجهمية في قولهم بالجبر، وإن كانت جبريتهم أقل مما هو عند الجهمية، ويتبيّن ذلك بنظرية الكسب عندهم، تلك النظرية التي بقي على القول بها جماعة من المتقدمين والمتأخرين[٣].

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٥٠ – ٣٥١).

(٢) أصول الدين (١٠٤). وانظر عن رأيهم في القدر: آراء الكلابية العقدية (٢٠٧). وما بعدها. هدى الشلالي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، الرياض، السعودية.

(٣) يضطرب الأشاعرة كثيراً في مسألة الكسب، وتجد هذا الاضطراب عند المتقدمين والمتأخرين منهم. انظر على سبيل المثال عند المتأخرين: شرح جوهرة التوحيد (١٠٤– ١٠٦). إبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. القضاء والقدر (٨)، جمال الدين الأفغاني، المطبعة المحمودية التجارية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. وفيه: «ولو استقلت قدرة البشر بالتأثير، ما انحط رفيع، ولا ضعف قوي، ولا انهدم مجد، ولا تقوض سلطان» المرجع نفسه (١٠).

قول الماتريدية[١]:

يذهب الماتريدية إلى أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها، خيرها وشرها. يقول أبو المعين النسفي[٢]: «أفعال العباد كلها مخلوقة لله تعالى، والله تعالى يخلق أفعال العباد كلها خيراً كان أو شراً»[٣].وهذا القول حق وصواب، ولكن الماتريدية عند حديثهم عن علاقة العبد بفعله، يقولون بنظرية الكسب، فالماتريدي بعد أن ذكر الفرق في الإضافة إلى الخالق، والإضافة إلى العباد ذكر أن حقيقة هذا الفعل: «للعباد من طريق الكسب، ولله من طريق الخلق»[٤]. ويفرق بين أفعال العباد التي تقع بإرادتهم وقصدهم، والأفعال التي على خلاف ذلك[٥]. وسيأتي -إن شاء الله تعالى – الحديث عن مذهب الأشاعرة والماتريدية في القدرة وأثرها.

---

(١) تنسب لأبي منصور الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أحد أئمة علم الكلام، له العديد من المصنفات، منها: تأويلات أهل السنة، أوهام المعتزلة، مات سنة ٣٣٣هـ. انظر: الأعلام (٧/ ١٩).

(٢) ميمون بن محمد بن محمد، أبو المعين النسفي، عالم بالأصول والكلام، من كتبه: بحر الكلام، تبصرة الأدلة، التمهيد لقواعد التوحيد. مات سنة ٥٠٨هـ. انظر: الأعلام (٧/ ٣٤١).

(٣) بحر الكلام (١٤٧). دراسة وتعليق الدكتور/ ولي الدين محمد صالح الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، دار الفرفور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: شرح العقائد النسفية (٧٨). للتفتازاني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حققه وقدم له، طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

(٤) التوحيد (٢٢٨).

(٥) انظر: التوحيد (٢٢٩).

المبحث الخامس

القدرة والاستطاعة ومنشأ ضلال القدرية المجوسية

وقع الخلاف بين المتكلمين في العديد من المسائل المتعلقة بمسألة فعل العبد وقدرته، فمنهم من جعل لها أثراً، ومنهم من أبى ذلك، ومنهم من جعل القدرة قبل الفعل، ومنهم من جعلها مقارنة له، ثم رتب كل فريق على موقفه هذا كثيراً من المسائل المتعلقة بأفعال العباد، وقبل ذكر أقوالهم يحسن الإشارة إلى قول أهل السنة في القدرة، وقد لخص ذلك شيخ الإسلام بقوله: «والصواب الذي دل عليه الكتاب والسنة: أن الاستطاعة متقدمة على الفعل ومقارنة له أيضاً، وتقارنه أيضاً استطاعة أخرى لا تصلح لغيره. فالاستطاعة نوعان: متقدمة صالحة للضدين، ومقارنة لا تكون إلا مع الفعل، فتلك هي المصححة للفعل المجوزة له[1]، وهذه هي الموجبة للفعل المحققة له[2]»[3]. أما المتكلمون فهذه إشارات مختصرة إلى موقفهم من

(1) وهذه القدرة تحصل للمطيع والعاصي وتكون قبل الفعل. انظر: منهاج السنة (٣/ ٤٧) وما بعدها.

(2) وهذه القدرة هي التي بها يتمكن العبد من الفعل؛ لأن القدرة السابقة لا تكفي في وجود الفعل، ولو كانت كافية لكان التارك كالفاعل، بل لا بد من إحداث إعانة أخرى تقارن هذه مثل جعل الفاعل مريداً، فإن الفعل لا يتم إلا بقدرة وإرادة. انظر منهاج السنة (٣/ ٤٩-٥٠). وانظر: ما بعدها.

(3) مجموع الفتاوى (٨/ ٣٧٢). ويقول: «لفظ القدرة يتناول نوعين؛ أحدهما: القدرة الشرعية المصححة للفعل التي هي مناط الأمر والنهي. والثاني القدرة القدرية الموجبة =

القدرة[1] والاستطاعة، وهل تسبق الفعل أم تقارنه؟ وهل لها أثر أم لا؟

قول الجهمية:

سبق القول أن الجهمية يرون أنه لا قدرة للعبد؛ لأنه مجبور على حركاته، ويجعلون أفعاله الاختيارية والاضطرارية من جنس واحد[2].

قول النجارية:

قالوا: إن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك أفعال العباد، وأما الاستطاعة فيرى النجار أنها لا تسبق الفعل، بل تكون معه «وأن العون من الله –سبحانه– يحدث في حال الفعل مع الفعل، وهو الاستطاعة، وأن الاستطاعة الواحدة لا يفعل بها فعلان، وأن لكل فعل استطاعة تحدث معه إذا حدث، وأن الاستطاعة لا تبقى، وأن في وجودها وجود الفعل، وفي

=

للفعل التي هي مقارنة للمقدور لا يتأخر عنها» المرجع نفسه (٨/ ١٢٩). وانظر: درء تعارض العقل والنقل (١/ ٦٠) وما بعدها، لابن تيمية، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(١) يعرف بعض المتكلمين القدرة بقوله: «الصفة التي تمكن الحي من الفعل وتركه بالإرادة». التعريفات (٢٢١). أو هي: «صفة تؤثر على قوة الإرادة». التعريفات (٢٢١). وانظر: الكليات (٧٠٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٤-٤٤٥). وقولهم هذا باطل؛ فإن الله تعالى فرق بين المستطيع القادر وغير المستطيع، وكذلك أثبت الله تعالى للعبد مشيئة وفعلاً، ومع هذا فإن الله تعالى خالقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل، فإنه لا رب غيره، ولا إله سواه، وهو خالق كل شيء وربه ومليكه. انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٢٦٧).

عدمها عدم الفعل...»[١].

قول الضرارية:

قالوا: إن الله تعالى خالق أفعال العباد، ويرون أن الاستطاعة تكون قبل الفعل، ومع الفعل[٢].

قول الأشاعرة:

يرى أبو الحسن الأشعري أنه لا أثر للقدرة الحادثة؛ أي أن قدرة العبد لا أثر لها في فعله[٣]، و«يذهب إلى أن الفاعل على الحقيقة هو الله عز وجل، ومعناه معنى المحدِث وهو المخرج من العدم إلى الوجود... وكان يصف المحدث على الحقيقة إنه مكتسب...وكان يقول إن عين الكسب وقع على الحقيقة بقدرة محدثة، ووقع على الحقيقة بقدرة قديمة، فيختلف معنى الوقوع فيكون وقوعه من الله عز وجل بقدرته القديمة إحداثـًا، ووقوعه من

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٤٠-٣٤١). وانظر: كيد الشيطان لنفسه (١٩٤)، لابن الجوزي، ضمن مجموع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٩). الفرق بين الفرق (٢١٤).

(٣) يقول مصطفى صبري عن مذهب الأشاعرة في قدرة العبد: «له قدرة لكن لا تأثير لقدرته، والله هو خالق أفعاله، وعلاقته بأفعاله عبارة عن كونه محلاً لها». موقف البشر تحت سلطان القدر (٤٨). الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية، القاهرة. ويقول: «وتعلق المدح أو الذم بالإنسان من أفعاله على هذا المذهب إنما هي لكونه محلاً ومظهراً لتلك الأفعال لا لكونه فاعلها». المرجع نفسه (١٤٩).

المحدَث بقدرته المحدثة اكتساباً. وكان لا يمتنع من إطلاق القول بمقدور بين قادريْن؛ أحدهما خالقه، والآخر مكتسبه»[١].

وأما أتباعُ الأشعري فبعضهم ينقل قوله، وبعضهم لا يسلم له، وبعضهم اختلف معه فيما ذهب إليه، فالشهرستاني[٢] يقول: إن أبا الحسن الأشعري لم يثبت «للقدرة الحادثة صلاحية أصلاً؛ لا لجهة الوجود، ولا لصفة من صفات الوجود»[٣].

ويقول الرازي[٤]: زعم أبو الحسن الأشعري «أنه لا تأثير لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، بل القدرة والمقدور واقعان بقدرة الله تعالى»[٥]. ورد الرازي بما حاصله: أن العبد إما أن يكون مستبدا بإدخال شيء في الوجود، وإما أن لا يكون، فهذا نفي وإثبات، ولا واسطة بينهما، فإن كان الأول، فقد سلمتم قول المعتزلة، وإن كان الثاني كان العبد مضطراً، فتعود الاشكالات «وعند

---

(١) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري (٩٣). وانظر (٩٥).

(٢) محمد بن عبد الكريم الشهرستاني، من أهل الكلام، متخبط في الاعتقاد، اتهم بميله إلى الإلحاد، غال في التشيع، مات سنة ٥٤٩هـ. انظر: سير أعلام النبلاء(٢٠/ ٢٨٦- ٢٨٨).

(٣) نهاية الإقدام في علم الكلام (٧٢). حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر، المفسر المتكلم، الفيلسوف، جاء بطَوامَّ، قيل: إنه ندم على اشتغاله بعلم الكلام، ومات على سيرة حسنة. انظر: شذرات الذهب (٥/ ٢١-٢٢).

(٥) المحصل (٤٥٥). الرازي، تقديم وتحقيق: الدكتور/ حسين أتاي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

هذا التحقيق فيظهر أن الكسب اسم بلا مسمى»[١].

والمقصود هنا أن أتباع المذهب اضطربوا في معنى الكسب، ولم يقبل بعضهم بكسب لا حقيقة له، لكن تناقضوا ولم يثبتوا أثراً حقيقياً للقدرة، وإن كان بعضهم قد اقترب من قول أهل السنة في ذلك كإمام الحرمين.

فالباقلاني[٢] يرى أن حدوث الفعل بالقدرة الحادثة أو تحتها نسبة خاصة، ويسمي ذلك أيضـًا كسبـًا، وذلك هو أثر القدرة الحادثة[٣]. ويقول: «يجب أن يُعلم: أن العبد له كسب، وليس مجبوراً بل مكتسب لأفعاله؛ من طاعة ومعصية»[٤]. ويقول أيضـًا: «أفعال العباد هي كسب لهم وهي خلق الله تعالى. فما يتصف به الحق لا يتصف به الخلق، وما يتصف به الخلق لا يتصف به الحق، وكما لا يقال لله تعالى إنه مكتسب، كذلك لا يقال للعبد إنه خالق»[٥].

---

(١) المحصل (٤٧٠).

(٢) القاضي أبو بكر محمد بن الطيب المالكي، الأصولي، المتكلم، من أفضل المتكلمين المنتسبين للأشعري، مات سنة ٤٠٣هـ. انظر: شذرات الذهب(٣/ ١٦٨-١٧٠).

(٣) انظر: الملل والنحل (١/ ٩٦ – ٩٧).

(٤) الإنصاف (٧٠)، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

(٥) الإنصاف (٧١)، ويقول: «اعلم أن مذهب أهل السنة والجماعة أن الله تعالى هو الخالق وحده، لا يجوز أن يكون خالق سواه، فإن جميع الموجودات من أشخاص العباد وأفعالهم وحركات الحيوانات قليلها وكثيرها حسنها وقبيحها خلق له تعالى لا خالق لها =

ويرى أن صلاحية القدرة الحادثة اقتصرت على بعض الموجودات دون بعض؛ أي أنها مقصورة على حركات مخصوصة[١]. يقول الرازي: «وزعم القاضي أبو بكر الباقلاني أن ذات الفعل واقع بقدرة الله تعالى، وكونه طاعة ومعصية، صفات تقع بقدرة العبد»[٢].

فالباقلاني يثبت أثراً لهذه القدرة وإن كان بصفة مخصوصة، وبلا صلاحية عامة شاملة وهذا -كما يقول الرازي-: «اعتراف بكون القدرة الحادثة مؤثرة، وهو تسليم لقول الخصم»[٣].

أما الجويني[٤] فقد قال بتأثير القدرة الحادثة، ولعله أراد الخروج من إشكالية الجبر التي تلزم من نظرية الكسب، ومما قاله: «قد تقرر عند كل حاط بعقله، مرقي عن مراتب التقليد في قواعد التوحيد: أن الرب سبحانه وتعالى مطالب عباده بأعمالهم في حياتهم، وداعيهم إليها، ومثيبهم ومعاقبهم عليها في مآلهم، وتبين بالنصوص التي لا تعرض للتأويلات أنه أقدرهم على

=

غيره؛ فهي منه خلق وللعباد كسب...فالواحد منا إذا سمى فاعلاً فإنما يسمى فاعلاً بمعنى أنه مكتسب، لا بمعنى أنه خالق لشيء...». المرجع نفسه (٢٠١).

(١) انظر: نهاية الأقدام (٧٦).

(٢) المحصل (٤٥٥).

(٣) المحصل (٤٧١).

(٤) أبو المعالي الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الفقيه الشافعي المتكلم، ندم في آخر حياته على اشتغاله بعلم الكلام، مات سنة ٤٧٨هـ. انظر: شذرات الذهب (٣/ ٣٥٨-٣٦٠).

الوفاء بما طالبهم به، ومكنهم من التواصل إلى امتثال الأمر والانكفاف عن مواقع الزجر، ولو ذهبت أتلو الآي المتضمنة لهذه المعاني لطال المرام... فمن أحاط بذلك كله ثم استراب أن أفعال العباد واقعة على حسب إيثارهم واختيارهم واقتدارهم، فهو مصاب في عقله، أو مستقر على تقليده، مصمم على جهله، ففي المصير إلى أنه لا أثر لقدرة العبد في فعله قطع طلبات الشرائع، والتكذيب بما جاء به المرسلون، فإن زعم زاعم ممن لم يوفق لمنهج الرشاد أنه لا أثر لقدرة العبد في مقدوره أصلاً، فإذا طولب بمتعلق طلب الله تعالى بفعل العبد تحريماً وفرضاً، ذهب في الجواب طولاً وعرضاً»(١).

ويقول: «الحوادث كلها حدثت بقدرة الله تعالى، ولا فرق بين ما تعلقت قدرة العباد به، وبين ما تفرد الرب بالاقتدار عليه، ويخرج من مضمون هذا الأصل، أن كل مقدور لقادر، فالله تعالى قادر عليه وهو مخترعه ومنشؤه»(٢).

ويرى الشهرستاني أن الجويني قد غلا في إثباته للقدرة الحادثة؛ إذ جعل لها أثراً في الوجود، وإن لم يثبت للعبد استقلالاً بالوجود، ما لم يستند إلى سبب آخر، ثم تتسلسل الأسباب في الترقي إلى البارئ سبحانه، وهو الخالق

---

(١) العقيدة النظامية (٤٢- ٤٤). وانظر: ما بعدها. الجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

(٢) الإرشاد (٧٩). الجويني، علق عليه: زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

المستقل بالإبداع[١].

ويقول فيه الرازي: «وزعم إمام الحرمين أن الله تعالى يوجد للعبد القدرة والإرادة، ثم هما يوجبان وجود المقدور»[٢].

وعند القول بوجود هذه القدرة المؤثرة عند بعض الأشاعرة، فهل يقع الفعل بواحدة من القدرتين أم بهما معـًا؟

يرى الغزالي أن فعل العبد يقع بمجموع القدرتين، والله تعالى خالق القدرة والمقدور جميعـًا، وخلق الاختيار والمختار جميعـًا، فأما القدرة فوصف للعبد، وخلق للرب سبحانه وليست بكسب له، ثم بيّن أنه لا يكون جبراً، والواحد من الناس يدرك التفرقة بين الحركة المقدورة والرعدة الضرورية، وكذلك كيف يكون العبد خالقـًا لفعل نفسه وهو لا يحيط علمـًا بتفاصيل أجزاء الحركات المكتسبة وأعدادها[٣]، ثم قال: «وإذا بطل الطرفان لم يبق إلا الاقتصاد في الاعتقاد، وهو أنها مقدورة بقدرة الله تعالى اختراعـًا، وبقدرة العبد على وجه آخر من التعلق يعبر عنه بالاكتساب»[٤].

وهذه الأقوال من علماء الأشاعرة رغم تصريح بعضهم بنفي الجبر،

---

(١) انظر: نهاية الإقدام (٧٨).

(٢) المحصل (٤٥٥).

(٣) انظر: إحياء علوم الدين (١/ ١٤٦ -١٤٧). الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، دار الخير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٤) إحياء علوم الدين (١/ ١٤٧).

والقول بجواز وقوع الفعل الواحد بقدرتين مختلفتين، إلا أن أقوالهم لم تأت على الحق البيّن الذي ذكره أهل السنة والجماعة، من إثبات القدرة للعبد وأن لها أثر في فعله، بل قالوا بنظرية الكسب التي لم يأتوا فيها بقول بيّن.

والمقصود أن الأشاعرة يفرقون بين فعل الله تعالى الذي هو الخلق، وفعل العبد الذي هو الكسب، وقولهم بالكسب أرادوا به الخروج من القول بالجبر، ولكن حقيقة قولهم: ما فروا منه، وإن كانت جبرية دون جبرية الجهمية، كما صرح بذلك بعضهم، فقال: «والجبرية متوسطة تثبت للعبد كسباً كالأشعرية، وخالصة لا تثبته كالجهمية...»[١].

ولهذا فإن حقيقة مذهب الأشاعرة أنهم لا يرون للقدرة أثراً في الفعل، وإن كانوا يرون أن لها تعلقاً به، وهو الذي يسمونه كسباً[٢]. فالعبد عندهم ليس بفاعل على الحقيقة، والفاعل إنما هو الله تعالى.

قول الماتريدية:

يذهب الماتريدية إلى أن الله تعالى خلق أفعال العباد كلها خيرها وشرها، وهذا القول حق وصواب، ولكن الماتريدية عند حديثهم عن علاقة العبد بفعله، وما ينسب إليه منه وما لا ينسب، تجدهم يقولون بنظرية

---

(١) شرح المواقف (٨/ ٤٢٩). للجرجاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) انظر: المواقف مع شرحه (٦/ ٨٦).

الكسب، ويفرقون بين أفعال العباد التي تقع بإرادتهم وقصدهم، والأفعال التي على خلاف ذلك[١].

والماتريدية في قولهم بالكسب يفرقون بين أمرين في مسألة التأثير في الفعل؛ فجعلوا قدرة الله تعالى مؤثرة في أصل الفعل، وقدرة العبد مؤثرة في صفة الفعل، وهذا التأثير إما أنه الكسب، أو القصد، وتكون بناء على ميل العبد واختياره. يقول الماتريدي: «وعندنا أن القدرة في الصحيح السليم؛ إذ هي تحدث تباعـًا على قدر حرص العباد واختيارهم وميلهم إليها...»[٢]. ويقول النسفي: «لما ثبت أن الإيجاد ليس من قبل العبد وأن له فعلاً، فيتعلق بما هو فعله الثواب والعقاب، والوعد والوعيد، والأمر والنهي، والحمد والذم، وإن كان ذلك غير متعلق بالإيجاد»[٣]. وذكر الفرق بين فعل الله تعالى ومفعوله[٤].

ويقول: «العبد مخير مستطيع، فإذا وجد منه الجهد والقصد والنية والاكتساب في المعصية يجري خذلان الله تعالى مع نيته وقصده، فيستحق

---

(١) انظر: التوحيد (٢٢٩).

(٢) التوحيد (٢٦٦).

(٣) التمهيد في أصول الدين (٧٠).تحقيق وتعليق الدكتور/ عبد الحي قابيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة. وانظر: ص (٦٢). وفيها: «للخلق أفعال بها صاروا عصاة ومطيعين، وهي مخلوقة لله تعالى، فيتعلق الثواب والعقاب بفعلهم دون تخليق الله تعالى».

(٤) انظر: التمهيد في أصول الدين (٧٠).

العقوبة على فعل نفسه، وإذا وجد منه جميع ذلك في الطاعة يجري عون الله تعالى وتوفيقه تعالى مع فعله»[١].

وقول الماتريدية هذا يوافق ما أثبتوه من جواز وقوع مقدور واحد تحت قدرتين، ويفرقون بينهما بقولهم: إن واحدة منها: قدرة اختراع وإيجاد، والثانية قدرة اكتساب، والممتنع هو وقوع المقدور الواحد تحت قدرتين بمعنى واحد؛ إما الاختراع، أو الاكتساب[٢]. فيرون أن الفعل وقع بتأثير قدرة العبد واختياره، وهذا حق، والإسناد إلى قدرة الله تعالى حق[٣]. وعندهم إن قصد العبد «فعل الخير، خلق الله تعالى قدرة فعل الخير، وإن قصد فعل الشر، خلق الله تعالى قدرة فعل الشر»[٤]. وهذا القول هو مذهب جمهور الماتريدية[٥].

والمقصود أن الماتريدية يرون أن للعبد إرادة جزئية بها يكون فعله، وهذا الإرادة غير مخلوقة، وبناء عليها يخلق الله تعالى قدرة العبد، وهو قول

---

(١) بحر الكلام (١٤٥).

(٢) انظر: التمهيد في أصول الدين (٦٧).

(٣) انظر: الصحائف الإلهية (٣٩٤). السمرقندي، حققه وعلق عليه الدكتور/ أحمد عبد الرحمن الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.

(٤) شرح العقائد النسفية (٨٦).

(٥) انظر: إشارات المرام من عبارات الإمام (٢٥٦). حقق نصوصه يوسف عبد الرازق، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

فيه فساد كبير من جهة لازمه، وهو أن قدرة الله تعالى وإرادته كأنها تبع لما يريده العبد ويقصده بالاختيار.

فالأشاعرة والماتريدية يتفقون على خلق أفعال العبد، والعبد كاسب لها، ويعنون أنه متسبب بعزمه في أن يخلق الله الفعل ويجريه على يديه. فلما سئلت الفرقتان عن هذا العزم: أمن عمل العبد هو أم من عمل الرب تعالى؟ أي هل العبد هو الذي يوجه إرادة نفسه مختاراً في هذا التوجيه؟ أم أن الله تعالى يوجه إرادة العبد إلى الشيء أو ضده[١]؟ افترقتا في الجواب؛ فقالت إحداهما بالأول وهي فرقة الماتريدية، وقالت الأخرى بالثاني وهي فرقة الأشاعرة[٢].

قول القدرية المجوسية:

يذهب القدرية إلى القول بأن أفعال العباد فيها الحسن والقبيح، وفيها الخير والشر، ولو قيل: إن الله تعالى خلق أفعالهم لنُسِبَ إليه جل جلاله هذا الخلق، وهو منزهٌ عن العيب والقبح، ومن ثَمَّ التزموا القول بأن العباد

(١) ذكر مصطفى صبري أن الماتريدية يرون أن إرادة العبد قسمان: الإرادة الكلية وهي مخلوقة لله تعالى، والإرادة الجزئية وهي غير مخلوقة، وأثرها بأيديهم، وربما جعلوا الإرادة الجزئية عبارة عن صرف الإرادة الكلية واستعمالها في جانب معين، فهم يريدون أن يجعلوا التعلق بيد العبد ليفروا من الجبر، فتصرف العباد بهذه الطريقة يوضح معنى الكسب، ويعطيه مفهوماً مقبولاً. انظر: موقف البشر تحت سلطان القدر (٥٦-٥٨).

(٢) انظر: المختار من كنوز السنة النبوية (٢٤٧). الدكتور/ محمد عبدالله دراز، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

خالقون لأفعالهم، ورتبوا هذه الضلالات بعضها على بعض، فهذا قولهم وقول من وافقهم.

ولا يعزب عن البال أن هؤلاء كان لهم أسلاف أخذوا عنهم واتبعوهم في باطلهم، وهم الفرس المجوس، القائلون بإلهين اثنين أو آلهة كثيرة موزعة بين الخير والشر، فيقع الصراع بينها، وتنتصر آلهة الخير ومن معها على آلهة الشر ومن معها[1].

ونشأت عن هذه الأفكار نحل أخرى عند الفرس ارتبطت بأسماء من نسبت إليه، وكان من أشهرها الزرادشتية، وصاحبها زرادشت، والتصقت به المجوسية أكثر من غيره. والمشهورُ من تعاليمهِ أنه كان يقولُ بالأصلين، أو

(١) انظر عن المجوسية: الملل والنحل (١/ ٥٦٦، ٥٦٩- ٥٧٣، ٥٧٥). تجريد التوحيد (٦٤) للمقريزي، تحقيق: صبري سلامة شاهين، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. التحرير والتنوير(م ٧/ج ١٧/ ٢٢٣- ٢٢٤)، ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. صبح الأعشى (١٣/ ٢٩٤) للقلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الأديان الوضعية (١٨٣، ١٩٨)، الدكتور/ إبراهيم محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر. فجر الإسلام (٩٩) وما بعدها. المعتقدات الدينية (٩٢) لجفري بارندر، ترجمة الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م. أديان العالم (١٥٢، ١٥٥)، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. الأديان الوضعية (١٨٢-١٨٣).

إله الخير وإله الشر، فإله الخير خلَقَ كل ما هو حسنٌ وخيرٌ ونافع، وإله الشر خلق كل ما هو شر في العالم.

وقد نص الكتاب المقدس للزرادشتية على هذا، ومما ذُكر فيه: «نعبد آهور مازدا المقدس خالق المخلوقات الصالحة»[١]. وفيه أيضـاً: «أتحدث عن الروحيين في بداية الوجود، حين قالت روح الخير لروح الشر، لا تتفق أبداً عقولنا، تعاليمنا مشيئتنا، معتقداتنا، كلماتنا، أفعالنا، ولا نفوسنا أو أرواحنا»[٢]. وفيه: «مالك الشر يعيق المجد بأفعاله الشنيعة من سيصادر مملكته أو حياته يا مازدا؟ سيقوم بذلك، ذلك الذي يمشي في الأيام، ليسهل الدرب أمام المذهب الخيّر»[٣]. وفيه: «لأجل مقاومة أنكرامايني وإزاحته إزاحة مخلوقاته التي هي أيضا مثله شريرة»[٤]. وفيه: «نقدم القرابين لشيستا الأقوم، المقدسة التي خلقها مازدا، لقانون عباد مازدا الخيّر»[٥]. إلى غير ذلك مما اشتمل عليه كتابهم المقدس: من أن إله الخير خلق الخير والمخلوقات التي تأتي بالخيرات[٦]، وهي المخلوقات الصالحة ومنها:

---

(١) الأفستا، الياسنا ١٦/ ١٠. إعداد الدكتور/ خليل عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، روافد للثقافة والفنون، دمشق، سوريا.

(٢) الأفستا، الياسنا ٤٥/ ٢.

(٣) الأفستا، الياسنا ٤٦/ ٤.

(٤) الأفستا، الياسنا ٦١/ ٢.

(٥) الأفستا، ياشت ١٦/ ١.

(٦) انظر على سبيل المثال: الأفستا، ياشت ١٩/ ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢.

النار، والمياه المقدسة، والشمس المقدسة، والقمر، والنجم، في حين أن المخلوقات المخيفة والشريرة[1] خلقها الشيطان[2].

ومنهم أيضـًا: المانوية أتباع (ماني)[3]، وهم أيضـًا يقولون بإلهين اثنين: والعالم نشأ عنهما، فعن النور نشأ كل خير، وعن الظلمة نشأ كل شر، فما يصدر عن الإنسان من خير فمصدره إله الخير، وما صدر عنه من شر فمصدره إله الشر[4]. والمقصود أن أغلب طوائف المجوس يقولون

---

(١) انظر على سبيل المثال: الأفستا، فينديداد ١/ ٢،٤، ٥، ٦، ٨، ٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٧، ١٨، ١٩. وفيها حديث الإله آهور مازدا عن خلقه لبعض الأمكنة الخيّرة، ويقارن ذلك بما خلقته الآلهة الشريرة.

(٢) انظر على سبيل المثال: الأفستا، الياسنا ١٦/ ٢، ٦، ٨، ١٠. وانظر أيضا: هكذا تكلم زرادشت (٨٥، ١١٣). فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار أسامة، دمشق، سوريا، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها. ومما يذكر هنا أن بعضهم يرى أن الزرادشتية تحارب الوثنية والشرك، وأن من تنسب إليه قال بإله واحد، ولكن لم يدم ذلك طويلاً، بل قالت بإلهين اثنين. انظر في ذلك: صبح الأعشى (١٣/ ٢٩٥). الأديان الوضعية (١٨٢). دراسات في الأديان الوثنية القديمة (١١٧ – ١١٨)، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٣) ماني بن فاتك، ظهر زمان أردشير وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى بن مريم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ. انظر: الملل والنحل (١/ ٦١٩).

(٤) انظر عن ذلك: الملل والنحل (١/ ٦٢٠، ٦٢٦). فجر الإسلام (١٠٥). الأديان الوضعية (١٩٦– ١٩٧). موسوعة العقاد الإسلامية (٩٣). الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

بالأصلين النور والظلمة، فالخير ينسب للنور، والشر للظلمة[1]، وأغلب طوائفهم يرون أن الإنسان يفعل بإرادته ما يشاء ولا علاقة للآلهة بأفعاله، وقارن هذا مع ما تذكره القدرية؛ يتبيّن جلياً أن ما جاء عن هؤلاء المجوس هو الجذور الحقيقية لما جاء به مجوس هذه الأمة.

فالقدرية المجوسية: يرون أن العبد له قدرة يستطيع بها خلق أفعاله من الحسنات والسيئات[2]، وهذه القدرة والاستطاعة تكون قبل الفعل، وهي قدرة عليه وعلى ضده، وهي غير موجبة له[3]. وهم بهذا يريدون أن يسلم لهم قولهم: إن الله تعالى لا يخلق الشر.

شبهات المعتزلة:

ذكر المعتزلة بعض الشبهات، زعموا أنها أدلة لهم على قولهم بنفي خلق

---

(١) ومنهم: المزدكية أصحاب مزدك، وكان يقول بالأصلين، ولكنه يرى أن النور يفعل بالقصد والاختيار، والظلمة تفعل على الخبط والاتفاق. انظر الملل والنحل (١/ ٦٣١-٦٣٢). ومنهم الديصانية،: (أصحاب ديصان، أثبتوا أصلين: نورا وظلاما، فالنور: يفعل الخير قصدا واختيارا. والظلام: يفعل الشر طبعا واضطرارا. فما كان من خير ونفع، وطيب، وحسن فمن النور. وما كان من شر، وضرر، ونتن، وقبح، فمن الظلام). الملل والنحل (١/ ٦٣٨).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (٨/ ٤٤٤).

(٣) مقالات الإسلاميين (١/ ٣٠٠). وذكر أن ابن الراوندي قال: القدرة مع الفعل، وهي تصلح للشيء وتركه في حال حدوثه. انظر المرجع نفسه، ذات الجزء، والصفحة. وعن أقوالهم في الاستطاعة وخلافهم في مسائلها: انظر: المرجع نفسه (١/ ٢٩٩). وما بعدها.

الله تعالى لأفعال العباد لوجود القبيح والشر فيها، ومن أهم شبهاتهم:

الشبهة الأولى: قولهم: إن المقدور لا يقع من قادريْن، ثم يُنسب الفعل لكل واحد منهما.

يقول القاضي: «إن كل قادر يجب كون الشيء مقدوراً له عند العدم، يجب كونه مفعولاً له عند الوجود، فلا يصح لو كان المقدور الواحد مقدوراً لقادريْن، أن يحصل عند الوجود فعلاً لأحدهما دون الآخر»(١).

ومما يقال في إبطال زعمهم هذا، قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ ۚ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ إذ يبين تعالى أنه خالق أفعال العباد، وأنه هو الذي وفق المسلمين وأعانهم على قتل أعدائهم، فهو الذي أظفرهم عليهم، وهو الذي أوصل تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفال: ١٧]؛ أي: هو الذي بلغ ذلك إليهم، وكبتهم بها لا أنت(٢).

يقول ابن حزم: «وبيقين يدري كل ذي حس سليم مؤمن بالله تعالى وبالقرآن أن الزرع والرمي والقتل الذي نفاه الله تعالى عن الناس وعن

(١) المغني (٨/ ٩٩).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٩٥). لابن كثير، دار الدعوة، توزيع مكتبة الحرمين، الرياض.

رسوله ﷺ هو غير الزرع والرمي والقتل الذي أضافه إليهم...»[١].

ويبيّن الإمام ابن القيم أن ذلك يعود إلى التفريق بين نوعي الإضافة وجهة كل منها، فيقول: «إحداث الله سبحانه لها بمعنى أنه خلقها منفصلة عنه، قائمة بمحلها وهو العبد، فجعل العبد فاعلاً لها بما أحدث فيه من القدرة والمشيئة، وإحداث العبد لها بمعنى أنها قامت به، وحدثت بإرادته وقدرته، وكل من الإحداثين مستلزم للآخر، ولكن جهة الإضافة مختلفة، فما أحدثه الرب من ذلك، فهو مباين له، قائم بالمخلوق، مفعول له لا فعل. وما أحدثه العبد فهو فعل له، قائم به، يعود إليه حكمه، ويشتق له منه اسمه...»[٢].

ثم ذكر أن الله تعالى أضاف كثيراً من الحوادث إليه، وأضافها إلى بعض مخلوقاته، فأضاف هذه الأفعال إلى نفسه؛ إذ هي واقعة بخلقه ومشيئته وقضائه، وأضافها إلى أسبابها؛ إذ هو الذي جعلها أسباباً لحصولها، فلا تنافي بين الإضافتين، ولا تناقض بين السببين. وإذا كان كذلك تبين أن إضافة الفعل الاختياري إلى الحيوان بطريق التسبب، وقيامه به ووقوعه بإرادته لا ينافي

---

(١) الفصل في الملل والنحل (٣/ ٩٦). تحقيق الدكتور/ محمد إبراهيم نصير، والدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع، جدة، السعودية.

(٢) شفاء العليل (٢/ ٩٦٣ – ٩٦٤) لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

إضافته إلى الرب تعالى خلقاً ومشيئة وقدراً. ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة: ١١]. وقال لنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [هود: ٤٠]. فالرب تعالى هو الذي حملهم فيها بإرادته وأمره ومشيئته، ونوح حملهم بفعله ومباشرته[(١)].

الشبهة الثانية: قولهم: إن القدرة تتعلق بإحداث الفعل.

يقول القاضي: «اعلم أن الذي يقتضيه كونه قادراً، هو حدوث الفعل وخروجه من العدم إلى الوجود دون سائر أوصافه»[(٢)].

يرى المعتزلة أن القدرة تتعلق بإحداث الفعل، ومن ثم فلا يمكن القول بقدرتين ويُنسب الفعل لكل منهما، بل ينسب للقدرة التي أحدثته، والعباد هم الذين أحدثوا أفعالهم فتنسب لهم لا إلى الله تعالى.

يقال لهم: إن قدرة العبد وأثرها وكل متعلق بها مخلوق، وقدرة الله تعالى هي صفته وليست مخلوقة، فالإحداث كله الذي هو الخلق من الله تعالى، ومن ذلك قدرة العبد التي بها يفعل، ففرق بين القدرتين من حيث التعلق، فقدرة الله تعالى تتعلق بالإيجاد والخلق، وقدرة العبد تتعلق بفعله هو وما خلقه الله تعالى وهيأه من الأسباب لوقوع فعله.

يقول شيخ الإسلام: «فإن قيل: كيف يكون الله محدثاً لها والعبد محدثاً

(١) انظر: شفاء العليل (٢/ ٩٦٤-٩٦٥).

(٢) المغني (٨/ ٦٣). وانظر: ما بعدها. وانظر: (٨/ ١٣٢).

لها. قيل: إحداث الله لها بمعنى أن خلقها منفصلة عنه قائمة بالعبد، فجعل العبد فاعلاً لها بقدرته ومشيئته التي خلقها الله تعالى، وإحداث العبد لها بمعنى أنه حدث منه هذا الفعل القائم به بالقدرة والمشيئة التي خلقها الله فيه»[(١)].

ثم إنه يستحيل عقلاً وشرعـاً أن يكون تعلق قدرة العبد بفعله هو نفس تعلق قدرة الله تعالى بذلك الفعل، فأما وجه استحالة ذلك في الشرع فلأن الخلق مما يختص بالله تعالى، فيكون إثباته لغيره تعالى من الشرك. وأما وجه استحالة ذلك عقلاً فلأنه يلزم منه توارد قدرتين على مقدور واحد، ينسب لكل منهما ما ينسب للأخرى من الخلق والإبداع، وعلى هذا فإن نسبة الخلق إلى إحدى القدرتين يلزم منه نفيه بالضرورة عن القدرة الأخرى[(٢)].

ويقال لهم: أليس الإنسان مخلوقـاً محدثـاً، وأصبح فاعلاً بعد أن لم يكن، ومريداً بعد أن لم يكن؟ إن هذا مما لا تنازع فيه المعتزلة، فإقرارهم بهذا وقولهم: إن العباد يخلقون أفعالهم، يوقعهم في كثير من اللوازم الباطلة. يقول شيخ الإسلام: «النفاة خالفوا العلم الضروري، فإن كون العبد مريداً فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً أمر حادث بعد أن لم يكن، فإما أن يكون له محدِث وأما أن لا يكون له محدِث، فإن لم يكن له محدِث لزم حدوث

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٣٩ – ٢٤٠). وانظر: شفاء العليل (٢/ ٧٩٠- ٧٩١). و(٢/ ٨٢٠- ٨٢١).

(٢) انظر: الخلاف العقدي في باب القدر (٢٠). للدكتور/ عبد الله بن محمد القرني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، بيروت، لبنان.

الحوادث بلا محدِث، وإن كان له محدِث فإما أن يكون هو العبد، أو الرب تعالى، أو غيرهما.

فإن كان هو العبد، فالقول في إحداثه لتلك الفاعلية كالقول في إحداث أحداثها، ويلزم التسلسل، وهو هنا باطل بالاتفاق؛ لأن العبد كائن بعد أن لم يكن، فيمتنع أن تقوم به حوادث لا أول لها. وإن كان غير الله، فالقول فيه كالقول في العبد، فتعين أن يكون الله هو الخالق لكون العبد مريداً فاعلاً، وهو المطلوب)(١).

الشبهة الثالثة: قولهم: لو كان الله تعالى هو خالق الشرور لوجب أن يشتق له من ذلك اسمـًا.

يقول القاضي عبد الجبار: «إن في أفعال العباد ما هو ظلم وجور، فلو كان الله تعالى خالقـًا لها لوجب أن يكون ظالمـًا جائراً، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»(٢). ويقول في شيوخ المعتزلة أنهم قالوا: «إن من الخير منه، إذا كان خيراً من الخير، فيجب أن يكون من الشر منه شر من الشر. والغرض من بذلك أن من الشر منه أولى بالذم من الشر»(٣).

---

(١) منهاج السنة (٣/ ٢٣٦). وانظر: المرجع نفسه (٣/ ١١٦-١١٧). وانظر قريبـًا من هذا الكلام جداً في: شفاء العليل (٢/ ٩٦١ – ٩٦٣).

(٢) شرح الأصول الخمسة (٣٤٥). وانظر أيضـًا: المحيط بالتكليف (٢٨٧– ٢٨٨، و٢٦٠، وما بعدها. و٣٧٣). للقاضي عبد الجبار، جمع حسن بن متوية، تحقيق عمر السيد، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) المغني (٨/ ٢٤٨).

يقال لهم: هذا من جهلكم وعدم تفريقكم بين ما ينسب لله تعالى ويوصف به، وبين ما يوصف به العبد، فالله تعالى ينسب إليه من حيث إنه خلقه وأنشأه وأبدعه، وينسب إلى العبد من حيث إنه فعله، ولا يلزم أن يتصف الخالق جل وعلا بما خلق في غيره وجعله فعلاً له؛ لأنه لا يوصف بالفعل إلا من قام به، فأنتم إنما أوتيتم من جهة عدم تفريقكم بين فعل الله تعالى ومفعوله، وبين فعل العبد وفعل الخالق، وكابرتم عن قبول القول الحق بأن جهة الإضافة مختلفة، فكان ضلالكم.

يقول شيخ الإسلام: «وقد علم بصريح المعقول أن الله تعالى إذا خلق صفة في محل كانت صفة لذلك المحل، فإذا خلق حركة في محل كان ذلك المحل هو المتحرك بها، وإذا خلق لونـاً أو ريحـاً في جسم كان هو المتلون المتروح بذلك، وإذا خلق علمـاً أو قدرة أو حياة في محل كان ذلك المحل هو العالم القادر الحي، فكذلك إذا خلق إرادة وحبـاً وبغضـاً في محل كان هو المريد المحب المبغض، وإذا خلق فعلاً لعبد كان العبد هو الفاعل، فإذا خلق له كذبـاً وظلمـاً وكفراً كان العبد هو الكاذب الظالم الكافر، وإن خلق له صلاة وصومـاً وحجـاً كان العبد هو المصلي الصائم الحاج. والله تعالى لا يوصف بشيء من مخلوقاته، بل صفاته قائمة بذاته، وهذا مطرد على أصول السلف وجمهور المسلمين من أهل السنة وغيرهم...»[1].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ١٢٦). ولمزيد انظر: المرجع نفسه (٨/ ١١٨). وما بعدها. وشفاء العليل (٢/ ٨٧٥-٨٨٠). وانظر ما ذكره ابن حزم في رد هذه الشبهة: الدرة (٣٠٥ - ٣٠٦). وانظر (٣٠٣-٣٠٤). تحقيق الدكتور/ أحمد بن ناصر الحمد، والدكتور/ =

وإذا تقرر ضعف شبهات المعتزلة وبطلانها، فإن مما استدلوا به على نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد -لاشتمالها على الشر والقبيح- حديث: «والشر ليس إليك». وفي المبحث التالي بيان للمراد من هذا النفي، مما يزيد مذهبهم تهافتـًا وبطلانـًا.

المبحثُ السادس

المقصود بنفي الشر عن الله تعالى في قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»[1]

إن من عقائد المعتزلة وأصولهم قولهم بالعدل، ومن مرادهم به: أن أفعال الله تعالى كلها حسنة، وأنه لا يفعل القبيح، والشر من القبائح، وأفعال العباد فيها القبيح والظلم والجور والشر، ومن ثم قالوا: إن العباد يخلقون أفعالهم، ويزعم المعتزلة أن العقل والنقل يدل على قولهم هذا، ومن الأخبار التي استدلوا بها على قولهم، قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»، وفهموا منه نفي خلق الله تعالى لأفعال العباد؛ لأن فيها الشرور والقبائح. ومن تأمل الحديث النبوي وجد أنه لا حجة لهم فيه، بل هو ينقض ما زعموه، ويبطل ما ذهبوا إليه، فقد اشتمل على إثبات الربوبية والألوهية والبراءة من كل

=

سعيد بن عبد الرحمن القزقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة التراث، مكة المكرمة، السعودية.

(١) ذكرت في هذه المطالب بعض أقوال الأشاعرة؛ لكونهم وافقوا أهل السنة والجماعة في أن الله تعالى خالق أفعال العباد، وإن خالفوهم في نفي القدرة.

حول وقوة إلا بالله تعالى، ويضاف لذلك أن أهل السنة والجماعة من سلف الأمة ومن تبعهم ومن وافقهم ذكروا المعاني التي يُحمل عليها قوله ﷺ، مع الاعتقاد الجازم بأن الله جل وعلا خالق كل شيء، وأن الإيمان بالقدر خيره وشره، حلوه ومره، كله من الله تعالى، كما دلت على ذلك النصوص وجاءت أقوال علماء السلف، ومن تبعهم تبيّن ذلك، وقد سبقت الإشارة إلى شيء منها، وفيها أيضاً الرد على القدرية من المعتزلة وغيرهم، وهذا أيضاً ما ذكروه في بيان معنى هذا الحديث رداً على زعم القدرية، ولو ذهب الواحد منا يتتبع كلامهم في القديم والحديث لطال به المقام، ولكن هذه إشارات يقع بها بإذن الله تعالى المرام.

المطلب الأول

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن هذا الشر بسبب ذنوب العباد، فوقعت نسبته إليهم، مع أنك سبحانك الخالق لكل شيء

إن النصوص الشرعية قد جاءت ببيان الحق على أكمل وجه، ومن ذلك أن الله تعالى خالق كل شيء، «وجميع المخلوقات عباد لله تعالى فقراء إليه مماليك له، وهو ربهم ومليكهم وإلههم، لا إله إلا هو، فالمخلوق ليس له من نفسه شيء أصلا، بل نفسه وصفاته وأفعاله وما ينتفع به أو يستحقه وغير ذلك إنما هو من خلق الله، والله عز وجل رب ذلك كله ومليكه، وبارئه وخالقه، ومصوره»[1]. وما من ذرة كائنة في الأرض ولا في السماء إلا بقدرته

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٥ – ١٦).

وإرادته، وهذا من الإقرار له بالربوبية. ومن المسلّم به أن زوال النعم، ووقوع العقوبة والجزاء، إنما هو بسبب الكفر والظلم والمعاصي، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢]، وقال جل وعلا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ [الكهف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ﴾ [الحج: ٤٥]، إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي ذكرت هلاك هؤلاء بسبب ما ارتكبوه فحقت عليهم سنة الله تعالى.

يقول ابن القيم: «وهل زالت عن أحد قطُّ نعمة إلا بشؤم معصيته، فإن الله إذا أنعم على عبد بنعمة حفظها عليه، ولا يغيرها عنه حتى يكون هو الساعي في تغييرها عن نفسه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ [الرعد: ١١]، ومن تأمل ما قص الله تعالى في كتابه من أحوال الأمم الذين أزال نعمه عنهم، وجد سبب ذلك جميعه إنما هو مخالفة أمره وعصيان رسله، وكذلك من نظر في أحوال أهل عصره، وما أزال الله عنهم من نعمه، وجد ذلك كله من سوء عواقب الذنوب»(١).

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧١٢). تحقيق: علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية. وقد بيّن هذه الأمور في مواطن =

وإذا تقرر هذا فإن قوله ﷺ: «والشر ليس إليك» معناه: وإن كنت أنت خالقه ومقدره، فإنه ينسب للعبد؛ لأنه محل لهذا الشر، ولا ريب أنه إذا خلق الله تعالى الشر في جهة نسب إليها؛ لأنه قائم بها. ولا أحد ينازع في أن الذنوب إنما هي في أفعال العباد، وعند أهل الحق أن هذا الشر والعقاب إنما وقع بسبب ذنوبهم، ولذلك أضيف الخير إلى الله تعالى، وأضيف الشر إلى محله، وليس في هذه الإضافة نفي لأن يكون تعالى خالقه، وإنما نُسب إلى العباد لمباشرتهم تلك الذنوب. «فإن قيل: فإن الله عز وجل خص الخير بإضافته إلى نفسه... فالجواب: إن معنى تخصيص الخير بإضافته إلى الله عز وجل للاعتراف له بأن النعم كلها من عنده، لا رفع أن يكون الشر من عنده، كما أن تخصيص السماوات والأرضين بإضافتهما إلى خلقه، إنما هو الاعتراف بأن كل موجود سواه وإن عظم ولم يقدُر العباد قدره، فالله خالقه، لا رفع أن يكون الذر والهباء من خلقه»[1].

وأما قول النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»: «فإن معناه: أي أن الإحسان منك وإليك، أي أن ما يصيبنا من خير وحسن فأنت مؤاتيه، والمنعم، وما يكون منا من طاعة وفعل حسن، فأنت المقصود به، وعبادتك هي المراد

=

عديدة من كتبه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. انظر على سبيل المثال: المرجع نفسه (٢/ ٧١٠ - ٧١٢). طريق الهجرتين وباب السعادتين (٩٤) وما بعدها.

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٢٦). الحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة، الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر.

منه. فأما ما يصيبنا من خير وشر فإنه وإن كان منك أيضا فإن ذلك بشرور أنفسنا وهي ما تقع من أعمالنا من سيئ وقبيح، فلست المقصود به...»[١].

وكل ما جرى على العبد من المعاصي فهو خلق من الله تعالى، وهو عدل منه تعالى، ومعصية من العبد، وكل ما جرى من العبد من الطاعات فهو خلق من الله تعالى، وهو منه فضل، فهما من العبد طاعة ومعصية، ومن الرب فضل وعدل[٢].

يقول شيخ الإسلام: «الشر ليس إلى الله بوجه من الوجوه؛ فإنه -وإن كان الله خالق أفعال العباد- فخلقه للطاعات نعمة ورحمة، وخلقه للسيئات له فيه حكمة ورحمة، وهو مع هذا عدل منه، فما ظلم الناس شيئًا، ولكن الناس ظلموا أنفسهم»[٣]. فالشر من جهة إضافته إلى العبد.

أما أفعاله جل وعلا فلا شر فيها بحال، وكل ما خلق ففيه حكمة بالغة. يقول ابن القيم: «وإنما يتبين هذا ببيان وجود الحكمة في كل ما خلقه الله وأمر به، وبيان أنه كله خير من جهة إضافته إليه سبحانه، وأنه من تلك

---

(١) المنهاج في شعب الإيمان (١/ ٣٢٦ – ٣٢٧). وانظر: مختصر كتاب المنهاج في شعب الإيمان (٧١ – ٧٤)، اختصره وعلق عليه علي الشربجي، محيي الدين نجيب، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا. وانظر: القضاء والقدر (٢٧٦). للبيهقي.

(٢) انظر: التبصير في الدين (٩٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٤). وانظر (٣٣٥).

الإضافة خير وحكمة، وأن جهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد»[1].

والحق أنه يمتنع إضافة الشر إليه جل وعلا بوجه، فلا يضاف إلى ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، فإنه منزه عن كل شر و«ليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، وكونها ذنوباً تأتي من نفس العبد، فإن سبب الذنب: الظلم والجهل، وهما من نفس العبد، كما أن سبب الخير: الحمد والعلم والحكمة والغنى، وهي أمور ذاتية للرب، وذات الرب سبحانه مستلزمة للحكمة والخير والجود، وذات العبد مستلزمة للجهل والظلم، وما فيه من العلم والعدل فإنما حصل له بفضل الله عليه...»[2].

ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿ مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [النساء: ٧٩]، وقوله تعالى: ﴿ فَمِن نَّفْسِكَ ﴾؛ أي بسبب ذنوبك، فالذنوب التي يعملها هي من نفسه، وإن كانت مقدرةً عليه[3]. فهذه السيئات عقوبة ذنب من نفس العبد، باعتبار أن عمله السيئ كان سببها[4]، فهي عقوبة له على عدم فعله ما خلقه الله تعالى

---

(١) طريق الهجرتين (٩٤).

(٢) طريق الهجرتين (٩٥). وانظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٦٩١ – ٦٩٣).

(٣) انظر في ذلك: الحسنة والسيئة (٣٦ – ٣٧). وفيه: «وكذلك قوله: (فمن نفسك) يتناول العقوبات على الأعمال، ويتناول الأعمال، مع أن الكل بقدر الله». المرجع نفسه (٣٧).

(٤) انظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ٩٦ – ٩٧). وانظر: (١٤/ ٣٤١). و(١٤/ ٣٧٥). و(١٤/ ٤٢٤). فتح الحميد في شرح التوحيد (٤/ ١٩٠٧). تيسير العزيز الحميد (٦٩١).

له، وفطره عليه[١]، والعباد يظلمون أنفسهم بعدم عملهم بالحسنات، فهذا ليس مضافاً إليه، وعملهم للسيئات خلقه عقوبة لهم على ترك فعل الحسنات التي خلقهم لها، وأمرهم بها، فكل نعمة منه فضل، وكل نقمة منه عدل[٢]. ومع ذلك قد تكون -مع حسن العاقبة- نعمة، وهي نعمة على غيره بما يحصل له بها من الاعتبار والهدى والإيمان[٣].

المطلب الثاني

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي لا ينسب ولا يضاف إليك تأدباً معك، وإلا فأنت سبحانك خالق كل شيء.

من الأمور التي يُفسر بها قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي لا ينسب إلى الله تعالى تأدبًا معه، ولا يعني هذا نفي أن يكون هو خالقه، وقد ذكر العلماء وشراح الحديث هذا المعنى للحديث النبوي كثيراً، وأن المقصود منه التأدب مع الله تعالى؛ لا أنه جل وعلا لم يخلق الشر. يقول البيهقي[٤]: معناه «الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله عز وجل، والمدح له

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣١). وانظر: ما بعدها.

(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٣٤).

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٣٠٦ – ٣٠٧).

(٤) ذكر أنه أخبر به عن أبي سليمان الخطابي. والبيهقي هو الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين، ولد سنة ٣٨٤هـ، كان زاهداً، له تصانيف نافعة، منها: السنن الكبير، الأسماء والصفات، ومناقب أحمد، مات سنة ٤٥٨هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٦٣-١٧٠).

بأن يضاف إليه محاسن الأمور دون مساويها، ولم يقع القصد به إلى إثبات شيء وإدخاله تحت قدرته ونفي ضده عنها، فإن الخير والشر صادران عن خلقه وقدرته لا مُوجد لشيء من خلقه غيره، وقد يضاف محاسن الأمور ومحامد الأفعال إلى الله عز وجل عند الثناء عليه دون مساويها ومذامها...كما يضاف معاظم الخليقة إليه عند الثناء والدعاء فيقال: رب السموات والأرضين، كما يقال: يا رب الأنبياء والمرسلين، ولا يحسن أن يقال: يا رب الكلاب ويا رب القردة والخنازير ونحوها من سفل الحيوان وحشرات الأرض، وإن كانت إضافة جميع المكونات إليه من جهة خلقه لها والقدرة عليها شاملة لجميع أصنافها»[١].

وذكر قريباً من هذا المعنى غير واحد[٢]. وقد جاءت الآيات القرآنية

---

(١) القضاء والقدر (٢٧٥ – ٢٧٦). وانظر: الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد (١٦٤ – ١٦٥). له أيضاً، حققه وعلق عليه أحمد بن إبراهيم أبو العينين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. وفيه: «وأما ما روي في حديث دعاء الاستفتاح: «والخير في يديك، والشر ليس إليك» فإنما معناه الإرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله عز وجل والمدح له، بأن يضاف إليه محاسن الأمور، دون مساويها، ولم يقصد به إدخال شيء في قدرته، ونفي ضده عنه». الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٣٥٦). لابن الأثير، تحقيق: عامر عبد الباسط الجزار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر. وانظر: جامع الأصول (٣/ ١٣٩).

(٢) يقول الماتريدي: «وكذلك عند الناس لا يقال: يا خالق الخبائث والأنجاس ونحو ذلك، وإن كان هو في الحقيقة هو لكل شيء خالقاً... وأصل ذلك أنه يضاف إلى الله تعالى كل ما =

دالة على هذا المعنى، وفيها أمثلة كثيرة على وقوع مثل هذا السياق في مسألة الإضافة والنسبة. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ [آل عمران: ٢٦].

فالآية الكريمة ذكرت الخير دون الشر ليقع التأدب في الخطاب بإضافة الخير إليه دون الشر، مع أنه خالقهما جميعـًا، والآية دلت على القسمين معـًا؛ الشر والخير، وذلك بذكر نزع الملك والإذلال، وهما شر لمن لحق

=

كانت الإضافة إليه تخرج مخرج التعظيم أو مخرج الشكر، أو مخرج ذكر نعمه أو أمره، وما خرج على غير ذلك لا يضاف إليه، وإن كان في الحقيقة خلقه». التوحيد (٣١٢). ويقول القاري: «يقال الله خالق كل شيء، ولا يقال: خالق الكلب والخنزير أدبا مع الله تعالى، وهذا معنى قوله ﷺ: «الخير بيديك والشر ليس إليك»، مع اعتقاد أن الأمر كله لله وكل من عند الله» مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٢/ ٣٢٦). علي القاري، تحقيق جمال عيتاني، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ويقول في موضع آخر: («والشر ليس إليك»: هذا الكلام إرشاد إلى استعمال الأدب في الثناء على الله تعالى، وأن يضاف إليه في محاسن الأشياء دون مساويها، وليس المقصود نفي شيء عن قدرته، يعني أو إثبات شيء لغيره، نقله السيد جمال الدين عن القاضي). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٥). ويقول: و(تقرر في المعتقد وتحرر في المعتمد أن الخير والشر كله من الله خلقـًا، ومن العبد كسبـًا، خلافـًا للخوارج والمعتزلة من أهل البدعة، نعم ينسب الشر إلى النفس أدبـًا مع الله تعالى كما قيل في قوله: ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾ [الشعراء]. وهذا معنى قوله: «الخير بيديك والشر ليس إليك»). مرقاة المفاتيح (٥/ ٢٣٨). وانظر (٥/ ٤٥٥). وانظر: شرح جوهرة التوحيد تحفة المريد (٩٩).

به، وختمت بما يدل على ذلك، يقول ابن القيم: «تناولت الآية ملكه وحده وتصرفه، وعموم قدرته، وتضمنت أن هذه التصرفات كلها بيده، وأنها كلها خير، فسلبه الملك عمن يشاء، وإذلاله من يشاء خير، وإن كان شراً بالنسبة إلى المسلوب الذليل، فإن هذا التصرف دائر بين العدل والفضل والحكمة والمصلحة، لا يخرج عن ذلك، وهذا كله خير يحمد عليه الرب، ويثنى عليه به، كما يحمد ويثنى عليه بتنزيهه عن الشر، وأنه ليس إليه»[١].

وقريبـًا من هذا ما ذكره الشاطبي[٢] في قوله: «الأدب في ترك التنصيص على نسبة الشر إلى الله تعالى، وإن كان هو الخالق لكل شيء... ولم يقل: (بيدك الخير والشر) وإن كان قد ذكر القسمين معا؛ لأن نزع الملك والإذلال بالنسبة إلى من لحق ذلك به شر ظاهر، نعم قال في إثره: ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]؛ تنبيها في الجملة على أن الجميع خلقه، حتى جاء في الحديث عن النبي ﷺ: "والخير في يديك والشر ليس إليك"»[٣].

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٧٥). وانظر: اللباب في علوم الكتاب (٥/ ١٣٢) لابن عادل الحنبلي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(٢) الإمام العلامة، كان صالحـًا، عفيفـًا، ورعـًا، حريصـًا على السنة، مات سنة ٧٩٠هـ، له العديد من المصنفات منها: الاعتصام، المجالس. انظر مقدمة كتاب الاعتصام (١/ ١٠- ١٢). المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٣) الموافقات في أصول الشريعة (م١/ ج٢/ ٨٠ – ٨١). الشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. وانظر: تحفة الأحوذي (٩/ ٢٣٢) للمباركفوري، ضبطها وصححها: خالد عبد الغني محفوظ، =

وفي البرهان وهو يتحدث عن أقسام الحذف، ذكر منه الاكتفاء[1] ومن أمثلته: «قوله: ﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ﴾ تقديره: [والشر]؛ إذ مصادر الأمور كلها بيده جل جلاله، وإنما آثر ذكر الخير؛ لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم إليه؛ أو لأنه أكثر وجودا في العالم من الشر؛ ولأنه يجب في باب الأدب ألا يضاف إلى الله تعالى»[2]. وهذا أمر تظاهرت عليه أقوال المفسرين والشراح وغيرهم[3].

ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى عن الخليل إبراهيم عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الشعراء: ٧٨ – ٨٣].

=

الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

(١) يقول الزركشي في تعريفه: «الثاني: الاكتفاء وهو أن يقتضى المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفى بأحدهما عن الآخر... ثم ليس المراد الاكتفاء بأحدهما كيف اتفق؛ بل لأن فيه نكتة تقتضى الاقتصار عليه». البرهان في علوم القرآن (٣/ ٨٨)، الزركشي، تحقيق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، مصر. وانظر: الإتقان (٣/ ١٤٨)، السيوطي، تحقيق عبد الرحمن فهمي الزواوي، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

(٢) انظر: البرهان (٣/ ٨٩). الإتقان (٣/ ١٤٩).

(٣) انظر على سبيل المثال: البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٥). وانظر: ما بعدها. الموافقات (م١/ ج٢/ ٨١).

فنسب المذكور في الآيات لله رب العالمين، ونسب المرض إلى نفسه تأدبًا مع الخالق جل وعلا. يقول ابن القيم: «فنسب الخلق والهداية والإحسان بالطعام والسقي إلى الله تعالى، ولما جاء إلى ذكر المرض قال: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾ ولم يقل: أمرضني، وقال: ﴿فَهُوَ يَشْفِينِ﴾». وهذا المعنى ذكره غير واحد[1]. والأمثلة عليه كثيرة[2].

المطلب الثالث

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن الشر لا يضاف إليك على وجه الانفراد إجلالاً وتعظيماً لك، مع أنك سبحانك الخالق لكل شيء

إن من المعاني التي قد يُفسر بها الحديث: أن الشر لا يضاف لله تعالى على وجه الانفراد، وعند القول: إن الله تعالى خالق كل شيء، فهذا لفظ عام يشمل كل مخلوق، بما في ذلك الشر، ولكن لا يُضاف إليه تعظيمًا له جل في علاه، فلا يقال يا خالق الشر، ويا خالق الضر، ونحو ذلك، مع أنه تعالى هو خالقها. يقول الصابوني: «ومن مذهب أهل السنة وطريقتهم-مع قولهم بأن الخير

(١) انظر على سبيل المثال: مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣). البرهان (٤/ ٤٥).

(٢) كما في قصة يوسف عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وقصة الخضر عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والجن، وأواخر الفاتحة، وغير ذلك. انظر على سبيل المثال: بدائع الفوائد (٢/ ٤٢٠-٤٢١). عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٥) للصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور/ ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. البرهان في علوم القرآن (٤/ ٤٥- ٤٨). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣).

والشر من الله وبقضائه- أنه لا يضاف إلى الله تعالى ما يتوهم منه نقص على الانفراد فيقال: يا خالق القردة والخنازير، والخنافس والجعلان -وإن كان لا مخلوق إلا والرب خالقه- وفي ذلك ورد قول الرسول ﷺ في دعاء الاستفتاح: «تباركت وتعاليت، والشر ليس إليك». ومعناه -والله أعلم-: والشر ليس مما يضاف إليك إفراداً وقصداً، حتى يقال لك في المناداة: يا خالق الشر، ويا مقدر الشر- وإن كان هو الخالق والمقدر لهما جميعاً»[١].

وذكر هذا المعنى للحديث غير واحد من أهل العلم، من المتكلمين وغيرهم، يقول النووي: «معناه: لا يضاف إليك على انفراده، فلا يقال: يا خالق القردة والخنازير، ويا رب الشر ونحو هذا، وإن كان يقال: يا خالق كل شيء ورب كل شيء، وحينئذ يدخل الشر في العموم»[٢]. وذكر قريباً من هذا: السيوطي[٣]، وزكريا الأنصاري[١]، والشربيني[٢].

(١) عقيدة السلف وأصحاب الحديث (٢٨٤ – ٢٨٥).

(٢) المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠)، ضبط نصه وعلق عليه: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان وقال: «حكاه الشيخ أبو حامد عن المزني، وقاله أيضاً غيره». وانظر: مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). عون المعبود (٢/ ٢٧٠)، محمد أشرف الصديقي آبادي، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٣) عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، مؤرخ أديب، له الكثير من المؤلفات؛ منها: الدر المنثور، تاريخ الخلفاء، تدريب الراوي، ولد سنة ٨٤٩هـ، ومات سنة ٩١١هـ. انظر: الأعلام (٣/ ٣٠١-٣٠٢). انظر قوله في كتاب: الديباج على صحيح مسلم بن =

المطلب الرابع

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أنك لا تخلق شراً محضاً، بل هو شر نسبي إضافي فيه نفع عظيم، وحكمة بالغة.

إن العاقل إذا تأمل الأمور التي يكون ظاهرها شر فإنه يخرج بيقين أنها تحمل النفع، وهذا يوفق له من أبصر الأمور بروية، وأدرك الواقع بلا مكابرة، والأمثلة على ذلك كثيرة، والشواهد من واقع الإنسان تجعله من المسلَّمات، بل إن إسماء الله الحسنى تدل على استحالة وقوع الشر في أفعاله جل وعلا، فهو الرحمن الرحيم.

=

الحجاج (٢/ ٣٠٦)، محمد عدنان درويش، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(١) هو زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، ولد في سنيكة، بمصر، وتعلم بالقاهرة، له العديد من المؤلفات؛ منها: تحفة الباري على صحيح البخاري، شرح ألفية العراقي، فتح الجليل، وهو تعليق على تفسير البيضاوي، وشرح شذور الذهب في النحو، مات سنة ٩٢٦هـ. انظر: مقدمة أسنى المطالب (١/ ٦)، هامش رقم (٢)، ضبط نصه وخرج أحاديثه: الدكتور/ محمد محمد تامر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. انظر قوله في كتاب: أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

(٢) شمس الدين محمد بن محمد الشربيني، له العديد من المؤلفات منها: شرح التنبيه، مناسك الحج، الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع، كانت وفاته سنة ٩٧٧هـ. انظر مقدمة مغني المحتاج (١/ ٧)، ضبط نصه وحققه: الدكتور/ محمد محمد تامر، شريف عبد الله، دار الحديث، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة. انظر قوله في كتاب: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨).

يقول الغزالي: «لعلك تقول: ما معنى كونه تعالى رحيماً، وكونه تعالى أرحم الراحمين، والرحيم لا يرى مبتلى ولا مضروراً ومعذباً ومريضاً وهو يقدر على إماطة ما بهم إلا ويبادر إلى إماطته، والرب تعالى قادر على كفاية كل بلية، ودفع كل فقر، وإماطة كل مرض، وإزالة كل ضرر. والدنيا طافحة بالأمراض والمحن والبلايا، وهو قادر على إزالة جميعها، وتارك عباده ممتحنين بالرزايا والمحن؟ فجوابك أن الطفل الصغير قد ترق له أمه فتمنعه عن الحجامة، والأب العاقل يحمله عليها قهراً، والجاهل يظن أن الرحيم هي الأم دون الأب. والعاقل يعلم أن إيلام الأب إياه بالحجامة من كمال رحمته وعطفه وتمام شفقته، وأن الأم له عدو في صورة صديق، وأن الألم القليل إذا كان سبباً للّذة الكثيرة لم يكن شراً، بل كان خيراً. والرحيم يريد الخير للمرحوم لا محالة، وليس في الوجود شر إلا وفي ضمنه خير، لو رفع ذلك الشر لبطل الخير الذي في ضمنه، وحصل ببطلانه شراً أعظم من الشر الذي يتضمنه، فاليد المتآكلة قطعها شر في الظاهر، وفي ضمنها خير جزيل، وهو سلامة البدن، ولو ترك قطع اليد لحصل هلاك البدن، ولكان الشر أعظم، وقطع اليد لأجل سلامة البدن شر في ضمنه خير، ولكن المراد الأول السابق إلى نظر القاطع السلامة التي هي خير محض، ثم لما كان السبيل قطع اليد قصد لأجله، وكانت السلامة مطلوبة لذاتها أولاً، والقطع مطلوباً لغيره ثانياً لا لذاته، فهما داخلان تحت الإرادة، ولكن أحدهما مراد لذاته والآخر مراد لغيره. والمراد لذاته قبل المراد لغيره، والخير مقتضى بالذات، والشر مقتضى لغيره، وكل مقدر، وليس في ذلك ما ينافي الرحمة أصلاً.

فالآن إن خطر لك نوع من الشر لا ترى تحته خيراً، أو خطر لك أنه كان تحصيل ذلك الخير ممكناً لا في ضمن الشر...فاتهم عقلك في هذين الطرفين، ولا تشكن أصلاً في أنه أرحم الراحمين، وفي أنه سبقت رحمته غضبه، ولا تسترِب في أن مريد الشر للشر لا للخير غير مستحق لاسم الرحمة...»[(١)].

وقد أطال ابن القيم النفَسَ وجاء بالنفيس في هذه المسألة، ومما قال: «إن مَن أسماؤه كلها حسنى، وأوصافه كلها كمال، وأفعاله كلها حكم، وأقواله كلها صدق وعدل، يستحيل دخول الشر في أسمائه أو أوصافه، أو أفعاله أو أقواله...»[(٢)].

ويقول: والخالق جل وعلا لا يأتي أبداً إلا بالخير، «ويستحيل خلاف ذلك في حقه، كما يستحيل عليه خلاف كماله، وقد أفصح أعرف الخلق بربه عن هذا بقوله: «والشر ليس إليك»؛ أي لا يضاف إليك، ولا ينسب إليك، ولا يصدر منك، فإن أسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها كمال، وأفعاله كلها فضل وعدل، وحكمة ورحمة ومصلحة، فبأي وجه ينسب

---

(١) المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى (٤٣-٤٤)، ضبطه وخرج آياته، أحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٨). وانظر: (٢/ ٢٤٢). الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر. وانظر: التفسير القيم (٢٣ – ٢٥). ابن القيم، جمع وإعداد محمد أويس الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر.

الشر إليه سبحانه وتعالى؟ فكل ما يأتي منه فله عليه الحمد والشكر وله فيه النعمة والفضل»[١]. ويقول: «وإنما يتبين هذا ببيان وجود الحكمة في كل ما خلقه الله وأمر به، وبيان أنه كله خير من جهة إضافته إليه سبحانه، وأنه من تلك الإضافة خير وحكمة، وأن جهة الشر منه من جهة إضافته إلى العبد، كما قال في دعاء الاستفتاح: «لبيك وسعديك، والخير في يديك، والشر ليس إليك»، فهذا النفي يقتضي امتناع إضافة الشر إليه تعالى بوجه، فلا يضاف إلى ذاته ولا صفاته ولا أسمائه ولا أفعاله، فإن ذاته منزهة عن كل شر، وصفاته كذلك؛ إذ كلها صفات كمال ونعوت جلال لا نقص فيها بوجه من الوجوه، وأسماؤه كلها حسنى ليس فيها اسم ذم ولا عيب، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وإحسان وعدل، لا تخرج عن ذلك البتة، وهو المحمود على ذلك كله، فيستحيل إضافة الشر إليه»[٢].

ولا ريب أن أهل السنة لا ينكرون وجود الشر في مفعولاته المنفصلة، فإنه خالق الخير والشر، ولكنهم يقولون: هو شر نسبي إضافي، وله فيه الحكمة البالغة. يقول ابن القيم: «هنا أمران ينبغي أن يكونا منك على بال؛ أحدهما: أن ما هو شر أو متضمن للشر فإنه لا يكون إلا مفعولاً منفصلاً، لا

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٢٤٢). وانظر: بدائع الفوائد (٢/ ٧١٨-٧٢٠). التفسير القيم (٥٢٨ -٥٢٩).

(٢) طريق الهجرتين (٩٤). وانظر: جلاء الأفهام (٣٤٩ – ٣٥٠)، ابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

يكون وصفًا له، ولا فعلاً من أفعاله. الثاني: أن كونه شراً هو أمر نسبي إضافيٌّ، فهو خير من جهة تعلق فعل الرب وتكوينه به، وشر من جهة نسبته إلى من هو شر في حقه، فله وجهان هو من أحدهما خيرٌ، وهو الوجه الذي نُسِبَ منه إلى الخالق سبحانه وتعالى، خلقًا وتكوينًا ومشيئة، لما فيه من الحكمة البالغة التي استأثر بعلمها، وأطْلع من شاء من خلقه على ما شاء منها، وأكثرُ الناس تضيق عقولهم عن مبادئ معرفتها، فضلاً عن حقيقتها، فيكفيهم الإيمانُ المجمل بأن الله سبحانه هو الغني الحميدُ، وفاعل الشر لا يفعله إلا لحاجته المنافية لغناه أو لنقصه وعيبه المنافي لحمده، فيستحيل صدور الشر من الغني الحميد فعلا، وإن كان هو الخالق للخير والشر، فقد عرفت أن كونه شراً هو أمرٌ إضافي، وهو في نفسه خير من جهة نسبته إلى خالقه ومبدعه، فلا تغفل عن هذا الموضع، فإنه يفتح لك بابًا عظيمًا من معرفة الرب ومحبته، ويزيل عنك شبهات حارت فيها عقول أكثر الفضلاء»[(١)].

وضرب الأمثلة لبيان ذلك؛ ومنها: قطع يد السارق، فهو شر بالنسبة له، وخير محض بالنسبة إلى عموم الناس؛ لما فيه من حفظ أموالهم ودفع

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٧١٩- ٧٢٠). وانظر: التفسير القيم (٥٢٨ – ٥٢٩). يقول ابن فورك عن الأشعري: إنه يقسّم سؤال السائل إذا قال: «هل تقولون: إن الشر من الله تعالى؟. فيقول: إن أردتم أنه منه خلقًا وإحداثًا على معنى أنه خلقه شراً لغيره، وصار الغير به شريراً فنعم، كما يجعل الضرر ضرراً لغيره، ويكون غيره المضرور به فيكون هو الضار به والمضر، كما قال المسلمون: لنا رب يضر وينفع». مقالات أبي الحسن (٩٨).

الضرر عنهم[١]، وخير بالنسبة إلى متولي القطع أمراً وحكماً؛ لأنه إحسان إلى العبيد عموماً بإتلاف العضو المؤذي لهم المضر بهم، فهو محمودٌ على حكمه بذلك، وأمره به. وكذلك الحكم بقتل من يصول عليهم في دمائهم وحرماتهم، وجلد من يصول عليهم في أعراضهم، فهو شر بالنسبة للصائل، وخيرٌ محض وحكمةٌ وعدل وإحسان إلى العبيد، وأما ما نُسب إلى الرب منها من المشيئة والإرادة والفعل فهو عين الخير والحكمة، فلا تناقض حكمتهُ رحمته، بل يضع رحمته وبِرّه وإحسانه موضعه، ويضع عقوبته وعدله وانتقامه وبأسه موضعه، وكلاهما مقتضى عِزته وحكمته وهو العزيز الحكيم، فلا يليق بحكمته أن يضع رضاه ورحمته موضع العقوبة والغضب، ولا يضع غضبه وعقوبته موضع رضاه ورحمته[٢].

والمقصود أن كل ما خلقه الله تعالى فيه حكمة، والشر الذي يكون فيه فهو شر إضافي نسبي مقيد، وليس شراً محضاً مطلقاً، وكلام العلماء يعضد بعضه بعضاً حول هذا المعنى، يقول شيخ الإسلام: «إن كان الشيء موجوداً كالألم وسبب الألم، فينبغي أن يعرف أن الشر الموجود ليس شراً على الإطلاق، ولا شراً محضاً، وإنما هو شر في حق من تألم به، وقد تكون مصائب قوم عند قوم فوائد[٣]...وليس في مخلوقات الله ما يؤلم الخلق كلهم

---

(١) انظر عن هذا أيضاً: القول المفيد (٣/ ٢٢٦).

(٢) انظر عن ذلك: بدائع الفوائد (٢/ ٧٢٠-٧٢١). وانظر: التفسير القيم (٥٢٩ -٥٣٠).

(٣) جاء في شرح العقيدة الطحاوية: بعد ذكر الحديث «والشر ليس إليك»؛ أي فإنك لا تخلق شراً محضاً، بل كل ما تخلقه ففيه حكمة، هو باعتبارها خير، ولكن قد يكون فيه شر =

دائمـًا، ولا ما يؤلم جمهورهم دائمـًا، بل مخلوقاته إما منعمة لهم أو لجمهورهم في أغلب الأوقات، كالشمس والعافية، فلم يكن في الموجودات التي خلقها الله ما هو شر مطلقـًا عامـًا.

فعلم أن الشر المخلوق الموجود شر مقيد خاص، وفيه وجه آخر هو به خير وحسن، وهو أغلب وجهيه، كما قال تعالى: ﴿أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧]، وقال تعالى: ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [النمل: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحجر: ٨٥]، وقال [تعالى]: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١]، وقد علم المسلمون أن اللّه لم يخلق شيئـًا ما إلا لحكمة؛ فتلك الحكمة وجه حسنه وخيره، ولا يكون في المخلوقات شر محض لا خير فيه، ولا فائدة فيه بوجه من الوجوه؛ وبهذا يظهر معنى قوله: «والشر ليس إليك»»[1].

=

لبعض الناس، فهذا شر جزئي إضافي، فأما شر كلي أو شر مطلق، فالرب سبحانه وتعالى منزه عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه». شرح الطحاوية (٢/ ٥١٧)، حققه وعلق عليه: الدكتور/ عبد الله التركي، شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. وينظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦) لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الرياض، السعودية.

(١) مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٠- ٢١).

ويقول: «ولهذا كان النبي ﷺ يقول في دعاء الاستفتاح: «والخير بيديك، والشر ليس إليك»، فإنه لا يخلق شراً محضـاً، بل كل ما يخلقهُ ففيه حكمةٌ، هو باعتبارها خيرٌ،

ولكن قد يكون فيه شرٌّ لبعض الناس، وهو شرٌّ جزئي إضافيٌّ، فأما شر كليٌّ، أو شر مطلقٌ، فالرب منزهٌ عنه، وهذا هو الشر الذي ليس إليه»[1].

ولذلك فإن الشر الذي يظهر شراً لمن يراه، فيه حكمة بالغة ومنفعة، إما مباشرة وإما غير مباشرة، إما عاجلة وإما متأخرة، ثم هو شر بالنسبة للمخلوقين، لا للخالق جل وعلا.

كما أن الآيات القرآنية دالة على هذا المعنى، فما ذكر الشر إلا مقيداً وبصور معينة، مما يدفع أن يكون الشر شراً محضـاً لا خير فيه، ومن ثم يبطل قول المعتزلة الذين أنكروا خلق الله تعالى لأفعال العباد بحجة أن في أفعالهم شراً، والشر قبيح، والله تعالى لا يفعل القبيح، وكذا يتبيّن أن هذا

(١) الحسنة والسيئة (٦٠ –٦١). تحقيق: عادل شوشه، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، المنصورة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٦). ولمزيد عن هذا انظر: شفاء العليل (٣/ ٩٨٥ – ٩٨٦)، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد بن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية. جامع العلوم والحكم (٢/ ٦٧٢)، تحقيق الدكتور/ محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٤م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

الحديث لا يدل على مذهبهم. فالشر لم يضف إلى الله تعالى وحده، بل إما بطريق العموم، وإما أن يحذف فاعله، وإما أن يضاف إلى السبب، والأمثلة على ذلك من القرآن الكريم كثيرة، فمن أمثلة ما جاء بطريق العموم، قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [الرعد: ١٦]، فإنه إذا دخل في العموم أفاد عموم القدرة والمشيئة والخلق، وتضمن ما اشتمل عليه من حكمة تتعلق بالعموم. ومن النوع الثاني: وهو بحذف فاعله، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَا نَدۡرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ أَرَادَ بِهِمۡ رَبُّهُمۡ رَشَدٗا﴾ [الجن: ١٠]، فحذفوا فاعل الشر ومريده، وصرحوا بمريد الشر. وقوله تعالى في سورة الفاتحة: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، فذكر النعمة مضافة إليه سبحانه، والضلال منسوباً إلى من قام به، والغضب محذوفاً فاعله. ومن النوع الثالث وهو بإضافته إلى السبب: قوله تعالى: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على هذه الأنواع[1].

وإذا تقرر أن الشر والضرر موجود، فإن ما يحصل منه مغمور بكثرة النفع، وهذا يدركه كل من أبصر وتدبر، يقول شيخ الإسلام: «إن ما حصل

(١) انظر عن ذلك: مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤ – ٩٦). رسائل وفتاوى شيخ الإسلام (م٢/ ج٥/ ١٥٢)، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، حققه وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر. بدائع الفوائد (٢/ ٧٢٤ – ٧٢٦)، وضرب أمثلة عديدة على ذلك من الآيات الكريمة. التفسير القيم (٥٣٢– ٥٣٤).

من الضرر أمر مغمور في جنب ما حصل من النفع، كالمطر الذي عم نفعه إذا خرب به بعض البيوت أو احتبس به بعض المسافرين والمكتسبين كالقصارين ونحوهم، وما كان نفعه ومصلحته عامة كان خيرا مقصودا ورحمة محبوبة وإن تضرر به بعض الناس»(١).ويقول: «والضرر الذي يحصل به حكمة مطلوبة لا يكون شراً مطلقـًا، وإن كان شراً بالنسبة إلى من تضرر به؛ ولهذا لا يجيء في كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ إضافة الشر وحده إلى الله»(٢).

ويقول: «وليس إذا خلق ما يتأذى به بعض الحيوان لا يكونُ فيه حكمة، بل فيه من الحكمة والرحمة ما يخفى على بعضهم، مما لا يُقدِّر قَدْرَهُ إلا الله. وليس إذا وقع في المخلوقات ما هو شر جزئي بالإضافة يكون شراً كليـًا عامـًا، بل الأمورُ العامةُ الكليةُ، لا تكون إلا خيراً ومصلحة للعباد، كالمطر العام، وكإرسال رسول عام»(٣).

ويقول: «وكل ما خلقه مما فيه شر جزئي إضافي ففيه من الخير العام والحكمة والرحمة أضعاف ذلك، مثلُ إرسال موسى إلى فرعون، فإنه حصل به التكذيب والهلاك لفرعون وقومه، وذلك شر بالإضافة إليهم، لكن

---

(١) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤). وانظر: المرجع نفسه (٨/ ٩٣ -٩٤). رسائل وفتاوى شيخ الإسلام (م٢/ ج٥/ ١٥١).

(٢) مجموع الفتاوى (٨/ ٩٤).

(٣) الحسنة والسيئة (٦٢ – ٦٣). مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٦٨).

حصل به -من النفع العام للخلق إلى يوم القيامة، والاعتبار بقصة فرعون- ما هو خير عام، فانتفع بذلك أضعافُ أضعافِ من استضر به، كما قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ۝٥٦ ﴾ [الزخرف: ٥٥ - ٥٦]، وقال تعالى بعد ذكر قصته: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴾ [النازعات: ٢٦]، وكذلك محمد ﷺ، شقي برسالته طائفة من مشركي العرب وكفار أهل الكتاب، وهم الذين كذبوه، وأهلكهم الله تعالى بسببه، ولكن سعد بها أضعافُ أضعافِ هؤلاء. ولذلك من شقي به من أهل الكتاب كانوا مبدلين محرفين قبل أن يبعث الله محمداً ﷺ، فأهلك الله بالجهاد طائفة، واهتدى به من أهل الكتاب أضعافُ أضعافِ أولئك. والذين أذلهم الله من أهل الكتاب بالقهر والصَّغَار، أو من المشركين الذين أحدث فيهم الصغار، فهؤلاء كان قهرهم رحمة لهم؛ لئلا يعظم كفرهم، ويكثر شرهم.

ثم بعدهم حصل من الهدى والرحمة لغيرهم ما لا يحصيهم إلا الله، وهم دائمـًا يهتدي منهم ناس من بعد ناس ببركة ظهور دينه بالحجة واليد. فالمصلحة بإرساله وإعزازه، وإظهار دينه، فيها من الرحمة التي حصلت بذلك ما لا نسبة لها إلى ما حصل بذلك لبعض الناس من شر جزئي إضافي، لما في ذلك من الخير والحكمة أيضا؛ إذ ليس فيما خلقه الله سبحانهُ شرٌّ محضٌّ أصلا، بل هو شر بالإضافة»[1].

---

(١) الحسنة والسيئة (٧٢-٧٣). وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٧٦ -٢٧٧). وانظر: =

ويقول ابن القيم: «ومن تأمل هذا الوجود، علم أن الخير فيه غالب، فإن الأمراض -وإن كثرت- فالصحة أكثر منها، واللذات أكثر من الآلام، والعافية أعظم من البلاء، والغرق والحرق والهدم ونحوها -وإن كثرت- فالسلامة أكثر. ولو لم يوجد هذا القسم الذي خيره غالب لأجل ما يعرض فيه من الشر لفات الخير الغالب، وفوات الخير الغالب شر غالب؛ ومثال ذلك النار فإن في وجودها منافع كثيرة، وفيها مفاسد، لكن إذا قابلنا بين مصالحها ومفاسدها لم تكن لمفاسدها نسبة إلى مصالحها، وكذلك المطر والرياح والحر والبرد. وبالجملة فعناصر هذا العالم السفلي خيرها ممتزج بشرها، ولكن خيرها غالب...»[(١)]. وهذا مما أقر به الفلاسفة، فهم يقولون: إن «الشر واقع بالتبع، فإن ترك الخير الكثير لأجل الشر القليل، شرٌّ كثير»[(٢)].

=

الحسنة والسيئة (٩٦- ٩٨). وانظر: (٩٩) وما بعدها. مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٩٩ - ٣٠١). و(١٤/ ٣١٥). وانظر ما ذكره ابن عثيمين بهذا الخصوص عن وقوع الشر ووجود الخير من وراء ذلك: القول المفيد على كتاب التوحيد (٣/ ٢٢٣- ٢٢٦).

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٩٨- ٩٩٩). وانظر: ما بعدها. وانظر: شرح العقيدة الطحاوية (٢/ ٥١٨). ويقال: إن الشر قد يقدره الله تعالى على الإنسان ويحصل له به الخير، فالمرض شر، ولكن يحصل به للإنسان خير؛ لأنه يُكفر به عن سيئاته، ويرفع له في درجاته. انظر عن هذا ما ذكره الشيخ محمد بن صالح العثيمين في كتاب: التعليق على صحيح مسلم (٤/ ٢٣٦). الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.

(٢) طوالع الأنوار من مطالع الأنظار (٢٠٢)، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتقديم عباس سليمان، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

وكذلك قال بعض أئمة الزيدية في ردهم على الثنوية، إذ إنهم يسلّمون بوجود الشر مع الخير ولا يلغي ذلك كونه خيراً، ووجود الخير مع الشر ولا يلغي ذلك كونه شراً، ومما قاله أحد علمائهم[١]: «ألم تر أن الظلمة ربما نفعت فحمدت، وذلك إذا استترت الأبرار بها عن ظلم الظالمين فسلمت، وطلبت فيها وبها البردَ فأدركته في طلبها، فهذا منها نفع ظاهر في دنيا ودين، يراه بينا من أمرها كل ذي عين وقلب رصين، ثم تعود منافعها مضارا إذا أعطب هذا منها أشراراً»[٢]. ويقول: «وكذلك أحوال النور، في جميع ما يرى من الأمور، ربما نفع فيها ثم عاد بالضرر عليها»[٣].

ويقول: «ربما ضرنا النور في أكثر موجودات الأمور، ولما يوجد من نفع قليل غيره، أنفع مما يوجد من أكثر كثيره، لثمرة أنفع في الغداة لآكلها من الأنوار في الغداة كلها...إن النور لأدل على طلبات الأشرار، وأكشف لهم عن خفيات ما يبغون... وإن كان دليلُ عماة الظلمة -على ما ثبتوه أصلاً من الظلمة- ضرّ الظلمة في بعض أمورها، لربما منعت كثيراً من الشرور

(١) هو القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي، ولد سنة ١٦٩هـ، ومات سنة ٢٤٦هـ، من علماء الزيدية، له العديد من المؤلفات منها: كتاب العدل والتوحيد الكبير، كتاب الرد على المجبرة. انظر ترجمته في كتاب: رسائل القاسم بن إبراهيم الرسي، (٨٣-٨٥). تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

(٢) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (١٠١).

(٣) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (١٠١).

بستورها، فلم تجد لمنعها بسواتر ظلامها الآثمة سبيلاً إلى تناول آثامها. ولسنا نجد عياناً نورهم من المضار معرى، ولا ظلامهم في جميع الأحوال مضراً، إلا أن يكون نورهم عندهم غير النور المعقول! فيصيروا بعد إثبات أصلين إلى إثبات أصول...»[١].

ثم إن الشر- كما يقول ابن القيم- لا يكون إلا بانقطاع نسبته لله تعالى، فالشر ليس في خلقه وفعله جل وعلا، بل يكون في بعض مخلوقاته ومفعولاته[٢]. وذكر بعض الأسماء مثل: القدوس السلام العزيز الجبار المتكبر العلي الحميد، وبيّن دلالتها على تنزيه الخالق جل وعلا عن كل شر، وعن كل عيب، وعن كل نقص[٣]. ثم قال: «فأسماؤه الحسنى تمنع نسبة الشر والسوء والظلم إليه، مع أنه سبحانه الخالق لكل شيء، فهو الخالق للعباد وأفعالهم وحركاتهم وأقوالهم، والعبد إذا فعل القبيح المنهي عنه كان قد فعل الشر والسوء، والرب تعالى هو الذي جعله فاعلاً لذلك، وهذا الجعل منه عدل وحكمة وصواب، فجعله فاعلاً خير، والمفعول شر وقبيح. فهو سبحانه بهذا الجعل قد وضع الشيء موضعه لما له في ذلك من الحكمة البالغة التي يحمد عليها، فهو خير وحكمة ومصلحة، وإن كان وقوعه من العبد عيبا ونقصا وشراً»[٤].

(١) رسائل القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الرسي (٨٩).
(٢) انظر ما ذكره ابن القيم عن ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٧٥ – ٩٧٦).
(٣) انظر في ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٧٧- ٩٨٣).
(٤) شفاء العليل (٣/ ٩٨٢ – ٩٨٣).

كما أن الواقع يشهد بهذا ويدل عليه، فإذا وضع الشيء في موضعه اللائق به أضحى مقبولاً، وحكم عليه بأنه مقتضى الحكمة، وإن لم فلا، ويضرب ابن القيم الأمثلة على ذلك فيقول: «وهذا أمر معقول في الشاهد، فإن الصانع الخبير إذا أخذ الخشبة العوجاء والحجر المكسور واللبنة الناقصة، فوضع ذلك في موضع يليق به ويناسبه، كان ذلك منه عدلاً وصواباً يمدح به، وإن كان في المحل عوج ونقص وعيب يذم به المحل. ومن وضع الخبائث في موضعها ومحلها اللائق بها، كان ذلك حكمة وعدلاً وصواباً، وإنما السفه والظلم أن يضعها في غير موضعها، فمن وضع العمامة على الرأس، والنعل في الرجل، والكحل في العين، والزبالة في الكناسة، فقد وضع الشيء موضعه، ولم يظلم النعل والزبالة؛ إذ هذا محلهما»[1].

ثم اعلم أن دخول الشر على الأمور الوجودية إنما هو بسبب النسبة والإضافة، فيوصف بالشر؛ لأنه أضيف إلى محله القائم به، فالله تعالى خالقه، والمحل القائم به، المضاف إليه، موصوف به، ولهذا فالأمور الوجودية ليست شروراً بالذات، بل بالعرض، فيكون الشر الوجودي الحاصل شراً إضافي فيها، ومن الأمثلة على ذلك: القهر والغلبة، فإن وضعت في مكانها كانت خيراً، وإن أدت إلى الظلم كانت في غير موضعها، ومن ثم تكون شراً. وكذلك ماء جار في نهر إلى أرض يسقيها وينفعها، فكماله في جريانه حتى يصل إليها، فإذا عدل به عن مجراه وطريقه إلى أرض

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٨٤).

يضرها ويخرب دورها، كان الشر في العدول به عما أعد له، وصار ذلك شراً إضافيـاً نسبيـاً. وكذلك النار كمالها في إحراقها، فإذا أحرقت ما ينبغي إحراقه فهو خير، وإن صادفت ما لا ينبغي إحراقه فأفسدته فهو شر إضافي بالنسبة إلى المحل المعين. فظهر أن دخول الشر في الأمور الوجودية إنما هو بالنسبة والإضافة، لا أنها من حيث ذاتها ووجودها، فإذا أضيف إلى غير الله، كان شراً بهذه النسبة والإضافة، وكذلك كل ما وجوده كفر وشرك إنما كان شراً بإضافته إلى ما جعله كذلك، كتعظيم الأصنام، فالتعظيم من حيث هو تعظيم لا يمدح ولا يذم إلا باعتبار متعلقه، فإذا كان تعظيمـاً لله وكتابه ودينه ورسوله كان خيراً محضـاً، وإن كان تعظيمـاً للصنم وللشيطان فإضافته إلى هذا المحل جعلته شراً، كما أن إضافة السجود إلى غير الله جعلته كذلك[1].

يقول ابن القيم: «فاعلم أن الشر كله يرجع إلى العدم؛ أعني عدم الخير وأسبابه المفضية إليه، وهو من هذه الجهة شر، وأما من جهة وجوده المحض فلا شر فيه. مثاله: أن النفوس الشريرة وجودها خير من حيث هي موجودة، وإنما حصل لها الشر بقطع مادة الخير عنها، فإنها خلقت في الأصل متحركة لا تسكن، فإن أعينت بالعلم وإلهام الخير تحركت، وإن تركت تحركت بطبعها إلى خلافه، وحركتها من حيث هي حركة خير، وإنما تكون شراً بالإضافة، لا من حيث هي حركة، والشر كله ظلم، وهو وضع

---

(١) انظر عن ذلك: شفاء العليل (٣/ ٩٨٦ – ٩٩٢). وانظر ما بعدها. وانظر: مجموع الفتاوى (١٤/ ٢٢) وما بعدها.

الشيء في غير موضعه، فلو وضع في موضعه لم يكن شراً. فعلم أن جهة الشر فيه نسبة إضافية، ولهذا كانت العقوبات الموضوعات في محالها خيراً في نفسها، وإن كانت شراً بالنسبة إلى المحل الذى حلت به، لما أحدثت فيه من الألم الذي كانت الطبيعة قابلة لضده من اللذة، مستعدة له، فصار ذلك الألم شرا بالنسبة إليها، وهو خير بالنسبة إلى الفاعل، حيث وضعه موضعه، فإنه سبحانه لا يخلق شرا محضا من جميع الوجوه والاعتبارات، فإن حكمته تأبى ذلك، بل قد يكون ذلك المخلوق شراً ومفسدة ببعض الاعتبارات، وفي خلقه مصالح وحكم باعتبارات أُخَر أرجح من اعتبارات مفاسده، بل الواقع منحصر في ذلك، فلا يمكن في جناب الحق جل جلاله أن يريد شيئًا يكون فساداً من كل وجه بكل اعتبار، لا مصلحة في خلقه بوجه ما، هذا من أبين المحال، فإنه سبحانه بيده الخير، والشر ليس إليه، بل كل ما إليه فخير، والشر إنما حصل لعدم هذه الإضافة والنسبة إليه، فلو كان إليه لم يكن شراً، فتأمله، فانقطاع نسبته إليه هو الذي صيره شراً»(١).

وإن قيل فلم تنقطع نسبته إليه خلقـًا ومشيئة، قيل: «هو من هذه الجهة ليس بشرٍّ، فإن وجوده هو المنسوب إليه، وهو من هذه الجهة ليس بشرّ، والشر الذي فيه: من عدم إمداده بالخير وأسبابه، والعدم ليس بشيء، حتى ينسب إلى من بيده الخير، فإن أردت مزيد إيضاح ذلك، فاعلم أن أسباب الخير ثلاثة: الإيجاد، والإعداد، والإمداد، فهذه هي الخيرات وأسبابها،

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤٧-١٤٨).

فإيجاد السبب خير، وهو إلى الله، وإعداده خير، وهو إليه أيضا، وإمداده خير، وهو إليه أيضا، فإذا لم يحدث فيه إعداد ولا إمداد حصل فيه الشر بسبب هذا العدم الذي ليس إلى الفاعل، وإنما إليه ضده. فإن قلت: فهلا أمده إذ أوجده؟ قلت: ما اقتضت الحكمة إيجاده وإمداده فإنه سبحانه يوجد ويمده، وما اقتضت الحكمة إيجاده وترك إمداده: أوجده بحكمته ولم يمده بحكمته، فإيجاده خير، والشر وقع من عدم إمداده. فإن قلت: فهلا أمدّ الموجودات كلها؟ قلت: فهذا سؤال فاسد، يظن مورده أن التسوية بين الموجودات أبلغ في الحكمة، وهذا عين الجهل، بل الحكمة كل الحكمة: في هذا التفاوت العظيم الواقع بينها، وليس في خلق كل نوع منها تفاوت، فكل نوع منها ليس في خلقه من تفاوت، والتفاوت إنما وقع بأمور عدمية، لم يتعلق بها الخلق، وإلا فليس في الخلق من تفاوت»[1].

وإن قيل فإبليس شر محض، فيقال إن في خلقه من الحكم ما لا يعلمه إلا الله تعالى، يقول ابن القيم: «قيل في خلق إبليس من الحكم والمصالح والخيرات التي ترتبت على وجوده ما لا يعلمه إلا الله...فالله سبحانه لم يخلقه عبثًا ولا قصد بخلقه إضرار عباده وهلاكهم، فكم لله في خلقه من حكمة باهرة، وحجة قاهرة، وآية ظاهرة، ونعمة سابغة، وهو إن كان للأديان والإيمان كالسموم للأبدان ففي إيجاد السموم من المصالح والحكم ما هو

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤٨).

خير من تفويتها»[١]. وقد ذكر العديد من هذه الحكم؛ منها:

١-قدرة الخالق جل وعلا على خلق المتضادات.

٢-ظهور آثار أسمائه القهرية؛ مثل: القهار، المنتقم، والعدل، والضار، وشديد العقاب، والمذل، فإن هذه الأسماء والأفعال كمال، فلا بد من وجود متعلقها، ولو كان الخلق كلهم على طبيعة الملَك، لم يظهر أثر هذه الأسماء.

٣-ظهور آثار أسمائه المتضمنة لحلمه وعفوه، ومغفرته وستره، وتجاوزه عن حقه.

٤-حصول العبودية المتنوعة التي لولا خلق إبليس لما حصلت، ولكان الحاصل بعضها لا كلها. ومنها عبودية الجهاد وتوابعها مثل المحبة والبغض في الله تعالى، وإيثار محاب الرب جل وعلا على محاب النفس، ومنها عبودية التوبة، ومخالفة عدوه ومراغمته في الله جل وعلا، وإغاظته فيه، وأن يُتعبد له بالاستعاذة من عدوه، وحصول الخوف والحذر من قبل العبد إذا رأى ما حل بعدوه بمخالفته، وسقوطه إلى المرتبة الشيطانية.

٥-ظهور كثير من آياته وعجائب صنعه، حصل بسبب وقوع الكفر والشر من النفوس الكافرة الظالمة، كآية الطوفان، وآية الريح، وآية إهلاك ثمود وقوم لوط، وآية انقلاب النار على إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ برداً وسلاماً، وغير ذلك.

٦-أن خلق الأسباب المتقابلة التي يقهر بعضها بعضا، هو من شأن

---

(١) شفاء العليل (٣/ ٩٩٨).

كمال الربوبية، والقدرة النافذة، والحكمة التامة، والملك الكامل، وإن كان شأن الربوبية كاملاً في نفسه، ولو لم تخلق هذه الأسباب، لكن خلقها من لوازم كماله وملكه، فظهور تأثيرها وأحكامها في عالم الشهادة تحقيق لذلك الكمال، وموجب من موجباته[١].

ولو قال قائل: فهل كان يمكن وجود تلك الحِكَم بدون هذه الأسباب؟

فالجواب عن ذلك بيّنه ابن القيم في قوله: «هذا سؤال باطل؛ إذ هو فرض وجود الملزوم بدون لازمه، كفرض وجود الابن بدون الأب، والحركة بدون المتحرك، والتوبة بدون التائب»[٢].

وقد ذكر هذا المعنى كثير من أهل العلم، يقول الشيخ العثيمين: «إن الشر لا ينسب إلى الله، قال النبي ﷺ: «والشر ليس إليك»، فلا ينسب إليه الشر لا فعلاً ولا تقديراً ولا حكماً، بل الشر في مفعولات الله لا في فعله، ففعله كله خير وحكمة، فتقدير الله لهذه الشرور له حكمة عظيمة...»[٣]. كما ذكر هذا المعنى للحديث طائفة من أهل الكلام[٤].

---

(١) انظر: مدارج السالكين (٢/ ١٤٤-١٤٧). وانظر ما جاء في كتاب: الإيمان بالقضاء والقدر (١٤٧) وما بعدها. الدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٤٧).

(٣) القول المفيد (٣/ ٢٢٣).

(٤) يقول النووي في هذا المعنى: «والشر ليس شراً بالنسبة إليك، فإنك خلقته لحكمة بالغة، وإنما هو شر بالنسبة إلى المخلوقين». المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). وانظر: أسنى =

المطلب الخامس

قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»؛ أي أن الشر لا يُتقرب به إليك، ولا يصعد إليك

مما ذكره العلماء في بيان المعنى المراد من الحديث النبوي «والشر ليس إليك»: أي أن الشر لا يُتقرب به إليك، وليس مقرَّباً إليك، وإنما يُتقرَّب إليك بفعل الخيرات، والأعمال الصالحة، ولا يعزب عن البال أن فاعل الذنب والشر يقرُّ بهذا، فلو سُئلَ وقيل له: هل تتقرب بهذا الفعل إلى الله تعالى؟! كان جوابه بالنفي. ثم إن غير الله تعالى قد يُتقرب إليه بالشر كسباً لوده، ورغبة فيما عنده، كحال الكفرة الطغاة وزبانيتهم.

يقول شيخ الإسلام: «ومن هنا يعرف قوله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: «والشر ليس إليك»، فإن الله إليه المنتهى من جهة إلهيته، والشر لا ينتهي إليه، ولا يصعد إليه، ولا يصل إليه، ولا يحبه، ولا يرضاه، فهو قطع له من جهة الألوهية، وهذا نحو قول من قال لا يتقرب به إليك»[1].

ويقول ابن أبي العز[2]: «هذا إشارة إلى عظم جلاله وعزة سلطانه، من

=

المطالب (١/ ٤٢٣). الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨).

(١) المجموعة العلية (٢/ ١٤٩)،تحقيق الدكتور/ هشام بن إسماعيل الصيني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

(٢) العلامة علي بن علي بن أبي العز، ولد سنة ٧٣١هـ، ومات سنة ٧٩٢هـ، من مؤلفاته:
=

جهة أن الملوك بأسرهم غالب التقرب لهم بالشرور وإيثار أغراضهم على سائر الأغراض، والله سبحانه وتعالى -لسعة رحمته ونفوذ مشيئته- لا يتقرب إليه بشر، بل هو سبب إبعاد، فالتقدير في الحديث: والشر ليس مقربـًا إليك»[١]. وذكر القرافي[٢] قريبـًا من هذا، وقال: «وهذا معنى حسنٌ جميل يحمل اللفظ عليه...»[٣].

وعن النضر بن شُميل[٤] أنه قال في هذا الحديث «والشر ليس إليك»: لا يُتقرب بالشر إليك[٥]. وذكر هذا غير واحد من أهل العلم[١].وذكر غير واحد

=

الهداية، الاتباع. انظر: شذرات الذهب(٦/ ٣٢٦). ومقدمة شرح الطحاوية (١/ ٦٧).

(١) نقله عنه السيوطي في شرحه لسنن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي (٢/ ٤٦٧)، حققه مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

(٢) شهاب الدين أحمد بن إدريس الفقيه الأصولي المالكي، ولد سنة ٦٢٦هـ، ومات سنة ٦٨٢هـ. له العديد من المؤلفات؛ منها: الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة، الذخيرة، انظر: الوافي بالوفيات (٦/ ٣٨٢-٣٨٣) لخليل بن أيبك الصفدي، حققه: جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان. ومقدمة كتاب الفروق (١/ ٢٠)، وما بعدها.

(٣) الفروق (٢/ ١٦٤).

(٤) الإمام العلامة، الحافظ، النحوي، ولد حوالي سنة ١٢٢هـ، ومات سنة ٢٠٤هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٣٢٨-٣٣٢).

(٥) فضائل الصحابة ج٢ ص٦٩٦ [١١٨٩]. شرح مشكل الآثار (٤/ ٢٢٣). وذكره بسنده إليه إجازة. للطحاوي، حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة =

منهم أيضـاً أن الخليل بن أحمد سئل عن هذا، فقال: «معناه: ليس ذلك مما يتقرب به إليك، كقولهم: أنا منك وإليك، أي: معدود من جهتك ومنتم إليك»[٢].

والمقصود أن هذا المعنى(أن الشر لا يُتقرب به إليك) ذكره غير واحد من أهل العلم[٣].

وقد يقول قائل: إن الإمام ابن القيم قال: «ولا يلتفت إلى تفسير من

=

الثالثة،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

(١) انظر: السنن الكبير (٣/ ٣٨٣). تحقيق: الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، الرياض، السعودية. وانظر: الاعتقاد (١٦٨). وقال محققه: إسناده صحيح. القضاء والقدر (٢٧٦). للبيهقي، رقم الأثر (٤٠٠). المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠).

(٢) الشافي في شرح مسند الشافعي (١/ ٣٥٦). وانظر: جامع الأصول (٣/ ١٣٩). معالم السنن (١/ ٢٨٣).

(٣) ذكر النووي وغيره، أنه قول: الخليل بن أحمد، والنضر بن شميل، وإسحق بن راهويه، ويحيى ابن معين، وأبو بكر بن خزيمة، والأزهري وغيرهم. انظر: المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). عون المعبود (٢/ ٣٢٩). معالم السنن (١/ ١٠٧). وانظر: مشكل الآثار(٤/ ٢٢٢). مشارق الأنوار (٢/ ٤١٧).

وانظر: صحيح ابن حبان (٥/ ٧٣). مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨). الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦). ويقول السندي: «إن الشر ليس قرباً إليك، ولا يتقرب به». حاشية السندي على سنن النسائي: سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السندي (٢/ ٤٦٨). أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

فسره بقوله: والشر لا يتقرب به إليك، أو لا يصعد إليك، فإن المعنى أجل من ذلك، وأكبر وأعظم قدراً»(١).

فيقال له: إن الإمام ابن القيم لم يقل: إن هذا المعنى باطل، وإنما أراد أنه لا يتحقق كل ما يجب من تنزيه للإله -جل وعلا- إذا فُسّر الحديث بهذا المعنى دون غيره، فقال: «إن هذا الذي قالوه إنما يتضمن تنزيهه عن صعود الشر إليه والتقرب به إليه، فلا يتضمن تنزيهه في ذاته وصفاته وأفعاله عن الشر، بخلاف لفظ المعصوم الصادق المصدَّق، فإنه يتضمن تنزيهه في ذاته تبارك وتعالى عن نسبة الشر إليه بوجه ما، لا في صفاته، ولا في أفعاله، ولا في أسمائه»(٢). ولهذا فلا يُعد هذا القول رداً لتفسيره بهذا المعنى؛ لما يلي:

١- أنه لا يوجد في النصوص ما يعارضه أو يبطله.

٢-أنه معنى لا يحتمل السوء ولا الخطأ، وما من مانع يمنع من اعتباره أحد الوجوه في المقصود من الحديث.

٣-أن هذا القول ورد عن بعض الأئمة، وهم أرادوا بذلك أن مما يُقال في معناه: لا يُتقرب بالشر إليك، ولم يقولوا: إنه لا يحتمل غير هذا المعنى.

٤-أن كلام ابن القيم يُحمل على من قصره على هذا المعنى دون أن يضم إلى غيره من المعاني.

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٨).

(٢) بدائع الفوائد(٢/ ٧٢٤).

وإذا كان الأمر كذلك؛ أي أن الشر لا يتقرب به إليه جل وعلا، فإنه لا يصعد إليه، فهو سبحانه طيب لا يقبل إلا طيباً، ولذلك ورد عن بعض أهل العلم قولهم: إن معنى قوله ﷺ: «والشر ليس إليك»: والشر لا يصعد إليك، إنما يصعد الكلم الطيب، والعمل الصالح[1]. يقول القاضي عياض: «وقيل: لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليك الكلِمُ الطيب؛ أي إلى مستقر الأعمال الطيبة من عليين، وسدرة المنتهى، وحيث جعلت مستقر كتبها»[2]. ويقول زكريا الأنصاري: «وقيل: لا يصعد إليك، وإنما يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح»[3]. ويقول السيوطي: «وقيل: معناه: الشر لا يصعد إليك، وإنما يصعد إليه الكلم الطيب والعمل الصالح»[4].

وذكر هذا المعنى غير واحد[5]، وبعد ذكر بعض أقوال أهل العلم في المعنى المراد من قوله ﷺ «والشر ليس إليك»، يتبيّن بطلان قول المعتزلة وتهافته، وهو قول ينزه عنه العقلاء.

وخلاصة ما سبق أن يقال: ليس هناك ما يمنع من حمل الحديث على كل هذه المعاني، مع الاعتقاد الجازم أن الله تعالى خالق كل شيء، بما في

---

(١) مسلم بشرح النووي (٦/ ٣٠٦). المجموع شرح المهذب (٣/ ٤٠). عون المعبود (٢/ ٣٢٩).

(٢) مشارق الأنوار (٢/ ٤١٧).

(٣) أسنى المطالب (١/ ٤٢٣).

(٤) الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج (٢/ ٣٠٦).

(٥) انظر: مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج (١/ ٣٦٨). مرقاة المفاتيح (٢/ ٤٩٣).

ذلك أفعال العباد خيرها وشرها.

وهذا مقتضى الآيات الكريمة التي جاءت ببيان أن الله تعالى خالق كل شيء، ومن ذلك الشر، قال تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ١ – ٥]. فأمر الله نبيه بالاستعاذة من الشر فدل على أنه مخلوق[١]. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥][٢].

وكذلك يؤيده الأحاديث النبوية التي ذكرت وجوب الإيمان بالقدر خيره وشره، وأنه كله من الله تعالى، ومن ذلك أيضـًا حديث الاستخارة، فعن جابر بن عبد الله رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة في الأمور كلها، كما يُعلمنا السورة من القرآن، يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهمَّ إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدرُ، وتعلمُ ولا أعلمُ وأنت علام الغيوب. اللهم إن كُنتَ تعلمُ أن هذا الأمر خيرٌ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: عاجل أمري وآجله- فاقدرهُ لي ويسرهُ لي، ثم بارك لي فيه. وإن كُنت تعلمُ أن هذا الأمر شرٌّ لي في ديني

---

(١) انظر: الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار (٢/ ٤٤٩)، يحي بن أبي الخير العمراني، دراسة وتحقيق الدكتور/ سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

(٢) انظر: الانتصار (٢/ ٤٤٨).

ومعاشي وعاقبة أمري -أو قال: في عاجل أمري وآجله- فَاصْرِفهُ عني واصرفني عنهُ، واقْدُر لي الخيرَ حيثُ كان، ثم أرضني به» قال: «ويسمي حاجته»[١].

وفيه أن الله تعالى هو الذي يخلق الشر، وهو القادر على صرفه عن عبده، ولو كان العبد هو خالق الشر، لما احتاج أن يسأل الله تعالى صرفه عنه، ويسأله تقدير الخير له، وكيف يكون خالقًا له، وهو عاجز عن صرفه عن نفسه!

يقول ابن بطال[٢]: «وفي هذا الحديث حجة على القدرية الذين يزعمون أن الله تعالى لا يخلق الشر، تعالى الله عما يفترون، وقد أبان النبي عَلَيْهِ السَّلَامُ في هذا الحديث أن الله تعالى هو المالك للشر والخالق له؛ إذ هو المدعو لصرفه عن العبد، ومحال أن يسأله العبد أن يصرف عنه ما يملكه العبد من نفسه، وما يقدر على اختراعه دون تقدير الله عليه»[٣].

ويقول ابن حجر[٤]: «قوله: «فاصرفه عني واصرفني عنه» فيه دليل لأهل

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، كتاب التهجد، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، البخاري مع فتح الباري (٣/ ٥٧٦- ٥٧٧). حديث رقم (١١٦٢).

(٢) أبو الحسين علي بن خلف بن بطال البكري، له كتاب في الزهد والرقاق، كانت وفاته سنة ٤٤٤هـ. انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٦٥٤).

(٣) شرح صحيح البخاري (١٠/ ١٢٣). الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مكتبة الرشد، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، الرياض، السعودية.

(٤) الحافظ أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي العسقلاني، ولد بمصر سنة ٧٧٣هـ، ومات سنة ٨٥٢هـ. انظر: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع (٢/ ٣٣-٣٦).

السنة أن الشر من تقدير الله على العبد؛ لأنه لو كان يقدر على اختراعه لقدر على صرفه ولم يحتج إلى طلب صرفه عنه»(١).

وبهذا يظهر فساد قول القدرية: إن الله تعالى لا يخلق أفعال العباد؛ لأن في أفعالهم القبيح والجور والظلم والشرور، ومما يزيد في بيان بطلان قولهم وتهافته، كثرة اللوازم الباطلة التي لزمت منه، والآثار الفاسدة التي نتجت عنه. فهو يفضي إلى الشرك بالله تعالى، وترك الاستعانة به، ونسبة العجز إليه، فقولهم باطل لا حجة لهم عليه، فتعالى الله عن قول المشركين علواً كبيراً. قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [النمل: ٥٩ – ٦٤].

---

(١) فتح الباري (١٤/ ٤٢٢).

الخاتمة

الحمدُ لله أولاً وآخراً، وظاهراً وباطنـاً، الحمدُ لله الذي بفضله وقدرته ومشيئته تتم الصالحات، لا يكون إلا ما أراد، ولا يقع إلا ما شاء، وصلى الله وسلم على خير الأنبياء، وإمام الأصفياء، نبينا محمد وعلى آله وصحبه الأتقياء. ومما سبق عرضه يمكن القول:

أولاً: أن مذهبَ سلف الأمة ومن تبعهم إثبات القدر، والاعتقاد الجازم بأنه كله من الله تعالى خيره وشره، حلوه ومره.

ثانيـاً: أن ضلال القدرية في هذه المسألةِ وغيرها من مسائل العقيدة يعودُ إلى عدم الأخذِ بالنصوصِ الشرعية، واعتمادهم على ما يسمونه: الدلائل العقلية. وحقيقتها أهواء وضلالات، فإنه لا تعارض بين العقل والنقل.

ثالثـاً: أن هذا القول بنفي خلق أفعال العباد ومنها الشر = ليس مما أحدثه القدرية من المعتزلة وغيرهم، بل قالت به بعض الطوائف من الأمم السابقة وعلى رأسها المجوسية الفارسية، ولهذا كانت القدرية في تاريخ المسلمين مجوس هذه الأمة؛ لقولهم بقول أولئك ومشابهتهم لهم.

رابعـاً: أن كل ما يذكره القدرية من أدلة ويزعمون أنها تؤيد مذهبهم هذا، لا حجة لهم فيها، ووجه استشهادهم بها على باطلهم مردود متهافت.

خامسـاً: أن قول القدرية هذا نتج عنه كثيرٌ من اللوازم الباطلة والآثار الفاسدة.

سادسًا: أن بعض أهل الكلام وافقوا أهل السنة والجماعة في بيان المعنى المراد من الحديث، ولكن هذه الموافقة لا تعني موافقتهم في بقية مسائل القدر كما يراه أهل السنة من السلف الصالح ومن تبعهم.



المراجع

١- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق الدكتورة / فوقية حسين محمود، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م، دار الأنصار، مصر.

٢- الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، تحقيق: عبد الرحمن فهمي الزواوي، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٣- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، دار الخير للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤- أديان العالم، حبيب سعيد، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، القاهرة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥- الأديان الوضعية في مصادرها المقدسة وموقف الإسلام منها، الدكتور / إبراهيم محمد إبراهيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٥م، مطبعة الأمانة، شبرا، مصر.

٦- آراء الكلابية العقدية، هدى الشلالي، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، الرياض، السعودية.

٧- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لأبي المعالي الجويني، علق عليه زكريا عميرات، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٨- أسنى المطالب شرح روض الطالب، لأبي يحيى زكريا بن محمد

الأنصاري، ضبط نصه وخرج أحاديثه الدكتور / محمد محمد تامر، الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩- إشارات المرام من عبارات الإمام، لكمال الدين البياضي، حقق نصوصه يوسف عبد الرازق، الطبعة الأولى، ١٣٦٨هـ/ ١٩٤٩م، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر.

١٠- أصول الدين، لعبد القاهر البغدادي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ / ١٩٨١م، تحقيق/ لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان.

١١- الاعتصام، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، المكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢- اعتقاد أهل السنة، لأبي بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، تحقيق: جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار ابن حزم للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٣- الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد، للبيهقي، حققه وعلق عليه أحمد بن إبراهيم أبو العينين، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٤- الأعلام، لخير الدين الزركلي، الطبعة العاشرة، ١٩٩٢م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان.

١٥- الأفستا، إعداد الدكتور / خليل عبد الرحمن، الطبعة الثانية، ٢٠٠٨م، روافد للثقافة والفنون، دمشق، سوريا.

١٦- أقوال التابعين في مسائل التوحيد والإيمان، جمع ودراسة وتحقيق: عبد العزيز بن عبد الله المبدل، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دار التوحيد للنشر، الرياض، السعودية.

١٧- الإمام زيد بن علي المفترى عليه، لشريف الشيخ صالح أحمد الخطيب، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٨- الانتصار في الرد على المعتزلة القدرية الأشرار، يحي بن أبي الخير العمراني، دراسة وتحقيق الدكتور / سعود بن عبدالعزيز الخلف، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، أضواء السلف، الرياض، السعودية.

١٩- الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، لأبي بكر بن محمد الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين أحمد حيدر، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٢٠- الإيمان بالقضاء والقدر، للدكتور/ محمد بن إبراهيم الحمد، الطبعة الثانية، ١٤٣٣هـ، ٢٠١٢م، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٢١- الإيمان، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الخامسة، ١٤١٦هـ/١٩٩٦ م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٢- بحر الكلام، لأبي المعين النسفي، دراسة وتعليق الدكتور/ ولي الدين محمد صالح الفرفور، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، دار الفرفور للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

٢٣- بدائع الفوائد، لابن قيم الجوزية، تحقيق: علي بن محمد العمران، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ. دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٢٤- البرهان في علوم القرآن، للزركشي، تحقيق: أحمد بن علي، الطبعة الأولى، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر، القاهرة، مصر.

٢٥- تاج العروس، للزبيدي، وضع حواشيه الدكتور/ عبد المنعم خليل إبراهيم، كريم سيد محمد محمود، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢٦- التبصير في الدين، لأبي المظفر الإسفرايني، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.

٢٧- التبصير في معالم الدين، لابن جرير الطبري، تحقيق وتعليق علي بن عبدالعزيز الشبل، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٢٨- تجريد التوحيد المفيد، للمقريزي، تحقيق صبري سلامة شاهين،، الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م، دار القبس للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٢٩- التحرير والتنوير، لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٣٠- تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ضبطها وصححها، خالد عبد الغني

محفوظ، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣١- تذكرة الحفاظ، للذهبي، وضع حواشيه زكريا عميرات، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٣٢- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض بن موسى، تحقيق الدكتور/ علي عمر، الطبعة الأولى، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.
٣٣- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، تحقيق الدكتور/ عبد الرحمن عميرة، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، عالم الكتب، بيروت، لبنان.
٣٤- التعليق على صحيح مسلم، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى ١٤٣٥هـ، مكتبة الرشد، الرياض، السعودية.
٣٥- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الدعوة، توزيع مكتبة الحرمين، الرياض، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.
٣٦- التفسير القيم، لابن قيم الجوزية، جمع وإعداد محمد أويس الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، دار ابن الهيثم، القاهرة، مصر.
٣٧- التفسير الكبير، للرازي، مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م، بيروت، لبنان.
٣٨- التمهيد في أصول الدين، للنسفي، تحقيق وتعليق الدكتور / عبد الحي قابيل، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

٣٩- تهذيب الأسماء واللغات، للنووي، تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، الطبعة الثانية، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤٠- تهذيب اللغة، للأزهري، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠١م، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٤١- التوحيد، لأبي منصور الماتريدي، حققه وقدم له الدكتور / فتح الله خليف، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٤٢- جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، لابن الأثير، حقق نصوصه عبد القادر الأرناؤوط، ومساعدوه، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

٤٣- جامع العلوم والحكم، لابن رجب، تحقيق الدكتور / محمد الأحمدي أبو النور، الطبعة الثانية، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.

٤٤- جلاء الأفهام، لابن قيم الجوزية، تحقيق: زائد بن أحمد النشيري، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٤٥- جمهرة اللغة، لابن دريد، علق عليه إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٤٦- الحجة في بيان المحجة، للأصبهاني، تحقيق: محمد بن محمود أبو

رحيم، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٤٧- الحديقة الأنيقة في شرح العروة الوثيقة، لمحمد بن عمر بحرق،. الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، دار الحاوي للطباعة والنشر والتوزيع.

٤٨- الحسنة والسيئة، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق: عادل شوشه، مكتبة فياض للتجارة والتوزيع، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م، المنصورة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٤٩- الخلاصة النافعة، لأحمد بن محمد الرصاص، تحقيق: إمام حنفي سيّد عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٠- الخلاف العقدي في باب القدر، للدكتور/ عبد الله بن محمد القرني، مركز نماء للبحوث والدراسات، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، بيروت، لبنان.

٥١- خلق أفعال العباد، لمحمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: سالم بن أحمد السلفي، محمد السعيد الإيباني، مكتبة التراث الإسلامي، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٥٢- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تحقيق الدكتور / محمد رشاد سالم، دار الكنوز الأدبية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٣- دراسات في الأديان الوثنية القديمة، أحمد علي عجيبة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٤- الدرة فيما يجب اعتقاده، لابن حزم، تحقيق الدكتور / أحمد بن ناصر

الحمد، والدكتور / سعيد بن عبد الرحمن القزقي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م، مكتبة التراث، مكة المكرمة، السعودية.

٥٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الطبعة السادسة، ١٤١٧هـ / ١٩٩٦م.

٥٦- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج، لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، محمد عدنان درويش، دار الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٥٧- رسائل القاسم بن إبراهيم الرسي، تحقيق ودراسة: إمام حنفي عبد الله، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر.

٥٨- رسائل وفتاوى شيخ الإسلام، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، الطبعة الثانية، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، حققه وعلق على حواشيه، محمد رشيد رضا، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر.

٥٩- السنة، لعبد الله بن الإمام أحمد، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وآثاره: أحمد بن علي الرياشي، الطبعة الثانية، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار النصيحة، المدينة النبوية، السعودية.

٦٠- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، حكم على أحاديثه وآثاره: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، دون ذكر لتاريخها، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٦١- السنن الكبير، للبيهقي، تحقيق الدكتور/ عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م،

الرياض، السعودية.

٦٢- سنن النسائي بشرح السيوطي، حققه: مكتب تحقيق التراث الإسلامي، الطبعة الثامنة، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦٣- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب، حكم على أحاديثه: الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الثانية، ١٤٢٩هـ /٢٠٠٨م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٦٤- سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، الطبعة السابعة، ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٦٥- الشافي في شرح مسند الشافعي، لابن الأثير، تحقيق: عامر عبد الباسط الجزار، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ، / ٢٠٠٨م، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.

٦٦- شذرات الذهب، لأبي الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٦٧- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، تحقيق: سيد عمران، دار الحديث، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، القاهرة، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٦٨- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار بن أحمد، تحقيق الدكتور / عبد الكريم عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م، مكتبة

وهبة، القاهرة، مصر.

٦٩- شرح السنة، للبربهاري، تحقيق/ خالد بن قاسم الردادي، الطبعة الخامسة، ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٧٠- شرح السنة، للمزني، دراسة وتحقيق جمال عزون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، السعودية.

٧١- شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، حققه وقدم له: طه عبد الرؤوف سعد، المكتبة الأزهرية للتراث، مصر.

٧٢- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد بن أبي العز، حققه وعلق عليه الدكتور /عبد الله التركي، وشعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة عشرة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٧٣- شرح المواقف، لعلي بن محمد الجرجاني، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٤- شرح توحيد الصدوق، لسعيد بن محمد القمي، صححه وعلق عليه الدكتور / نجفقلي حبيبي، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، طهران.

٧٥- شرح ثلاثة الأصول، للشيخ محمد بن صالح العثيمين، إعداد: فهد بن ناصر السليمان، الطبعة الثانية، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، بإشراف مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية.

٧٦- شرح جوهرة التوحيد، لإبراهيم بن محمد البيجوري، الطبعة الأولى،

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧٧- شرح حديث لبيك اللهم لبيك، لابن رجب، تحقيق الدكتور/ الوليد بن عبد الرحمن آل فريان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

٧٨- شرح صحيح البخاري، لأبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك، ضبط نصه وعلق عليه: ياسر ابن إبراهيم، الطبعة الثالثة، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، مكتبة الرشد، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م، الرياض، السعودية.

٧٩- شرح مشكل الآثار، للطحاوي، حققه وضبط نصه، وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، الطبعة الثالثة،١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

٨٠- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة، لمحمد بن بطة العكبري، تحقيق وتعليق الدكتور / رضا بن نعسان معطي، المكتبة الفيصلية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، مكة المكرمة، السعودية. دون ذكر لرقم الطبعة.

٨١- الشريعة، لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق ياسر برهامي، دار البصيرة، الإسكندرية، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٨٢- شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن الكريم، الدكتور عبد المتعال الجبري، دار الاعتصام للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

٨٣- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل، لشمس الدين محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تحقيق ودراسة الدكتور/ أحمد بن

صالح بن علي الصمعاني، والدكتور/ علي بن محمد ابن عبد الله العجلان، الطبعة الثانية، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م، دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٨٤- صبح الأعشى، للقلقشندي، شرحه وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

٨٥- الصحاح، للجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، الطبعة الرابعة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٠م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٨٦- الصحائف الإلهية، للسمرقندي، حققه وعلق عليه الدكتور / أحمد عبد الرحمن الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.

٨٧- صحيح ابن حبان، لابن حبان، بترتيب ابن بلبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الأولى ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م، دار الرسالة العالمية، دمشق، سوريا.

٨٨- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة: محمد بن علي قطب، هشام البخاري، المكتبة العصرية، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، بيروت، لبنان.

٨٩- صحيح سنن الترمذي، لمحمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٩٠- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج، بشرح النووي المطبعة المصرية بالأزهر، الطبعة الأولى، ١٣٤٧هـ/ ١٩٢٩م، مصر.

٩١- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، لابن القيم، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ علي بن محمد الدخيل الله، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار العاصمة، الرياض، السعودية.

٩٢- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، ضبطه وصححه عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٣- الطبقات الكبرى، لابن سعد، دراسة وتحقيق: محمد عبد القادر عطا، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٩٤- طريق الهجرتين، لابن قيم الجوزية، ضبط نصوصه جمال مرعشلي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، مؤسسة المعارف، بيروت، لبنان.

٩٥- طوالع الأنوار من مطالع الأنظار، ناصر الدين البيضاوي، تحقيق وتقديم: عباس سليمان، الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩١م، دار الجيل، بيروت، لبنان.

٩٦- عقائد الثلاث والسبعين فرقة، لأبي محمد اليمني، تحقيق الدكتور/ محمد زربان الغامدي، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، السعودية.

٩٧- عقيدة السلف وأصحاب الحديث، للصابوني، دراسة وتحقيق الدكتور / ناصر بن عبدالرحمن الجديع، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، دار

العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

٩٨- العقيدة النظامية، لأبي المعالي الجويني، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، المكتبة الأزهرية للتراث، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة.

٩٩- العقيدة للإمام أحمد بن حنبل، دراسة وشرح وتحقيق: عبد العزيز عز الدين السيروان، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.

١٠٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، لأبي عبد الرحمن شرف الحق محمد أشرف الصديقي آبادي، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م،دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠١- فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٠٢- فتح الحميد في شرح التوحيد، لعثمان بن عبد العزيز التميمي، تحقيق الدكتور/ سعود العريفي، والدكتور / حسين السعيدي، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، السعودية.

١٠٣- فجر الإسلام، لأحمد أمين، الطبعة الحادية عشر، ١٩٧٥م، دون ذكر لدار النشر.

١٠٤- الفرق بين الفرق، للبغدادي، تحقيق: محمد محيي الدين عبد

الحميد، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٠٥- الفروق في اللغة، لأبي هلال العسكري، حققه: جمال عبد الغني مدغمش، الطبعة الثانية، ١٤٢٧هـ /٢٠٠٦م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٠٦- فضائل الصحابة، للإمام أحمد بن حنبل، حققه وصي الله بن محمد عباس، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١٠٧- القضاء والقدر، لجمال الدين الأفغاني، المطبعة المحمودية التجارية، مصر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٠٨- القضاء والقدر، للدكتور/ عبد الرحمن المحمود، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، مدار الوطن للنشر، الرياض، السعودية.

١٠٩- القول المفيد على كتاب التوحيد، لمحمد بن صالح العثيمين، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي للطباعة والنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١١٠- كتاب الاعتقاد، لأبي الحسين محمد بن القاضي أبي يعلى، تحقيق وتعليق الدكتور / محمد بن عبد الرحمن الخميس، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار أطلس الخضراء للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١١١- كتاب السنة، لابن أبي عاصم، تحقيق: الشيخ محمد ناصر الألباني،

الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

١١٢- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور/ عبد الحميد هنداوي، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٣- كتاب القدر، لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي، تحقيق: عبد الله بن أحمد المنصور، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م، دار أضواء السلف للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١١٤- كتاب القضاء والقدر، للبيهقي، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية.

١١٥- الكليات، لأبي البقاء الكفوي، تحقيق الدكتور /عدنان درويش، محمد المصري، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ / ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١١٦- كيد الشيطان لنفسه، لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، ضمن مجموع، تحقيق أحمد فريد المزيدي، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٧- اللباب في علوم الكتاب، لابن عادل الحنبلي، تحقيق: مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثانية، ٢٠١١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١١٨- لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، لبنان.

١١٩- متشابه القرآن، للقاضي عبد الجبار، تحقيق الدكتور/ عدنان زرزور،

دار التراث، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٠- مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، الرياض، السعودية.

١٢١- المجموع شرح المهذب، للنووي، ضبط نصه وعلق عليه: محمد بن رياض الأحمد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ /٢٠١٤م، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان.

١٢٢- المجموعة العلية من كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، لابن تيمية، تحقيق الدكتور/ هشام بن إسماعيل الصيني، الطبعة الأولى، ١٤٢٤هـ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، السعودية.

١٢٣- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: أحمد بن علي، حمدي صبح، دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٢٤- المحصل، للرازي، تقديم وتحقيق الدكتور /حسين أتاي، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر.

١٢٥- المحيط بالتكليف، للقاضي عبد الجبار، جمع حسن بن متوية، تحقيق عمر السيد عزمي، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٦- مختار الصحاح، للرازي، ضبط: سميرة خلف الموالي، المركز العربي للثقافة والعلوم، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٢٧- المختار من كنوز السنة النبوية، للدكتور/ محمد عبدالله دراز، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، السعودية، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.
١٢٨- مختصر كتاب المنهاج في شعب الإيمان للحليمي، اختصره وعلق عليه علي الشربجي، محيي الدين نجيب، الطبعة الثانية، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا.
١٢٩- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن قيم الجوزية، دار التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٢م، القاهرة، مصر.
١٣٠- المذاهب المعاصرة وموقف الإسلام منها، للدكتور/عبد الرحمن عميرة، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، دار اللواء، الرياض، السعودية.
١٣١- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، تحقيق: جمال عيتاني، الطبعة الثالثة، ١٤٣٣هـ /٢٠١٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣٢- مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابن هانئ، تحقيق: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، طبعة ١٤٠٠هـ، بيروت، لبنان.
١٣٣- المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة، جمع وتحقيق الدكتور/عبد الله بن سلمان الأحمدي، الطبعة الثانية ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.
١٣٤- مسند أبي يعلى الموصلي، لأبي يعلى، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت،

لبنان.

١٣٥- مسند الإمام أحمد، أشرف على تحقيقه: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، بيروت، لبنان.

١٣٦- مشارق الأنوار، للقاضي عياض، خرج أحاديثه: إبراهيم شمس الدين، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٣٧- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، لأحمد بن محمد الفيومي، اعتنى به أحمد جاد، الطبعة الأولى، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر.

١٣٨- معالم السنن، للخطابي، تحقيق: سعد بن نجدت عمر، شعبان العودة، الطبعة الأولى، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان.

١٣٩- المعتقدات الدينية لدى الشعوب، لجفري بارندر، ترجمة الدكتور/ إمام عبد الفتاح إمام، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٩٣م.

١٤٠- معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤١- مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، لمحمد بن محمد الشربيني، ضبط نصه وحققه، الدكتور/ محمد محمد تامر، شريف عبد الله، دار الحديث، ١٤٢٧هـ / ٢٠٠٧م، القاهرة، مصر، دون ذكر لرقم الطبعة.

١٤٢- المغني في أبواب العدل والتوحيد، لأبي الحسن عبد الجبار، تحقيق: الأب ج. ش. قنواتي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر. دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤٣- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، ضبطه وراجعه محمد خليل عيتاني، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

١٤٤- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر.

١٤٥- مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري، لابن فورك، تحقيق الدكتور/ أحمد عبد الرحيم السايح، الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٥م، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر.

١٤٦- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى، لأبي حامد الغزالي، ضبطه وخرج آياته: أحمد قباني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٤٧- الملل والنحل، للشهرستاني، تحقيق: محمد بن فتح الله بدران، أضواء السلف.

١٤٨- منهاج السنة النبوية، لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق الدكتور/ محمد رشاد سالم، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

١٤٩- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق: حلمي محمد فودة،

الطبعة الأولى، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، دار الفكر.

١٥٠- الموافقات في أصول الشريعة، للشاطبي، تحقيق مجموعة من الأساتذة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٥١- موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان.

١٥٢- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، حققه وخرج أحاديثه الدكتور/ بشار عواد معروف، الطبعة الثانية، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م، دار الغرب الإسلامي، تونس.

١٥٣- موقف ابن تيمية من الأشاعرة، للدكتور/ عبد الرحمن بن صالح المحمود، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية.

١٥٤- موقف البشر تحت سلطان القدر، مصطفى صبري، الطبعة الأولى، ١٣٥٢هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.

١٥٥- نقد الخطاب السلفي، ابن تيمية نموذجا، لرائد السمهوري، الطبعة الثانية، ٢٠١٢، دار مدارك للنشر، دبي.

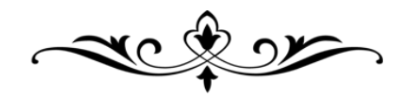
١٥٦- نهاية الأقدام في علم الكلام، حرره وصححه: الفرد جيوم، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

١٥٧- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان. دون ذكر لرقم الطبعة.

١٥٨- هكذا تكلم زرادشت، فريدريك نيتشه، ترجمة فليكس فارس، دار أسامة، دمشق، سوريا، دون ذكر لرقم الطبعة أو تاريخها.

١٥٩- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، حققه وعلق عليه: أبو عبد الله جلال الأسيوطي، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م، مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي،. بيروت، لبنان.



فهرس الموضوعات




الزَّبُـور
فِي المصادر الإِسلامية
«جمعًا ودراسةً»

د. صلاح محمود محمود أحمد الباجوري

أكاديمي مصري — أستاذ مشارك بقسم الأديان
والمذاهب، كلية الدعوة الإسلامية بالقاهرة

ملخص البحث

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعد، فهذا بحث بعنوان: (**الزَّبُور في المصادر الإسلامية: جَمْعًا ودِراسَةً**).

أردتُّ به التعريفَ بالزَّبُورِ - كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ - من خلال استقراء المصادر الإسلامية المتقدِّمَة، بعيداً عن مصادر أهل الكتاب، التي نالها التحريف والتبديل.

وقد شمل التعريف بالزبورِ النقاطَ الآتية:

- الزبور في القرآن الكريم، والسُّنة النبوية.
- سَبَبُ التَّسمِيَة.
- نُزولُ الزَّبُور.
- محتوى الزبور.
- نُصُوص الزَّبُور في المصادر الإسلامية.
- ترجمة (وهب بن مُنَبِّه) للزبور.

وقد خلص البحثُ إلى مجموعةٍ من النتائج، أهمها:

١- الزَّبُور هو كتابُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- بَعْضُ ما في «الزبور» مِمَّا أَوْحَاهُ إِلى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَعْضُه مِمَّا أُلْهِمَهُ مِنْ دَعَوَاتٍ وَمُنَاجَاة.

٣- اختُلف في سببِ تسميَة «الزَّبور» بهذا الاسم، فقيل: لفخامته، وغِلظ كتابته، وقيل: لِكَثْرَةِ زواجره ومواعظِه، وقيل: لاقتصارِه عَلَى الحِكَم.

٤- نزل الزَّبورُ - كما نزلت الكُتبُ السَّماوية قبلَه - جُملةً واحدة.

٥- نزل الزبور - كما نزلتْ جميعُ الكُتُبِ السَّماويةِ المعروفةِ لنا - في شَهْرِ رمضان، واختُلف في ليلةِ نزول الزبور بين (٦، أو ١١، أو ١٢، أو ١٨) من رمضان.

٦- يشتمل «الزبورُ» عَلَى مائةٍ وَخَمْسِينَ سورةً بالعِبرانيَّةِ، ما بَيْنَ قِصَارٍ وطِوال.

٧- الغَالِبُ عَلَى «الزَّبور» اشتمالُه على الحِكَم والمواعظِ، ودُعاءِ الله - تَعَالَى - والثَّناءِ عليه، مع اشتماله - أيضًا - على الأوامر، والنَّواهي، والأحكام، التي تأتي - أحيانًا - صراحةً، وأحيانًا أخرى ضِمنًا، وفي سياقٍ وَعْظِيّ.

٨- تناولت نصوصُ الزبور - التي وصلتْ إلى علماء المسلمين، ودوَّنُوها في مصادرهم - موضوعات، منها: البشارة بالنبيِّ محمد ﷺ، وذِكر صفاتِه وشمائله - وَصْف الأمَّة المحمدية، وذِكر خصائصها - الدَّعوة إلى التحلِّي بالمكارم، والتخلِّي عن الرذائل، بعض الأوامر والنواهي، حِكَم، وأمثال، ومواعظ - جزاء الأعمال (مَثُوبةً، أوعقوبةً).

٩- لا توجد نسخة كاملة لـ«الزبور» باقية في المصادر الإسلامية المعروفة لنا، والموجود منه فقراتٌ متناثرة، تتفاوَت طُولاً وقِصَراً.

١٠- لـ «وهب بن مُنبِّهٍ» ترجمة للزبورِ، هي أوثق مِن غيرها من الترجمات القديمة، غير أنه لم يصلنا منها إلا النَّزر اليسير.

١١- هناك تباين واضح بين نصوص «المزامير» التي يتداولها أهلُ الكتاب، وبين نصوص «الزبور» التي وقف عليها علماءُ المسلمين؛ ولعل هذا الاختلاف راجع إلى تفاوت الترجمات، أو بسبب تحريفِ أهل الكتاب لأسفارهم؛ محاولة منهم لطمس الحقّ الوارد بالبشارة بالنبيِّ محمّد ﷺ.

١٢- بين بعض نصوص الزَّبور، وبين القرآن الكريم تماثل وتشابه؛ وهو دليلٌ على أنَّ الحقَّ من الله - تعالى - واحد لا يتغيَّر.

د. صلاح محمود الباجوري

sh6@hotmail.com

Zabur according to the Islamic Sources
(A Compilation and Study)

By: Dr. Salah Mahmoud Mahmoud Ahmed al-Bajouri

Egyptian Academic - Associate Professor it the Department of Religions and Ideologies, in the Faculty of Islamic Call, in Cairo

Abstract

All praise is due to Allah, and may Allah exalt the mention and send peace to the Messenger.

To proceed:

This is a research with the title: (*Zabur* according to the Islamic Sources, a compilation and study)

I wanted to present *Zabur*, the book of Dawud (may peace be upon him) by examining the old Islamic sources, far away from the sources of the People of the Book that has been to distorted and changed. The presentation of *Zabur* covered the following points:

- *Zabur* according the Holy Quran and the Prophetic Sunnah.
- The reason that it was given this name.
- When and how *Zabur* was revealed.
- The content of *Zabur*.
- The texts of *Zabur* in the Islamic sources.

- Wahb bin Munabbihs translation of *Zabur*.

The research reached to a couple of results and the most important of them were as follows:

1. *Zabur* is the book of Dawud.

2. Some parts of *Zabur* was revealed by Allah to Dawud and other parts of it are prayers and supplications that He inspired him to say.

3. The scholars differed about the reason why it was called *Zabur*.

4. The whole book of *Zabur* was revealed at the same time, just as the former holy scriptures.

5. *Zabur* was revealed, just like all of the holy scriptures, in the month Ramadan. The scholars differed about which night it was revealed. The following nights were mentioned: the 6:th, 11:th, 12:th, and 18:th of Ramadan.

6. *Zabur* includes 150 chapters in Hebrew. Some of them are short and others are long.

7. The most common topics of *Zabur* are aphorisms, sermons, supplications to Allah and the praising of Him. It also includes commandments, prohibitions and rules. They are mentioned in some places clearly and in other places inclusively in the context of an admonition.

8. The texts of *Zabur* - which reached the Muslim scholars and were written down in their sources – discussed different subjects, including: the prediction that the Prophet Muhammad (may Allah exalt his mention and send peace to

him) will come, his attributes and character. It also contained descriptions of the his nation and their characteristic qualities, an appeal to have good manners and abandoning depravity, some commandments and prohibitions, aphorisms, proverbs, admonitions and the recompense for actions (either reward or punishment).

9. There is no full version for *Zabur* surviving in the known Islamic sources today. The only existing parts of it are some dispersed paragraphs and they are varying in their length.

10. Wahb bin Munabbih translated *Zabur* and this translation is more reliable than the other old translations, but there is only very little of it that has reached us.

11. There is a clear difference between the texts of the Psalms that the People of the Book make frequent use of and the Zabur that the Muslim scholars got in hold of. It might be that the reason for this difference is the variation of the translations or because of the distortions of the scriptures by the People of the Book when they tried to erase the truth concerning the prediction that the Prophet Muhammad (may Allah exalt his mention and send peace to him) will come.

12- Some of the texts in Zabur are similar and identical to the Holy Quran. This is a proof that truth from Allah is one and that it doesn't change.

مقــدمة

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على رسول الله، سيِّدنا محمدٍ، صلَّى اللهُ عليه وعَلَى آلهِ وصَحْبِه، ومَن اهتَدى بِهُداه.

وبعد، فمِن حكمةِ اللهِ البالغة، ورحمتِه الواسعة، أنَّه لم يَدَع خَلْقَهُ هَمَلاً، ولم يترُكهم سُدَىً؛ فكَمَا أرسلَ إليهم رُسُلاً، أَنزَلَ عليهم - كَذَلِكَ - كُتُبًا؛ بِها يهتدي الناسُ إذا ضَلُّوا، ويتحاكمون إليها إذا اختلفوا، ويستقيمون عندها إذا انحرَفوا.

قال -تعالى-: ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢].

وقال - سبحانه -: ﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال - جَلَّ شأنه -: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥] «أي: بالحقِّ والعدل»(١).

ومن هُنا كان التصديقُ بكُتبِ الله - تعالى - رُكْنًا رئيسًا من أركانِ الإيمان؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ﴾ [النساء: ١٣٦].

ويشمل الإيمانُ بـ (الكُتب) جوانب عِدّة، منها: الإيمانُ الجازم بأنَّها

---

(١) تفسير القرآن العظيم - تفسير ابن كثير. إسماعيل بن عمر بن كثير، ٨/ ٢٧، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

مُنزَّلةٌ من عند اللهِ تعالى، وأنَّها كلامُه، وأنها دَعَتْ إلى عبادةِ الله وحده، وجاءت بالخيرِ والهُدى للناس، وأنها - جميعًا - يُصدِّقُ بعضُها بعضًا، فلا تناقُضَ بينها ولا تَعارُض، وكذا التَّصديق بما سمَّى اللهُ - عزَّ وجلَّ - من كُتُبٍ، كـ (التَّوراة)، و(الزَّبور)، و(الإنجيل)، و(القرآن)[1].

ويُعنَى هذا البحث بالتعريف بـ «الزَّبُورِ» - كتاب داود عَلَيْهِ السَّلَامُ - من خلال ما جاء عنه في المصادر الإسلامية المتقدِّمَة، لا ما جاء في كُتُبِ أهل الكتاب، التي نالها التحريفُ، وأصابها التغييرُ والتبديل.

ولا شك أن علماء المسلمين قد وقف بعضُهم على نُسخٍ من «الزبور»، وقرأ ما فيها، وميَّز بين الحقِّ المنزَّلِ من عند الله، والباطلِ الذي أَمْلَتْهُ المطامعُ والأهواء.

يقول القرطبي[2] [ت: ٦٧١هـ] في مَعْرِضِ حديثه عن بشارات الزَّبور

---

(١) راجع: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسُّنة. تأليف نخبة من العلماء، ص١٣١ - ١٣٦، طبعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ١٤٢١هـ.

(٢) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر، أبو عبد الله، القرطبي (... - ٦٧١هـ): من كبار المفسرين، من أهل قرطبة. رحل إلى الشرق، واستقر بمنية ابن خصيب (في شمالي أسيوط، بمصر)، من مصنفاته: «الجامع لأحكام القرآن»، و«الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى»، و«التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة»، و«التقريب لكتاب التمهيد». راجع: الوافي بالوفيات. صلاح الدين خليل الصفدي (ت: ٧٦٤هـ)، ٢/ ٨٧، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

بمحمد ﷺ: «وزبورُ وَهْب بن مُنَبِّهٍ[١] هذا الذي نَقَلْتُ منه، أَصَحُّ ما يوجَدُ من كتابِ الزبور؛ فإنه أوثقُ وأعلمُ مِن كُلِّ ترجمةٍ في سالفِ الدهور، ولكنَّ النصارى - مع ذلك - يُكذِّبُون ا.هـ»[٢].

ويقول ابنُ تيمية[٣] [ت: ٧٢٨هـ]: «رَأَيْنَا فِي الزَّبُورِ نُسَخًا مُتَعَدِّدَةً، تُخَالِفُ بَعْضُهَا بَعْضًا مُخَالَفَةً كَثِيرَةً، فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالمَعَانِي، يَقْطَعُ مَنْ رَآهَا أَنَّ كَثِيراً مِنْهَا كَذِبٌ عَلَى زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ»[٤].

ويقول - في موضع آخر -: «وَقَدْ رَأَيْتُ أَنَا بِالزَّبُورِ عِدَّةَ نُسَخٍ مُعَرَّبَةٍ، بَيْنَهَا مِنَ الِاخْتِلَافِ مَا لَا يَكَادُ يَنْضَبِطُ، وَمَا يَشْهَدُ بِأَنَّهَا مُبَدَّلَةٌ مُغَيَّرَةٌ لَا يُوثَقُ بِهَا»[٥].

---

(١) راجع ترجمته في المطلب السادس من هذا البحث.

(٢) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام. محمد بن أحمد القرطبي، ١/ ٢٦٨، تحقيق وتعليق: د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

(٣) هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، تقي الدين، أبو العباس (٦٦١ - ٧٢٨هـ): أحد الأعلام، عُني بالحديث، وبرع في الرجال وعِلل الحديث وفقهه، وفي علوم الإسلام وعلم الكلام، وغير ذلك. من مصنفاته: «السياسة الشرعية»، و«الفتاوى»، و«الجمع بين النقل والعقل»، و«منهاج السنة»، و«الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان»، و«رفع الملام عن الأئمة الأعلام». راجع: تذكرة الحفاظ. محمد بن أحمد الذهبي، ٤/ ١٩٢، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٤) الجواب الصحيح لمن بدَّل دِينَ المسيح. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، ٢/ ٤١٥، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤١٩هـ.

(٥) المرجع السابق: ٢/ ٩١.

ويقول الشوكاني[١] [ت: ١٢٥٠هـ]: «وَقَفْنَا على الزَّبورِ، فوجدناه خُطبا يخطبها داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ويخاطب بها ربَّه سبحانَه...»[٢].

أولاً: منهج البحث:

اعتمدتُ في إعداد هذا البحث على المناهج العلميَّة الآتية:

١- **المنهج التوثيقي**: وهو طريقةُ بحثٍ تهدِفُ إلى تقديمِ حقائق التراث، جمعًا، أو تحقيقًا، أو تأريخًا.

٢- **المنهج التحليلي**: وهو منهجٌ يقوم على دراسةِ الإشكالات العلمية المختلفة: تفكيكًا، أو تركيبًا، أو تقويمًا.

٣- **المنهج المقارن**: وهو المنهجُ الذي يُبرز أَوْجُهَ الشَّبَهِ والاختلاف بين ظاهرتَيْن أو أكثر؛ للوصُولِ إلى الحقيقةِ العلمية المتعلقة بالظاهرة المدروسة[٣].

---

(١) هو محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١١٧٣ - ١٢٥٠هـ): فقيه مجتهد، ولد بهجرة شوكان باليمن، ونشأ بصنعاء. من مصنفاته: «نيل الأوطار»، و«الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة»، و«فتح القدير»، و«إرشاد الفحول». راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع. محمد بن علي الشوكاني، ٢/ ٢١٤، دار المعرفة، بيروت.

(٢) فتح القدير. محمد بن علي الشوكاني (٣/ ٢٨١)، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

(٣) راجع في التعريف بهذه المناهج: أبجديات البحث في العلوم الشرعية. د/ فريد =

ثانياً: منهجية التعامل مع النصوص:

تمَّ التعامل مع النصوص الواردة عن الزَّبور، وَفْقَ المنهجية الآتية:

١- الاستقراء لمادة (زَبُور) في المصادر الإسلامية المختلفة[1]، ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً.

٢- تصنيف المادة العلمية، وتجزئتها حسب مقاصدها، وضم المتشابه - فكرةً ومطلباً - بعضها إلى بعض.

٣- توثيق النصوص من مظانِّها في المصادر المختلفة، وترتيبها - حسب وفاة المؤلِّف.

٤- النصوصُ البادئةُ بقوله تعالى: «يَا دَاوُدُ» هي من نُصُوصِ الزَّبور، ويؤكد ذلك سَبْقُها - في مصادرها - بالعبارات الآتية: (أوحَى اللهُ إلى داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - قال سُبحانَهُ لداودَ - مكتوبٌ في الزَّبورِ - في زَبورِ داودَ مكتوبٌ - في حكمةِ آلِ داودَ - قرأتُ في الزَّبورِ - قرأتُ فيمَا أوحَى اللهُ إلى داودَ - قرأتُ في مزاميرِ داودَ - وجدتُ في كتابِ داودَ - وُجِدَ في بعضِ الزَّبور)، وقد

=

الأنصاري، ص٧٤، ٩٦، ٩١ على الترتيب. سلسلة الحوار، العدد ٢٧، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

(١) يُقصَد بـ«المصادر الإسلامية» هنا: مصادر الثقافة الإسلامية، الأصلية منها والفرعيَّة، ويتضمنُ ذلك - بعد كتاب الله - : كُتُب التفسير وعلوم القرآن الكريم، كُتُب السُّنة النبوية المطهرة (المُتُون، والشُروح)، كُتُب التخريج، كُتُب العقيدة الإسلامية، كُتُب السيرة والشمائل، كُتُب التاريخ الإسلامي، كُتُب التراجم والطبقات، كُتُب الغريب والمعاجم.

اكتفيتُ بذِكْرِ النَّصِّ مُجرَّداً من هذه العبارات.

٥- شرح النَّص، من خلال أقوال العلماء، وذِكر الألفاظ الغريبة فيه.

٦- الحُكم على النصوص، وبيان صحّتها مِن عَدمه.

٧- ذكر النصّ المشابه للزَّبور في ترجمة «المزامير»[1] المتداوَلة بين أهل الكتاب اليوم، متى وُجِدَ.

٨- ذكر النصّ المشابه للزَّبور، في القرآن الكريم، والسُّنة النبوية؛ لبيانِ أنَّ الحقَّ - مِن عندِ الله تعالى - واحدٌ، لا يختلف ولا يتناقض.

(١) المزامير: من قِسم «الكتابات» من «العهد القديم»، ويضم هذا القسم أربعةَ أسفار شِعرية، هي: المزامير، أيوب، المراثي، نشيد الإنشاد. والمزامير عبارة عن نشيدٍ يُردّده العابدون، جماعة أو أفراداً، في مناسابات مختلفة. (راجع: المدخل إلى الكتاب المقدس. حبيب سعيد، ص١٤١، ١٤٢. دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى)، وقد كُتب هذا السِّفْر بـ «العِبرية»، وهي اللغةُ التي دُوِّنت بها جميعُ أسفار «العهد القديم» غالبًا. (راجع: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام. د/ علي عبد الواحد وافي، ص١٩، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م)، ويحتوي سفرالمزاميرعلى خمسين ومائة مزمور: ثلاثة وسبعون - فقط - تُنسب إلى داود، وخمسون مجهولة المؤلف، والبقية ترجع إلى مؤلِّفين مختلفين، وتتضمن نصوصُ المزامير أشعاراً وَعظيَّة، وصلواتٍ، وتسابيحَ، وقصائدَ في الإيمان، وأخرى في تمجيد أورشليم، وأشعاراً في مناسبات تاريخية، ونصوصًا كثيرةً في انتظار المخلِّص «المسيح» أو التبشير به. راجع: الفكر الديني الإسرائيلي، أطواره ومذاهبه. د/ حسن ظاظا، ص٥٦، ٥٧، منشورات معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، ١٩٧١م.

ثالثاً: الدراسات السابقة:

مَبْلَغُ عِلمي أنَّه لم يُكتبْ في هذا الموضوعِ بَحْثٌ مُسْتَقِلٌّ.

رابعاً: خطة البحث:

يتكون البحث من: مقدمة، وستة مطالب، وخاتمة، على النحو الآتي:

- **مقدمة**: وتشتمل على: أهمية الموضوع، منهج البحث، منهجيَّة التَّعامُل مع النُّصوص، الدراسات السَّابقة، خطة البحث.

- **المطلب الأول: التعريف بالزبور**. ويشمل:

أولاً: الزَّبُور، في القُرْآنِ الكَرِيم.

ثانيـًا: الزَّبُور، في السُّنَّةِ النَّبَوِيَّة.

- **المطلب الثاني: سَبَبُ التَّسمِيَة.**

- **المطلب الثالث: نُزولُ الزَّبُور**. ويشمل:

أولاً: زمان نزول الزبور.

ثانيـًا: كيفية نزول الزبور.

- **المطلب الرابع: محتوى الزبور.**

- **المطلب الخامس: نُصُوص الزَّبُور في المصادر الإسلامية.**

- **المطلب السادس: ترجمة «وهب بن مُنبِّه» للزبور**. ويشمل:

أولاً: ترجمة «وهب بن مُنبِّه».

ثانيـًا: معرفة «وهب بن منبه» بالزبور.

- **خاتمة**. وفيها أهم النتائج.

- **المصادر والمراجع**.

- **فهرس الموضوعات**.

وصلَّى اللهُ وسلَّم وبارَكَ عَلَى نبيِّنا محمَّدٍ، وعلى آلهِ وصحبِه أجمعين.



المطلب الأول

التعريف بالزبــور

أولا: الزَّبُورُ في القُرآن الكريم:

١ - الزَّبُورُ: هـو كتـابُ دَاوُدَ[١] عَلَيْهِ السَّلَامُ[٢]، أَوْحَاهُ اللهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ[٣]،

---

(١) هو والِدُ النَّبِيِّ سليمان - عليهما السَّلام - ويَرْقَى نَسَبُ (داودَ) إلى إسحاق بن إبراهيم، فهو «داودُ بن إِيْشا، بن عَوْبَدْ، بن بَاعَر، بن سلمون، بن يارب، بن رام، بن حضرون، بن فارص، بن يهوذا، بن يعقوب، بن إسحاق، بن إبراهيم، عليهم الصَّلاةُ والسَّلام». راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن - تفسير الطبري. محمد بن جرير الطبري، ٢/ ٦٢٥، ٧/ ٢٦٠، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م، فتح الباري شرح صحيح البخاري. أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ٦/ ٤٥٤، ترقيم: محمد فؤاد عبد الباقي، أشرف عليه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

(٢) راجع: الجامع لأحكام القرآن - تفسير القرطبي. محمد بن أحمد القرطبي، ٦/ ١٧، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م، أنوار التنزيل وأسرار التأويل - تفسير البيضاوي. عبد الله بن عمر البيضاوي، ٤/ ٦٢، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ، تفسير ابن كثير (٥/ ٣٥٨)، (٦/ ١٦٣)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور - تفسير السيوطي. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ٥/ ٣٠٣، دار الفكر، بيروت.

(٣) راجع: البحر المحيط في التفسير. محمد بن يوسف، أبو حيَّان الأندلسي، ٤/ ١٣٧، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ، تفسير ابن كثير (٢/ ٤٦٩).

وَعَلَّمَهُ إِيَّاهُ(١).

وقد أشار القرآنُ الكريمُ إلى ذلك في موضعَيْن اثنين:

الموضع الأول: قولُه تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء: ١٦٣].

وَقد «تَأَخَّرَ ذِكْرُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِتَشْرِيفِهِ بِذِكْرِ كِتَابِهِ، وَإِبْرَازِهِ فِي جُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ لَهُ بِالذِّكْرِ وَلِكِتَابِهِ، فَمَا فَاتَهُ مِنَ التَّقْدِيمِ اللَّفْظِيِّ حَصَلَ بِهِ التَّضْعِيفُ مِنَ التَّشْرِيفِ الْمَعْنَوِيِّ»(٢).

و«ذُكِرَ بِهَذَا اللَّفْظِ ﴿وَءَاتَيۡنَا﴾ وَلَمْ يُعْطَفْ عَلَى مَا قَبْلَهُ فَيُفِيدُ مُطْلَقَ الْوَحْيِ؛ لِأَنَّ لِزَبُورِ دَاوُدَ شَأْنًا خَاصًّا فِي كُتُبِ الْوَحْيِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ،

---

(١) راجع: تفسير يحيى بن سلام. يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، ١/ ١٤٢، تحقيق: د/ هند شلبي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، تفسير القرآن العزيز. محمد بن عبد الله، ابن أبي زَمَنِين، ٣/ ٢٦، تحقيق: حسين عكاشة، محمد الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م، معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي. الحسين بن مسعود البغوي، ٣/ ١٣٩، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، التوضيح لشرح الجامع الصحيح. عمر بن علي الشافعي، ٢٢/ ٥٤٣، تحقيق: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، نشر دار النوادر، دمشق، سوريا، ط الأولى، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، عمدة القاري شرح صحيح البخاري. محمود بن أحمد العيني، ١٩/ ٢٨، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

(٢) البحر المحيط في التفسير: ٤/ ١٣٧.

وَهُوَ مَعَ هَذِهِ الْفَائِدَةِ مُوَافِقٌ لِنَسَقِ الْفَوَاصِلِ، فَائْتَلَفَ بِهِ اللَّفْظُ مَعَ الْمَعْنَى، فَصَاحَةً وَبَلَاغَةً وَحُسْنًا»(١).

والموضع الثاني: قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥].

يقول الطبري(٢) [ت: ٣١٠هـ]: «قرأ عامَّةُ قُرَّاءِ أمصار الإسلام (وَءَاتَيْنَا دَاودَ زَبُوراً) بفتح الزَّاي، والمعنى: وآتينا داودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ الكتابَ المُسَمَّى زَبُوراً. وقرأ بعضُ قُرَّاءِ الكوفيين (وَءَاتَيْنَا دَاودَ زُبُوراً)، والمعنى: وآتينا داودَ كُتُبا وصُحُفًا مَزْبُورةً، أي مكتوبة. وأولَى القراءتَيْن في ذلك بالصَّوابِ عندنَا قِراءةُ مَنْ قَرأَ (وَءَاتَيْنَا دَاودَ زَبُوراً) بفتْحِ الزَّاي؛ عَلَى أنَّه اسمُ الكتاب الذي أُوتِيه دَاودُ، كما سَمَّى الكتابَ الذي أُوتِيه موسى «التوراة»، والذي أُوتِيه عيسى «الإنجيل»، والذي أُوتِيه محمَّدٌ «الفُرقان»؛ لأن ذلك هو الاسم

---

(١) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار). محمد رشيد رضا، ٦/ ٥٧، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.

(٢) هو مُحَمَّدُ بنُ جَرِيْرِ بنِ يَزِيْدَ الطَّبري، أَبُو جَعْفَرٍ (٢٢٤ - ٣١٠هـ): مِنْ أَهْلِ آمُل طَبَرِسْتَان. له: «أخبار الرسل والملوك»، و«جامع البيان عن تأويل آي القرآن»، و«اختلاف الفقهاء»، و«المسترشد» في علوم الدين، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر، أوثق مَن نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. راجع: سير أعلام النبلاء. محمد بن أحمد الذهبي، ١٤/ ٢٦٧ وما بعدها، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

المعروف به ما أُوتي داودُ، وإنما تقولُ العربُ: زَبُور دَاود، وبذلك يَعْرِفُ كِتَابَهُ سَائِرُ الأُمم» ا.هـ[١]

والسَّبب في تخصيص داود عَلَيْهِ السَّلَامُ بالذِّكْرِ -مع دُخوله في الأنبياءِ قبلَهُ-:

أ- أنَّه - تعالى - ذَكَر أنَّه فضَّل بعضَ النَّبيِّينَ على بعضٍ، ثم قال: (وَآتَيْنَا دَاودَ زَبُوراً)؛ تنبيهاً على أنَّ التفضيلَ الذي ذَكَره قَبْلَ ذلك هو التفضيل بالعِلْمِ والدِّينِ، لا بالمُلْكِ والمال[٢]؛ حيث كان لداودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلكاً عظيماً[٣].

ب- الدلالة على وجهِ تفضيل محمد ﷺ، وهو: أنه خاتمُ الأنبياء، وأنَّ أُمَّتَهُ خيرُ الأممِ؛ لأنّ ذلك مكتوبٌ في زبورِ داود؛ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾

---

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ٩/ ٤٠٢ بتصرف يسير.

(٢) جمع الله تعالى لداودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بين النُّبُوَّةِ والمُلكِ العظيم (الجامع لأحكام القرآن: ٣/ ٢٥٧)، فكان عَلَيْهِ السَّلَامُ أشدَّ مُلُوكِ الأَرْضِ سُلْطَاناً (الجامع لأحكام القرآن: ١٥/ ١٦٢)، قال تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ.. ﴾ [ص: ٢٠] أي: قَوَّيْنَاهُ. وقد حصل هذا بأسبابٍ دنيويةٍ، وأُخرى دينية، فمِن الأسباب الدنيوية ما ذكره ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان يحرسه كلَّ ليلةٍ سِتَّةٌ وثلاثون ألفَ رجل، فإذا أصبح قيل ارجعوا؛ فقد رضي عنكم نبيُّ الله. وأما الأسباب الدينية الموجبة لهذا الشد، فهي: الصَّبرُ، والتأمُّل التام، والاحتياطُ الكامل. راجع: مفاتيح الغيب - تفسير الرازي. محمد بن عمر الرَّازي، ٢٦/ ٣٧٦ بتصرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(٣) راجع: البحر المحيط في التفسير (٧/ ٦٩).

[الأنبياء: ١٠٥] يعني محمّدا ﷺ وأُمَّته[1].

ج- أنَّ كفارَ قريش ما كانوا أهلَ نظرٍ وجدلٍ، بل كانوا يرجعون إلى اليهودِ في استخراجِ الشُّبهاتِ، واليهودُ كانوا يقولون: «لا نبيَّ بعد موسى، ولا كتابَ بعد التَّوراة»، فنقض اللهُ عليهم كلامَهم بإنزالِ الزَّبور عَلى داود[2].

٢- و(الزَّبُورُ) هو الكتابُ الثَّاني المُنَزَّلُ عَلَى «بني إسرائيل»، ضِمْن ثلاثة كُتُب مُقدَّسة، هي:

أ- التَّوْرَاة: أنزلها اللهُ على موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [الإسراء: ٢][3].

ب- الزَّبُور: أنزله اللهُ على دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣، الإسراء: ٥٥].

---

(١) راجع: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل - تفسير الزمخشري. محمود بن عمرو الزمخشري، ٢/ ٦٧٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ، أنموذج جليل في أسئلة وأجوبة عن غرائب آي التنزيل. محمد بن أبي بكر الرازي، ص٢٨١، تحقيق: د/ عبد الرحمن المطرودي، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩١م، مدارك التنزيل وحقائق التأويل - تفسير النسفي. عبد الله بن أحمد النسفي، ٢/ ٢٦٢، تحقيق: يوسف بديوي، راجعه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٢) اللباب في علوم الكتاب. عمر بن علي الحنبلي، ١٢/ ٣١٢، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض. دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

(٣) راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن (١٥/ ٤٩٣).

ج- **الإنْجِيل**: أنزله اللهُ عَلَى عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قال تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ﴾ [المائدة: ٤٦].

يقولُ اللهُ تَعَالَى - في كتابِه العزيز -: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ [غافر: ٥٣]، والمقصود بـ (الكتابِ) التَّورَاة، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ سَائِرَ الْكُتُبِ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللهُ عَلَيْهِمْ، وَهِيَ كُتُبُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلِ: التَّوْرَاةُ، وَالزَّبُور، وَالْإِنْجِيلُ(١).

ثانياً: الزَّبُورُ في السُّنة النَّبوية:

وردت الإشارة إلى الزَّبورِ في السُّنة النبوية، في جملةِ أحاديث، هي:

الحديث الأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ القُرْآنُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ(٢)، فَيَقْرَأُ القُرْآنَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّهُ(٣)، وَلاَ يَأْكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِه(٤)»(١).

---

(١) راجع: مفاتيح الغيب (٢٧/ ٥٢٥)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٣/ ٢١٦)، البحر المحيط في التفسير (٩/ ٢٦٦).

(٢) من الإسراجِ، وَهُوَ شدّ الدَّابَّة بالسَّرْج. لسان العرب. محمد بن مكرم بن منظور، ٢/ ٢٩٧، دار صادر، بيروت.

(٣) وفي رواية: (قبل أن تُسرجَ دابتُه). راجع: مسند الإمام أحمد (١٣/ ٤٩٧)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرين. إشراف: د/ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

(٤) قوله ﷺ: «وَلا يَأْكُلُ إلاَّ مِنْ عَمَلِ يَدِه» أي: مِن ثَمَنِ ما كان يعملُهُ، وهو نَسْجُ الدُّروع؛ قال تعالى: ﴿ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٨٠]، وقال سبحانه: ﴿ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ [سبأ: ١٠ - ١١]، =

قال ابنُ حجر[٢] [ت: ٨٥٢هـ]: المُرَادُ بِالْقُرْآنِ الْقِرَاءَةُ[٣]، وَالْأَصْلُ فِي هَذِهِ اللَّفْظَةِ الْجَمْعُ، وَكُلُّ شَيْءٍ جَمَعْتَهُ فَقَدْ قَرَأْتَهُ. وَقِيلَ: المرَادُ الزَّبُورُ؛ وَإِنَّمَا سَمَّاهُ «قُرْآنًا»؛ لِلْإِشَارَةِ إِلَى وُقُوعِ الْمُعْجِزَةِ بِهِ كَوُقُوعِ الْمُعْجِزَةِ بِالْقُرْآنِ، وَالْأَوَّلُ أَقْرَب[٤].

والمـرَادُ بِتَخْفِيفِ الْقِرَاءَةِ عَلَى دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ: «تَيْسِيرُهَا، وَتَسْهِيلُهَا، وَخِفَّةُ لِسَانِهِ بِهَا، حَتَّى يَقْرَأَ فِي الزَّمَنِ الْيَسِيرِ مَا لا يَقْرَؤُهُ غَيْرُهُ فِي الزَّمَنِ

=

و«خُصَّ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ بذلك؛ لأنَّ اقتصارَه في أكلِهِ عِلَى عَمَلِ يَدِهِ لم يكن لِحَاجَةٍ - فقد كان مَلِكًا مُفخَّمًا - وإنَّما تَحَرَّى الأفضلَ. فيض القدير شرح الجامع الصغير. عبد الرؤوف المناوي، ٣/ ٤٤٣ بتصرف، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط الأولى، ١٣٥٦هـ.

(١) صحيح البخاري. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، نشر دار طوق النجاة، ط الأولى ١٤٢٢هـ، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾، ٤/ ١٦٠.

(٢) هو أحمد بن علي بن محمد العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ): أبو الفضل، شيخ الإسلام، برع في الحديث، وصنف التصانيف التي عمَّ النفع بها، كـ«فتح الباري شرح صحيح البخاري»، و«تغليق التعليق»، و«تهذيب التهذيب»، و«تقريب التهذيب»، و«لسان الميزان»، و«الإصابة في تمييز الصحابة». راجع: ذيل طبقات الحفاظ. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ص٢٥١، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية.

(٣) يدلُّ على ذلك قوله ﷺ: «خُفِّفَ عَلَى دَاوُدَ القِرَاءَةُ، فَكَانَ يَأْمُرُ بِدَابَّتِهِ لِتُسْرَجَ، فَكَانَ يَقْرَأُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ. يَعْنِي: القُرْآنَ». صحيح البخاري: كتاب أحاديث الأنبياء، باب قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾، ٦/ ٨٥.

(٤) فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٤٥٥ بتصرف.

الْكَثِيرِ، مَعَ التَّرَسُّلِ[١] وَإِعْطَاءِ كُلِّ حَرْفٍ حَقَّه»[٢].

والمعنى: أن داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُسِّر له قراءةُ الزبور، فكان يأمر بوضْع السَّرجِ عَلى دابته، فلا ينتهي خَدَمُهُ مِن وَضْع السَّرج على ظهورها، إلا وقد قَرَأ الزَّبورَ، مِن أوَّلِه إلى آخره[٣].

وفي الحديث فوائد، منها:

- تخفيف الزَّبور على داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

- أن اللهَ يطوي الزَّمانَ لمن يشاءُ من عباده، كما يطوى لهم المكانَ[٤].

- فضل الصناعة، واستحبابها، وكونها من أعمال الأنبياء.

الحديث الثاني: عن وَاثِلَةَ بن الأَسْقَعِ، عَن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ المِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الإِنْجِيلِ

---

(١) التَّرَسُّل فِي الْكَلامِ: التفهمُ، وَالتَّرَفُّقُ، مِنْ غَيْرِ أَن يَرْفَعَ صَوْتَهُ شَدِيداً. (لسان العرب: ١١/ ٢٨٣)، وقيل: التَّرَسُّل: التَّرْتِيل. لسان العرب: ١١/ ٢٦٥.

(٢) طرح التثريب في شرح التقريب. عبد الرحيم بن الحسيني العراقي، ٦/ ١٥٠، تحقيق: عبد القادر محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ٢٠٠٠م.

(٣) منار القاري شرح مختصر صحيح البخاري. حمزة محمد قاسم، ٤/ ٢٠٢، راجعه: الشيخ/ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، مكتبة المؤيد، الطائف، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. وراجع أيضاً: شرح الشفا. علي القاري، ١/ ٣٣٦، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

(٤) عمدة القاري: ١٦/ ٧.

المَثَانِيَ، وَفُضِّلْتُ بِالمفَصَّل[(١)]»[(٢)].

الحديث الثالث: عَن ابن عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا «أَن دَاوُدَ كَانَ يقرأُ الزَّبُورَ

---

(١) السَّبْعُ: هن السبع الطُّوَل، أوَّلها البقرة، وآخرها براءة؛ لأنهم كانوا يعدُّون الأنفالَ وبراءةَ سورةً واحدة. و(المئين): ما وَلِي السَّبعَ الطول؛ سُميت بذلك لأنَّ كُلَّ سورةٍ منها تزيدُ على مائةِ آية أو تُقاربها. و(المَثَانِي): مَا وَليَ المِئِين. وقد تُسمَّى سُورُ القرآن كلُّها مَثَانِي؛ ومنه قوله تعالى: ﴿كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ﴾ [الزمر: ٢٣]، وإنما سُمِّي القرآن كُلُّه مَثَانِي؛ لأنَّ الأنباءَ والقَصصَ تُثَنَّى فيه. وقيل: إنَّ المثانيَ في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحجر: ٨٧] هي آياتُ سورة الحَمْد؛ سَمَّاها مَثَانِي لأنها تُثَنَّى في كلِّ ركعة. و(المفصَّل): مَا يلي المَثَانِي مِن قِصار السُّور؛ سُمِّي بذلك لكثرةِ الفُصولِ التي بين السُّوَر ببسم الله الرحمن الرحيم، وقيل: لِقلَّةِ المنسوخ فيه، وآخره ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾، وفي أوَّلِه اثنا عشر قَولا. راجع: البرهان في علوم القرآن. محمد بن بهادر الزركشي، ١/ ٣٤٤، ٣٤٥، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

(٢) أخرجه أحمد، في مسنده: مسند الشاميين، حديث واثلة بن الأسقع، ٢٨/ ١٨٨، وقال محقِّقُه: «إسناده حسن». وأخرجه الطبراني في (المعجم الكبير: ٢٢/ ٧٥)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية. والبيهقي، في (شعب الإيمان: ٤/ ١٠٨) تحقيق: د/ عبد العلي عبد الحميد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م. وذكره ابنُ كثير في (التفسير: ١/ ١٥٤) بلفظ: «وَأُعْطِيتُ الْمَثَانِيَ مَكَانَ الزَّبُورِ»، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غريب، وسعيد بن بَشِيرٍ فِيهِ لِين ا.هـ». وله شاهد مرسل عن أبي قلابة، أخرجه ابنُ الضِّرِّيس، في (فضائل القرآن: ١/ ١٢٧) تحقيق: عروة بدير، دار الفكر، دمشق، سوية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ. وقال الألباني - بعد أن ذكر طُرُقَ الحديث - : «فالحديثُ بمجموع طُرقه صحيح». راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها. محمد ناصر الدين الألباني، ٤/ ٥٤، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

بِسَبْعِينَ لَحْناً[١]، وَيَقْرَأُ قِرَاءَةً يَطْرَبُ[٢] مِنْهَا المَحْمُومُ، وَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُبْكِيَ نَفْسَهُ لَمْ تَبْقَ دَابَّةٌ - فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ - إِلَّا أَنْصَتَتْ لَهُ، وَاسْتَمَعَتْ، وَبَكَت»[٣].

الحديث الرابع: عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ لَهُ: «يَا أَبَا مُوسَى، لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَاراً مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ»[٤].

(١) مَنَّ الله – تعالى – على دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بحُسْنِ الصَّوتِ، وكان إليه المنتهى في ذلك. راجع: طرح التثريب في شرح التقريب (٣/ ١٠٥)، يقول ابنُ كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: «إِنَّ الله أَعْطَى دَاوُدَ شَيْئًا لَمْ يُعْطَهُ غَيْرُهُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ، إِنَّهُ كَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ تجتمعُ الوحوشُ حَتَّى يُؤْخَذَ بِأَعْنَاقِهَا وَمَا تَنْفِرُ، وَمَا صَنَعَتِ الشَّيَاطِينُ الْمَزَامِيرَ وَالْبَرَابِطَ وَالصُّنُوجَ إلا عَلَى أَصْنَافِ صَوْتِهِ......... وَكَانَ إِذَا افْتَتَحَ الزَّبُورَ بِالْقِرَاءَةِ كَأَنَّمَا يَنْفُخُ فِي الْمَزَامِيرِ، وَكَانَ قَدْ أُعْطِي سَبْعِينَ مِزْمَاراً فِي حَلْقِهِ». تفسير ابن كثير: ٦/ ٤٩٨.

وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ، صَوَّتَتِ الْجِبَالُ مَعَهُ، ودنَتْ الوحوشُ حتَّى يأخذَ بِأَعْنَاقِهَا، فلا تَنْفُر، وَتُظِلَّهُ الطَّيْرُ مُصِيخَةً لَهُ (منصتة)، وَيَرْكُدَ المَاءُ الْجَارِي، وَيَسْكُنَ الرِّيحُ. تفسير الطبري: ٢١/ ١٨٥ بتصرف.

وعن مَالِك بْن دِينَارٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] قال: يُقَامُ دَاوُدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ سَاقِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا دَاوُدُ، مَجِّدْنِي الْيَوْمَ بِذَلِكَ الصَّوْتِ الْحَسَنِ الرَّخِيمِ [الرَّقيقُ الشَّجِيُّ الطَّيِّبُ النَّغمة] الَّذِي كُنْتَ تُمَجِّدُنِي بِهِ فِي الدُّنْيَا. فَيَقُولُ: وَكَيْفَ وَقَدْ سُلِبْتُهُ؟! فَيَقُولُ: «إِنِّي أَرُدُّهُ عَلَيْكَ الْيَوْمَ». قَالَ: فَيَرْفَعُ دَاوُدُ بِصَوْتٍ يَسْتَفْرِغُ نعيم أهل الجنان. تفسير ابن كثير: ٧/ ٦٢.

(٢) المراد بالطَّرَب هنا: حُلُولُ الفَرَح، وذهابُ الحزن. لسان العرب: ١/ ٥٥٧.

(٣) شرح صحيح البخارى. علي بن خلف، ابن بطال، ١٠/ ٢٥٩، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م، فتح الباري لابن حجر (٩/ ٧١)، عمدة القاري (٢٠/ ٤٠).

(٤) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، بَابُ حُسْنِ الصَّوْتِ بِالقِرَاءَةِ لِلْقُرْآن، ٦/ ١٩٥، =

والمراد بالمزمَار: الصَّوْتُ الحَسَنُ، والمراد بـ (آلِ دَاودَ): داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نفسه؛ لأنه لم يُنقل أنَّ أحداً من أولادِه - ولا مِن أقارِبه - كانَ أُعطِيَ من حُسْنِ الصوت ما أُعطى[1].

والمعنى: «أنَّ أبَا موسى[2] رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أُعطِي صوتًا حسنًا في قراءة القرآن، مِن أنواعِ الأصواتِ والنَّغماتِ الحَسَنةِ التي كانت لداودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في قراءة الزَّبور، وكان إليه المُنتَهى في حُسْن الصَّوْتِ بالقراءة»[3].

=

واللفظ له، وصحيح مسلم: كتاب صلاة المسافرين وقصرها، بَابُ: اسْتِحْبَابِ تَحْسِينِ الصَّوْتِ بِالْقُرْآنِ، ١/ ٥٤٦.

وسببُ الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَعَائِشَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا مَرَّا بِأَبِي مُوسَى الأشعري، وَهُوَ يَقْرَأُ فِي بَيْتِهِ، فَقَامَا يَسْتَمِعَانِ لِقِرَاءَتِهِ، ثُمَّ إِنَّهُمَا مَضَيَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ لَقِيَ أَبا مُوسَى رَسُولُ الله ﷺ، فَقَالَ: «يَا أَبَا مُوسَى، مَرَرْتُ بِكَ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، فَقَالَ أبو موسى: أَمَا إِنِّي لَوْ عَلِمْتُ بِمَكَانِكَ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً. أي: حسَّنتُ قراءته تحسيناً وزيَّنتُها. فتح الباري: ٩/ ٩٣.

(١) فتح الباري (٩/ ٩٣)، عمدة القاري (٩/ ٩٥).

(٢) هو عبد الله بن قيس بن سليم (٢١ ق هـ - ٤٤ هـ): أبو موسى الأشعري. قدم المدينة بعد فتح خيبر، استعمله النبيُّ ﷺ على بعض اليمن، واستعمله عمرُ عَلى البصرة، ثم استعمله عثمانُ عَلى الكوفة، ثم كان أحد الحكمين بصِفِّين، ثم اعتزل الفريقَيْن. وكان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ حسن الصوت بالقرآن، وفي الصحيح المرفوع: «لقد أُوتي مزماراً من مزامير آل داود»، وقال أبو عثمان النهدي: ما سمعتُ صوتَ صَنْجٍ وَلا بَرْبَط، ولا نَاي أحسنَ من صوت أبي موسى بالقرآن، وكان عمرُ إذا رآه، قال: ذَكِّرْنا ربَّنا يا أبا موسى. وفي رواية شوّقنا إلى ربنا، فيقرأ عنده. راجع: الإصابة في تمييز الصحابة. أحمد بن علي بن حجر (٤/ ١٨١، ١٨٢)، تحقيق: عادل عبد الموجود، وعلى معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.

(٣) طرح التثريب في شرح التقريب: ٣/ ٩٥.

الحديث الخامس: عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ على أُبَيِّ بن كَعْبٍ[١]، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أُبَيُّ. وهو يُصَلِّي، فَالْتَفَتَ أُبَيٌّ، وَلَمْ يُجِبْهُ، وَصَلَّى أُبَيٌّ، فَخَفَّفَ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَعَلَيْكَ السَّلامُ. ما مَنَعَكَ يا أُبَيُّ أَنْ تُجِيبَنِي إِذْ دَعَوْتُكَ؟!» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي كُنتُ فِي الصَّلاةِ. قال: «أَفَلَمْ تَجِدْ فِيمَا أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]» قَالَ: بَلَى، وَلَا أَعُودُ إِنْ شَاءَ اللهُ. قَالَ: «تُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لم يَنْزِلْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلاَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلَا فِي الزَّبُورِ، وَلَا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا؟» قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقْرَأُ فِي الصَّلاةِ؟» قَالَ: فَقَرَأَ أُمَّ الْقُرْآنِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا أُنْزِلَتْ فِي التَّوْرَاةِ، وَلا في الإنْجِيلِ، وَلا فِي الزَّبُورِ، وَلا فِي الْفُرْقَانِ مِثْلُهَا[٢]،

---

(١) هو أُبيّ بن كعب بن قيس الأنصاري، أبو المنذر، سيّد القراء. كان من أصحاب العقبة الثانية، وشهد بدراً، والمشاهدَ كلَّها. قال له النبيُّ ﷺ «لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمنْذِر»، وقال له: «إنّ الله أمرني أن أقرأ عليكَ»، وكان عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يسمّيه «سَيِّد المسلمين»، ويسأله عن النوازلِ، ويتحاكم إليه في المعضلاتِ. عَدّه مسروق، في الستَّة من أصحاب الفتيا. وقال الواقديُّ: وهو أوّل من كتبَ للنّبيّ ﷺ، وأوَّلُ مَن كتبَ في آخرِ الكتاب: «وكتب فلانُ ابن فلانٍ». مات في خلافة عثمانَ، سنَة ثلاثين. الإصابة في تمييز الصحابة: ١/ ١٨٠ بتصرف.

(٢) أي: فِي جَمْعِهَا لِمَعَانِي الخَيْرِ؛ فِفِيهَا الثَّنَاءُ عَلَى الله - تعالى - بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَفِيهَا التَّعْظِيمُ لَهُ، وَفِيهَا تَعْلِيمُ الدُّعَاءِ إِلَى الهُدَى، وَمُجَانَبَةُ طَرِيقِ مَنْ ضَلَّ وَغَوَى، وَالدُّعَاءُ لبَابُ الْعِبَادَةِ، فَهِيَ أَجْمَعُ سُورَةٍ لِلْخَيْرِ، وَلَيْسَ فِي الْكِتَابِ مِثْلُهَا عَلَى هَذِهِ الْوُجُوه. وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ مَعْنَى ذَلِكَ لأَنَّهَا لا تُجْزِئُ الصَّلاةُ إِلا بِهَا، دُونَ غَيْرِهَا، وَلا يُجْزِئُ غَيْرُهَا مِنْهَا، وَلَيْسَ هَذَا =

وَإِنَّهَا سَبْعٌ مِن المَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذي أُعْطِيتُه»(١).

الحديث السادس: رَوَى كَعْبُ الأَحْبَار(٢)، قَالَ: «لَقَدْ أَنزَلَ اللهُ - تعالى - عَلَى محمَّدٍ ﷺ آيتَيْن أَحْصَتَا مَا في التَّوراةِ، والإنجيلِ، والزَّبورِ، والصُّحُف(٣)

=

بِتَأْوِيلٍ مُجْمَعٍ عَلَيْهِ. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك. محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ١/ ٢٥٠ بتصرف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.

وأخرج البيهقي، عن الحسن البَصْرِيّ، قال: «أنزل الله مائةً وأربعةَ كُتُب، أودَعَ علومَها أربعةً: التوراةَ، والإنجيلَ، والزَّبُورَ، وَالفُرْقَانَ. ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ الثَّلاثَةِ الفُرْقَانَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ القُرْآنِ المُفَصَّلَ، ثُمَّ أَوْدَعَ عُلُومَ المُفَصَّلِ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، فَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَهَا كَانَ كَمَنْ عَلِمَ تَفْسِيرَ الكُتُبِ المُنَزَّلَة». شعب الإيمان: فصل في فضائل السور والآيات، ذِكر فاتحة الكتاب، ٤/ ٤٤.

(١) سنن الترمذيّ: كِتَاب فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عن رسول الله ﷺ، بَاب ما جاء فِي فَضْلِ فَاتِحَةِ الْكِتَاب، ٥/ ١٥٥، وقال: «هذا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح». تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرين، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م. وأخرجه الحاكم في المستدرك: كتاب التفسير، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْفَاتِحَةِ، (٢/ ٢٨٣)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاه»، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.

(٢) هو كَعْبُ بنُ مَاتِعٍ الحِمْيَرِيُّ، اليَمَانِيُّ، كَانَ يَهُودِيّاً، فَأَسْلَمَ بَعْدَ وَفَاةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدِمَ المَدِيْنَةَ مِنَ اليَمَنِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَجَالَسَ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَكَانَ حَسَنَ الإِسْلاَمِ، مَتِيْنَ الدِّيَانَةِ، مِنْ نُبَلاَءِ العُلَمَاءِ، وَكَانَ خَبِيْراً بِكُتُبِ اليَهُوْدِ، لَهُ ذَوْقٌ فِي مَعْرِفَةِ صَحِيحِهَا مِنْ بَاطِلِهَا فِي الجُمْلَةِ. تُوُفِّيَ بِحِمْصَ، ذَاهِباً لِلْغَزْوِ، فِي أَوَاخِرِ خِلاَفَةِ عُثْمَانَ». سير أعلام النبلاء: ٣/ ٤٨٩ - ٤٩٠ بتصرف.

(٣) كانَ النَّبِيُّ ﷺ يُسَمِّي هَذِهِ الْآيَةَ بـ «الْجَامِعَةِ الْفَاذَّةِ». راجع: صحيح البخاري: كتاب تفسير

=

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧ – ٨]»[1].



=

القرآن، بَابُ ﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴾، ٦/ ١٧٦. وعَن ابن مَسْعُودٍ، أَنَّهُ قَالَ: «هَذِهِ أَحْكَمُ آيَةٍ فِي الْقُرْآنِ»، وَقَالَ الْحَسَنُ: قَدِمَ صَعْصَعَةُ بْنُ نَاجِيَةَ – جَدُّ الْفَرَزْدَقِ – على النبي ﷺ؛ يَسْتَقْرِىءُ النَّبِي الْقُرْآنَ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَقَالَ صَعْصَعَةُ: «حَسْبِي، فَقَدِ انْتَهَتِ الْمَوْعِظَةُ، لَا أُبَالِي أَنْ لَا أَسْمَعَ مِنَ الْقُرْآنِ غَيْرَهَا». تفسير القرطبي: ٢٠/ ١٥٣.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء. أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ٦/ ٣، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ – ١٩٧٤م، أحكام القرآن. محمد بن عبد الله ابن العربي، ٤/ ٤٣٩، تحقيق: محمد عبد القادر عطا. دار الفكر للطباعة والنشر، لبنان.

المطلب الثاني

سبب التسمية

وردت في سبب تسميةِ «الزَّبُور» أقوالٌ، تناقلها أهلُ العلمِ.. يمكن إجمالها في الآتي:

القول الأوَّل: سُمِّي الزَّبورُ زبوراً لِغِلَظِ كِتَابَتِهِ.

يُقَالُ: زَبَرْتَ الكِتَابَ: كَتَبْتَهُ كِتَابَةً عَظِيمَةً، وَكُلُّ كِتَابٍ غَلِيظِ الكِتَابَةِ يُقَالُ لَهُ: «زَبُورٌ»(١)، ويقال: زَبَرْتَ البئرَ: إذَا طَوَيتَها بالحجَارةِ؛ وذلك لِغِلَظِ الحجارةِ، وفي الحديثِ: «الفقيرُ الَّذِي لَا زَبْرَ لَهُ»(٢) أي: لا مُعْتَمَدَ لَهُ، وهو مِثلُ قولِهم: رِقيقُ الحال، كأنَّ الزَّبْرَ فَخَامَةُ الحَال(٣).

القول الثاني: لِكَثْرَةِ مَا فِيهِ مِنَ الزَّوَاجِرِ وَالموَاعِظ.

---

(١) المفردات في غريب القرآن. الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، ص٣٧٧، تحقيق: صفوان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ، التوقيف على مهمات التعاريف. عبد الرؤوف المناوي، ص١٨٥، عالم الكتب، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، الكليات. أيوب بن موسى الكفوي، ص٤٨٦، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.

(٢) نصُّ الحديث: «وَأَهْلُ النَّارِ خَمْسَةٌ: الضَّعِيفُ الذي لا زَبْرَ لَهُ». صحيح مسلم، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، باب الصفات التي يُعرف بها في الدنيا أهل النار، ٤/ ٢١٩٧.

(٣) الفروق اللغوية. الحسن بن عبد الله العسكري، ص٢٩٠، تحقيق: محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

مِنَ «الزَّبْرِ» الَّذِي هُوَ الزَّجْرُ. يُقَالُ: زَبَرْتَ الرَّجُلَ؛ إِذَا زَجَرْتَهُ عَنِ الْبَاطِلِ، وَسُمِّيَ الْكِتَابُ زَبُوراً؛ لِمَا فِيهِ مِنَ الزَّبْرِ عَنْ خِلَافِ الْحَقِّ[١].

القول الثالث: لاقتصاره عَلَى الحِكَمِ.

مِنْ: زَبَرْتَ الشَّيءَ، إِذَا حَبَسْتَهُ[٢]، «قَالَ الزَّجاجُ[٣]: الزَّبُورُ كلُّ كِتَابٍ ذِي حِكْمَةٍ»[٤].

---

(١) مفاتيح الغيب (٩/ ٤٥١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان - تفسير النيسابوري. الحسن بن محمد النيسابوري، ٢/ ٣٢٢، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ، الفروق اللغوية للعسكري (ص٢٩٠).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص٣٧٧)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل (٢/ ٥٢)، روح البيان. إسماعيل حقي البروسوي، ٢/ ١٣٧، دار الفكر، بيروت، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - تفسير الألوسي. محمود بن عبد الله الألوسي، ٢/ ٣٥٦، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

(٣) هو إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزَّجَّاج (٢٤١ - ٣١١ هـ): عالم بالنحو واللغة. ولد ومات في بغداد. من كتبه: (معاني القرآن)، و(الاشتقاق)، و(الأمالي) في الأدب واللغة، و(فعلت وأفعلت) في تصريف الألفاظ، و(إعراب القرآن). راجع: تاريخ العلماء النحويين، للتنوخي، ص٣٨، تحقيق: د/ عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة، القاهرة، ط الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٤) دَرْجُ الدُّرر في تَفِسيرِ الآيِ والسُّوَر. عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ١/ ٤٥٥، تحقيق: طلعت الفرحان، محمد شكور، دار الفكر، عمَّان، الأردن، ط الأولى، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، مفاتيح الغيب للرازي (٩/ ٤٥١)، غرائب القرآن للنيسابوري (٢/ ٣٢٢)، التبيان في تفسير غريب القرآن. أحمد بن محمد بن عماد الدين، ١/ ١٣٣، تحقيق: د/ ضاحي عبد الباقي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ٤٢٣هـ، الفروق =

القول الرابع: لأَنَّه نَزَلَ مِنَ السَّماءِ مَسْطُوراً، أي: مَكْتُوبَاً[١].

القول الخامس: لِقُوَّةِ الوَثِيقَةِ بِهِ.

يُقَالُ: بِئْرٌ مَزْبُورةٌ، أي: مَطْوِيَّةٌ بالحِجَارَةِ[٢].

القول السادس: لأنه كتاب يَصْعُبُ الوُقُوفُ عَلَيْهِ منَ الكُتُبِ الإِلهيَّة[٣].

وخُلاصَةُ القَوْلِ:

١- أن الزَّبورَ سُمِّيَ بهذا الاسم؛ إمَّا لِغِلَظِ كتابته، أو لاقتصارِه على الحِكَم، أو لكثرةِ ما فيه من الزَّوَاجِرِ وَالموَاعِظِ، أو لأنه نَزَل من السَّماء مسطوراً.

=

اللغوية (ص٢٩٠).

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز. محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ٣/ ١٢٢، تحقيق: محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، تاج العروس من جواهر القاموس. السيد محمد مرتضى الزبيدي، ١١/ ٤٠٠، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مكتبة حكومة الكويت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٦/ ١٧)، اللباب في علوم الكتاب (٧/ ١٣٣)، فتح القدير (١/ ٥٣٨).

(٣) روح البيان (٥/ ٥٢٧)، المفردات في غريب القرآن (ص٣٧٧)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (٣/ ١٢٢)، لسان العرب (٤/ ٣١٥)، التوقيف على مهمات التعاريف (ص ١٨٥)، تاج العروس (١١/ ٤٠٠).

٢- ما قيل مِن أنَّ سببَ التَّسميةِ هو اقتصار الزَّبور عَلَى الحِكَم دُونَ الأحكامِ، لا يُسَلّم لَهُ بإطلاقٍ؛ إذ لا يخلو كتابٌ إلهيٌّ من الحُكم الشَّرعيِّ، حتى ولو كان تابعًا لغيره من الكُتب. وسيأتي تحرير هذه المسألة في المطلب الرابع، إن شاء الله.

٣- وأمَّا ما قيل من أنَّ الزَّبورَ «كِتَاب يَصْعُب الوُقُوفُ عَلَيْه»، فلا يُسَلَّم لَهُ - أيضًا -؛ إذ لو كان الكتابُ الإلهيُّ فوقَ فَهْمِ البشر لَمَا تحقَّقت الغايةُ من إنزالِه!



المطلب الثالث

نـزول الزبـور

أولاً: زمان نزول الزبور:

اختُلف في توقيت نزول «الزبور»، وهو ما يُفهَمُ من الأحاديث الآتية:

١- عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «أُنزلت الصُّحُفُ عَلَى إبراهيمَ في ليلتَيْن من شهرِ رمضان، **وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ فِي سِتٍّ مِنْ رَمَضَانَ**، وأُنزلت التَّوْراةُ عَلَى موسى لِثَمانِ عشرةَ مِن رمضان، وأُنزل القرآنُ عَلَى محمَّدٍ ﷺ لأَرْبَعٍ وعشرينَ مِنْ رَمَضَان»[١].

٢- عن جَابِر بْن عَبْدِ الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «أَنْزَلَ اللهُ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ عَلَى مُوسَى لِسِتٍّ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، **وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ فِي إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»[٢].

---

(١) ذكره ابنُ عساكر، بإسناده عن عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس. راجع: تاريخ دمشق. علي بن الحسن بن هبة الله، ابن عساكر، ٦/ ٢٠٢، تحقيق: عمرو العمروي، دار الفكر، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٤/ ١٣٥)، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، والهيثمي، في (مجمع الزوائد: ١/ ١٩٧)، تحقيق: حسين سليم الدّاراني، دار المأمون للتراث. وقال: «رواهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ سُفْيَانُ بْنُ وَكِيعٍ، وَهُوَ ضَعِيفٌ».

٣- عَنْ أَبِي الْجَلْدِ[١] قَالَ: «أُنْزِلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ ﷺ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ فِي رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، **وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»[٢].

٤- عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الْأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «نَزَلَتْ صُحُفُ إِبْرَاهِيمَ أَوَّلَ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ لِستٍّ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، وَأُنْزِلَ الْإِنْجِيلُ لِثَلَاث عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، **وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ لِثَمَانِ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ**، وَالْقُرْآنُ لِأَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ»[٣].

٥- ورَوَى وَهْبٌ، أَنَّ صُحُفَ إِبْرَاهِيمَ أُنْزِلَتْ فِي اللَّيْلَةِ الْأُولَى مِنْ رَمَضَانَ، وَالتَّوْرَاةَ لِستٍّ لَيَالٍ مَضَيْنَ مِنْ رَمَضَانَ، بَعْدَ صُحُفِ إِبْرَاهِيم بِسَبْعِمِائَةِ سَنَةٍ، **وَأُنْزِلَ الزَّبُورُ عَلَى دَاوُدَ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ،**

---

(١) هو جيلان بْن أَبِي فَروة. أَبو الجلد، الأَسَدِيّ، الْبَصْرِيّ. راجع: التاريخ الكبير، للبخاري، ٢/ ٢٥١، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد - الدكن.

(٢) راجع: فضائل القرآن لابن الضريس (ص٧٤)، تفسير الطبري (٢٤/ ٣٧٧).

(٣) أخرجه الطبراني، في (المعجم الكبير: ٢٢/ ٧٥)، (المعجم الأوسط: ٤/ ١١١)، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة، وقال: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الحَدِيثَ عَنْ قَتَادَةَ، إِلَّا عِمْرَانُ الْقَطَّانُ، وَلَا يُرْوَى عَنْ رَسُولِ الله ﷺ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ»، وأخرجه البيهقيُّ في السنن الكبرى: كتاب الجزية، بَابُ ذِكْرِ كُتُبٍ أَنْزَلَهَا الله قَبْلَ نُزُولِ الْقُرْآن، (٩/ ٣١٧)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ، و(شُعب الإيمان: ٣/ ٥٢١). وقال الألباني: «وهذا إسناد حسن، رجالُه ثِقات، وفي القطَّان كلامٌ يسير». سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٤/ ١٠٤.

بَعْدَ التَّوْرَاةِ بِخَمْسِمِائَةِ عَام، وَأُنْزِلَ الإِنْجِيلُ على عيسى لثمان عشرة ليلة خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، بَعْدَ الزَّبُورِ بِسِتِّمِائَةِ عَامٍ وَعِشْرِينَ عَاماً[١]...»[٢].

وخلاصة ما في الروايات السابقة، يمكن إجماله في الآتي:

١- نزلت جميعُ الكُتُبِ السَّماوية المعروفةِ لنا - ومنها الزَّبور - في شَهْرِ رمضان.

٢- اختُلِفَ في ليلةِ نزولِ الزَّبُورِ، بينَ (٦ أو ١١ أو ١٢أو ١٨) من رمضان.

٣- اتُّفِقَ عَلَى أنَّ «صُحُفَ إبراهيم» عَلَيْهِ السَّلَامُ نزلت في أوَّل ليلةٍ من رمضان، و«التَّوراة» في السَّادس، و«القرآن» في الرابع والعشرين منه.

ثانياً: كيفية نزول الزبور:

نَزَلَ الزَّبُورُ - كما نزلت الكُتُبُ قَبْلَهُ - جُملةً واحدة[٣]؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢].

---

(١) قَالَ أَبُو زُرْعَةَ الدِّمَشْقِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الله بْنُ صَالِحٍ، حدَّثني مُعَاوِيَةُ بْنُ صَالِحٍ، عَمَّنْ حَدَّثَهُ قَالَ: «أُنْزِلَتِ التَّوراة عَلَى مُوسَى فِي سِتٍّ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رمضان، ونزل الزبور على داود في اثنتي عَشْرَة لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَذَلِكَ بَعْدَ التَّوْرَاةِ بِأَرْبَعِمِائَةِ سَنَةٍ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وأُنزل الإنجيل على عيسى بن مريم في ثمانية عشرة ليلة خلت من رَمَضَانَ، بَعْدَ الزَّبُورِ بِأَلْفِ عَامٍ وَخَمْسِينَ عَاماً، وَأُنْزِلَ الْفُرْقَانُ عَلَى محمَّد ﷺ فِي أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ».البداية والنهاية. إسماعيل بن عمر بن كثير، ٢/ ٩٢، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٢٣٠.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير (٢/ ٤٣٤).

«فهذه الآيةُ دليلٌ عَلَى أنَّ الكُتُبَ السَّماويةَ السَّابقةَ على القرآنِ الكريم نزلت جُمْلَةً واحدةً، وهو ما عليه جمهورُ العلماء، ولو كان نزولُها مُفرَّقًا لَما كان هناك ما يدعو الكفَّارَ إلى التعجُّبِ مِن نزولِ القرآنِ مُنَجَّماً[1]»[2].

وعلى هذا فمعنى قولِ الكُفَّارِ: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً﴾ أي: هَلَّا أُنزِلَ عليه القرآنُ جُملةً واحِدةً، كما نَزَلَتِ الكُتُبُ قَبْلَهُ جُملةً واحدةً، كالتوراةِ، والإنجيلِ، والزَّبورِ، وغيرِها من الكُتُبِ الإلهية؟![3].

يقول السيوطيُّ[4] [ت:٩١١هـ]: «فَإِنْ قُلْتَ: ليس في القرآن التصريحُ

---

(١) مباحث في علوم القرآن. مناع بن خليل القطان، ص١٠٦، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

(٢) نَزَلَ القرآن الكريمُ - مُفرَّقًا - عَلَى رَسُولِ الله ﷺ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. قال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] قال ابن كثير: ﴿فَرَقْنَٰهُ﴾ بِالتَّخْفِيفِ، أي: فَصلْنَاهُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، و﴿فَرَّقْنَٰهُ﴾ بِالتَّشْدِيدِ، أَيْ: أَنْزَلْنَاهُ آيَةً آيَةً، مُبَيَّنًا مُفَسَّراً، ﴿لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ أَيْ: لِتُبَلِّغَهُ النَّاسَ، وَتَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ، ﴿عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ أَيْ: مَهَل، ﴿وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ أَيْ: شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ. راجع: تفسير ابن كثير، ٥/ ١٢٧.

وللعلماء في بيان العِلَّة من نزول القرآن مُنجَّماً - دون غيره من الكُتب - أقوال، منها: تثبيت فؤاد النبي ﷺ، التحدي والإعجاز، تيسير حِفظ القرآن وفهمه، مسايرة الحوادث والتدرج في التشريع. راجع: مباحث في علوم القرآن، للقطان، ص١٠٧ - ١١٨.

(٣) تفسير ابن كثير: ٦/ ١٠٩.

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، جلال الدين (٨٤٩ - ٩١١ هـ): إمام حافظ مؤرخ أديب. نشأ في القاهرة يتيماً، ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وخلا بنفسه في روضة المقياس، على النيل، فألَّف أكثر كتبه، التي منها: «الإتقان في علوم القرآن»، =

بذلك، وإنَّما هو على تقدير ثُبوتِ قَوْلِ الكفَّار، قُلْتُ: سُكوتُه - تعالى - عن الردِّ عليهم في ذلك، وعُدُولُه إلى بيانِ حكمته، دَلِيلٌ على صِحَّتِه، ولو كانت الكُتُبُ كلُّها نزلتْ مُفرَّقةً لَكان يكفي في الردِّ عليهم أن يقول: إن ذلك سُنَّةُ الله في الكُتُبِ التي أنزلها على الرُّسُلِ السَّابقين، كما أجاب بمثلِ ذلك قولَهم: ﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٧]، فقال في الردِّ عليهم: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِى ٱلْأَسْوَاقِ ﴾ [الفرقان: ٢٠]، فبيَّن لهم أنَّ ذلك سُنَن الأنبياء والمرسَلِين، وكذلك لَمَّا قالوا: ﴿ هَلْ هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الأنبياء: ٣] رَدَّ عليهم بأنَّ سُنَّتَهُ ألاَّ يُرْسلَ رُسلاً إلّا من البَشَرِ، فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِمْ ﴾ [الأنبياء: ٧]... إلى غير ذلك ا.هـ»[1].

ويرى القاسميُّ[2] [ت: ١٣٣٢هـ] أنَّه لم يثبت - عَلَى وَجْهٍ قَاطِعٍ - أنَّ

=

و«الأشباه والنظائر» في العربية، و«الأشباه والنظائر» في فروع الشافعية، و«الاقتراح» في أصول النحو، و«الإكليل في استنباط التنزيل»، و«التاج في إعراب مشكل المنهاج»، و«تاريخ الخلفاء». راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ١/ ٣٢٨.

(١) معترك الأقران في إعجاز القرآن، للسيوطي، ٢/ ٢٦٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) هو جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ): إمام الشام في عصره. مولده ووفاته في دمشق. كان سلفي العقيدة لا يقول بالتقليد. من مصنفاته: «دلائل التوحيد»، و«موعظة المؤمنين»، و«إصلاح المساجد من البدع والعوائد، و«محاسن التأويل» في تفسير القرآن الكريم. راجع: الأعلام. خير الدين بن محمود الزركلي، ٢/ ١٣٥، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشر، ٢٠٠٢ م.

الكتبَ السماويةَ نزلت جُملةً واحدةً، ويرجِّح أنها نزلت منجَّمَةً بِمِقْدارِ مُكْثِ النبيِّ. فيقول - عند تفسير قوله تعالى -: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗ .. ﴾الآية: «يذكر المفسِّرون - هاهُنَا - أنَّ الآية ردٌّ على الكَفَرةِ في طلبهم نزول القرآن جُملة كنزولِ بقيَّة الكتب جُملةً. ويرونَ أنَّ القولَ بنزول بقيَّة الكتب دُفعةً صحيحٌ، فيأخذون لأجلِه في سِرِّ مُفارقة التنزيل له. والحالُ أنَّ القولَ بنزولِها دفعةً واحدةً لا أَصْلَ لَهُ، وليس عليه أَثَارَةٌ من عِلْم، ولا يصحِّحه عقلٌ؛ فإنَّ تفريقَ الوحي، وتمديدَ مُدَّته بديهيُّ الثبوتِ لِمقدار مُكْثِ النبيّ؛ إذ ما دَامَ بين ظهرانِيِّ قومِه فالوحيُ يتوارَدُ تَنَزُّلُهُ ضرورةً. ومَن راجَعَ التوراةَ والإنجيل الموجودين، يتجلَّى له ذلك واضحًا لا مِرْيَةَ فيه. وعذرُ القائل به ظَنُّهُ أنَّ الآيةَ تعريضٌ بنزولِ غيره كذلك. وما كلُّ كلامٍ مُعرَّض به، وإنما الآيةُ حكاية لاقتراحٍ خاصٍ، وَتَعَنُّتٍ مُتَفَنِّنٍ فيه. والله أعلم»[١].

ورأي القاسميّ - على مخالفته للجمهور - مُعْتبَرٌ؛ لعدم الدلالة في الآية على ما ذهب إليه المفسّرون، عَلَى وجهٍ تطمئِنُّ إليه النَّفسُ؛ ولأن حاجةَ النَّبيين قاضيةٌ بتجدُّد الوحي على حَسَبِ مقتضيات الأحوال، كما أنَّ حاجتهم - عليهم السلام - إلى التثبيتِ والمواساةِ كَحَاجَة نَبِيِّنَا ﷺ؛ فقد واجهوا أُمَمًا عاتيةً، لا تَقِلُّ في ضلالِها وغلوائِها عن أهلِ مَكَّة[٢].

(١) محاسن التأويل. محمد جمال الدين القاسمي، ٧/ ٤٢٧، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

(٢) دراسات في علوم القرآن. د/ محمد بكر إسماعيل، ص٣٠ بتصرف، دار المنار، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

المطلب الرابع

محتوى الزبور

ذهب جمهور المفسِّرين إلى أنَّ «الزَّبور» يشتمل على مائةٍ وخمسين سورةً، ليس فيه شيءٌ مِن الشرائعِ والأحكام، وإنَّما كلُّه حِكَمٌ ومواعظُ، ودعاءٌ لله، وثَنَاءٌ عليه.

وهذه أقوالهم بهذا الخصوص:

١- يقول مقاتلُ[١] [ت: ١٥٠هـ]: «الزَّبورُ مائةٌ وخمسونَ سورة، ليس فيها حُكْمٌ ولا حَدٌّ، ولا فريضةٌ، ولا حَلالٌ ولا حَرامٌ، وإنَّما هو ثَناءٌ عَلَى اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وتمجيدٌ وتحميدٌ»[٢].

٢- ويقول السَّمعانيُّ[٣] [ت: ٤٨٩هـ]: «الزَّبورُ كِتَابٌ يشتملُ عَلَى مائةٍ

---

(١) هو مُقَاتِلُ بنُ سُلَيْمَانَ البَلْخِيُّ، أَبُو الحَسَنِ، كَبِيْرُ المُفَسِّرِيْنَ، مَاتَ سَنَةَ نَيِّفٍ وَخَمْسِيْنَ وَمائَةٍ. كان متروك الحديث. من كتبه: «التفسير الكبير»، و«نوادر التفسير»، و«الرد على القدرية»، و«متشابه القرآن»، و«الوجوه والنظائر». راجع: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٠١)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٨١).

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان. مقاتل بن سليمان بن بشير، ٢/ ٥٣٦، تحقيق: د/ عبد الله شحاته، دار إحياء التراث، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

(٣) هو منصور بن محمد بن عَبْد الجبّار، أبو المظفّر السَّمعانيّ: الفقيه الحنفيّ، ثمّ الشّافعيّ. [ت: ٤٨٩هـ]، صنَف «التفسير»، و«البرهان»، و«الاصطلام»، و«القواطع» في أصول الفقه، وله في الآثار كتاب «الانتصار»، و«الرّدّ على المخالفين»، و«المنهاج لأهل السّنّة»، و«القدر». راجع: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام. محمد بن أحمد =

وخمسينَ سورةً، كلُّها تحميدٌ، وتمجيدٌ، وَثَنَاءٌ على اللهِ، لَيْسَ فيهَا أَمْرٌ، ولا نَهْيٌ، ولا حَلالٌ، ولا حَرَامٌ»[1].

٣- ويقول البَغَوِيّ[2] [ت: ٥١٦هـ]: «الزَّبُورُ كِتَابٌ عَلَّمَهُ اللهُ دَاودَ. يَشْتَمِلُ عَلَى مائةٍ وَخَمْسِينَ سورةً، كُلُّها دُعاءٌ، وتَمْجِيدٌ، وثَنَاءٌ عَلَى الله - عَزَّ وَجَلَّ - وَلَيْسَ فِيهَا حَرَامٌ، ولا حَلالٌ، ولا فَرَائِضُ، وَلا حُدود»[3].

٤- ويقول الرَّازِيّ[4] [ت: ٦٠٦هـ]: «الزَّبُورُ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالأَحْكَام، بَلْ لَيْسَ فِيهِ إِلّا المَوَاعِظُ»[5].

=

الذهبي، ١٠/ ٦٤٠، تحقيق: د/ بشار عوّاد، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ٢٠٠٣م.

(١) تفسير القرآن. منصور بن محمد السمعاني، ٣/ ٢٥٠، تحقيق: ياسر إبراهيم، غنيم عباس، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

(٢) هو الحُسَيْن بن مَسْعُوْدِ بنِ مُحَمَّدٍ البغوي، الشَّافِعِيّ (... - ٥١٦هـ): المُفَسِّرُ، من مصنفاته: (شرح السُّنَّةِ)، و(مَعَالِم التَّنْزِيل)، و(الْجمع بَيْنَ الصَّحِيْحَيْنِ)، كَانَ يُلَقَّبُ بِـ «مُحْيِي السُّنَّةِ»، و«رُكْنِ الدِّين». راجع: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩ - ٤٤٢).

(٣) تفسير البغوي: ٣/ ١٣٩.

(٤) هو محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي، أبو عبد الله. الشافعي (٥٤٤ - ٦٠٦هـ): المفسّر المتكلِّم. كان من تلامذة محيي السنة البغوي. له: «التفسير الكبير»، و«المحصول في أصول الفقه»، و«شرح الأسماء الحسنى»، وغيرها. راجع: طبقات المفسرين. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص١١٥، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة وهبة، القاهرة، ط الأولى، ١٣٩٦هـ، وفيات الأعيان. لابن خلكان، ٤/ ٢٥٢، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

(٥) مفاتيح الغيب: ٧/ ١٣٣.

٥- ويقـول القُرْطُبِـيُّ [ت: ٦٧١هــ]: «الزَّبُـورُ كِتَـابُ دَاوُدَ، وَكَـانَ مَائَـةً وَخَمْسِينَ سُورَةً، لَيْسَ فِيهَا حُكْمٌ، ولا حَلالٌ، ولا حَرَامٌ، وإنَّما هِيَ حِكَمٌ وَمَوَاعِظُ»(١).

٦- ويقول أبو حيَّان الأندلسي(٢) [ت: ٧٤٥هـ]: «فِيهِ مَوَاعِظُ وَحِكَمٌ لَمْ تَبْلُغْ مَبْلَغَ الإنْجِيل»(٣).

٧- وفي (عُمْدَةِ القَاري) للبدرِ العيني(٤) [ت: ٨٥٥هـ] تفصيلٌ لِما في سُوَرِ الزَّبور، فينقُلُ عن ابن عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قولَه: «أَنزلَ اللهُ الزَّبورَ، عَلَى داودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مائة وخمسينَ سورةً، بالعِبرانيَّةِ(٥)، في خمسينَ مِنها ما يلقونَهُ من

(١) الجامع لأحكام القرآن: ٦/ ١٧.

(٢) هو مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بْنِ عَلِيٍّ، أَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيُّ الشَّافِعِيُّ (٦٥٤ - ٧٤٥هـ): عَالِمُ الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّة. من كتبه: «البحر المحيط» في تفسير القرآن، و«النهر» اختصر به البحر المحيط، و«الإدراك للسان الأتراك»، و«تحفة الأريب» في غريب القرآن. راجع: المعجم المختص بالمحدثين. محمد بن أحمد الذهبي، ص٢٦٧، تحقيق: د/ محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق، الطائف، ط الأولى، ١٤٠٨هـ، الأعلام للزركلي (٧/ ١٥٢).

(٣) البحر المحيط في التفسير: ٣/ ٤١.

(٤) هو مَحْمُود بن أَحْمد بن مُوسَى، بدر الدين الْعَيْنِيّ، الْحَنَفِيّ (٧٦٢ - ٨٥٥هـ): ولي حسبَة الْقَاهِرَة، وَقَضَاء الْحَنَفِيَّة، وَله عدَّة مصنفات، مِنْهَا: «شرح الْبُخَارِيّ»، و«شرح مَعَانِي الْآثَار للطحاوي»، و«شرح الشواهد الْكُبْرَى». راجع: نظم العقيان في أعيان الأعيان، للسيوطي، ص١٧٤، تحقيق: فيليب حتي، المكتبة العلمية، بيروت.

(٥) العبرانيَّة، العِبْرِيَّة: تدخل في الفرع الكنعاني من اللغات السَّامية الشمالية العربية إلى جانب اللغات الفينيقية، والمؤابية، والأوغاريتية. كانت تُعرف لدى مؤلِّفي «العهد القديم» =

بُخْت نَصـّر[١]، وفي خمسينَ مَا يلقونَهُ من الرُّوم، وفي خمسينَ مواعظ وَحِكَم»[٢].

٨- وقال السُّيوطيُّ [ت: ٩١١هـ] - في «شرح التنبيه» -: «إنّ الزبورَ مائة وخمسونَ سورةً، ما بَيْنَ قِصَارٍ وطِوالٍ، والطَّويلةُ منها قَدْرُ رُبْعِ حِزْبٍ، والقصيرةُ قَدْر سُورةِ النَّصْر»[٣].

٩- وقال الشوكاني [ت: ١٢٥٠هـ]: «أَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ، قَالَ: الزَّبُورُ: ثَنَاءٌ عَلَى اللهِ، وَدُعَاءٌ، وَتَسْبِيح[٤]. قُلْتُ [أي:

=

باسم (لسان كنعان) أو (لغة اليهود)، وليست هذه اللغة إلا تطوراً للغة سكان بلاد كنعان الأصليين قبل مجيء اليهود إلى هذه المنطقة. معجم الحضارات السامية. هنري س. عَبّودي، ص٥٨٩، جروس برس، طرابلس، ليبيا، ط الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

(١) بخت نصّر بن بيت بن جوذرز: الملك البابلي، دخل دمشق، ومضى منها إلى بيت المقدس، فخرّبها، وسبى أهلَها، وحملهم إلى بابل. تاريخ دمشق لابن عساكر (٧١/ ٣٤٢).

(٢) عمدة القاري: ١٦/ ٦. وراجع أيضاً: منحة الباري بشرح صحيح البخاري. زكريا بن محمد الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي، ٦/ ٥٠٥، تحقيق: سليمان العازمي. مكتبة الرشد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

(٣) نقلا عن: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير. محمد بن أحمد الخطيب الشربيني، ١/ ٣٤٦، مطبعة بولاق، القاهرة، ١٢٨٥هـ.

(٤) تفسير القرآن العظيم. عبد الرحمن بن محمد بن إدريس، ابن أبي حاتم، ٤/ ١١١٨، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط الثالثة، ١٤١٩هـ.

الشوكاني]: الأَمْرُ كَمَا قَالَهُ قَتَادَةُ وَالرَّبِيعُ؛ فَإِنَّا وَقَفْنَا عَلَى الزَّبُورِ، فَوَجَدْنَاهُ خُطَبًا يَخْطُبُهَا دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَيُخَاطِبُ بِهَا رَبَّهُ - سُبْحَانَهُ - عِنْدَ دُخُولِهِ الْكَنِيسَةَ(١)، وَجُمْلَتُهُ مِائَةٌ وَخَمْسُونَ خُطْبَةً، كُلُّ خُطْبَةٍ تُسَمَّى مَزْمُوراً»(٢).

١٠- وفي (التحرير والتنوير) ما نَصُّهُ: «وَالزَّبُور: اسْمٌ لمجموع أَقْوَال دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ، الَّتِي بَعْضُهَا مِمَّا أَوْحَاهُ إِلَيْهِ، وَبَعْضُهَا مِمَّا أُلْهِمَهُ مِنْ دَعَوَاتٍ وَمُنَاجَاةٍ، وَهُوَ المعْرُوفُ الْيَوْمَ بِكِتَابِ الْمَزَامِيرِ مِنْ كُتُبِ الْعَهْد الْقَدِيم(٣)»(٤).

❑ خلاصة واستنتاج:

هذه النُقول العشرة هي مُجمَل ما ذكره العلماءُ حول محتوى الزَّبور، وهي تكاد تُجمِعُ على خُلوّه من الشرائع والأحكام. وربَّما كان السببُ وراء هذا التَّصور: أنَّ شريعة داود عَلَيْهِ السَّلَامُ هي بِعينِها شريعة التَّوراة.

يقول ابن تيميَّة [ت: ٧٢٨هـ]: «وأمَّا الزَّبورُ، فإنَّ داودَ لم يأتِ بغيرِ

---

(١) قال الزجاج: الكنيسة لليهود، والبِيَع للنصارى. راجع: مجمع بحار الأنوار للكجراتي، ٤/ ٤٣٨، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط الثالثة ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

(٢) فتح القدير: ٣/ ٢٨١.

(٣) العهدُ القَديم: مصطلح نصراني، يُقصَد به الكُتُب التي يقدِّسها اليهودُ، وهي: التَّوراة، وما يتبعها من كُتُبِ أنبياء بني إسْرائيل، ويتكون من (٣٩) سِفراً، يعتقد اليهودُ أنها (مُقدَّسةٌ) أي: مُوحَى بها من الله. وسُمِّي بـ (القديم)؛ تمييزاً بينه وبين (العهد الجديد) الذي اعتمده النصارى من أسفارهم. الأسفار المقدسة. على وافي: ص١٣ بتصرف.

(٤) التحرير والتنوير - تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد. محمد الطاهر بن عاشور، ١٥/ ١٣٨، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.

شَريعَةِ التَّوراة»[١].

ويقول ابن حَجَر [ت: ٨٥٢هـ]: «الزَّبُورَ كُلَّهُ مَوَاعِظ، وَكَانُوا يَتَلَقَّوْنَ الأَحْكَامَ مِنَ التَّوْرَاةِ......، بَلْ كَانَ اعْتِمَادُهُ عَلَى التَّوْرَاة»[٢] ا.هـ

غير أنَّ خلو الزَّبور - تمامًا - من الشرائع والأحكام، مسألةٌ تحتاج إلى نَظَر؛ ذلك أنَّ نصوص الزَّبور - التي وقفَ عليها علماءُ المسلمين، في زَمَنِهم، ووثِقوا بما فيها - تشتمل على آياتٍ صريحةِ الأمر والنهي، وآيات أُخرى يُفهَمُ منها الأمرُ والنهيُّ، وإنْ جاءت في صورةِ توجيهات ومواعظ.

وممن فَطن إلى هذا من المتأخرين الإمام الألوسي [ت: ١٢٧٠هـ] فقد نقل عن قتادة، قوله: «كُنَّا نُحَدّثُ أنَّ الزَّبورَ دُعَاءٌ علَّمَهُ دَاودَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وتحميدٌ، وتَمْجِيدٌ للهِ عَزَّ وَجَلَّ، لَيْسَ فِيهِ حَلالٌ وَلاَ حَرَامٌ، ولا فَرَائِضَ ولا حُدود»، **ثم قال**: «والذي تدلُّ عليه بعضُ الآثار اشْتمَالُهُ عَلَى بعضِ النَّواهي والأوامر؛ فقد رَوَى ابنُ أبي شيبة، أنَّه مكتوبٌ فيهِ «إنِّي أَنَا اللهُ، لا إلهَ إلاَّ أَنَا، مَلِكُ الملوكِ، قُلوبُ الملوكِ بيدي، فأَيُّمَا قومٍ كانوا على طاعةٍ جعلتُ الملوكَ عليهم رحمةً، وأَيُّمَا قومٍ كانوا عَلَى معصيةٍ جعلتُ الملوكَ عليهم نِقمةً، فلا تَشْغَلُوا أنفُسَكم بِسَبِّ الملوكِ، ولا تَتُوبوا إليهم، وَتُوبوا إليَّ؛

---

(١) مجموع الفتاوى. أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، ١٩/ ١٨٤، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ.

(٢) فتح الباري لابن حجر: ٦/ ٤٥٥.

أَعْطِفُ قلوبَهم عليكُم»[١]، والمزاميرُ التي يُفهَمُ منها الأمرُ والنَّهيُ كثيرةٌ فيه، كما لا يَخفى على مَن رآهُ»[٢].

وجاء في «كشَّاف اصطلاحات الفنون» ما نصُّه: «وأكثرُه - أي الزبور - مواعظُ، وباقِيه ثَنَاءٌ على اللهِ بما هو له، ومَا فيه من الشرائعِ إلّا آياتٌ مخصوصةٌ، ولكن يحوي ذلك بالمواعظِ والثَّنَاء»[٣].



(١) أخرجه ابن أبي شيبة، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَل. راجع: مصنف ابن أبي شيبة، مَا ذُكِرَ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ الله تَعَالى، ٧/ ٦٣، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، وراجع أيضًا: الدر المنثور (٥/ ٣٠٥)، روح المعاني (٨/ ٩٢).

(٢) روح المعاني، للألوسي: ٨/ ٩٢.

(٣) موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم. محمد بن علي التهانوي، ١/ ٩٠٤، تقديم: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٦م.

المطلب الخامس

نصوص الزبـور في المصادر الإسلامية

١ - «سَبِّحوا اللهَ تسبيحًا جديداً[(١)]، وَلْيَفرَحْ بالخَـالقِ مَن اصْطفَى اللهُ لَـهُ أُمَّتَـهُ، وأعطـاهُ النَّصْـرَ، وسـدَّد الصَّـالحينَ مـنهم بالكرامَـةِ. يُسـبِّحونَهُ عَلَـى مضاجِعِهِم، ويُكبِّرون اللهَ بأَصْواتٍ مرتفعةٍ. بِأَيـديهم سُيُوفٌ ذَوَاتُ شَفْرَتَيْن؛ لِيَنتَقِمَ بهم من الأُمم الذين لا يعبدونه[(٢)]»[(٣)].

---

(١) التسبيح الجديدة هو العبادةِ على النَّهْجِ الجديد، في الشريعة المحمـدية. إظهار الحـق. رحمـت الله بن خليل الرحمن الهندي، ٤/ ١١٥٧، تحقيق: د/ محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

(٢) يقول ابن القيم: والصِّفَاتُ الواردة في هذا النَّص تَنْطَبِقُ عَلَى صِفَاتِ النبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَأُمَّتِهِ؛ فَهُمُ الَّذِينَ يُكَبِّرُونَ الله بِأَصْوَاتٍ مُرْتَفِعَةٍ، فِي: أَذَانِهِمْ لِلصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَعَلَى الأَمَاكِنِ الْعَالِيَة، وفي أعيادِهم، وفي عَشْرِ ذي الحِجَّة، وعُقيب الصَّلوات في أيَّامِ مِنَى، وغير ذلك، وليس هذا لأحدٍ من الأمم - لا أهل الكتاب ولا غيرهم - سُواهم؛ فإنَّ اليهودَ يجمعون الناسَ بالبُوقِ، والنَّصارى بالنَّاقوس، وأمَّا تكبيرُ الله بأصواتٍ مرتفعةٍ فَشِعَارُ محمَّدِ بن عبد الله، وأُمَّتِه. وقوله: «بأيديهم سيوفٌ ذات شَفْرتين»، فهي السُّيوف العربية، التي فَتَحَ بها الصحابةُ البلادَ، وهي إلى اليوم معروفةٌ لهم، وقولُهُ: «يُسبِّحونَهُ عَلَى مضاجعهم» هو نَعْتٌ للمؤمنين ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [آل عمران: ١٩١]. (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى. لابن قيم الجوزية، ٢/ ٣٥٢، ٣٥٣ بتصرف. تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم، دار الشامية، جدة، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

(٣) وردت هذه البشارة في الكتب الآتية: الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ. علي بن =

٢- «مِن أجل هذِهِ باركَ اللهُ عليكَ إلى الأبدِ. فتَقَلَّدْ أيُّها الجبَّارُ السَّيفَ[1]؛

=

ربَّن الطبري، ص١٤٢، تحقيق: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٣٧م، أعلام النبوة. علي بن محمد، الشهير بالماوردي، ص١٥٧، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ، تخجيل مَن حرَّف التوراة والإنجيل. صالح بن الحسين الجعفري، ص٣٨٠، تحقيق: محمود قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (٣/ ٢٦٦)، الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الردِّ على الملَّةِ الكافرة. أحمد بن إدريس القرافي، ص١٨٤، تحقيق: مجدي الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح (٥/ ٢٢٦)، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى (٢/ ٣٥١)، إظهار الحق (٤/ ١١٤٥).

* ونص البشارة كما في ترجمة المزامير: «هَلِّلويا، أنشِدوا للربِّ نشيداً جديداً، تَسْبِحَتُه في جماعةِ الأصفياء * ليفرحْ إسرائيلُ بصانِعه، ليبتهجْ بنو صهيون بمَلِكِهِم * ليسبِّحوا اسمَه بالرقص، ليعزفوا له بالدُّفِ والكِنَّارَةِ * فإن الربَّ يرضَى عن شعبه، يُزَيِّنُ الوُضعاءَ بِخلاصه * يبتهج الأصفياءُ بالمجدِ، يُهلِّلون على أَسِرَّتِهِمْ * تعظيمُ الله مِلءُ حُلوقِهِم، وسيفٌ ذو حدَّين بأيديهم * لإنزال الانتقام بالأمم، والعقاب بالشعوب * لِرَبْطِ مُلوكها بالقيود، وأشرافها بكُبُولٍ من حديد * لتنفيذِ الحُكم المكتوب فيهم: هذا فَخْرٌ لجميع أصفيائه. هَلِّلويا». نقلاً عن: الكتاب المقدَّس. الرَّهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط الثالثة ١٩٩٤م، مزمور ١٤٩: ١ - ٩.

(١) معنى قوله «تقلَّد أيها الجبار السيفَ»: أي اجعل حمائلَه على عاتقك. وفيه إشارةٌ إلى أنه ﷺ سيؤمَرُ بالجهاد، وفيه دلالة على أنه النبي العربي؛ إذ ليس يتقلَّد السيفَ أمةٌ من الأمم إلا العرب، وكلُّهم يتقلدونها على عواتقهم، بخلاف غيرهم، فيجعلونها في أوساطهم. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية. محمد بن عبد الباقي الزرقاني، ٨/ ٤٣٠، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

=

لأنَّ البَهَاءَ لِوجْهِك(١)، والحمدَ الغالبَ عليكَ(٢). اركَبْ كلمةَ الحقِّ، وَسَمْتَ

=

قال ابن القيم: «وَلَيْس مُتَقَلِّداً بِسَيْفٍ - بَعْدَ دَاوُدَ - مِنَ الْأَنْبِيَاءِ سِوَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهُوَ الَّذِي خَرَّتِ الْأُمَمُ تَحْتَهُ، وَقُرِنَتْ شَرَائِعُهُ بِالْهَيْبَةِ، إِمَّا الْقَبُولُ، وَإِمَّا الْجِزْيَةُ، وَإِمَّا السَّيْفُ. وَهَذَا مُطَابِقٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ [صحيح البخاري: كتاب الصلاة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً، ١/ ٩٥] وَقَدْ أَخْبَرَ دَاوُدُ، أَنَّ لَهُ نَامُوساً وَشَرَائِعَ، وَخَاطَبَهُ بِلَفْظِ الْجَبَّارِ؛ إِشَارَةً إِلَى قُوَّتِهِ وَقَهْرِهِ لِأَعْدَاءِ الله تَعَالَى، بِخِلَافِ الْمُسْتَضْعَفِ الْمَقْهُورِ، وَهُوَ ﷺ نَبِيُّ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّ الْمَلْحَمَةِ، وَأُمَّتُهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ، أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِين». هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ٢/ ٣٥٣، ٣٥٤.

وقال تقي الدين الجعفري: «فإن قالوا: سمَّاه المزمور جباراً. قلنا: لا يمتنع أن يكون النبيّ جباراً على الكافرين، رحيماً بالمؤمنين. كقوله تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾. [المائدة: ٥٤]». تخجيل مَن حرَّف التوراة والإنجيل: ٢/ ٦٦٠.

(١) إشارة إلى صفته ﷺ، وهو ما عبَّرت عنه أُمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بقولها: «وَكَانَ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً. وَأَنْوَرَهُمْ لَوْناً. لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ قَطُّ - بَلَغَتْنَا صِفَتُهُ - إِلَّا شَبَّهَ وَجْهَهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَلَقَدْ كَانَ يَقُولُ مَنْ كَانَ يَقُولُ مِنْهُمْ: لَرُبَّمَا نَظَرْنَا إِلَى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، فَنَقُولُ: هُوَ أَحْسَنُ فِي أَعْيُنِنَا مِنَ الْقَمَرِ. أَزْهَرَ اللَّوْنِ، نَيِّرَ الْوَجْهِ، يَتَلَأْلَأُ تَلَأْلُؤَ الْقَمَرِ». دلائل النبوة. أحمد بن الحسين البيهقي، ١/ ٣٠٠، تحقيق: د/ عبد المعطي قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

(٢) إشارة إلى كثرة حمده ﷺ لربّه، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ، وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قَالَ: الْحَمْدُ لله عَلَى كُلِّ حَالٍ». سنن ابن ماجه: أبواب الأدب، باب فضل الحامدين، (٤/ ٧١٣)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط الأولى ١٤٣٠هـ.وصححه الألباني. راجع: صحيح الجامع الصغير وزياداته، ٢/ ٨٦١، المكتب الإسلامي.

التَّألُّه[1]؛ فإنَّ ناموسَك وشَرائعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهيبةِ يَمِينِك[2]، وسِهَامُك مَسْنُونَةٌ، والأُممُ يَخِرُّون تَحْتَكَ[3]»[4].

---

(١) التَّألُّه: التَّنَسُّكُ والتَّعَبُّدُ. (مختار الصحاح للرازي، ص٢٠، الدار النموذجية، بيروت، ط الخامسة ١٤٢٠هـ)، والمقصود بذلك نبيّنا محمد ﷺ؛ «فقد ركب ﷺ كلمةَ الحقِّ، وتواضع للهِ بالديانة». الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ: ص١٣٩.

(٢) النَّامُوس: صَاحِبُ سِرِّ الملِك (لسان العرب: ٦/ ٢٤٤)، والمراد بـ «الناموس» الوحي النازل على محمد ﷺ. ومعنى قوله: «وشرائعك مقرونة بهيبة يمينك» أي: بالخوفِ مِن سيفك. فكنَّى عنه بذلك. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ٨/ ٤٣٠.

ولا نعرف أحداً له هذه الصفات غيرَ نَبِيِّنَا ﷺ؛ فـ«هو الذي خَرَّت الأممُ تحتَهُ، وقُرِنَتْ شرائعُه بالهيبة: إمَّا القبول، وإمَّا الجزية، وإمَّا السَّيف. وهذا مطابق لقوله ﷺ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مسيرة شهر». (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى: ٢/ ٣٥٣)، و«مَفْهُومُهُ أَنَّهُ لَمْ يُوجَدْ لِغَيْرِهِ ﷺ النَّصْرُ بِالرُّعْبِ، فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ، وَلَا فِي أَكْثَرَ مِنْهَا. وَإِنَّمَا جَعَلَ الْغَايَةَ شَهْراً؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَلَدِهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ أَعْدَائِهِ أَكْثَرُ مِنْهُ». فتح الباري لابن حجر: ١/ ٤٣٧.

(٣) من الخُرُور، وهو السقوط، والمعنى: يخضعون ويَذِلُّون لك. شرح الزرقاني على المواهب اللدنية: ٨/ ٤٣٠.

(٤) وردت هذه البشارة في الكتب الآتية: الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (ص١٣٩)، تخجيل مَن حرَّف التوراةَ والإنجيل (٢/ ٦٦٠)، الإعلام (٣/ ٢٦٧)، الجواب الصحيح (٣/ ٣١٨)، هداية الحيارى (٢/ ٣٥٣)، إظهار الحق (٤/ ١١٤٣).

* ونصُّ البشارة كما في ترجمة المزامير: «إنك أجملُ بني آدم، والظُّرْفُ على شَفَتَيْكَ انسكَب، فلذلك باركَكَ الله للأبد * تقلَّد سيفَك على جنبِك أيُّها الجبَّار، بالجلالِ والبهاءِ سِرْ، واركبْ في سبيل الحقِّ والدَّعَةِ والبِرّ * أشدُدْ قوسَك يجعلْ يُمنَاكَ مُخيفةً، نِبَالُكَ مَسْنُونَةٌ، وشعوبٌ تحتَك يَسْقُطُون، وأعداءُ المَلِكِ تَنْخَلِعُ قلوبُهم». مزمور: ٤٥/ ٣ - ٤.

٣- «فاض قلبي كلمةً صالحةً[١]، أقول: أنا أعمالي للمَلِك[٢]، لساني قلمُ كاتبٍ سريعِ الكتابة[٣]، بهيٌّ في الحُسن[٤]، أفضلُ مِن بني البشر[٥]، انسكبت النعمةُ على شفتيك، لذلك باركك الله إلى الدهر، تقلَّدْ سيفَك عَلَى فخذك[٦] أيُّها القويُّ بحُسنك وجمالك، استلّه وانجحْ، واملكْ من أجلِ الحقِّ ورأفة

(١) هي كلمة التوحيد، التي هي «لا إله إلا الله»؛ قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، وقال ابن عباس: «الكلمة الطيبةُ شَهادة أن لا إله إلا الله». عمدة القاري (١٩/ ٤).

(٢) إشارة إلى إخلاصه ﷺ، فأعمالُه كلُّها كانت متجهةً إلى الملك المتعال سبحانه، والآيات في هذا المعنى كثيرة، ومنها: قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، وقوله سبحانه: ﴿ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴾ [الزمر: ١٤].

(٣) مراده - والله أعلم - تشبيه المعلومات التي وردت على لسانه ﷺ بقلم الكاتب، سريع الكتابة لكثرتها.

(٤) عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانٍ [أي: مقمرة] وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ، فَلَهُوَ كَانَ أَحْسَنَ فِي عَيْنِي مِنَ الْقَمَرِ». شعب الإيمان: فصل في إشادة الله عز وجل بذكر محمد قبل أن يخلقه (٣/ ١٥)، وصححه الألباني. (مختصر الشمائل: ص٢٦).

(٥) عن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ..». صحيح مسلم: كتاب الفضائل، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا ﷺ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، ٤/ ١٧٨٢.

(٦) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي...». مسند أحمد: مُسْنَدُ عَبْدِ الله بْنِ عُمَر، ٩/ ١٢٦. وصحَّحه الألباني. راجع: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٥٤٦.

العدل(١)، وتهديك بالعجب يمينك، نبلُك مسنونةٌ أيها القويّ، الشعوبُ تحتك يسقطون في قلبِ أعداء الملك، كرسيُّكَ - يا إلُوهِيم(٢) إلى دهرِ الدَّاهرين(٣)، عصا الاستقامة عصا مُلكك، أحببتَ العدلَ، وأبغضتَ الإثم(٤)، من أجل ذلك مسحك إلُوهِيم إلهك بدُهن البهجة، أفضل مِن رُفَقَائِكَ(٥)، المرّ(٦) والمَيْعَة(١)

---

(١) مراده من ذلك أنَّ طلب الحقِّ في الشرع مشروع، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٩٤] مع التنبيه على أنَّ العفوَ أفضلُ، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٠ - ٤٣].

(٢) كلمة عِبرية، تُشير لإله بني إسرائيل. راجع: الفكر الديني الإسرائيلي، ص٢٩.

(٣) عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ الله زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا...». صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَابُ: هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْض، ٤/ ٢٢١٥.

(٤) قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

(٥) أوجه تفضيل النبي محمد ﷺ على سائر الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - كثيرةٌ، ومن ذلك ما رواه أَبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ قَالَ: «فُضِّلْتُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَجُعِلَتْ لِيَ الْأَرْضُ طَهُوراً وَمَسْجِداً، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». صحيح مسلم: كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةَ، باب جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، ١/ ٣٧١.

(٦) المُرُّ: صمغ من شجرةٍ ذات شَوْكٍ، رائحته ذكية. قاموس الكتاب المقدس. نخبة من =

والسَّليخَة[٢] من ثيابك»[٣].

٤- «... يجُوز[٤] من الْبَحْر إِلَى الْبَحْر، وَمن مُنْقَطع الْأَنْهَار إِلَى مُنْقَطع الْأَنْهَار، وَيَخِرُّ أَهْلُ الجزائرِ بَين يَدَيْهِ على رُكَبهمْ، ويلحَسُ أعداؤه التُّرَابَ، وتأتيه مُلُوكٌ بالقَرابينِ[٥]، وتسجدُ لَهُ، وَتَدين لَهُ الْأُمَمُ بِالطَّاعَةِ والإنقياد؛ لِأَنَّهُ

=

الأساتذة النصارى، ص٨٥٢، دار الثقافة المسيحية، ط الثانية.

(١) المَيْعَةُ: عِطْرٌ طَيِّبُ الرائِحَةِ جِدّاً، أَوْ صَمْغٌ يَسِيلُ مِنْ شَجَرٍ بالرُّومِ، يؤْخَذ فيُطْبَخُ. تاج العروس: ٢٢/ ٢٢٣.

(٢) السَّلِيخةُ: مَا اعْتُصر مِنْ ثمَر الْبَانِ، وَلَمْ يُرَبَّبْ بالطِّيب. لسان العرب: ٦/ ٣٥٤.

(٣) وردت هذه البشارة في: البحث الصريح في أَيِّمَا هو الدِّين الصحيح. الشيخ/ زيادة بن يحيى الرَّاسي، ص١٥٨ - ١٥٩، تحقيق ودراسة: د/ سعود بن عبد العزيز الخلف، عمادة البحث العلمي، بالجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، الإصدار رقم٤٢ ط الأولى، ١٤٢٣هـ.

* ونصُّ البشارة كما في ترجمة المزامير: «جَاشَ قلبي بطيِّبِ الكلام، لَأُحَدِّثَنَّ الملكَ بأعمالي، لساني قَلَمُ كاتبٍ رشيقٍ * إني أجملُ بني آدم، والظُّرف على شفتيك انسكَب، فلذلك بارَكَكَ الله للأبد * تقلَّد سيفَك على جنبك أيُّها الجبَّار، بالجلالِ والبهاءِ سِرْ، واركبْ في سبيل الحقِّ والدَّعَةِ والبرّ * أشدُدْ قوسَك يجعلْ يُمنَاكَ مُخيفةً، نِبَالُكَ مَسْنُونَةٌ، وشعوبٌ تحتَك يَسْقُطُون، وأعداءُ المَلِكِ تَنْخَلِعُ قلوبُهم * عَرْشُك - يا الله - أبدَ الدُّهور، وصَوْلَجان مُلكِكَ صَوْلَجانُ استقامة * أَحْبَبْتَ البِرَّ، وأبغضتَ الشرَّ، لذلك مَسَحَكَ الله إلهُكَ بزَيْتِ الابتهاج دُونَ أصحابِك * ثِيابُك كُلُّها مُرٌّ وَعُودٌ وصَبر». مزمور: ٤٥: ١ - ٩.

(٤) من (جاز، يجوزُ، جَوَزَاً)، ومعناه: قطْع الشيء. راجع: معجم مقاييس اللغة. أحمد بن فارس، ١/ ٤٩٤، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

(٥) في السيرة النبوية أنَّ المقوقِس - ملك مصرَ والإسكندرية - أهدى إلى النبي ﷺ جاريتين

=

يخلِّصُ المضطهدَ البائسَ مِن الْأَقْوَى مِنْهُ، ويُنقذُ الضَّعِيفَ الَّذِي لَا نَاصِرَ لَهُ، ويرأَفُ بالضعفاءِ وَالمَسَاكِين[1]، وَأَنه يعْطى من ذَهَبِ بِلَاد سبأ، وَيُصلَّى عَلَيْهِ فِي كلِّ وَقتٍ[2]، ويُبارك عليه كلَّ يومٍ، مثل الزُّروع الكثيرة على وَجْه الأرض، ويطلع ثمارُه على رؤوس الجبال، كالتي تطلُع من لبنان، وينبُت في

=

لهما مكان في القبط عظيم – هما: مارية وسِيرين – وثياباً من قباطي مصر، وبغلةً ليركبها. (راجع: السيرة الحلبية. علي بن إبراهيم الحلبي، ٣/ ٣٥٠، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤٢٧هـ)، وأهدى «أُكَيْدِر دُومَةِ الْجَنْدَلِ» إِلى النبي ﷺ جُبَّةً مِنْ سُنْدُس. (راجع: تحفة الأحوذي، للمباركفوري ٥/ ١٦٥، دار الكتب العلمية، بيروت)، كما أهدى إليه مَلِكُ الرُّومِ مُسْتُقَةً مِنْ سُنْدُسٍ، وهي فِرَاءٌ طوالُ الأكمام. راجع: عون المعبود. محمد أشرف بن أمير العظيم آبادي، ١١/ ٦٤، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية، ١٤١٥هـ.

(١) قال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال ﷺ: «إِنَّمَا أنا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ». شعب الإيمان: فصل في شرف أصله وطهارة مولده ﷺ (٢/ ٥٢٨)، وصححه الألباني. راجع: مشكاة المصابيح: ٣/ ١٦١٥، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٥م.

(٢) أمر الله تعالى بالصَّلاةِ والسَّلام على رسولِه محمدٍ ﷺ، فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وتتأكد الصَّلاة على النبي ﷺ في مواطن، منها: عند ذِكره ﷺ، عند دخول المسجد، والخروج منه، عند إجابة المؤذن، عند بداية الدعاء، وعند ختامه، في أول النهار، وآخره، يوم الجمعة، في صلاة الجنازة، والعيدين، والإستسقاء. راجع التفصيل في: الإعلام بفضل الصلاة على النبي والسَّلام. محمد بن عبد الرحمن النميري، اعتنى به: حسين شكري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى.

مدينته مثلُ عُشب الأرضِ(١)، ويدومُ ذِكرُهُ إلى الأبد، وإنَّ اسمَه لَمَوجودٌ قبل الشمسِ، وكلُّ الأممِ يتبرَّكُون به ويحمدونَه»(٢).

(١) قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩].

(٢) وردت هذه البشارة، عن وهب بن منبِّه في الكتب الآتية: المجالسة وجواهر العلم. أحمد بن مروان الدينوري، ٢/ ١٣٠، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٩هـ، تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٢، ٦٦٣)، الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام (ص٢٦٧).

* ونص البشارة كما في ترجمة المزامير: «وُضَعاءُ الشَّعب يُنصفهم، وبنو المساكين يُخلّصهم، والظالمون يَسْحَقُهم * يبقى تحتَ الشمس والقمر مِن جيلٍ إلى جيل * يَنزلُ كالمطرِ على العُشب، وكالرَّذَاذِ الذي يَسْقِي الأرضَ * البرُّ في أيامه يُزْهِر، والسَّلام يَعُمُّ إلى أن يزولَ القمر * ويَمْلِكُ من البَحْرِ إلى البحر، ومن النهر إلى أقَاصِي الأرض * أمامَه أهلُ البادية يركعون، وأعداؤه الترابَ يَلْحَسُون * مُلوك تَرْشيشَ والجُزُرِ الجزيةَ يُؤَدُّون، وملوك شَبَأَ وَسَبَأَ الهدايا يُقدِّمون * جميعُ الملوك له يسجدون، وكلُّ الأمم له يخدمون * لأنه يُنقذ المسكينَ المستغيثَ، والبائسَ الذي بلا نَصِير * يعطِفُ على الكسيرِ والمسكين، ويُخلّص نفوسَ المساكين * من الظُّلم والعُنفِ يَفْتَدي نفوسَهم، ودَمُهُمْ في عينيه ثمين * ليحيي ويعطي ذَهَبَ شَبَأَ، في كلِّ حينٍ يدعون لهُ، وطوالَ النهارِ يُباركونه * وفرت الحنطة في البلاد، وتموجت على رؤوس الجبال كلُبنان إذا أخرج ثماره وأزهاره، وإذا أخرجت الأرض عشبها * اسمُهُ للأبدِ، وَتَحْتَ الشمسِ يَدُوم، تتبارك به قبائلُ الأرضِ كُلُّها، وتُهَنّئهُ الأُمَمُ جميعُهَا» مزمور: ٧٢: ٤ - ١٧.

٥ - «إنَّ اللهَ أظهَرَ مِنْ صِهْيونَ إِكْلِيلاً مَحْمُوداً[(١)]»[(٢)].

٦ - «دامَت شكايتي، ونزلتُ في مساكنِ قِيدَار[(٣)]، وكثيراً ثَوَتْ نفسي[(٤)]

---

(١) صِهيون: بكسر أوَّلِه، وإسكانِ ثانيه، بعده الياء: اسمٌ لبيتِ المقدِس. (معجم ما استُعجم، للبكري، ٣/ ٨٤٤، عالم الكتب، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٣هـ)، والإِكْلِيل: شِبْهُ عِصَابَةٍ مُزَيَّنَةٍ بِالْجَوَاهِر (لسان العرب: ١١/ ٥٩٥)، وقد قال العلماء: «الإكليلُ: النبوة، ضُرِبَ مَثَلٌ لرياسته، ومحمودٌ هو محمّد ﷺ». راجع: أعلام النبوة (ص١٥٧)، الإعلام (ص٢٦٧)، هداية الحيارى (٢/ ٣٥٤).

(٢) وردت هذه البشارة في الكتب الآتية: الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (ص١٤٠)، أعلام النبوة (ص١٥٧)، تخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦١)، الإعلام (ص٢٦٧)، هداية الحيارى (٢/ ٣٥٤)، البدء والتاريخ. المطهر بن طاهر المقدسي، ٥/ ٢٨، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، وإمتاع الأسماع بما للنبي من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع. أحمد بن علي المقريزي، ٣/ ٣٨٨، تحقيق: محمد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس. حسين بن محمد الدِّيار بَكْري، ١/ ٢٦، دار صادر، بيروت.

* ونصُّ البشارة كما في ترجمة المزامير: «مِنْ صِهْيُونَ كَامِلَةِ الجمالِ الله سَطَعَ، إِلَهُنَا يأتِي ولا يَصْمُت». [مزمور٥٠: ٢]، ويظهر التحريفُ - هنا - واضحاً؛ فبدلاً من الحديثِ عن رسول الله ﷺ والبشارة به، كان الحديث عن الله تعالى، فتأمَّل!

(٣) قِيدَار: هو الابن الثاني لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. (راجع: سفر التكوين/ ٢٥: ١٣)، وهي إشارة قوية إلى النبي ﷺ وعموم رسالته؛ لأنه ﷺ في أولاد قيدار بن إسماعيل. (إظهار الحق: ٤/ ١١٥٧)، و«البرية التي سكنها قيدارُ هي جزيرة العرب، وكانت مساكن أولاد إسماعيل». راجع: وجاء النبي المنتظر. عبد الوهاب عبد السلام طويلة، ص٦٨، نشر الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ط الثانية، ١٤٠٥هـ.

(٤) يقال: ثَوَى بِالْمَكَانِ، يَثْوِي، ثَوَاءً، وثُوِيّاً: أَقَامَ بِهِ. تاج العروس: ٣٧/ ٣٠٦.

مع الذين يغضُّون السِّلم، وبالسِّلمِ كُنتُ أتكلمُ فيهم، وهُم كانوا يُحاربونني[١]»[٢].

٧- «لترتاح البوادي وقُراهَا. ولتصر أرضُ قِيدار مُروجًا[٣]، ولتُسبِّح سكانُ الكهوف، ويهتفوا من قُلل الجبال بحمدِ الرّبِّ، ويذيعوا تسابيحه في الجزائر»[٤].

٨- «أنتَ ابني، وأنَا اليومَ وَلَدْتُك. سَلْني أُعطيك. الشعوبُ ميراثُك. وسلطانُك إلى أقطارِ الأرض[٥]. ترعاهم بقضيبٍ من حديدٍ، ومثلُ آنيةِ

(١) قوله: «وبالسِّلم كنتُ أتكلمُ فيهم، وهم كانوا يحاربونني» إشارة إلى ما كانه بينه ﷺ وبين مشركي العرب، من عداء وحروب.

(٢) وردت هذه البشارة في: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، ٢/ ٦٦٣.

* ونصّ البشارة كما في ترجمة المزامير «وَيْلٌ لي، فَإِنِّي فِي مَاشَكَ نَزَلْتُ، وفي خيام قيدار سَكَنْت * مَا أطول سُكْنَى نفسي مع الذين يُبغضون السَّلامَ * إِني إذا تكلَّمْتُ فَلِلسِّلْمِ، أمَّا هُمْ فَلِلْحَرْب» مزمور١٢٠: ٥ - ٧.

(٣) أَيْ: رِيَاضًا، كَمَا كَانَتْ بِنبَاتَاتِهَا وَأَشْجَارِهَا وَأَثْمَارِهَا. مرقاة المفاتيح. علي بن سلطان القاري، ٨/ ٣٤٣٠، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م.

قلت: ومصداق ذلك قوله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَاراً». صحيح مسلم: كتاب الزكاة، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الصَّدَقَةِ قَبْلَ أَنْ لَا يُوجَدَ مَنْ يَقْبَلُهَا، ٢/ ٧٠١.

(٤) وردت هذه البشارة في: أعلام النبوة (ص١٥١)، تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦٢)، الجواب الصحيح (٥/ ٢٤٥)، هداية الحيارى (٢/ ٣٥٦).

(٥) عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «.... وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا» صحيح مسلم: كتاب الفتن وأشراط الساعة، بَاب هَلَاكِ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ،

الفخَّارِ تسحقُهم[1]»[2].

٩- «إنَّ ربَّنَا عظيمٌ محمودٌ جِدّاً، وفي قريةِ إلهِنَا قُدُّوس[3]، و(محمَّدٌ) قَدْ عَمَّ الأرضَ كُلَّها فَرَحًا»[4].

١٠- «يَا دَاوُدُ، اسمعْ ما أقولُ، وَمُرْ سليمانَ فَلْيَقُلْهُ للناسِ مِن بعدك: إنَّ

=

٤/ ٢٢١٥.

(١) يقول الإمام القرافي: «لا يُتصوَّر صَرْفُ هذا المزمور عن محمّد رسول الله ﷺ؛ فهو الذي ورث، وبلغ سلطانه أقطارها، وحاط الأمم، وسامهم بسيفه، ولم يتفق هذا لداود، ولا لأحد من بعده، فيكون هو المبشَّر به. وسُمي (ابنا)؛ على العادة القديمة في تسمية المطيع والنبي ابنا، كما في التوراة، في إسرائيل عَلَيْهِ السَّلَامُ. (ابْنِي الْبِكْرُ) [الخروج: ٤/ ٢٢]». الأجوبة الفاخرة، ص١٨٥.

(٢) وردت هذه البشارة في: تخجيل مَن حرَّف التوراةَ والإنجيل (٢/ ٦٦٤)، الأجوبة الفاخرة (ص١٨٥).

* والنص كما في ترجمة المزامير: «أُعلِنُ حُكمَ الربِّ: قال لي: أنتَ ابنِي، وأنا اليوم وَلَدْتُكَ * سَلْني فَأُعطيك الأممَ مِيراثًا، وأقاصي الأرض مِلْكًا * بعصًا من حديدٍ تُكَسِّرهُمْ، وَكَإِنَاءِ خَزَّافٍ تُحَطِّمُهم». مزمور ٢: ٧ - ٩.

(٣) القُدُّوس: معناه الطَّاهِرُ. لسان العرب: ٦/ ١٦٩.

(٤) وردت هذه البشارة في الكتب الآتية: الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ (ص١٣٩)، تخجيل مَن حرَّف التوراة والإنجيل (٢/ ٦٦١)، الأجوبة الفاخرة (ص١٨٤)، الجواب الصحيح (٣/ ٣١٩)، هداية الحيارى (٢/ ٣٥٦).

* ونصُّ البشارة كما في ترجمة المزامير: «الربُّ عظيمٌ، وجديرٌ بالتسبيح الكثير، في مدينة إلهِنَا جَبَلِ قُدْسِه * البَهِيُّ الطَّلعة، بَهْجَةُ الأرض كلِّها». [مزمور ٤٨: ١ - ٢]، فَتَأَمَّلْ كيف حُذف اسمه ﷺ من النصّ!!

الأرضَ لي، أُورِثُها محمداً وَأُمَّتَه[١]؛ فَهُم خِلافُكم؛ لم تكن صلاتُهم بالطَّنَابيرِ[٢]، ولا قدَّسوني بالأوتَار»[٣].

١١- «يا داودُ، إِنَّه سَيأْتِي من بعْدك نَبيٌّ اسْمُه أَحْمد، وَمُحَمّدٌ، صَادِقا نَبيًا، لا أغضبُ عَلَيْهِ أبداً، وَلا يعصيني أبداً، وَقد غفرتُ لَهُ قبل أَن يعصيني مَا تقدَّم مِن ذَنبه وَمَا تَأَخّر[٤]، وَأُمَّتُهُ مَرْحُومَةٌ[٥]، أُعطيتهم من النَّوَافِل مثل مَا

---

(١) يقول الإمام القرطبي: «هذا تصريح باسمه ﷺ، وتأييد شريعته، وبصفات أُمَّتِه». (الإعلام: ١/ ٢٦٨) قلتُ: يحتمل أن يكون المراد بـ(الأرض) المعمورة، ويحتمل أن يكون المراد بها الجنَّة، فقد أورثها الله - تعالى - محمداً ﷺ والصالحين من أمَّتِه؛ قال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. راجع: جامع البيان عن تأويل آي القرآن: ١٨/ ٥٤٨، ٥٤٩.
ويقول الطاهر بن عاشور: «وَوَجَدْتُ فِي مُحَاضَرَةٍ لِلْإِيطَالِيِّ المسْتَعْرِبِ (فُوِيدُو) أَنَّ نَصَّ هَذَا الْوَعْدِ مِنَ الزَّبُورِ بِاللُّغَةِ الْعِبْرِيَّةِ، هَكَذَا: «صَدِّيقِينَ يَرْشُونَ أَرِصْ» بِشِينٍ مُعْجَمَةٍ فِي «يَرْشُونَ»، وَبِصَادٍ مُهْمَلَةٍ فِي «أَرِصْ»، أَيِ: الصِّدِّيقُونَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ. التحرير والتنوير: ١٧/ ١٦٢.

(٢) الطنابير: جمع طُنبور، وهو آلَة من الآت الملاهي. فتح الباري: ١/ ١٥٠.

(٣) أورد هذه البشارةَ القرطبيُّ، في (الإعلام: ٣/ ٢٦٧)، وعزاها إلى «الزبُور، تَرْجَمة وهب بن مُنبّه، المزمور الْخَامِس»، وذكرها -أيضًا- السيوطي في (الخصائص الكبرى: ١/ ٥١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م)، المقدسي في (البدء والتاريخ: ٥/ ٢٨).

(٤) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «أَنَّ نَبِيَّ الله ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ الله، وَقَدْ غَفَرَ الله لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْداً شَكُوراً...». صحيح البخاري: كتاب تفسير القرآن، بَابُ ﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾، ٦/ ١٣٥.

(٥) مصداق ذلك قوله ﷺ: «أُمَّتي أُمَّةٌ مرحُوْمَةٌ». المعجم الأوسط للطبراني (٧/ ٨٠)، وقال: =

أَعْطَيْتُ الأنْبِيَاءَ، وافترضتُ عَلَيْهِم الْفَرَائِضَ الَّتِي افترضتُ على الأنْبِيَاء وَالرُّسُلِ؛ حَتَّى يأْتُونِي يَوْم الْقِيَامَة ونورُهم مثل نُورِ الأنْبِيَاء[١]، وَذَلِكَ أَنِّي افترضتُ عَلَيْهِم أَن يَتَطَهَّرُوا لي لكلِّ صَلاةٍ كَمَا افترضتُ على الأنْبِيَاءِ قبلهم، وأمرتُهم بِالْغسْلِ من الْجَنَابَة كَمَا أمرتُ الأنْبِيَاءَ قبلهم، وأمرتُهم بِالْحَجِّ كَمَا أمرتُ الأنْبِيَاء قبلهم[٢]، وأمرتُهم بِالْجِهَادِ كَمَا أمرتُ الرُّسُل قبلهم. يَا دَاوُد، إِنِّي فضَّلتُ مُحَمَّداً وَأُمَّتَه عَلَى الأمَم؛ أَعطيتهم سِتّ خِصَال لم أعطها غيرهم من الأمَم: لا أؤاخذهم بالْخَطَأ وَالنِّسْيَان[٣]، وكلُّ ذَنْب ركبوه على غير عمد - إِذا استغفروني مِنْهُ - غفرتُه، وَمَا قَدَّمُوا لآخرتهم من شَيْء - طيبَة بِهِ أنفسُهم - عجَّلتُه لَهُم أضعافًا مضاعفةً، وَلَهُم عِنْدِي أَضْعَافٌ مضاعفةٌ، وَأفضل من ذَلِك[٤]، وأعطيتُهم على المصائب فِي البلايا - إِذا صَبَرُوا، وَقَالُوا إِنَّا لله وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون - الصَّلاةَ، وَالرَّحْمَةَ، وَالْهدى إِلَى جنَّات

=

«لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ سَعْدِ بْنِ طَارِقٍ إِلَّا سَعِيدُ بْنُ مَسْلَمَةَ»، وصححه الألباني. راجع: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٢٩٦.

(١) قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

(٣) قال ﷺ: «إِنَّ الله قد تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». سنن ابن ماجه: كتاب الطلاق، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، ٣/ ٢٠٠، وصححه الألباني. (راجع: التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان، ١٠/ ٢٨٢، دار با وزير للنشر والتوزيع، جدة - المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م).

(٤) مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾[المزمل: ٢٠].

النَّعيم(١)، فَإِن دَعونِي استجبتُ لَهُم(٢)، فإمَّا أَن يروه عَاجلاً، وَإِمَّا أَن أصرفَ عَنْهُم سوءً، وَإِمَّا أَن أؤَخره لَهُم فِي الآخِرَة(٣)، يَا دَاوُد، مَن لَقِيَنِي من أمة مُحَمَّد يشْهد أَن لا إِلَهَ إِلّا أَنا وحدي لا شريك لي، صَادِقا بهَا فَهُوَ معي فِي جنتي وكرامتي، وَمن لَقِيَنِي وَقد كذَّب مُحَمَّداً، وَكذَّب بِمَا جَاءَ بِهِ، واستهزأ بكتابي، صَبَبْتُ عَلَيْهِ فِي قَبره الْعَذَاب صَبًّا، وَضَرَبَتِ المَلائِكَةُ وَجهَه وَدُبُرَه عِنْد منشَرِهِ مِن قَبره، ثمَّ أُدخلهُ فِي الدَّرك الأَسْفَل من النَّار»(٤).

١٢- «أَنَا الله، ذُو بَكَّةَ(٥)، جَعَلْتُهَا بَيْنَ هَذَيْنِ الْجَبَلَيْنِ، وَصُغْتُهَا يَوْمَ صُغْتُ

(١) مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾ [البقرة: ١٥٥ - ١٥٧].

(٢) مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠].

(٣) قال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو، لَيْسَ بِإِثْمٍ وَلَا بِقَطِيعَةِ رَحِمٍ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَدْفَعَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا». الأدب المفرد للبخاري، ص٢٤٨، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م. وصححه الألباني. (راجع: صحيح الأدب المفرد، ص٢٦٤، دار الصديق، ط الرابعة، ١٤١٨هـ).

(٤) ورد هذا النص في الكتب الآتية: دلائل النبوة (١/ ٣٨٠، ٣٨١)، هداية الحيارى (٢/ ٣٩٩، ٤٠٠)، الخصائص الكبرى (١/ ٢٦، ٢/ ٣٦٨، ٣٦٩)، الدر المنثور للسيوطي (٣/ ٥٨١)، روح المعاني، للألوسي (٩/ ٨٠).

(٥) ذو بكَّة: معناه مَالِكُ بَكَّة، وهي «مكَّة» كما جاء ذلك في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيۡتٖ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ﴾ [آل عمران:٩٦] وبكَّةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْبَكِّ، وَهُوَ الِازْدِحَامُ. سُمِّيَتْ بَذلك لِازْدِحَامِ النَّاسِ فِي مَوْضِعِ طَوَافِهِمْ. وَالْبَكُّ: دَقُّ الْعُنُقِ. وَقِيلَ: سُمِّيَتْ بِذَلِكَ =

الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاكٍ حُنَفَاءَ، وَجَعَلْتُ رِزْقَ أَهْلِهَا مِنْ ثَلَاثَةِ سُبُلٍ، فَلَيْسَ يُؤْتَى أَهْلُ مَكَّةَ إِلَّا مِنْ ثَلَاثِ طُرُقٍ: مِنْ أَعْلَى الْوَادِي، وَأَسْفَلِهِ، وَكَذَا وَبَارَكْتُ لِأَهْلِهَا فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ»(١).

١٣- «يُجَاءُ بِرَاعِي السُّوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُقَالُ: يَا رَاعِيَ السُّوءِ؛ أَكَلْتَ اللَّحْمَ، وَشَرِبْتَ اللَّبَنَ، وَلَبِسْتَ الصُّوفَ، لَمْ تُؤْوِ الضَّالَّةَ، وَلَمْ تَجْبُر الْكَسِيرَ، وَلَمْ تَرْعَهَا فِي مَرْعَاهَا! الْيَوْمَ أَنْتَقِمُ لَهَا مِنْكَ»(٢).

=

لِأَنَّهَا كَانَتْ تَدُقُّ رِقَابَ الْجَبَابِرَةِ، إِذَا أَلْحَدُوا فِيهَا بِظُلْمٍ. قَالَ عَبْدُ الله بْنُ الزُّبَيْر: لَمْ يَقْصِدْهَا جَبَّارٌ قَطُّ بِسُوءٍ، إِلَّا وَقَصَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ. (الجامع لأحكام القرآن: ٤/ ١٣٨).

(١) ذكره الأزرقيُّ، عَنْ مُجَاهِد. راجع: أخبار مكَّة وما جاء فيها من الآثار، ١/ ٧٩، تحقيق: رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس للنشر، بيروت. وفي سيرة ابن هشام، وغيره، قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحُدِّثْتُ أَنَّ قُرَيْشًا وَجَدُوا فِي الرُّكْنِ كِتَابًا بِالسُّرْيَانِيَّةِ، فَلَمْ يُدْرِ مَا هُوَ، حَتَّى قَرَأَهُ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ يَهُودِ، فَإِذَا فِيهِ: «أَنَا الله ذو بكَّة، خلقتُها يوم خَلقت السماوات وَالْأَرْض، وَصَوَّرْتُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَحَفَفْتُهَا بِسَبْعَةِ أَمْلَاكٍ حُنَفَاءَ، لَا تَزُولُ حَتَّى يَزُولَ أَخْشَبَاهَا، مُبَارَكٌ لِأَهْلِهَا فِي الْمَاءِ وَاللَّبَنِ». السيرة النبوية. عبد الملك بن هشام، ١/ ١٩٦، تحقيق: مصطفى السقا، وآخرون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط الثانية، ١٣٧٥هـ.

(٢) أخرجه الخُتَّلِيّ، عن مَالِك بن دينار، بلفظ «قَرَأْتُ فِي الزَّبُور». راجع: الدِّيباج، ص٣١، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر، ط الأولى، ١٩٩٤م، وورد بلفظ: «قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُب» في كلٍّ من: حلية الأولياء (٢/ ٣٧٥، ٦/ ٢٨٧)، الزهد. أحمد بن حنبل، ص٢٦٤، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ، تاريخ دمشق، لابن عساكر (٥١/ ١١٢).

=

١٤- «وعزَّتي وجلالي، إنَّه مَن أهانَ لِي وَلِيًّا فقَدْ بَارَزَنِي بِالمحَارَبَةِ، وَمَا تَرددتُ عن شيءٍ أريدُ تَرَدُّدي عَن مَوْتِ المؤمنِ؛ قَد عَلِمْتُ أنَّه يكرَهُ الموتَ، ولا بُدَّ لَهُ مِنْهُ، وأنَا أَكْرَهُ أن أَسُوءَهُ»[1].

١٥- «يا داودُ، تَدْرِي لِمَنْ أَغْفِرُ مِنْ عِبَادِي؟ قَالَ: لِمَنْ، يَا رَبِّ؟ قَالَ: لِلَّذِي إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا ارْتَعَدَتْ لِذَلِكَ مَفَاصِلُهُ؛ ذَاكَ الَّذِي آمُرُ مَلائِكَتِي أَنْ لا تَكْتُبَ عَلَيْهِ ذَلِكَ الذَّنْبَ»[2].

١٦- «بَطَلَتِ الأَمَانَةُ، وَالرَّجُلُ مَعَ صَاحِبِهِ بِشَفَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ، يُهْلِكُ الله

=

قلتُ: ومِثْلُ هذا قولُه ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْؤولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ....». صحيح البخاري: كتاب في الاستقراض، بَاب العَبْدُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ، وَلاَ يَعْمَلُ إِلَّا بِإِذْنِهِ، ٣/ ١٢٠، وقوله ﷺ: «إنَّ الله سَائِلٌ كُلَّ رَاعٍ عمَّا اسْتَرْعَاهُ، حَفِظَ أمْ ضَيَّعَ....». موارد الظمآن: ٥/ ١٣٠، تحقيق: حسين سليم أسد، عبده الكوشك، دار الثقافة العربية، دمشق، ط الأولى، ١٤١١هـ.

(١) ذكره السيوطيُّ، في (الدر المنثور: ٥/ ٣٠٣)، وقال: أخرجه أَحْمد، عَن وهب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.
قلتُ: ومصداقُ ذلك قوله ﷺ: «إنَّ الله قال: مَن عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ....، وما تَرَدَّدْتُ عن شَيْءٍ أنا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عن نَفْسِ الْمُؤْمِنِ؛ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وأنا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التَّوَاضُع، ٨/ ١٠٥.

(٢) أخرجه أحمد، في (الزهد، ص٦٣) عن أَيُّوب الْفِلَسْطِينِي، وذكره الدينَورِيّ في (المجالسة وجواهر العلم: ٤/ ٣٧٤) عَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّه.
قلت: ومصداق ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢]، وقوله ﷺ: «لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ الله...». سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الغُبَارِ فِي سَبِيلِ الله، ٤/ ١٧١، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيح.

يَوْمَ الْقِيَامَةِ كُلَّ شَفَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ»(١).

١٧ - «مَن اغْتَسَلَ مِنَ الجَنَابَةِ فإنَّه عَبْدِي حَقًّا، ومَن لم يغتسلْ مِنَ الجَنَابَةِ فَإِنَّهُ عَدوِّي حَقًّا»(٢).

١٨ - «إِنِّي أَنَا الله، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا، مَلِكُ الْملُوكِ، قُلُوبُ الْملُوكِ بِيَدِي، فَأَيُّمَا قَوْمٍ كَانُوا عَلَى طَاعَةٍ، جَعَلْتُ المُلُوكَ عَلَيْهِمْ رَحْمَةً، وَأَيُّمَا قَوْمٍ كَانُوا عَلَى مَعْصِيَةٍ، جَعَلْتُ المُلُوكَ عَلَيْهِمْ نِقْمَةً، لا تَشْغَلُوا أَنْفُسَكُمْ بِسَبِّ المُلُوكِ، وَلا تَتُوبُوا إِلَيْهِمْ، تُوبُوا إِلَيَّ أَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكُمْ»(٣).

١٩ - «حَقٌّ عَلَى العَاقِلِ أن لا يشتغِلَ عن أَرْبَعِ ساعاتٍ: ساعةٍ يُناجي ربَّه،

(١) ذكره السيوطيُّ، في الدر المنثور (٥/ ٣٠٤)، والغزاليُّ، في إحياء علوم الدين (٣/ ١٥٨) دار المعرفة، بيروت، عن أحمد، عن مَالِك بْن دِينَار رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

* والنصُّ الذي يشبه ذلك في ترجمة المزامير: «خَلِّص يا رَبُّ، فإنَّ الصَّفِيَّ قد انقرض، والأمينَ مِن بني آدمَ قَدْ زَالَ * كُلُّ امرئٍ يُكَلِّمُ صَاحِبَه بالباطل، وبِشِفَاهٍ تَتَمَلَّقُ وَقُلوبٍ تَزدَوجُ يتكلمون». مزمور ١٢: ٢ - ٣.

ومصداق ذلك قوله ﷺ: «تَجِدُ مِنْ شَرِّ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ عِنْدَ الله ذَا الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلاَءِ بِوَجْهٍ، وَهَؤُلاَءِ بِوَجْه». صحيح البخاري: كتاب الأدب، باب ما قيل في ذي الوجهين، ٨/ ١٨.

(٢) ذكره السيوطيُّ، في (الدر المنثور: ٣/ ٣٠)، والدينوريُّ، في (المجالسة وجواهر العلم: ١/ ٤٢٤) عَن وهب الذّماريّ.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة، عَنْ مَالِكِ بْنِ مِغْوَل. راجع: مصنف ابن أبي شيبة، مَا ذُكِرَ فِي سَعَةِ رَحْمَةِ الله تَعَالَى، ٧/ ٦٣. وراجع أيضًا: الدر المنثور (٥/ ٣٠٥)، روح المعاني (٨/ ٩٢).

ومصداقُ ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وساعةٍ يُحاسِبُ فيها نفسَه، وساعةٍ يُفضي فيها إلى إخوانِه الذين يُخبرونه بعُيوبه، ويُصدِّقونه عن نفسه، وساعةٍ يُخَلِّي بين نفسه وبين لذَّاتِها فيما يحل ويجمل؛ فإنه هذه الساعاتِ عَوْنٌ عَلَى هذه الساعات، وإجمامٌ للقلوب. وحَقٌّ على العاقل أن يكون عَارِفًا بزَمَانِهِ، حَافِظًا لِلسانِهِ، مُقْبِلاً عَلَى شَأْنِهِ. وَحَقٌّ عَلَى العَاقِلِ أن لا يُظْعِن[1] إلاَّ في إحدى ثَلاث: زادٍ لِمَعَادٍ، أَو مَرَمَّةٍ[2] لِمَعَاشٍ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ»[3].

٢٠- «يا عبدي الشكور، إنِّي قد وهبتُ لك الزّبورَ، وأتبعتُه بنُصحٍ منّي من أعينِ السُّطور، ومن الوحي المحفوظِ المحجوبِ من وراء السُّتور، فاعبدْنِي به في الأيَّامِ والليالي والشهور؛ وأحببني من كلّ قلبك، وحبّبني إلى خَلْقي، وأبغض من عبادي كلّ منافق جهول، قال: يا ربّ كيف أحبّبك إلى خلقك؟ قال: تذكّرهم آلائي»[4].

---

(١) ظَعَنَ، يَظْعَنُ: ذهبَ وَسَارَ. لسان العرب: ١٣/ ٢٧٠.

(٢) الرَّمُّ: إصلاحُ الشيء الذي فَسَدَ بعضُه. لسان العرب: ١٢/ ٢٥١.

(٣) ذكره هنَّاد، عن وهبِ بن منبّه. راجع: الزهد. هنَّاد بن السَّرِي، ٢/ ٥٨٠، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، محاسبة النفس. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص٣٠، تحقيق: مصطفى عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ، شعب الإيمان للبيهقي: فَصْلٌ فِي فَضْلِ الْعَقْلِ الَّذِي هُوَ مِنَ النِّعَمِ الْعِظَامِ الَّتِي كَرَّمَ الله بِهَا عِبَادَه، (٦/ ٣٧٣)، إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان. لابن قيِّم الجوزية، ١/ ٧٩، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض.

(٤) أخرجه ابنُ قتيبة، عن عبد المنعم، عن أبيه، عن وهبٍ بن منبه. راجع: عيون الأخبار. =

٢١- «يَا دَاوُدُ، إِنِّي لَمْ أَخْلُق الشَّهَوَاتِ إِلا لِلضُّعَفَاءِ مِنْ عِبَادِي، فَأَمَّا الأَبْطَالُ فَمَا لَهُمْ وَلَهَا»(١).

٢٢- «يَا دَاودُ، إِذَا رَأَيْتَ لِي طَالِبًا فَكُنْ لَهُ خَادِمًا. يَا دَاوُدُ، اصْبِرْ عَلَى المَئُونَةِ(٢) تَأْتِيكَ المَعُونَةُ»(٣).

٢٣- «يَا دَاوُدُ، اتَّقِ؛ لَا يَأْخُذْكَ اللهُ عَلَى ذَنْبٍ لَا يَنْظُرْ إِلَيْكَ فِيهِ، فَتَلْقَاهُ - حِينَ تَلْقَاهُ - وَلَيْسَ لَكَ حُجَّةٌ»(٤).

=

عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدِّينَوَرِيّ، ٢/ ٢٨٨، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

(١) ذكره قوّام السنة، عن بشر بن الحارث. راجع: سير السَّلف الصالحين. إسماعيل بن محمد الأصبهاني، ص١٠٨٣، تحقيق: د/ كرم حلمي فرحات، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ومعجم الشيوخ. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ص٦٢٣، تخريج: ابن سعد الصالحي، تحقيق: د/ بشار عواد، وآخرين، دار الغرب الإسلامي، ٢٠٠٤م.

(٢) المَئُونَة: الثِّقْل. مِنْ (مَأَنْتَ) الْقَوْمَ إِذَا احْتَمَلْت مَئُونَتَهُم. راجع: المغرب في ترتيب المعرب. ناصر بن عبد السيد أبي المكارم، ص٤٣٤، دار الكتاب العربي.

(٣) أخرجه البيهقي، في (شعب الإيمان: ١٢/ ٣٣٧) عن عَبْدِ الْعَزِيزِ بْن عُمَر. كما ذُكر أيضًا في الكتب الآتية: فيض القدير (٢/ ٣٩١)، البحر المحيط في التفسير (٣/ ١٢١)، لطائف الإشارات - تفسير القشيري. عبد الكريم بن هوازن القشيري، ١/ ٢٣٨، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط الثالثة، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء. محمد بن حبان، ص١٦١، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٤) أخرجه أحمد، وابنُ أبي الدنيا، عَنْ مُجَاهِد. راجع: الورع. أحمد بن حنبل، ص١٧، رواية: أحمد بن محمد المروزي، تحقيق: سمير بن أمين الزهيري، دار الصميعي، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، كتاب التوبة. عبد الله بن محمد، ابن أبي
=

٢٤- «يَا دَاوُدُ، لَا تَتَّخِذْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ عَالِمًا مَفْتُونًا؛ فَيَصُدَّكَ بِسُكْرِهِ عَنْ طَرِيقِ مَحَبَّتِي؛ أُولَئِكَ قُطَّاعُ طَرِيقِ عِبَادِي»(١).

٢٥- «يَا دَاوُدُ، قُلْ لِلظَّلَمَةِ: لَا يَذْكُرُونِي؛ فَإِنَّهُ حَقٌّ عَلَيَّ أَنْ أَذْكُرَ مَنْ ذَكَرَنِي، وَإِنَّ ذِكْرِي إِيَّاهُمْ أَنْ أَلْعَنَهُمْ»(٢).

٢٦- «يا داودُ، ذِكْرِي للذَّاكرين، وَجَنَّتي للمُطيعين، وزِيَارَتي للمُشتاقين، وأَنَا خاصَّةً للمُحِبِّين»(٣).

=

الدنيا، ص٣٧، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.

(١) ذكره ابنُ أبي الدنيا، عن بِشْر بْن الْحَارِث. (راجع: الزهد. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص٢٠١، دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م)، وأخرجه البيهقيُّ، في (شُعب الإيمان: ٣/ ٣١٤)، وذكره ابنُ عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله: ١/ ٦٧٠)، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٤هـ- ١٩٩٤م، والغزاليُ، في (الإحياء: ٤/ ٣٢٦)، والنوويُّ، في (بستان العارفين، ص٤٢) دار الريان للتراث.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة، عن ابن عباس. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، كَلَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٧/ ٦٧، كتاب الفضائل، مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَتَوَاضُعِهِ، ٦/ ٣٤٤، وراجع أيضًا: الزهد. لابن السَّرِي (٢/ ٤٠٦)، الجامع لأحكام القرآن (٢/ ٣١٠)، الدر المنثور (١/ ٣٦١)، فيض القدير (٣/ ٧١)، وضعف هذا النص الألبانيُّ. راجع: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. محمد ناصر الدين الألباني، ٧/ ٣٥٠، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م.

(٣) ذكره الغزاليُّ، في إحياء علوم الدين (٤/ ٣٦١)، عن الشِّبلي.

٢٧- «يَا دَاوُدُ، إنَّك إنْ ذكرتني ذَكَرْتُكَ، وَإِنْ نَسيتني تَرَكْتُكَ[١]، وَاحْذَرْ أَنْ أَجِدَكَ عَلَى حَالٍ لَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ فِيهِ»[٢].

٢٨- «يَا دَاودُ، قُلْ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: لاَ يُجَاوِزُونِي بِالْمَعَاصِي؛ فَأَبْتَلِيَهِمْ بِالأَسْفَارِ؛ أُمْحِقُ فِيهَا الأَعْمَارَ، وَأُقِلُّ فِيهَا الأَعْمَالَ»[٣].

٢٩- «يا داود، قُلْ لأحبارِ بني إسرائيل ورُهبانِهم: حادِثوا من النَّاسِ الأتقياءَ، فإن لم تجدوا فيهم تَقِيًّا، فَحَادِثُوا العلماءَ، فإن لم تجدوا فيهم عَالِمًا، فَحَادِثُوا العقلاءَ؛ لأنَّ التُّقَى والعِلْمَ والعَقْلَ ثَلاثُ مَرَاتِبَ، مَا جَعَلْتُ واحدةً منهُنَّ في أَحَدٍ مِن خَلْقِي وَأَنَا أُرِيدُ هَلاكَهُ»[٤].

٣٠- «يَا دَاوُدُ، خَفْنِي عَلَى كُلِّ حَالٍ. وَأَخْوَفُ مَا تَكُونُ عِنْدَ تَظَاهُرِ النِّعَمِ

---

(١) نظيره قول الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وقوله سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ [الحشر: ١٩]، وقول النبي ﷺ: «يَقُولُ الله تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي...». صحيح البخاري: كتاب التوحيد، بَابُ قَوْلِ الله تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، ٩/ ١٢١.

(٢) ذكره السيوطيُّ، في (الدُّر المنثور: ١/ ٣٦٩) وقال: «أخرجه أَحْمدُ، فِي الزّهْد عَن عَمْرو بن قيس»أ.هـ (قلتُ: لم أجدْه في الزُّهدِ).

(٣) أخرجه المبارك الطيوريّ، عن أبي الْحَسَن الْبَغْرَاسِي. راجع: الطيوريات. انتخاب: أحمد بن محمد الأصبهاني، ٣/ ١٠١١، دراسة وتحقيق: دسمان يحيى معالي، عباس صخر الحسن، مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م، بغية الطلب في تاريخ حلب. عمر بن أحمد العقيلي، ١٠/ ٤٤٠٠، تحقيق: د/ سهيل زكار، دار الفكر.

(٤) ذكره الرازيُّ، في (مفاتيح الغيب: ٢/ ١٧٤، ١٧٥)، والنيسابوريُّ، في (غرائب القرآن: ١/ ٢٣٣).

عَلَيْك، لَا أَصْرَعُكَ عِنْدهَا، ثُمَّ لَا أَنْظُرُ إِلَيْكَ»[١].

٣١- «يا داودُ، بِي فَافْرَحْ، وبِذِكْرِي فَتَلَذَّذْ، وَبِمَعْرِفَتِي فَافْتَخِرْ؛ فَعَمَّا قَلِيلٍ أُفرِغُ الدَّارَ مِن الفَاسِقِينَ، وَأُنزِلُ نِقْمَتِي عَلَى الظَّالمين»[٢].

٣٢- «يَا دَاوُدُ، تَعَلَّمْ العِلْمَ النَّافِعَ»، قال: مَا العِلْمُ النَّافِعُ؟ قَالَ: «أن تَعْرِفَ جَلالِي، وَعَظَمَتِي، وَكِبْرِيَائِي، وَكَمَالَ قُدْرَتِي عَلَى كُلِّ شَيءٍ؛ فَهَذَا الَّذِي يُقرِّبُكَ إليّ»[٣].

٣٣- «يا داودُ، إنِّي لأنْظُرُ الشَّيْخَ الكبيرَ، مساءً وَصَبَاحًا، فَأقول له: عبدي، كَبِرَ سِنُّكَ، وَرَقَّ جِلْدُكَ، وَوَهَنَ عَظْمُكَ، وَحَانَ قُدُومُكَ عَلَيَّ، فَاسْتَحِي مِنِّي؛ فَإِنِّي أَسْتَحِيي أن أُعذِّبَ شَيْبَةً بالنَّارِ»[٤].

٣٤- «يَا دَاوُدُ، أَلَا أُعَلِّمُكَ عَمَلَيْنِ إِذَا عَمِلْتَ بِهِمَا أَلَّفْتَ بِهِمَا وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْكَ، وَبَلَغْتَ بِهِمَا رِضَايَ؟» قَالَ: بَلَى، يَا رَبِّ. قَالَ: «احْتَجِزْ فِيمَا

---

(١) ذكره السيوطي، في (الدر المنثور: ٣/ ٢٧٠) عن ابْن الْمُنْذر عَن جَعْفَر.

(٢) ذكره ابن القيم، في طريق الهجرتين وباب السعادتين (ص ٢٧٨) دار السلفية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٩٤هـ.

(٣) راجع: فيض القدير (٢/ ١٨)، روح البيان (٢/ ٣٢٢).

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. أحمد بن محمد الفاسي، ٤/ ٣٥٤، تحقيق: أحمد عبد الله رسلان، نشر د/ حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

قلت: وقريبٌ منه قوله ﷺ: «مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي الإِسْلَامِ كَانَتْ لَهُ نُوراً يَوْمَ القِيَامَةِ». سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ مَنْ شَابَ شَيْبَةً فِي سَبِيلِ الله، ٤/ ١٧٢. وصححه الألباني. راجع: مشكاة المصابيح (٢/ ١١٣٧).

بَيْنِي وَبَيْنَكَ بِالْوَرَعِ، وَخَالِطِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ»[١].

٣٥- «يا داودُ، العَاشِقُونَ يَعِيشُون في حِلمِ الله، والذَّاكرون يعيشون في رحمةِ الله، والعَارفون يعيشون في لُطْفِ الله، والصّدّيقون يعيشون في بِسَاطِ الأُنسِ بالله، يُطعمهم ويسقيهم»[٢].

٣٦- «يا داودُ، إن كنتَ تزعمُ أنَّك تحبَّني فَأَخْرِجْ حُبَّ الدنيا من قلبِك، فإنَّ حُبِّي وَحُبَّها لا يجتمعان في قلبٍ واحدٍ. يا داود، مَن أحبني يتهجدُ بين يديَّ إذا نام البطَّالون[٣]، ويذكرني في خَلوته إذا لَـهَا عن ذِكري الغافلون،

(١) ذكره ابنُ أبي الدنيا، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي عَوْفٍ الْجُرَشِيِّ. راجع: مداراة الناس، ص٤٩، تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، وأخرجه أحمد، عن الْأَوْزَاعِيِّ. راجع (الزهد، ص٦٦)، وذكره ابن عساكر في (تاريخه: ١٧/ ١٠٤)، والسيوطيُّ، في (الدر المنثور: ٧/ ١٧١)، المناويُّ، في (فيض القدير: ٥/ ٣٦٤)، وذكره ابن رجب بلفظ «يَا دَاوُدُ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا تَسْتَبْقِي بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ، وَتَبْلُغُ فِيهِ رِضَايَ؟ خَالِقِ النَّاسَ بِأَخْلَاقِهِمْ، وَاحْتَجِزِ الْإِيمَانَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ». راجع: جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي، ١/ ٤٥٤، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط السابعة، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

(٢) بحر الدموع. ابن الجوزي، ص٥٧، تحقيق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) جمع (البَطَّال)، وهو: بَين البطالة. (راجع: الكليات للكفوي، ص٢٤٨، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت)، وقال ابن مسعود: البطَّالُ الرجل فارغًا، لا في عملَ الدنيا ولا في الآخرة. (راجع: مجمع بحار الأنوار: ٥/ ٣٢٩).

ويشكُرُ نعمتي عليه إذا غَفَلَ عنِّي السَّاهون»(١).

٣٧- «يَا دَاوُدُ، بَشِّرِ المُذْنِبِينَ ، وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ»، فَكَأَنَّهُ عَجِبَ، فَقَالَ: رَبِّ أُبَشِّرُ المُذْنِبِينَ، وَأُنْذِرُ الصِّدِّيقِينَ! قَالَ: «نَعَمْ، بَشِّرِ المُذْنِبِينَ أَلّا يَتَعَاظَمَنِي ذَنْبٌ أَغْفَرُهُ لَهُمْ(٢)، وَأَنْذِرِ الصِّدِّيقِينَ أَنَّهُمْ إن احْتَجُّوا بِأَعْمَالِهِمْ(٣)، فَإِنِّي لَا أَضَعُ عَدْلِي وَإِحْسَانِي عَلَى عَبْدٍ إِلَّا هَلَكَ»(٤).

٣٨- «يا داودُ، أَنِين المُذْنِبينَ أَحَبُّ إليَّ مِنْ صُرَاخِ العَابِدينَ»(٥).

---

(١) ذكره الختلي، عن أبي جعفر البصري. راجع: المحبة لله سبحانه. إبراهيم بن عبد الله الخُتَّلِيّ، ص٣١، تحقيق: د/ عادل عبد الشكور الزرقي، دار الحضارة، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، والغزاليُّ، في (الإحياء: ٤/ ٣٢٦)، وابن الجوزيّ، في (بحر الدموع: ص١٤)، البروسوي، في روح البيان (٢/ ١٤٤)، وبعضُ النصِّ في: الترغيب والترهيب، للأصبهاني (٢/ ٢٤٥)، دار الحديث، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢) شاهده من القرآن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

(٣) مثل هذا قوله ﷺ: «لَنْ يُنَجِّي أَحَداً مِنْكُمْ عَمَلُهُ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحْمَةٍ.....». صحيح البخاري: كتاب الرقاق، بَابُ القَصْدِ وَالمُدَاوَمَةِ عَلَى العَمَلِ، ٨/ ٩٨.

(٤) أخرجه الحكيم الترمذي، عن عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي رَوَّاد. (راجع: نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ. محمد بن علي، الحكيم الترمذي، ٤/ ٢٤، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت)، وذكره الأصبهانيُّ، في (الحلية: ٨/ ١٩٥)، البروسوي في (روح البيان: ٢/ ٩١)، (٤/ ٣٤٥)، الفيروزآبادي في (بصائر ذوي التمييز: ٢/ ٢٠٥).

(٥) أخرجه البيهقيُّ، عن أبي عَلِيٍّ صَاحِب عُبَيْدِ الله الْحُبُلِيِّ. راجع: شعب الإيمان، معالجة كل ذنب بالتوبة، ٩/ ٣٩٦. وراجع أيضاً: البحر المديد في تفسير القرآن المجيد =

٣٩- «يَا دَاوُدُ، إِنَّكَ لَنْ تَلْقَانِي بِعَمَلٍ هُوَ أَرْضَى لِي عَنْكَ، وَلا أَحَطُّ لِوِزْرِكَ، مِنَ الرِّضَا بِقَضَائِي. وَلَنْ تَلْقَانِي بِعَمَلٍ هُوَ أَعْظَمُ لِوِزْرِكَ، وَلا أَشَدُّ لِسُخْطِي عَلَيْكَ، مِنَ الْبَطَرِ. فَإِيَّاكَ - يَا دَاوُدُ - وَالْبَطَرَ»[١].

٤٠- «يَا دَاوُد، إِنَّ العَبْدَ مِن عَبِيدِي لَيَأتِيني بِالْحَسَنَةِ فاحطُّه في جَنَّتِي». قَالَ دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَمَا تِلْكَ الْحَسَنَة؟ قَالَ: «كُرْبَةٌ فرَّجهَا عَن مُؤمنٍ». قَالَ دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: اللَّهُمَّ حَقِيقٌ عَلَى مَن عَرَفَكَ - حَقَّ معرفتكَ - أَن لَا يقنَط مِنْك»[٢].

٤١- «يَا دَاوُدُ، لا تقرَب الشهواتِ؛ فإنِّي خلقتُها لضُعفاءِ خَلْقي، فإنْ أنتَ قَربْتها أهونُ ما أصنعُ بك أسلُبك حلاوةَ مناجاتي. يا داودُ، قُلْ لبني إسرائيل: لا تقربوا الشهوات؛ فالقلبُ المحجوبُ بالشهواتِ حَجَبْتُ صَوْتَه عنِّي»[٣].

=

(٤/ ٤٧٧)، لطائف الإشارات (٣/ ١٧٧).

(١) أخرجه ابنُ أبي الدنيا، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ المغيرة. راجع: الرِّضَا عن الله بقضائه، ص٤٩، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، بومباي، ط الأولى ١٤١٠هـ.

(٢) ذكره السيوطي في (الدر المنثور: ٧/ ٢٣٨) وعزاه إلى ابْن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا. وذكره ابن حجر في (لسان الميزان: ٧/ ٥١٩) تحقيق: دائرة المعارف النظامية، الهند، نشر مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت، لبنان، ط الثانية، ١٣٩٠هـ)، وقال: «قال الدَّارَقُطْنِيّ، فِي غرائب مَالك: بَاطِل لَا يَصح».

(٣) ذكره ابنُ بطال، في (شرح صحيح البخارى: ١٠/ ٢١١) عن سالم الخواص، وجاء في (فيض القدير: ١/ ١١٩) بلفظ «يا داودُ، أَدْنَى مَا أَصْنَعُ بالعالِمِ إذا آثر شهوتَه عَلى محبَّتي، أن أحرمه لذيذَ مناجاتي».

٤٢- «يَا دَاوُدُ، حَذِّرْ، وَأَنْذِرْ أَصْحَابَكَ أَكْلَ الشَّهَوَاتِ؛ فَإِنَّ الْقُلُوبَ الْمعَلَّقَةَ بِشَهَوَاتِ الدُّنْيَا عُقُولُهَا عَنِّي مَحْجُوبَةٌ، وَإِنَّ أَهْوَنَ مَا أَصْنَعُ بِالْعَبْدِ مِنْ عبيدي - إذا آثَرَ شَهْوَةً مِن شهواتِه - أن أحرمَهُ مِن طَاعَتِي»[١].

٤٣- «يَا دَاوُدُ، لو يعلم المدْبِرونَ عَنِّي كيفَ انتظاري لهم، ورِفْقِي بهم، وشَوْقِي إلى تَرْكِ معاصيهم، لَمَاتوا شَوْقًا إليَّ، وتَقَطَّعَتْ أَوْصَالُهم مِن محبَّتي. يا دَاودُ، هذه إرادتي في المدبرين عَنِّي، فكيف إرادتي في المُقبلين عَلَيَّ؟! يا داودُ، أحوجُ ما يكون العبدُ إليَّ إذا استغنَى عَنِّي، وأَرْحَمُ مَا أكون بعبدي إذا أَدْبَرَ عَنِّي، وأجلُّ ما يكون عبدي إذا رَجَعَ إليَّ»[٢].

٤٤- «يا داود، ارْفَعْ رَأسَكَ، فقد غفرتُ لَك». فَقَالَ: يَا ربُّ، كَيفَ تكون هَذِه المَغْفِرَة وَأَنت قَضَاءٌ بِالْحَقّ، وَلستَ بظلاَّمٍ للعبيد؟! وَرَجُلٌ ظلمتُهُ، غَصَبْتُهُ، قَتَلْتُهُ؟! فأوحى الله - تَعَالَى - إِلَيْهِ: «بلَى، يَا دَاوُد، إنَّكُمَا تجتمعانِ عِنْدِي، فاقضي لَهُ عَلَيْكَ، فَإِذا بَرَزَ الْحقُّ عَلَيْكَ أستوهبك مِنْهُ، فوهبكَ لي،

(١) ذكره ابنُ كثير في (التفسير: ٥/ ٢٤٥)، والسيوطي في (الدر المنثور: ٥/ ٥٢٦)، النيسابوري، في (غرائب القرآن: ١/ ٣٨٠) عن أبي الأَشْهَبِ العُطَارِدِيّ. وذكر بعضَه ابنُ أبي حاتم، عَنِ ابْنِ الأشعث. راجع: تفسير القرآن العظيم. عبد الرحمن بن محمد الرازي، ابن أبي حاتم، ٧/ ٢٤١٢، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط الثالثة ١٤١٩هـ.

(٢) ذكره الغزالي في (الإحياء: ٤/ ٣٢٦، ٣٦١)، وابن الجوزي في (التبصرة: ص٣٤) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.

وأرضيتُه مِن قِبَلي، وأدخلتُه الْجنَّة»، فَرَفَع[١].

٤٥ - «يَا دَاوُدُ، أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي لَا يَشْعُرُ بِي عَبْدٌ مِنِ عِبَادِي دُونَ خَلْقِي - أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - فَتَكِيدُهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ، وَمَنْ فِيهِنَّ، إِلَّا جَعَلْتُ لَهُ مِنْهُنَّ فَرَجًا وَمَخْرَجًا[٢]. أَمَا وَعِزَّتِي وَعَظَمَتِي لَا يَعْتَصِمُ عَبْدٌ مِنْ عِبَادِي بِمَخْلُوقٍ دُونِي - أَعْلَمُ ذَلِكَ مِنْ نِيَّتِهِ - إِلَّا قَطَعْتُ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ مِنْ يَدِهِ، وَأَرْضَخْتُ[٣] الْأَرْضَ مِنْ تَحْتِهِ، وَلَا أُبَالِي فِي أَيِّ وَادٍ هَلَكَ»[٤].

٤٦ - «يَا دَاوُدُ، أَحِبَّنِي، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّنِي، وَحَبِّبْنِي إِلَى النَّاسِ»، قَالَ: رَبِّ، أُحِبُّكَ، وَأُحِبُّ مَنْ يُحِبُّكَ، فَكَيْفَ أُحَبِّبُكَ إِلَى النَّاسِ؟ قَالَ: «تُذَكِّرُهُمْ

---

(١) ذكره السيوطي، في (الدر المنثور: ٧/ ١٦٣)، وعزاه إلى ابْن مرْدَوَيْه، عَن ابْن مَسْعُود.

(٢) قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]، وقال النبي ﷺ: إن الله قال: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ....». صحيح البخاري: كتاب الرقاق، باب التواضع، ٨/ ١٠٥.

(٣) أي: كسرتها وشققتُها. راجع: تاج العروس (٧/ ٢٥٨).

(٤) ذكره الأصبهانيُّ، والغزاليُّ، عن وَهْبَ بْنَ مُنَبِّه. راجع: حلية الأولياء (٤/ ٢٥)، إحياء علوم الدين (٤/ ٢٤٤)، وذكره السيوطي، في (الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير: ١/ ٤٢٨) تحقيق: يوسف النبهاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٣هـ. وقال العراقيُّ: «فيه يوسفُ بن السفر، متروك يكذب، وقال البيهقى: هو فى عِداد مَن يضع الحديثَ». تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، ٥/ ٢٣٠٩، دار العاصمة للنشر، الرياض، ط الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.

آلاَئِي، فَلاَ يَذْكُرُونَ مِنِّي إِلَّا حَسَنـًا»[١].

٤٧- «يَا دَاوُد، أَحَبُّ عبَادي إليَّ نَقِيُّ الْقَلْبِ[٢]، نَقِيُّ الْكَفَّيْنِ، لَا يَأْتِي إِلَى أَحَدٍ سُوءً، وَلَا يمشي بالنميمةِ، تَزُول الْجبَالُ وَلَا يَزُول. أَحبَّنِي، وَأحبَّ مَنْ يُحبَّنِي، وَحَبِّبْنِي إِلَى عبَادي». قَالَ: يَا ربّ، إِنَّك لتعلم إِنِّي أُحبّك، وَأحبُّ مَن يُحِبك، فَكيف أُحبِّبَكَ إِلَى عِبَادك؟ قَالَ: «ذَكِّرهم بآلائي، وبلائي، ونَعْمائي. يَا دَاوُد، إِنَّه لَيْسَ من عبدٍ يُعينُ مَظْلُومـًا، أَو يمشي مَعَه فِي مظلمته، إِلَّا أُثَبِّتُ قَدَمَيْهِ يَوْمَ تَزِلُّ الْأَقْدَام»[٣].

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا، عَنْ أَبِي عَبْدِ الله الْجَدَلِيِّ. (راجع: الأولياء. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص١٨، تحقيق: محمد السعيد زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ)، وذكره ابن رجب في (مجموع رسائله: ٣/ ٣١٤) تحقيق: طلعت بن فؤاد الحلواني، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) عَنْ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ». قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ، فَمَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لَا إِثْمَ فِيهِ، وَلَا بَغْيَ، وَلَا غِلَّ، وَلَا حَسَدَ». سنن ابن ماجه: أبواب الزهد، باب الورع والتقوى، ٥/ ٢٩٩. وصحَّحه الألباني. (راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢/ ٦٣٢).

(٣) أخرجه ابْنُ أبي شيبَة، عن عبد الله بن الحارث.(راجع: مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الزهد، كَلَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ٧/ ٦٨)، وأخرجه الْبَيْهَقِيُّ، عَن ابْن عَبَّاس، عن رَسُول الله ﷺ. (راجع: شعب الإيمان، باب التعاون على البر والتقوى،١٠/ ١٢١)، وذكره ابن القيم، في (روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ص٤١٧، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١٤٠٣هـ)، والسيوطيُّ، في (الدر المنثور: ٣/ ١٢).

٤٨ - «يا داود، فرِّغ لي بيتـًا أسكُنُ فيه»، فقال: وكيف يا ربّ؟! فقال: «فَرِّغْ لي قلبَكَ»(١).

٤٩ - «يا داودُ، ما قضيتُ على مؤمنٍ قَضَاءً - أَحَبَّه أو كَرِهَهُ - إِلّا وَهُوَ خَيْرٌ لَهُ(٢)»(٣).

٥٠ - «يَا دَاود، وعزَّتي وجلالي لأبترنَّ كلَّ شفتين تكلمَتَا بِخِلَافِ مَا فِي الْقلب»(٤).

٥١ - «يا دَاود، مَن صَدَّقني فِي سَرِيرَتِهِ صَدَّقته عِنْدَ المخْلُوقِين فِي عَلانِيَتِه»(٥).

٥٢ - «يَا دَاودُ، إِنِّي حَرَّمْتُ عَلَى القُلوبِ بأن يَدْخُلَهَا حُبِّي وَحُبُّ

---

(١) راجع: غرائب القرآن ورغائب الفرقان (١/ ٤١٠)، روح البيان (٦/ ١٦١).

(٢) نظيره قوله ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ». صحيح مسلم: كتاب الزهد والرقائق، بَابُ الْمؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، ٤/ ٢٢٩٥.

(٣) راجع: تفسير التستري. سهل بن عبد الله التستري، ص١٣١، جمعها: محمد البلدي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، منشورات محمد علي بيضون، دارالكتب العلمية، بيروت، ط الأولى.

(٤) راجع: طبقات الشافعية الكبرى. عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، ٢/ ١٧٧، تحقيق: د/ محمود الطناحي، د/ عبد الفتاح الحلو، هجر للطباعة والنشر، ١٤١٣هـ.

(٥) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٨٧)، الرسالة القشيرية. عبد الكريم بن هوازن القشيري، ٢/ ٣٦٥، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

غَيْرِي»[١].

٥٣- «يَا دَاوُد، إِن سَمِعتَ عاطساً من وَرَاء سَبْعَةِ أَبْحُر، فاذكرني»[٢].

٥٤- «يَا دَاوُدُ، إن اسْتَنْقَذْتَ هَالِكَاً مِنْ هَلَكَتِهِ سُمِّيت عَبْدِي جَهْرَاً»[٣].

٥٥- «يَا دَاوُدُ، تَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِي، ومِنْ أَخْلَاقِي أَنَّنِي أَنَا الصَّبُور»[٤].

٥٦- «تَسَاقَطَتِ القُرَى، وَأُبْطِلَ ذِكْرُهم، وَأَنَا دَائِمُ الدَّهْرِ مُقْعِدٌ كرسِي لِلْقَضَاءِ»[٥].

٥٧- «طُوبَى[٦] لمن لم يسْلُكْ سَبِيل الآثمة، وَلم يُجَالس الْخَطَّائِينَ، وَلم يفِئ فِي هَمِّ الْمسْتَهْزِئِينَ، وَلَكِن هَمَّه سُنَّة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وَإِيَّاهَا يتَعَلَّم

---

(١) راجع: الرسالة القشيرية (٢/ ٤٩٣)، روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص ٤٠٨).

(٢) نوادر الأصول في أحاديث الرسول: ٤/ ١٧٨.

(٣) فيض القدير: ٥/ ٢٥٩.

(٤) راجع: تفسير التستري (ص١٧٤)، الرسالة القشيرية (١/ ٣٢٥)، إحياء علوم الدين (٤/ ٦١)، فيض القدير (٥/ ٣٦٣، ٤٦٥).

(٥) ذكره السيوطي في (الدر المنثور: ٥/ ٣٠٣)، وقال: أخرجه أحمد، عن مَالِك بْن دِينَار.
* والنص كما في ترجمة المزامير «حين حكمتَ لي وقضيتَ جالساً على العرشِ دَيَّاناً عادِلاً * قَمَعْتَ الأممَ، وَأَبَدْتَ الشريرَ، مَحَوْتَ اسمَهم أبدَ الدُّهور * العدوُّ قُضِيَ عليه. خَرَابٌ للأبد، دَمَّرْتَ مُدُناً، فَاضْمَحَلَّ ذِكْرُهَا». مزمور ٩: ٤ - ٨.

(٦) اسمُ الجنَّة. وَقِيلَ هِيَ شَجَرةٌ فِيهَا، وأصلُها: فُعْلى، مِنَ الطِّيبِ. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، ٣/ ١٤١، تحقيق: طاهر الزاوي، محمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

بِاللَّيْلِ وَالنَّهَار. مَثَلُهُ مَثَلُ شَجَرَةٍ تنبُتُ عَلَى شَطٍّ، تُؤتِي ثَمَرَتهَا فِي حِينها، وَلا يَتَنَاثَرُ مِن وَرقهَا شَيْء. وَكُلُّ عَمَلٍ بأَمْري، لَيْسَ ذَلِك مَثَلُ عَمَلِ الْمُنَافِقين»[1].

٥٨- «طُوبَى لِرَجُلٍ اطَّلَعَ الله في قَلبِهِ عَلَى الرِّضَا، ليَسْتَوْجِبُ عَظِيماً مِنَ الْجَزَاء. طُوبَى لِمَنْ لَمْ يُهِمَّهُ هَمُّ النَّاسِ، وَإِذَا عُرِضَ لَهُ غَضَبٌ فِيهِ مَعْصِيَةٌ كَظَمَ الْغَيْظَ بِالْحِلْمِ»[2].

٥٩- «الْحَمْدُ للهِ كَمَا يَنْبَغِي لِكَرَمِ وَجْهِهِ وَعِزِّ جَلَالِهِ»[3].

٦٠- «الْحَمْدُ لِلهِ عَدَدَ قَطْرِ المَطَرِ، وَوَرَقِ الشَّجَرِ، وَتَسْبِيحِ المَلائِكَةِ، وَعَدَد مَا يَكُونُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ. وَالْحَمْدُ للهِ عَدَد أَنْفَاسِ الْخَلْقِ، وَلَفْظِهِمْ،

---

(١) ذكره ابنُ أبي الدنيا، عَن مَالك بن دِينَار. راجع: كتاب التوبة، ص٩٣، الدِّيباج للختلي (ص٢٩)، حلية الأولياء (٢/ ٣٨٠)، الدر المنثور (٥/ ٣٠٤).

* والنصُّ كما في ترجمة المزامير: «طُوبَى لِمن لا يسير على مَشْورَةِ الشّريرين، ولا يجلس في مجلس السَّاخرين * بل في شريعة الربِّ هواه، وبشريعته يُتَمْتِمُ نهارَه وليلَه * فيكون كالشجرة المغروسة على مجاري المياه، تُؤتي ثمرها في أَوَانِهِ، وورقها لا يَذْبُلُ أبداً، فكلُّ ما يصنعه ينجح، ليس الأشرارُ كذلك». مزمور ١: ١ - ٣.

(٢) عن عبد الواحد بن حبيب الدمشقي. راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٧/ ٢١١)، الرضا عن الله بقضائه (ص١١٣).

(٣) ذكره ابن كثير، في (البداية والنهاية: ٢/ ١٨)، عَنِ ابْنِ شِهَاب، وقال: «رَوَاهُ أَبُو بَكْر بْنُ أَبِي الدُّنْيَا، عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْجَعْدِ، عَنِ الثَّوْرِيّ مثله ا.هـ»، وذكره ابن عساكر، عن أبي المنذر، بلفظ «قال داود لما أصاب الذنبَ، وتاب الله عليه - : اللهم ألهمني شُكراً يرضيك عنِّي. قال: فأُلهم داودُ أن قُل: الحمد لله رب العالمين، كما ينبغي لكرم وجهك وعز جلالك. فجعل يقولها، فنودي من السماء: يا داودُ أتعبتَ الكَتَبة. راجع: تاريخ دمشق (١٧/ ٩٨).

وَطُرُقِهِمْ، وَظِلالِهِمْ، وَعَدَد مَا عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ، وَعَدَد مَا قَهَرَهُ مُلْكُهُ، وَوَسِعَهُ حِفْظُهُ، وَأَحَاطَتْ بِهِ قُدْرَتُهُ، وَأَحْصَاهُ عِلْمُهُ. وَالْحَمْدُ للهِ عَدَد مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيَاحُ، وَتَحْمِلُهُ السَّحَابُ، وَعَدَد مَا يَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَتَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ. وَالْحَمْدُ للهِ عَدَد كُلِّ شَيْءٍ أَدْرَكَهُ بَصَرُهُ، وَنَفَذَ فِيهِ عِلْمُهُ. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَدْعُوهُ فَيُجِيبُنِي، وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَسْتَعْفِيهِ فَيُعَافِينِي. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي حَلُمَ فِي الذُّنُوبِ عَنْ عُقُوبَتِي حَتَّى كَأَنَّ لا ذَنْبَ لِي، وَلَوْ يُؤَاخِذُنِي لَمْ يَظْلِمْنِي سَيِّدِي. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَرْجُوهُ أَيَّامَ حَيَاتِي، وَهُوَ ذُخْرِي فِي آخِرَتِي، وَلَوْ رَجَوْتُ غَيْرَهُ لانْقَطَعَ رَجَائِي. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي تُمْسِي أَبْوَابُ الْمُلُوكِ مُغْلَقَةً دُونِي، وَبَابُهُ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مَا شِئْتُ مِنْ حَاجَتِي، بِغَيْرِ شَفِيعٍ فَيَقْضِيهَا لِي. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَخْلُو بِهِ فِي حَاجَتِي، وَأَضَعُ عِنْدَهُ سِرِّي فِي أَيِّ سَاعَةٍ شِئْتُ. وَالْحَمْدُ للهِ الَّذِي يَتَحَبَّبُ إِلَيَّ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنِّي»(١).

٦١- «سُبْحَانَ مُسْتَخْرِجِ الشُّكْرِ بِالعَطَاءِ، وَمُسْتَخْرِجِ الدُّعَاءَ بِالبَلاءِ»(٢).

---

(١) ذكره الدينوري، وابن عساكر، عن وهب بن منبِّه. راجع: المجالسة وجواهر العِلم (٤/ ٣٨٤)، تاريخ دمشق (١٧/ ١٠٥).

(٢) ذكره ابنُ أبي الدنيا، والأصبهانيُّ، والبيهقي، وابن القيم، وابن عساكر، عن سَعِيد بْن عَبْدِ الْعَزِيز التَّنُوخِيّ. (راجع: الفرج بعد الشدة. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص٤١، خرجه وعلق عليه: عبيد الله بن عالية، دار الريان للتراث، مصر، ط الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، (حلية الأولياء: ٦/ ١٢٤)، (شُعب الإيمان: فصل في تعديد نعم الله وما يجب من شكرها (٦/ ٢٥٢)، فصل في ذكر ما في الأوجاع والأمراض والمصيبات من الكفارات،١٢/ ٣٦٩)، (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، لابن قيم الجوزية، ص١٢٥، =

٦٢ - «سُبْحَانَكَ، تعاليتَ فَوقَ عرشك، وَجعلتَ خشيتَك على مَن فِي السَّمَوَات وَالْأَرْض، فَأَقْرَبُ خَلقك إِلَيْك أَشَدُّهم لَك خشيَةً، وَمَا عِلْمُ مَن لم يخشَكَ[١]؟! وَمَا حِكْمَةُ مَن لم يُطِعْ أَمرَك؟!»[٢].

٦٣ - «سبحانك إلهي، إذا ذكرتُ خطيئتي ضَاقَتْ عَليّ الأرضُ بِرَحبِهَا، وإذا ذَكَرْتُ رحمتَك ارتدَّت إليَّ رُوحي. إِلَهي، أَتَيْتُ أَطِبَّاءَ عِبَادِكَ؛ لِيداووا لي خَطيئتي، فكلُّهم عَلَيْكَ يَدُلُّنِي»[٣].

=

دار ابن كثير، دمشق، بيروت/ مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م)، (تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٧/ ٩٨)، وأخرجه أحمد، عَنْ شُعْبَةَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ. راجع: (الزهد: ص٦٦)، وذكره السيوطي في (الدر المنثور: ٧/ ١٧٠)، وقال: أخرجه عبد الله فِي زوائده، عَن سعيد بن جُبَير.

(١) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾[فاطر: ٢٨].

(٢) أخرجه ابْن أَبي شيبَة، عَن الْعَبَّاس الْعمي. راجع: مصنف ابن أبي شيبة، كتاب الدعاء، دعاء داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٦/ ٤٩، ٧/ ٦٧، وأخرجه الدارمي، في سننه: بَابٌ فِي فَضْلِ الْعِلْمِ وَالْعَالِم، ١/ ٣٥٩، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، السعودية، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م، وقال محققه: «عَبَّاس الْعَمِّيّ، مجهول، وباقي رجاله ثقات». وأخرجه الأصبهاني، في (حلية الأولياء: ١٠/ ٢٥٩) بلفظ: قَالَ دَاودُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: «إِلَهِي مَا عَلِمَ مَنْ لَمْ يَخْشَكَ؟!».

(٣) ذكره الدينوري، عن عثمان بن أبي العاتكة. راجع: المجالسة وجواهر العلم (٢/ ١٦٦)، إحياء علوم الدين (٤/ ١٨٢)، تاريخ دمشق (١٧/ ١٠٦)، ونوادر الأصول في أحاديث الرسول (٢/ ١٨٣).

٦٤- «اللَّهُمَّ، لَا تَجْعَلْ لِي أَهْلَ سُوءٍ، فَأَكُونَ رَجُلَ سُوءٍ»(١).

٦٥- «اللَّهُمَّ، لَا تُفقرني فَأَنْسَى، وَلَا تُغنِنِي فَأَطْغَى»(٢).

٦٦- «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِينِي، وَهَوًى يُرْدِينِي، وَفَقْرٍ يُنْسِينِي، وَغِنًى يُطْغِينِي»(٣).

---

(١) ذكره ابن المبارك، عن عُبَيْدَ بْنَ عُمَيْر. (راجع: الزهد والرقائق. عبد الله بن المبارك، ص١٢٣، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت)، وأخرجه أحمد، عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِي مُلَيْكَة. (راجع: الزهد، ص٦١).
قلت: ونظيره قول النبي ﷺ: «المرءُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». سنن الترمذي (٤/ ١٦٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب».

(٢) أخرجه أحمد، عن عُمَر بْن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ دَرِيَّهْ. (راجع: الزهد، ص٦١)، وذكره ابن عساكر، بلفظ «اللهم لا تُكثِر عليَّ فأطغى، ولا تُقِل لي فأنسَى؛ فإنَّ ما قَلَّ وكَفَى خيرٌ مما كَثُر وَأَلْهَى». راجع: تاريخ دمشق، ١٧/ ١٠٥.
قلتُ: ونظيره قول الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ٧﴾ [العلق: ٦، ٧].

(٣) أخرجه ابْنُ أبي شيبَة، والسيوطي، عَن ابْنِ بُرَيْدَة. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الدعاء، دُعَاءُ دَاوُدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٦/ ٤٩، الدر المنثور (٧/ ١٧٣).
ونظيره ما رواه أَنَس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا صَلَّى بِأَصْحَابِهِ، أَقْبَلَ عَلَى الْقَوْمِ، فَقَالَ: «اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَمَلٍ يُخْزِينِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غِنًى يُطْغِينِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ صَاحِبٍ يُرْدِينِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَمَلٍ يُلْهِينِي، اللهمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فَقْرٍ يُنْسِينِي». الدعاء للطبراني، ص٢٠٩، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٣هـ، (مجمع الزوائد: ١٠/ ١١٠)، وقال: «رَوَاهُ الْبَزَّارُ، وَفِيهِ بَكْرُ بْنُ خُنَيْسٍ، وَهُوَ مَتْرُوكٌ، وَقَدْ وُثِّقَ، وَرَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ عُقْبَةُ بْنُ عَبْدِ الله الْأَصَمُّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ جِدّاً».

٦٧- «اللَّهُمَّ، لَا مَرَضٌ يُضنيني، وَلَا صِحَةٌ تُنسيني، وَلَكِن بَين ذَلِك»[1].

٦٨- «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي، وَمِنَ المَاءِ البَارِدِ»[2].

٦٩- «اللَّهُمَّ، أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي جَعَلْتَهُ لِي عِصْمَةً، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي جَعَلْتَ فِيهَا مَعَاشِي، اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَأَعُوذُ بِعَفْوِكَ مِنْ نِقْمَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ[3]»[4].

---

(١) أخرجه ابْنُ أبي شيبَة، وأحمدُ، والسيوطي، عَن الْحسن رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، كَلَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ، ٧/ ٦٩، الزهد لأحمد (ص٧٤)، الدر المنثور (٧/ ١٧٤).

(٢) سنن الترمذي: أبواب الدعوات (٥/ ٥٢٢)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ».
وقال الألباني: ضعيف، إلا قوله في داود: «كان أعبدَ البشر». راجع: ضعيف سنن الترمذي، للألباني، ص٤٥٣، أشرف على طباعته: زهير الشاويش، ط الأولى، ١٤١١هـ.

(٣) مَعْنَاهُ: لَا يَنْفَعُ ذَا الْغِنَى وَالْحَظِّ مِنْكَ غِنَاهُ. شرح النووي على مسلم. للنووي (٥/ ٩٠)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٤) أخرجه ابنُ خزيمة، عن وهب بن منبِّه. راجع: صحيح ابن خزيمة: بَابُ جَامِعِ الدُّعَاءِ بَعْدَ السَّلَامِ فِي دُبُرِ الصَّلَاة، (١/ ٣٨٩). وقَالَ الراوي: «وَحَدَّثَنِي كَعْبٌ أَنَّ صُهَيْبًا - صَاحِبَ النَّبِيِّ ﷺ حَدَّثَهُ أَنَّ مُحَمَّداً ﷺ كَانَ يَقُولُهُنَّ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صَلَاتِهِ». وأخرجه الطبراني في: (المعجم الكبير: ٨/ ٣٣)، (الدعاء: ص٢٠٧)، وأخرجه الأصبهاني في (حلية الأولياء: ٦/ ٤٦)، وقال: «وَهَذَا الْحَدِيثُ - أَيْضًا - مِنْ جِيَادِ الْأَحَادِيثِ، تَفَرَّدَ بِهِ مُوسَى عَنْ عَطَاءٍ».

٧٠- «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِن الجَارِ السُّوْءِ»[١].

٧١- «اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مَالٍ يَكُونُ عَلَيَّ فِتْنَةً، وَمَنْ وَلَدٍ يَكُونُ عَلَيَّ وَبَالاً، وَمَنِ امْرَأَةِ السَّوْءِ؛ تُقَرِّبُ الشَّيْبَ قَبْلَ المَشِيب، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ جَارِ سَوْءٍ؛ تَرْعَانِي عَيْنَاهُ، وَتَسْمَعُنِي أُذْنَاهُ، إِنْ رَأَى حَسَنَةً دَفَنَهَا، وَإِنْ رَأَى سَيِّئَةً أَذَاعَهَا»[٢].

٧٢- «اللهم، نَامَتِ العُيونُ، وغَارَتِ النُّجومُ، وأنتَ الحَيُّ القَيُّومُ، الذي لا تأخذك سِنَةٌ ولا نومٌ»[٣].

٧٣- «إِلَهِي، لَوْ كَانَ أَنَّ لِكُلِّ شَعْرَةٍ مِنِّي لِسَانَيْنِ يُسَبِّحَانِكَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ، مَا قَضَيتُ نِعْمَةً مِنْ نِعْمَتِكَ عَلَيَّ»[٤].

---

(١) أخرجه ابنُ أبي شيبة، والسيوطي، عَنْ سَعِيدِ بْنِ أَبِي سَعِيدٍ. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الدعاء، دُعَاءُ دَاوُدَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ٦/ ٤٩، الدر المنثور (٧/ ١٧٣).

(٢) ذكره ابن السري، في (الزهد: ٢/ ٥٠٥) عن سعيد بن أبي سعيد. وأخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط:٦/ ١٩٨)، عَنِ ابْنِ عَبَّاس، وذكره الهيثمي في (مجمع الزوائد: ١٠/ ١٨٣)، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ».

(٣) ذكره السيوطي في (الدر المنثور: ٧/ ١٤٩) وعزاه إلى الإمام أحمد، عن سعيد بن أبي هلال. وذكره ابنُ حجر، بزيادةِ «فاغفر لي ذنبيَ العظيم»، وقال: «وفي إسناده ابن لَهيعة، وهو ضعيفٌ». راجع: المطَالبُ العَاليَةُ بِزَوَائِدِ المسَانيد الثّمَانِيَة، ١٣/ ٨٩٠، تحقيق: مجموعة من الباحثين، دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

(٤) أخرجه ابنُ أبي شيبة، وأحمد، عن الحسن. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الفضائل، مَا ذُكِرَ مِنْ أَمْرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَتَوَاضُعِهِ،٦/ ٣٤٢، الزهد لأحمد (ص٦٠)، وذكره ابنُ أبي الدنيا، في (الشُّكْر: ص١٣، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامي، الكويت، ط =

٧٤- «إلهـي، أن أَذُوقَ مَرارةَ الـدُّنيا بحـلاوةِ الآخـرة، أهـون عَلَـيَّ مـن أَن أذُوقَ مرارةَ الآخرةِ بحلاوةِ الدُّنيا»[١].

٧٥- «إِلَهِـي، كُـنْ لِسُـلَيْمَانَ كَمَـا كُنْـتَ لِـي». فَـأَوْحَى اللهُ إِلَيْـهِ أَنْ «قُـلْ لِسُلَيْمَانَ: يَكُونُ لِي كَمَا كُنْتَ لِي، أَكُونُ لَهُ كَمَا كنتُ لَكَ»[٢].

٧٦- «إلهي، مَن حِزْبُكَ، وَحَوْلَ عَرْشِـكَ؟!» فـأوحى الله إليـه: «يـا داودُ: الغَاضَّـةُ أبصـارُهم، النقيَّـةُ قلـوبُهم، السَّـليمةُ أَكُفُّهـم. أولئـك حِزْبِـي، وَحَـوْل عَرْشي»[٣].

٧٧- إِلَهِي، مَا حَقُّ عِبَادِكَ عَلَيْكَ إِذَا هُمْ زَارُوكَ فِي بَيْتِكَ، فَإِنَّ لِكُلِّ زَائِرٍ عَلَى المَـزُورِ حَقًّـا؟ قَـالَ: «يَـا دَاوُدُ، إِنَّ لَهُـمْ عَلِـيَّ أَنْ لَا أُعَـاقِبَهُمْ فِـي الـدُّنْيَا،

= الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م)، وابنُ عساكر في (تاريخ دمشق: ١٧/ ٩٨)، وابنُ القيم في (عدة الصابرين: ص١٢٦)، والسيوطي في (الدر المنثور: ٦/ ٦٨١).

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر: ١٧/ ١٠٦.

(٢) ذكره ابن أبي حاتم، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ سُفْيَانَ. راجع: (آداب الشافعي ومناقبه، ص٢٣٨، تحقيق: عبد الغني عبد الخالق، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٤هـ)، وذكره ابن عساكر في تاريخه (٢٢/ ٢٣٨) عن عمرو بن وهب. والنووي في (بستان العارفين: ص٤٥) عن الشافعي، عن فضيل، وذكره ابنُ كثير في تفسيره (٧/ ٧٣) بلفظ «رُوي عن بَعْضِ السَّلَفِ....».

(٣) ذكره القرطبيُّ، عن سَعِيد بْن أَبِي سَعِيدٍ الْجُرْجَانِيّ، عَنْ بَعْضِ مَشَايِخِهِ. راجع: تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٩).

وَأَغْفِرَ لَهُمْ إِذَا لَقِيتُهُمْ»[١].

٧٨- «إِلَهِي، مَا جَزَاءُ مَنْ عَزَّى الحَزِينَ المُصَابَ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أَكْسُوَهُ كِسَاءً مِنْ أَرْدِيَةِ الْإِيمَانِ؛ أَسْتُرُهُ بِهِ مِنَ النَّار.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَتَّبِعُ الجَنَائِزَ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ تُشَيِّعَهُ المَلَائِكَةُ يَوْمَ يَمُوتُ، وَأُصَلِّي عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يُشْبِعُ الْيَتِيمَ وَالْأَرْمَلَةَ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أُظِلَّهُ فِي ظِلِّي، يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ بَكَى مِنْ خَشْيَتِكَ، حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُ عَلَى

---

(١) أخرجه الطبراني، في (المعجم الأوسط: ٦/ ١٤٤) عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ مُرَّةَ، عَنِ الْوَضِينِ بْنِ عَطَاءٍ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ مَرْثَدٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عن رسول الله ﷺ، وقال: «لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنِ الْوَضِينِ إِلَّا الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ، تَفَرَّدَ بِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ الرَّقِّيُّ، وَلَا يُرْوَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَاد ا.هـ»، وذكره الأصبهاني في (حلية الأولياء: ٥/ ١٦٦)، وقال: «غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ الْوَضِينِ وَيَزِيدَ، لَمْ نَكْتُبْهُ إِلَّا مِنْ حَدِيثِ مُحَمَّدِ بْنِ حَمْزَةَ، عَنِ الْخَلِيل ا.هـ»، وذكره الهيثمي، في (مجمع الزوائد: باب فضل الحج والعمرة، ٣/ ٢٠٨)، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، فِي الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مُحَمَّدُ بْنُ حَمْزَةَ الرَّقِّيُّ، وَهُوَ ضَعِيف ا.هـ»، وقال الألباني: ضعيف. راجع: ضعيف الترغيب والترهيب (١/ ٣٤٩)، مكتبة المَعارف، الرياض، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

ونظيره: قول النبي ﷺ: «الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ الله، دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم». سنن ابن ماجه: كتاب المناسك، بَابُ فَضْلِ دُعَاءِ الْحَاجّ، (٢/ ٩٦٦)، وصححه الألباني. (راجع: سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ٤/ ٤٣٣).

وَجْهِهِ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أُحَرِّمَ وَجْهَهُ عَنْ لَفْحِ النَّارِ، وَأَنْ أُؤَمِّنَهُ يَوْمَ الْفَزَعِ[1].

٧٩- «يَا رَازِقَ النَّعَّابِ[2] فِي عُشِّهِ»[3].

---

(١) ذكره عبد الله بن المبارك، عن أبي الجلد. راجع: الزهد والرقائق (١/ ١٦٤)، وأحمدُ، عن الجعد. راجع: الزهد (ص٦٠)، وأخرج بعضه البيهقيّ في شُعب الإيمان: باب الصلاة على من مات من أهل القبلة، (١١/ ٤٦٣)، وعزاه السيوطي، في (الدر المنثور: ٧/ ١٧٣) إلى الإمام أحمد، في الزهد.

وأخرج الطبراني، في الأوسط، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ الله، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَفَرَ قَبْراً بَنَى الله لَهُ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْ غَسَّلَ مَيِّتاً خَرَجَ مِنَ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَمَنْ كَفَّنَ مَيِّتاً كَسَاهُ الله أَثْوَاباً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ عَزَّى حَزِيناً أَلْبَسَهُ الله التَّقْوَى وَصَلَّى عَلَى رُوحِهِ فِي الْأَرْوَاحِ، وَمَن عَزَّى مُصَاباً كَسَاهُ الله حُلَّتَيْنِ مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ لَا يَقُومُ لَهُمَا الدُّنْيَا، وَمَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةً حَتَّى يُقْضَى دَفْنُهَا، كُتِبَ لَهُ ثَلَاثَةُ قَرَارِيطَ، الْقِيرَاطُ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ جَبَلِ أُحُدٍ، وَمَنْ كَفَلَ يَتِيماً أَوْ أَرْمَلَةً أَظَلَّهُ الله فِي ظِلِّهِ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ». المعجم الأوسط: ٩/ ١١٧، وَفِي سَنَدِهِ الْخَلِيلُ بْنُ مُرَّةَ، وَقَدْ ضُعِّف. راجع: إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة (٨/ ١٨٥)، وضعَّفه الألباني. راجع: ضعيف الترغيب والترهيب (٢/ ٣٩٣).

(٢) النَّعَّاب: الغُراب؛ وذلك أَنَّ فَرْخَ الغُرابِ إِذا خَرَجَ مِنْ بَيْضِه يَكُونُ أَبيضَ كالشَّحْمة، فإِذا رآهُ الغُرابُ أَنكرَه وَتَرَكَهُ، وَلَمْ يَزُقَّه، فيسوقُ الله إِليه البَقَّ (الذباب)، فيَقَعُ عَلَيْهِ؛ لزُهُومة (نَتن) رِيحِهِ، فيَلْقُطُها، ويَعيشُ بِهَا إِلى أَن يَطْلُع ريشُه ويَسْوَدَّ، فيُعاوِدَه أَبوه وأُمُّه!». لسان العرب: ١/ ٧٦٤.

(٣) ذكره الدينوري، عَنِ الْأَحْوَصِ بْنِ حَكِيم. راجع: المجالسة وجواهر العلم (٤/ ١٩٩). وذكره الأصبهانيُّ، وابن عساكر، عَنْ مَكْحُول. راجع: حلية الأولياء (٥/ ١٨٣)، تاريخ دمشق (١٧/ ١٠٧). وجاء - مُجرّدا من الرَّاوي - في الكتب الآتية: القناعة والتعفف. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص٦٥، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، الحجة في بيان المحجة =

٨٠- «إِلَيْكَ رَفَعْتُ رَأْسِي يَا عَامِرَ السَّمَاءِ، نَظَرَ الْعَبِيد إِلَى أَرْبَابِهَا يَا سَاكِنَ السَّمَاء»[1].

٨١- «يا ربِّ، دُلَّني عَلَى عملٍ يُدخلني الجنةَ. قال: آثِر هَوَاي عَلَى هواك»[2].

٨٢- «رَبِّ، أَيُّ عِبَادِكَ أَبْغَضُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: عَبْدٌ اسْتَخَارَنِي فِي أَمْرٍ فَخِرْتُ لَهُ، فَلَمْ يَرْضَ بِهِ»[3].

٨٣- «ربِّ، أخبرني ما أَدْنَى نعمتِك عَلَيّ؟ فأوحى اللهُ - تعالى - إليه: «يا داودُ، تَنَفَّس. فَتَنَفَّسَ، فقال - تبارك وتعالى -: هَذا أَدْنَى نِعْمَتِي عليك»[4].

=

وشرح عقيدة أهل السنة. إسماعيل بن محمد الأصبهاني، قوام السُّنة، ١/ ١٤٨، تحقيق: محمد بن ربيع المدخلي، دار الراية، الرياض، السعودية، ط الثانية، ١٤١٩هـ.

(١) ذكره ابن الجعد، عن ثابت البناني (راجع: مسند ابن الجعد. علي بن الجعد، ص٢١٠، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة نادر، بيروت، ط الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م. وأخرجه أحمدُ، في (الزهد: ص٧٤)، والأصبهاني، في (حلية الأولياء: ٢/ ٣٢٧)، وابن أبي الدنيا في (الرقة والبكاء: ص٢٥٨) تحقيق: محمد خير رمضان، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م)، وابن عساكر، في (تاريخ دمشق: ١٧/ ٩٣).

(٢) ذكره الختلي، والدينوري، عَنْ صَالِحٍ الْمُرِّيّ. راجع: المحبة لله، للختلي (ص٥٤)، المجالسة وجواهر العلم (٤/ ٥٠٧).

(٣) ذكره ابن أبي الدنيا، عن وَهْب بْن مُنَبِّه. راجع: الرضا عن الله بقضائه، ص٩٢.

(٤) أخرجه البيهقي، وابْنُ أبي الدُّنْيَا، عَن أبي أَيُّوب الْقرشِي مولى بني هَاشم. راجع: شعب الإيمان، تعديد نِعم الله - عز وجل - وما يجب من شُكرها، (٦/ ٣٤٤)، الشكر، لابن =

٨٤- «يا ربّ، أمرتني أن أُطهِّرَ بدني بالصَّومِ والصَّلاةِ، فَبِمَ أُطهِّرُ قلبي؟! قال: بالهموم والغموم، يا داود»[(١)].

٨٥- «يَا رَبِّ، أَيُّ سَاعَةٍ أَقُومُ لَكَ؟» فَأَوْحَى اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - إِلَيْهِ «لا تَقُمْ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَلا آخِرَهُ، وَلَكِنْ قُمْ فِي وَسَطِ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَخْلُوَ بِي وَأَخْلُوَ بِكَ، وَارْفَعْ إِلَيَّ حَوَائِجَكَ»[(٢)].

٨٦- «أَيْ رَبِّ، أَيْنَ أَلْقَاكَ؟» قَالَ: «تَلْقَانِي عِنْدَ الْمُنْكَسِرَةِ قُلُوبُهُمْ»[(٣)].

٨٧- «أَيْ رَبِّ، كَيْفَ لِي أَنْ أَشْكُرَكَ، وَأَنَا لَا أَصِلُ إِلَى شُكْرِكَ إِلَّا بِنِعْمَتِكَ؟! فَأَتَاهُ الْوَحْيُ أَنْ «يَا دَاوُدُ، أَلَيْسَ تَعَلَمُ أَنَّ الَّذِي بِكَ مِنَ النَّعَمِ مِنِّي؟

=

أبي الدنيا (ص٥١)، وراجع أيضًا: روح المعاني (٧/ ٢١٥)، الدر المنثور (٥/ ٤٤)، فتح القدير (٣/ ١٣٤)، فيض القدير (٥/ ٣١٨).

(١) رياضة النفس. محمد بن علي، الحكيم الترمذي، ص٥٧، قدم له وعلق عليه: إبراهيم شمس الدين. دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ط الثانية ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥ م، فيض القدير (٢/ ٢٩٥)، روح البيان (٥/ ٢١٧).

(٢) إحياء علوم الدين (١/ ٣٤٦)، التبصرة (٢/ ٢٩٦)، لطائف المعارف، لابن رجب الحنبلي، ص٤٤، دار ابن حزم للطباعة والنشر، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.

(٣) ذكره ابنُ أبي الدنيا، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ شَوْذَب. راجع: الهمّ والحزن. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، ص٥٦، تحقيق: مجدي فتحي السيد، دار السلام، القاهرة، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩١م. والبيهقي، عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ بْنِ رَشِيد. راجع: كتاب الزهد الكبير، ص١٦٢، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٦م.

قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَإِنِّي أَرْضَى بِذَلِكَ مِنْكَ شُكْراً»(١).

٨٨- «يَا رب، طَال عمري، وَكَبُرَ سِنِّي، وَضَعُفَ رُكْنِي»، فَأوحى اللهُ إِلَيْهِ: «يَا دَاوُد، طُوبَى لِمَنْ طَال عُمْرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ»(٢).

٨٩- «إنْ كُنْتَ لا بُدَّ تسأل عِبادِي، فَسَلْ مَعَادِنَ الخير؛ ترجِعُ مَغْبُوطًا مَسْرُوراً، ولا تَسأل مَعَادِنَ الشَّرِّ؛ فتَرْجع مَلُومًا مَحْسوراً»(٣).

٩٠- أَوْحَى اللهُ - تَعَالَى - إِلَى دَاوُدَ: «أَلَا تَرَى إِلَى المُنَافِقِ، كَيْفَ يُخَادِعُنِي وَأَنَا أَخْدَعُهُ، يُسَبِّحُنِي بِطَرْفِ لِسَانِهِ، وَقَلْبُهُ بَعِيدٌ مِنِّي. يَا دَاوُدُ، قُلْ لِلْمَلَأِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا يَدْعُونِي وَالْخَطَايَا بَيْنَ أَضْبَانِهِمْ(٤)، لِيُلْقُوهَا، ثُمَّ

---

(١) عَنْ أَبِي الْجَلْد. راجع: الشكر لابن أبي الدنيا (ص ٧)، حلية الأولياء (٦/ ٥٦)، شعب الإيمان، تعديد نعم الله وما يجب من شكرها (٦/ ٢٣٩)، تاريخ دمشق لابن عساكر (١٧/ ٩٧)، البداية والنهاية (٢/ ١٨).

(٢) أخرجه ابْنُ أبي شيبَة، عَن مُجَاهِد. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، كلام داود (٧/ ٧٠)، وراجع أيضًا: الزهد لهناد بن السري (٢/ ٤٠٢)، الدر المنثور (٧/ ١٧٤).
ونظيره: أَنَّ أَعْرَابِيًّا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ خَيْرُ النَّاسِ؟ قَالَ: «مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ». سنن الترمذي: بَابُ مَا جَاءَ فِي طُولِ العُمْرِ لِلْمُؤْمِنِ (٤/ ٥٦٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْه. وصححه الألباني. راجع: صحيح الجامع الصغير وزيادته، ١/ ٦٢٤.

(٣) عن طلق بن حبيب. راجع: فيض القدير (٣/ ٣٥).
* والنصُّ الذي يشبه ذلك في ترجمة المزامير: «لا تَتَّكِلُوا على العظماءِ، ولا على ابنِ آدم الذي لا خلاصَ عنده». مزمور ١٤٦: ٣.

(٤) الضِّبْنُ: الجَنْبُ والنَّاحِيَةُ. وَالجَمْعُ أَضْبَان. والمعنى: يَحْمِلون الأَوزار عَلَى جُنُوبِهِم. =

يَدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَهُمْ»[١].

٩١- «كُنَّ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ[٢]، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ[٣]، مَا أَقْبَحَ الْفَقْرَ بَعْدَ الْغِنَى، وأَقْبَحُ مِنْ ذَلِكَ الضَّلَالَةُ بَعْدَ الْهُدَى، وَعَدْتَ صَاحِبَكَ فَأَنْجِزْ لَهُ مَا وَعَدْتَهُ، فَإِنْ لَا تَفْعَلْ يُورِثُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ، وَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْ صَاحِبٍ إِنْ ذَكَرْتَ لَمْ يُعِنْكَ، وَإِنْ نَسِيتَ لَمْ يُذَكِّرْكَ»[٤].

٩٢- أَن دَاوُد عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِابْنِهِ سُلَيْمَان: «أَيُّ شَيْءٍ أَبْرَدُ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَحْلَى؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَقْرَبُ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَبْعَدُ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَقَلُّ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ؟ وَأَيُّ شَيْءٍ آنَسُ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَوْحَشُ؟» قَالَ: «أَحْلَى شَيْءٍ رَوْحُ الله بَيْنَ عِبَادِهِ،

=

لسان العرب: ١٣/ ٢٥٣.

(١) ذكره الأصبهاني في (حلية الأولياء: ٣/ ١٢٨) عن شُمَيْطِ بْنِ عَجْلَان.

(٢) قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

(٣) قَالَ ﷺ: «الْبِرُّ لَا يَبْلَى، وَالْإِثْمُ لَا يُنْسَى، وَالدَّيَّانُ لَا يَمُوتُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ كَمَا تَدِينُ تُدَانُ». جامع معمر بن راشد (١١/ ١٧٨)، وضعفه الألباني. راجع: ضعيف الجامع الصغير وزيادته. للألباني، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ص٣٥٠.

(٤) أخرجه البخاريُّ في (الأدب المفرد: ص٦١) عن عَبْد الرَّحْمَنِ بْن أَبْزَى. والبيهقي، في (شعب الإيمان: ١٣/ ٣٩٣)، والهيثمي في (مجمع الزوائد: ٤/ ٢٧٤) بلفظ: «كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالْأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ، وَمَثَلُ الْمَرْأَةِ الصَّالِحَةِ لِبَعْلِهَا كَالْمَلِكِ الْمُتَوَّجِ بِالْمُخَوَّصِ بِالذَّهَبِ، كُلَّمَا رَآهَا قَرَّتْ بِهَا عَيْنَاه، وَمَثَلُ الْمَرْأَةِ السُّوءِ لِبَعْلِهَا كَالْحِمْلِ الثَّقِيلِ عَلَى الشَّيْخِ الْكَبِيرِ»، وقال: «رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ». وقال الألباني: صحيح الإسناد. راجع: (صحيح الأدب المفرد: ص٧٥).

وَأَبْرَدُ شَيْءٍ عَفْوُ الله - عَزَّ وَجَلَّ - عَنْ عِبَادِهِ، وَعَفْوُ الْعِبَادِ بَعْضِهِمْ عَنْ بَعْضٍ، وَآنَسُ شَيْءٍ الرُّوحُ تَكُونُ فِي الْجَسَدِ، وَأَوْحَشُ شَيْءٍ الْجَسَدُ تُنْزَعُ مِنْهُ الرُّوحُ، وَأَقَلُّ شَيْءٍ الْيَقِينُ، وَأَكْثَرُ شَيْءٍ الشَّكُّ، وَأَقْرَبُ شَيْءٍ الْآخِرَةُ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَبْعَدُ شَيْءٍ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ»(١).

٩٣- «أَوْصَانِي رَبِّي - عَزَّ وَجَلَّ - بِتِسْعِ خِصَالٍ: أَوْصَانِي بِخَشْيَتِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْعَدْلِ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضا، وَالِاقْتِصَادِ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَأَوْصَانِي أَنْ أَصِلَ مَنْ قَطَعَنِي، وَأَنْ أُعْطِيَ مَنْ حَرَمَنِي، وَأَعْفُوَ عَمَّنْ ظَلَمَنِي، وَأَنْ يَكُونَ نَظَرِي عِبَراً، وَصَمْتِي تَفَكُّراً، وَقُولِي ذِكْراً»(٢).

٩٤- «إِنِّي لأَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِ بِالْمُنَافِقِ، ثُمَّ أَنْتَقِمُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ جَمِيعاً»(٣).

٩٥- «يَا دُنْيَا، مَنْ خَدَمَكِ فَاسْتَخْدِمِيهِ، وَمَنْ خَدَمَنِي فَاخْدِمِيهِ»(٤).

٩٦- «الْعَدْلُ مِيزَانُ الْبَارِي؛ فَلِذَلِكَ هُوَ مُبَرَّأٌ مِن كُلِّ زَلَلٍ وَمَيْلٍ»(٥).

---

(١) أخرجه أحمد، عن بَكْر بْن عَبْدِ الله. راجع: الزهد لأحمد بن حنبل (ص ٣٦)، كما أخرج بعضَه البُرْجُلاني، عن الحسن. راجع: الكرم والجود وسخاء النفوس. محمد بن الحسين البُرْجُلاني، ص٤٠، تحقيق: د/ عامر صبري، دار ابن حزم، بيروت، ط الثانية،١٤١٢هـ.

(٢) ذكره ابن أبي الدنيا، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ ذَكْوَان. راجع: إصلاح المال. لابن أبي الدنيا، ص٩٩، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ١٤١٤هـ.

(٣) حلية الأولياء (٢/ ٣٧٦)، تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٧). قلتُ: ونظيره قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأنعام: ١٢٩].

(٤) مفاتيح الغيب: ٣٢/ ٢٤٥.

(٥) تهذيب الرياسة وترتيب السياسة. محمد بن علي القَلْعي، ص١٨٩، تحقيق: إبراهيم =

٩٧- «العَافِيَةُ المُلْكُ الخَفِيّ»[١].

٩٨- «لا يُحَدَّثُ بِالْحَدِيثِ فِي الْيَوْمِ إِلّا مَرَّةً»[٢].

٩٩- «نِعْمَ الْعَوْنُ الْيَسَارُ عَلَى الدِّينِ، أَوِ الْغِنَى»[٣].

=

يوسف عجو، مكتبة المنار، الأردن الزرقاء، ط الأولى.

(١) ذكره ابنُ أبي الدنيا عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ. راجع: (الشكر: ص٤٣)، الإشراف في منازل الأشراف. لابن أبي الدنيا، ص٣٣٠، تحقيق: د/ نجم عبد الرحمن خلف، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م. وذكره ابن رجب، عن وهبِ بنِ مُنبِّهٍ. راجع: روائع التفسير (الجامع لتفسير الإمام ابن رجب الحنبلي) لا بن رجب الحنبلي، ٢/ ٥٨٩، جمع وترتيب: طارق بن عوض الله، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط الأولى ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م. وذكره أبو نعيم الأصبهاني، عن عبد الرحمن بن عبد القارئ، بلفظ «العافية مُلْكٌ خفي، وَغَمٌّ ساعَةٍ هرم سَنَةٍ». راجع: الطب النبوي، ١/ ٣١٧، تحقيق: مصطفى خضر دونمز التركي، دار ابن حزم، ط الأولى، ٢٠٠٦م.

قلت: ونظيره قول النبي ﷺ: «اسْأَلُوا الله العَفْوَ وَالعَافِيَةَ؛ فَإِنَّ أَحَداً لَمْ يُعْطَ بَعْدَ اليَقِينِ خَيْراً مِنَ العَافِيَةِ». سنن الترمذي: ٥/ ٥٥٧، وقال: «حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب»، وصحَّحه الألباني. راجع: صحيح الجامع الصغير وزيادته: ١/ ٦٧٩.

(٢) ذكره الرامهرمزيّ، عن الْحَسَن الْجَفْرِي. راجع: (المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للرامهرمزي، ص٥٦٨، تحقيق: د/ محمد عجاج الخطيب، دار الفكر، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٤هـ)، وذكره الخطيب البغدادي، عَنْ قَتَادَة.(راجع: الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع. أحمد بن علي، الخطيب البغدادي، بَابُ إِصْلاحِ الْمُحَدِّثِ هَيْئَتَهُ وَأَخْذِهِ كَرَاهَةُ تَكْرِيرِ الْحَدِيثِ وَإِعَادَتِهِ، ٢/ ٦، تحقيق: د/ محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض).

(٣) أخرجه ابْنُ أبي شيبَة، عَن ابْن أَبْزي. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الزهد، كلام داود عَلَيْهِ السَّلَامُ، (٧/ ٦٩)، وذكره ابن أبي الدنيا، في (إصلاح المال: ص٤٠)، والسيوطي في =

١٠٠- «يَا زَارِعَ السَّيِّئَاتِ، أَنْتَ تَحْصُدُ شَوكَهَا وَحَسَكَها[١]»[٢].

١٠١- «رَأْسُ الحِكْمَةِ خَشْيَةُ اللهِ تَعَالَى»[٣].

١٠٢- «يا داود، مَنْ عَصَانِي فَقَدْ مَاتَ»[٤].

١٠٣- «كَذِبَ مَن ادّعى مَحَبَّتِي، وَإِذَا جَنَّهُ الليلُ نَامَ عَنِّي»[٥].

١٠٤- «إلهي، رأيتَ هُمومي وأنتَ مِن فوق العُلَا»[٦].

=

الدر المنثور (٧/ ١٧٤).

(١) الحَسَكُ: نَبَاتٌ لَهُ ثَمَرَةٌ خَشِنَةٌ تَعْلَقُ بأَصواف الْغَنَمِ، وَكُلُّ ثَمَرَةٍ تُشْبِهُهَا نَحْوُ ثَمَرَةِ القُطْب والسَّعْدَان والهَرَاسِ وَمَا أَشبهه حَسَك، وَاحِدَتُهُ حَسَكة. لسان العرب: ١٠/ ٤١١.

(٢) ذكره المناوي في (التيسير بشرح الجامع الصغير: ٢/ ١٩٢) عن ابن عساكر، عن أبي الدرداء. وذكره ابن كثير، في (البداية والنهاية: ٢/ ١٩)، وقال: «وَرَوَى بِسَنَدٍ غَرِيبٍ مَرْفُوعًا»، وقال الألباني: ضعيف. راجع: سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (٩/ ٤٥).

(٣) أخرجه ابنُ أبي شيبة، وأحمدُ، عن خالد الربعيّ. راجع: مصنف ابن أبي شيبة: كلام داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، ٧/ ٦٨، الزهد، لأحمد بن حنبل (ص٧٣)، الزهد. هَنَّاد بن السَّرِي (١/ ٢٦٤)، الدر المنثور (٥/ ٣٠٤)، إحياء علوم الدين (٣/ ٣٨٩).

* والنص كما في ترجمة المزامير: «رَأْسُ الحكمةِ مَخَافَةُ الرَّبّ». مزمور١١١: ١٠.

(٤) فيض القدير: ٥/ ٥٢.

(٥) لطائف الإشارات (٢/ ٧١)، إحياء علوم الدين (٤/ ٣٣٣)

(٦) ذكره الأصبهاني، وابن عساكر، عن مالك بن دينار. راجع: حلية الأولياء (٢/ ٣٦٨)، تاريخ دمشق (٥٦/ ٤٠٢)، وراجع أيضًا: صفة الصفوة. لابن الجوزي، ٣/ ٢٨٤، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢١هـ.

١٠٥ - «مَنْ كَثُرَ عَدُوُّهُ فَلْيَتَوَقَّع الصُّـرَعَةَ[(١)]»[(٢)].

١٠٦ - «مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ»[(٣)].

١٠٧ - «بِكِبْرِيَاءِ المُنَافِقِ يَحْتَرِقُ الْمِسْكِينُ»[(٤)].

١٠٨ - «وَيْلٌ لِلظَّلَمَةِ»[(٥)].

١٠٩ - «مَن اعتزلَ سَلِم»[(٦)].

---

(١) الصُّرَعة (بفتح الراء): هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ يَصْرَعون. لسان العرب: ٨/ ١٩٧.

(٢) تهذيب الرياسة (١/ ٢٢٥)، الآداب الشرعية والمنح المرعية. محمد بن مفلح المقدسي، ١/ ٨٤، عالم الكتب.

(٣) ذكره ابن عبد ربه، والدينوري، عن الأصمعي. راجع: العقد الفريد (٢/ ٣٥٣)، المجالسة وجواهر العلم (١/ ٢٢١). ونظيره قول الْحَجَّاج التَّيْمِيّ:

إذا كانت السَّبعونَ سِنّك لم يكن لِدَائكَ إلَّا أن تمـوتَ طبيب

وَإنَّ امرءاً قد سار سبعين حَجَّةً إلى مَنْهَـلٍ من ورده لقـريبُ

راجع: البيان والتبيين، ٣/ ١٣٣، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣هـ.

(٤) حلية الأولياء (٢/ ٣٧٦)، صفة النفاق ونعت المنافقين. أحمد بن عبد الله الأصبهاني، ص١٥١، تحقيق: د/ عامر حسن صبري، البشائر الإسلامية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢هـ، وراجع أيضـًا: سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٢)، الدر المنثور (٥/ ٣٠٤).

* والنص كما في ترجمة الزبور «الشريرُ في كبريائه يُلاحِقُ البائسَ، فَلْيُؤْخَذ بالمكايد التي دبَّرهـا». مزمور١٠: ٢.

(٥) ذكره الدينوري، عن سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَة. (راجع: المجالسة وجواهر العلم: ٢/ ٢٨٩).

(٦) ذكره السيوطي عن الفَتْحِ بنِ شَخْرَف. راجع: المحاضرات والمحاورات. عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، ص٢٨٤، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ١٤٢٤هـ.

١١٠- «يَا دَاوُدُ، اسْمَعْ مِنِّي -الْحَقَّ أَقُول- مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ يُحِبُّنِي أَدْخَلْتُهُ جَنَّتِي.

يَا دَاوُدُ، اسْمَعْ مِنِّي - وَالْحَقَّ أَقُولُ - مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ يَخَافُ عَذَابِي لَمْ أُعَذِّبْهُ.

يَا دَاوُدُ، اسْمَعْ مِنِّي - وَالْحَقَّ أَقُولُ - مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ مُسْتَحْيٍ مِنْ مَعَاصِيهِ أَنْسَيْتُ الْحَفَظَةَ ذُنُوبَهُ.

يَا دَاوُدُ، اسْمَعْ مِنِّي - وَالْحَقَّ أَقُولُ - لَوْ أَنَّ عَبْداً مِنْ عِبَادِي عَمِلَ حَشْوَ الدُّنْيَا ذُنُوباً - مَغَارِبَهَا وَمَشَارِقَهَا - ثُمَّ نَدِمَ حَلْبَ شَاةٍ، وَاسْتَغْفَرَنِي مَرَّةً وَاحِدَةً، وَعَلِمْتُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ لا يَعُودَ إِلَيْهَا، أَلْقَيْتُهَا عَنْهُ أَسْرَعَ مِنْ هُبُوطِ الماءِ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ[1].

يَا دَاوُدُ، اسْمَعْ مِنِّي - وَالْحَقَّ أَقُولُ - لَوْ أَنَّ عَبْداً أَتَانِي بِحَسَنَةٍ وَاحِدَةٍ، حَكَّمْتُهُ فِي جَنَّتِي.

قَالَ دَاوُدُ: مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ لا يَحِلُّ لِمَنْ عَرَفَكَ أَنْ يَقْطَعَ رَجَاءَهُ مِنْكَ.

قَالَ: يَا دَاوُدُ، إِنَّمَا يَكْفِي أَوْلِيَائِي الْيَسِيرُ مِنَ الْعَمَلِ، كَمَا يَكْفِي الطَّعَامَ الْقَلِيلُ مِنَ الْمِلْحِ.

---

(١) قال ﷺ: «قَالَ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - : يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَة».سنن الترمذي: ٥/ ٥٤٨، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

يَا دَاوُدُ، هَلْ تَدْرِي مَتَى أَتَوَلاهُمْ؟ إِذَا طَهَّرُوا قُلُوبَهُمْ مِنَ الشِّـرْكِ، وَنَزَعُوا مِنْ قُلُوبِهِمُ الشَّكَّ، وَعَلِمُوا أَنَّ لِيَ جَنَّةً وَنَاراً، وَأَنِّي أُحْيِي وَأُمِيتُ، وَأَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ، وَأَنِّي لَمْ أَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلا وَلَداً. فَإِنْ تَوَفَّيْتُهُمْ بِيَسِيرٍ مِنَ الْعَمَلِ - وَهُمْ يُوقِنُونَ بِذَلِكَ - جَعَلْتُهُ عَظِيماً عِنْدَهُمْ.

هَلْ تَدْرِي - يَا دَاوُدُ - مَنْ أَسْرَعُ مَرّاً عَلَى الصِّرَاطِ؟ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِي، وَأَلْسِنَتَهُمْ رَطْبَةٌ مِنْ ذِكْرِي.

هَلْ تَدْرِي - يَا دَاوُدُ - أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمُ مَنْزِلَةً عِنْدِي؟ الَّذِي هُوَ بِمَا أَعْطَى أَشَدُّ فَرَحاً بِمَا حَبَسَ.

هَلْ تَدْرِي - يَا دَاوُدُ - أَيُّ الْفُقَرَاءِ أَفْضَلُ؟ الَّذِينَ يَرْضَوْنَ بِحُكْمِي وَبِقِسْمَتِي، وَيَحْمَدُونَنِي عَلَى مَا أَنْعَمْتُ عَلَيْهِمْ مِنَ المَعَاشِ.

هَلْ تَدْرِي - يَا دَاوُدُ - أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أُطِيلَ حَيَاتَهُ؟ الَّذِي إِذَا قَالَ «لا إِلَهَ إِلا اللهُ» اقْشَعَرَّ جِلْدُهُ، فَإِنِّي أَكْرَهُ لَهُ الموْتَ كَمَا يَكْرَهُهُ الْوَالِدُ لِوَلَدِهِ، وَلا بُدَّ مِنْهُ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسُرَّهُ فِي دَارٍ سِوَى هَذِهِ الدَّارِ؛ فَإِنَّ نَعِيمَهَا فِيهَا بَلاءٌ، وَرَخَاءَهَا فِيهَا شِدَّةٌ، فِيهَا عَدُوٌّ لا يَأْلُوهُمْ بِهَا خَبَالاً، يَجْرِي مِنْهُمْ مَجْرَى الدَّمِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَجَّلْتُ أَوْلِيَائِي إِلَى الْجَنَّةِ. لَوْلا ذَلِكَ مَا مَاتَ آدَمُ، وَلا أَوْلادُهُ الْمؤْمِنِينَ حَتَّى يُنْفَخَ فِي الصُّورِ.

إِنِّي أَدْرِي مَا تَقُولُ فِي نَفْسِكَ يَا دَاوُدُ، تَقُولُ: «قَطَعْتَ عَنْهُمْ عِبَادَتَكَ»، أَمَا تَعْلَمُ يَا دَاوُدُ أَنِّي أُعِينُ الْمؤْمِنَ عَلَى عَثْرَةٍ يَعْثُرُهَا، فَكَيْفَ إِذَا ذَاقَ الْمَوْتَ وَهُوَ أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ، وَتَرَى جَسَدَهُ الطَّيِّبَ بَيْنَ أَطْبَاقِ الثَّرَى. إِنَّمَا أَحْبِسُهُ طُولَ مَا

أَحْبِسُهُ لأُعْظِمَ لَهُ الأَجْرَ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ أَحْسَنَ مَا كَانَ يَعْمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

قَالَ دَاوُدُ: لَكَ الْحَمْدُ إِلَهِي، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ سَمَّيْتَ نَفْسَكَ «أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يُعَزِّي الْحَزِينَ عَلَى الْمَصَائِبِ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أُلْبِسَهُ رِدَاءَ الإِيمَانِ، ثُمَّ لا أَنْزِعُهُ عَنْهُ أَبَداً.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يُشَيِّعُ الْجَنَائِزَ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ تُشَيِّعَهُ مَلائِكَتِي يَوْمَ يَمُوتُ، وَأُصَلِّيَ عَلَى رُوحِهِ فِي الأَرْوَاحِ.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مُسَاعِدِ الأَرْمَلَةِ وَالْيَتِيمِ؛ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أُظِلَّهُ فِي ظِلِّ عَرْشِي، يَوْمَ لا ظِلَّ إِلا ظِلِّي.

قَالَ: إِلَهِي، فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَبْكِي مِنْ خَشْيَتِكَ حَتَّى تَسِيلَ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْنَتَيْهِ؟ قَالَ: جَزَاؤُهُ أَنْ أُحَرِّمَ وَجْهَهُ عَلَى النَّارِ[1]»[2].

---

(١) قال ﷺ: «عَيْنَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله». سنن الترمذي: أبواب فضائل الجهاد، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الحَرَسِ فِي سَبِيلِ الله، (٤/ ١٧٥)، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيب.

(٢) ورد هذا النصُّ، عن وَهْبَ بْنَ مُنَبِّه - مُجزَّءاً ومُفرَّقـاً - في الكتب الآتية: المحبة لله، للخُتَّلِيّ (ص٢٠)، الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا (ص١٠٥)، نوادر الأصول في أحاديث الرسول (٤/ ١٤٩)، حلية الأولياء (٤/ ٤٥)، الترغيب والترهيب، لقوام السنة (٢/ ١٩٨)، البداية والنهاية (٩/ ٣٢٨)، الدر المنثور (٥/ ٣٠٤)، فيض القدير (٢/ ٣٠).

المطلب السادس

ترجمة (وهب بن مُنبِّه) للزبور

تُنسَبُ إلى «وهب بن مُنبِّهٍ» ترجمة للزَّبور.

يقول القرطبيُّ [ت: ٦٧١هـ] - في مَعْرِضِ حديثه عن بشارات الزبورِ بمحمَّدٍ ﷺ -: «وزبورُ وَهْب بن مُنَبِّه، **هذا الذي نَقَلْتُ منهُ**، أصَحُّ ما يوجَدُ من كتابِ الزَّبور؛ فإنَّه أوثقُ وأعلمُ مِن كُلِّ ترجمةٍ في سالفِ الدهور، ولكنَّ النصارى مع ذلك يُكذِّبُون»[(١)].

وهذا معناه أنَّ الزبورَ كان له أكثر من ترجمةٍ، وأنَّ هذه الترجمات كانت موجودةً ومتداوَلةً بين أيدي علماء المسلمين، وأنَّ أصحَّها ما يُسمَّى بـ«ترجمة وهب بن منبِّه».

ولا شك أنَّ تعدُّد الترجمات، وما بينها من اختلافٍ وتبايُنٍ، مَرَدُّه إلى التَّحريف المتعمَّد، الذي قام به أحبارُ اليهود؛ إرضاءً لأهوائهم[(٢)].

يقول د/ فؤاد سزكين[(٣)] - وهو يُعدِّدُ آثارَ وهب -: «كتابُ زبور داود»:

---

(١) الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام: ١/ ٢٦٨.

(٢) راجع تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥٣) لقوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٧٩].

(٣) ألماني الجنسية، وُلد في إستانبول، سنة ١٣٤٢هـ، وانتقل إلى ألمانيا سنة ١٣٧٩هـ، فأسس معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية سنة ١٤٠١هـ، وهو أول فائز بجائزة الملك فيصل العالمية في الدراسات الإسلامية؛ تقديراً لجهوده العلمية في تأليف كتابه الموسوعي =

«هو من ترجمةِ وهب بنِ مُنبِّه، قَرَأَهُ ابنُ خَيْر[١]، وقد يكون هو الكتابُ الذي وصل إلينا باسمِ كتاب المزامِير، ترجمة الزبور» ا.هـ[٢].

وإنِّي ذَاكِرٌ هُنَا نَصَّ مَا أورده «ابنُ خير الإشبيليّ [ت ٥٧٥هـ] عن كتاب الزبور، تَرْجَمَة وهب بن مُنَبّه، قال: «حَدَّثنِي بِهِ الشَّيْخُ الْفَقِيهُ المشاورُ أَبُو الْحسن يُونُسُ بن مُحَمَّد مغيث رَحِمَهُ ٱللَّهُ، مُنَاوَلَةً[٣] مِنْهُ لي، فِي أصلِ كِتَابه، قَالَ: حَدثنِي بِهِ جدِّي مغيثُ بن مُحَمَّد بن يُونُس، عَن جَدِّه القَاضِي أبي الْوَلِيد يُونُس بن عبد الله بن مغيث، عَن أبي مُحَمَّد عبد الله نصر، قِرَاءَةً مِنْهُ

=

«تاريخ التراث العربي» الذي أبرز فيه جهود العلماء المسلمين في مجالات الحضارة الإسلامية المختلفة. نقلا عن موقع: http://kfip.org

(١) هو أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ خَيْرِ بنِ عُمَرَ بنِ خَلِيْفَةَ اللَّمْتُوْنِيُّ، الإِشْبِيْلِيُّ، عَالِمُ الأَنْدَلُسِ (٥٠٢ – ٥٧٥هـ)، قَالَ الأَبَّار: كَانَ مُكْثِراً إِلَى الغَايَة، وَسَمِعَ مِنْ أَكْثَر مِنْ مائَة نَفْس، وَلاَ نَعلم أَحَداً مِنْ طَبَقَتِهِ مِثْله، تَصدّر بِإِشبيلِيَة لِلإِقْرَاءِ وَالإِسْمَاع، وَكَانَ مُقْرِئاً مُجَوِّداً، وَمُحَدِّثاً مُتْقِناً، أَديباً، لُغوياً، وَاسِع المَعْرِفَة، رِضاً، مَأْمُوْناً، وَلَمَّا مَاتَ، بِيْعَتْ كتبه بِأَغلَى ثمن لصحتهَا، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ نَظير فِي هَذَا الشَّأْن، مَعَ الحظّ الأَوفر مِنْ علم اللِّسَان. سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٨٥، ٨٦.

(٢) تاريخ التراث العربي. د/ فؤاد سزكين. مج١، ج٢ ص١٢٥، نقله إلى العربية: د/ محمود فهمي حجازي، وراجعه: د/ عرفة مصطفى، د/ سعيد عبد الرحيم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.

(٣) الْمُنَاوَلَة: هِيَ أَرْفَعُ ضُرُوبِ الْإِجَازَةِ وَأَعْلَاهَا، وَصِفَتُهَا: أَنْ يَدْفَعَ المحَدِّثُ إِلَى الطَّالِبِ أَصْلاً مِنْ أُصُولِ كُتُبِهِ، أَوْ فَرْعاً قَدْ كَتَبَهُ بِيَدِهِ، وَيَقُولُ لَهُ: هَذَا الْكِتَابُ سَمَاعِي مِنْ فُلَانٍ، وَأَنَا عَالِمٌ بِمَا فِيهِ، فَحَدِّثْ بِهِ عَنِّي. الكفاية في عِلم الرواية، للخطيب البغدادي، ص٣٢٦، تحقيق: أبو عبد الله السورقي، إبراهيم المدني، المكتبة العلمية، المدينة المنورة.

عَلَيْهِ، فِي سنة ٣٦٠، وحَدثني بِهِ عَن شُيُوخه رَحِمَهُمُ اللَّهُ، وحَدَّثني بِهِ - أَيْضًا - الْفَقِيه أَبُو الْحُسَيْن عبد الْملك بن مُحَمَّد بن هِشَام الشلبي رَحِمَهُ اللَّهُ - مُشَافَهَةً وإِذْنًا - عَن الشَّيْخ أبي الْقَاسِم خلف بن مُحَمَّد بن عبد الله بن صَوَاب اللَّخْمِيّ، عَن المقرئ أبي عبد الله الطرقي، عَن أبي الْوَلِيد بن الصفار الْقَاضِي، عَن عبد اللهِ بن نصر الزَّاهِد، عَن شُيُوخه رَحِمَهُمُ اللَّهُ»[1].

وإذا كان الأمر كذلك، فمَن هو «وهب بن مُنَبِّهٍ»؟ وما مبلغُ عِلمه بالزبور؟

أولا: ترجمة وَهْب بن مُنبِّه (٣٤ -١١٠هـ):

هو: أبو عبد الله، وَهْبُ بنُ مُنَبِّهِ بنِ كَامِلِ بنِ سِيَجِ بنِ ذِي كِبَارٍ. الذِّماري[2]، الصَّنعاني، اليماني. تابعيٌّ، ثِقَةٌ، أَصْلُهُ من أهل فارس، مِنْ خُرَاسَانَ، مِنْ هَرَاةَ، خَرَجَ أَيَّامَ كِسْرَى، ثُمَّ إِنَّهُ أَسْلَمَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ. وهو أخو معقل، وهمام، وغيلان. سمع عدَّةً من الصَّحابة، وحدَّث عن أخيه همَّام، و«كان مِمَّن قرأ الكُتبَ، ولزم العبادةَ، وواظب على العِلم، وتجرَّد للزَّهادة»، وُلِدَ فِي زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَثَلاَثِيْنَ، ومَاتَ بِصَنْعَاءَ سَنَةَ عَشْرٍ وَمِائَةٍ، فِي أَوَّلِ خِلافَةِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ المَلِكِ[3].

---

(١) فهرسة ابن خير الإشبيلي. محمد بن خير الأموي، ص٢٦٢، رقم ٦٨٩، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

(٢) ذمار: قرية من قُرى صنعاء، على مرحلتين منها. تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٧٢).

(٣) راجع: الطبقات الكبرى. محمد بن سعد (٥/ ٥٤٣)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨م، تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٣/ ٣٦٦)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٤).

يقول عنه ابنُ حجر [ت: ٨٥٢هـ]: «من التَّابِعين، وَثَّقَهُ الْجُمْهُور[١]، وشذَّ الفلاَّس[٢]، فَقَالَ كَانَ ضَعِيفًا، وَكَانَ شبهته فِي ذَلِك أَنه كَانَ يُتَّهَمُ بِالْقَوْل بِالْقَدَرِ، وصنَّف فِيهِ كتاباً، ثمَّ صَحَّ أَنه رَجَعَ عَنهُ»[٣].

ثانيا: معرفة «وهب بن منبه» بالزبور:

اطلاع «وهب بن مُنبِّه» على الزبور، وقُدرته على ترجمته أمرٌ لا يُستراب فيه، للآتي:

١- معرفةُ «وهب» العديدَ من لغات عصره، ولا سيَّما اليونانية، والحِمْيَرِيَّة[٤]، ويدلُّ على ذلك هاتان الروايتان:

(الرواية الأولى): عن عثمان بن مُرّة الخولاني، قال: «لما ابتدأ الوليدُ بن

---

(١) راجع: تهذيب التهذيب. أحمد بن علي بن حجر، ١١/ ١٦٧، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، ط الأولى، ١٣٢٦هـ.

(٢) هو عمرو بن علي بن بحر بن كثير، أبو حفص الفلاس. أحد أئمة أهل الحديث، روى عن عبد الرحمن بن مهدي، وعفَّان، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وأبي عاصم، وجماعة، وعنه: البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازي، وقال: كان صدوقاً في ذكره، أثنى عليه غير واحد من الأئمة، مات سنة تسع وأربعين ومائتين. راجع: سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٧٠، ٤٧١).

(٣) فتح الباري لابن حجر: ١/ ٤٥٠.

(٤) راجع: تاريخ التمدن الإسلامي. جورجي زيدان، ٢/ ٧٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، تاريخ آداب العرب. مصطفى صادق الرافعي، ١/ ٣٠٠، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

عبد الملك ببناء مسجدِ دمشق، وَجَد في حائط المسجد لَوْحـًا من حجارةٍ فيه كتابةٌ **باليونانية**، فَعَرَضَ على جماعةٍ من أهل الكتاب، فلم يقدروا على قراءَتِه، فوجَّهَ به إلى وهبِ بن منبِّه، فقال: «هذا مكتوبٌ في أيَّام سليمان بن داود - عليهما السلام - فقرأه...»(١).

(والرواية الثانية): أخرج ابنُ عساكر، عن زكريا بن إبراهيم، قال: «بينما مسلمة ابن عبد الملك(٢) بالمسجدِ الحرام، إذا أُتِيَ بحَجَرٍ أسود، مكتوبٍ فيه **بالحِمْيَرِيَّةِ**، فقال: مَنْ هَا هُنَا؟ مَنْ يقرأهُ لنَا؟ فَأُتِيَ بوهبِ بن مُنبِّه، فقيل له: يا أبا عبد اللهِ، اقرأْ ما عَلَى الحَجَرِ، فإذا عليه مكتوبٌ: يا بن آدم لو رأيتَ ما يسير ما بقي من أجلك لزهدتَ في طول ما ترجو من أَمَلِك.....»(٣).

٢- اطلاع «وهب» على الكُتبِ الإلهية القديمة:

جاء عن غير واحد من العلماء أنَّ وهبـًا قَرَأ كُتُبَ الأوَّلين(٤)، و«كانت له

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر. علي بن الحسين المسعودي، ٣/ ١١٢، اعتنى به: د/ يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى.

(٢) هو مَسْلَمَةُ بنُ عَبْدِ المَلِكِ بنِ مَرْوَانَ بنِ الحَكَمِ الأُمَوِيّ (... - ١٢٠هـ): الأَمِيْرُ، قَائِدُ الجُيُوْشِ، الملقَّب بـ (الجَرَادَةِ الصَّفْرَاءِ)، لَهُ مَوَاقِفُ مَشْهُوْدَةٌ مَعَ الرُّوْمِ، وَهُوَ الَّذِي غَزَا القُسْطَنْطِيْنِيَّةَ، وَقَدْ وَلِيَ العِرَاقَ لأَخِيْهِ يَزِيْدَ، ثُمَّ أَرْمِيْنِيَةَ، وَفِي سَنَةِ تِسْعٍ وَمائَةٍ غَزَا التُّرْكَ وَالسِّنْدَ. سير أعلام النبلاء: ٥/ ٢٤١.

(٣) تاريخ دمشق لابن عساكر: ٦٣/ ٣٦٨.

(٤) راجع: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٣٧)، تاريخ الإسلام للذهبي (٣/ ٣٣٤)، الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم (٩/ ٢٣)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٢٧١هـ - ١٩٥٢م، الثقات، لابن حبان (٥/ ٤٨٧).

معرفةٌ بأخبار الأوائل، وقيام الدنيا، وأحوال الأنبياء، وسِير الملوك»[١].

يقول النووي[٢] [ت ٦٧٦هـ] عن وهب «تابعيٌّ جليلٌ، من المشهورين بمعرفة الكُتب الماضية»[٣].

ويقول الذهبي[٤] [ت ٧٤٨هـ]: «وهب بن منبِّه، الحافظ، أبو عبد الله الصنعاني، عالم أهل اليمن....، وعنده من عِلم أهلِ الكتاب شيءٌ كثير؛ فإنه صرف عنايته إلى ذلك»[٥].

ويقول - أيضاً -: «وَرِوَايَتُهُ لِلْمُسْنَدِ قَلِيْلَةٌ، وَإِنَّمَا غَزَارَةُ عِلْمِهِ فِي الإِسْرَائِيْلِيَّاتِ، وَمِنْ صَحَائِفِ أَهْلِ الكِتَابِ»[٦].

---

(١) وفيات الأعيان: ٦/ ٣٥.

(٢) هو يحيى بن شرف بن مري النَّوَوِيّ، محيي الدّين أَبُو زَكَرِيَّا [٦٣١ - ٦٧٦ هـ]: شيخ الإِسْلام، ولد بـ (نوى)، وتعلم في دمشق، وأقام بها زمنا طويلاً. من كتبه: «تهذيب الأسماء واللغات»، و«منهاج الطالبين»، و«المنهاج في شرح صحيح مسلم»، و«التقريب والتيسير»، و«حلية الأبرار»، و«رياض الصالحين». راجع: طبقات الشافعية الكبرى للسبكي، ٨/ ٣٩٥، ٣٩٦.

(٣) تهذيب الأسماء واللغات. يحيى بن شرف النووي، ٢/ ١٤٩، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه ومقابلة أصوله: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية.

(٤) هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله [٦٧٣ - ٧٤٨هـ]: حافظ، مؤرخ.مولده ووفاته في دمشق. من تصانيفه: «دول الإسلام»، و«تاريخ الإسلام الكبير»، و«سير النبلاء»، و«العبر في خبر من غبر»، و«طبقات القراء»، و«ميزان الاعتدال في نقد الرجال». راجع: البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع (٢/ ١١٠).

(٥) تذكرة الحفاظ، للذهبي: ١/ ٧٧.

(٦) سير أعلام النبلاء: ٤/ ٥٤٥.

ويقول وهب بن منبه، عن نفسه:

«لَقَدْ قَرَأْتُ ثَلاثِيْنَ كِتَاباً نَزَلَ عَلَى ثَلاثِيْنَ نَبِيّاً»[١].

وعن عيسى بن سِنَان، قال: سمعت وهباً يقول: «كنت أقول بالقَدَرِ، حتى قرأتُ بضعةً وسبعين كتاباً من كُتُب الأنبياء، في كُلِّها: مَن جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة، فقد كفَر، فتركتُ قولي»[٢].

وعن دَاوُدَ بْنِ قَيْسٍ الصَّنْعَانِيِّ، قَالَ: سَمِعْتُ وَهْبَ بْنَ مُنَبِّهٍ يَقُولُ: «لَقَدْ قَرَأْتُ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ كِتَابًا، كُلُّهَا أُنْزِلَتْ مِنَ السَّمَاءِ. اثْنَانِ وَسَبْعُونَ مِنْهَا فِي الْكَنَائِس، وَفِي أَيْدِي النَّاسِ[٣]، وَعِشْرُونَ لا يَعْلَمُهَا إِلا قَلِيل[٤]...»[٥].

(١) ربما أراد بذلك أسفار «العهد القديم» المنسوبة للأنبياء. راجع: الطبقات الكبرى (٥/ ٥٤٣)، تاريخ دمشق (٦٣/ ٣٧٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٧).

(٢) الديباج للختلي (ص٩٦)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٣٤)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٤٩)، فتح الباري لابن حجر (١/ ٤٥٠).

(٣) الغالب أنها الكتب القانونية التي يتداولها أهل الكتاب، ويقرأوها في كنائسهم.

(٤) لعله أراد بما في أيدي الناس تلك الكتب القانونية التي يتداولها أهل الكتاب، ويقرؤونها في كنائسهم. و(التي لا يعلمها إلا القليل) تلك الكتب غير القانونية (الأبوكريفا)، وهي التي حوَت تعاليم خفية مستورة لا يعرفها إلا الأقلون، ثم تطوَّر معناها إلى: باطل، ومزيف. (راجع: التراث الإسرائيلي في العهد القديم. د/ صابر طعيمة، ص٢٦٨، ٢٦٩، دار الجيل، بيروت، ١٣٩٩هـ).

(٥) الطبقات الكبرى: ٥/ ٥٤٣، وراجع أيضاً: حلية الأولياء (٤/ ٢٤).

خـاتمة

بعد حَمْدِ اللهِ - تعالى - والصَّلاةِ والسَّلامِ عَلَى رسولِه ﷺ، انتهت بنا هذه الدراسةُ إلى النتائجِ الآتية:

١- الزَّبُور هو كتابُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- بَعْضُ ما في «الزبور» مِمَّا أَوْحَاهُ إِلى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَعْضُه مِمَّا أُلْهِمَهُ مِنْ دَعَوَاتٍ وَمُنَاجَاة.

٣- خَفَّف اللهُ - تعالى - قِراءَةَ الزَّبورِ عَلَى دَاودَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويَسَّرَهَا لَهُ، فكَانَ يَأْمُرُ بِدَوَابِّهِ فَتُسْرَجُ، فَيَقْرَأُ الزبورَ قَبْلَ أَنْ تُسْرَجَ دَوَابُّه.

٤- أَعْطَى اللهُ تعالى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ بِقراءَةِ الزَّبورِ مَا لَمْ يُعْطه غَيْرُه.

٥- اختُلف في سببِ تسميَة «الزَّبور» بهذا الاسم، فقيل: لفخامته، وغِلظ كتابته، وقيل: لِكَثْرَةِ زواجره ومواعظِه، وقيل: لاقتصارِه عَلَى الحِكَم.

٦- نزل الزَّبورُ - كما نزلت الكُتبُ السَّماوية قبلَه - جُملةً واحدة. واختُصَّ القرآنُ الكريمُ بنُزولِه مُنجَّمًا مُفَرَّقًا.

٧- نزل الزبور - كما نزلتْ جميعُ الكُتُبِ السَّماويةِ المعروفةِ لنا - في شَهْرِ رمضان، واختُلف في ليلةِ نزول الزبور بين (٦، أو ١١، أو ١٢، أو ١٨) من رمضان.

٨- يشتمل «الزَّبور» عَلَى مائةٍ وَخَمْسِينَ سورةً بالعِبرانيَّةِ، ما بَيْنَ قِصَارٍ وطِوال.

٩- الغَالِبُ عَلَى «الزَّبور» اشتمالُه على الحِكَم والمواعظِ، ودُعاءِ الله - تَعَالَى - والثَّناءِ عليه، مع اشتماله - أيضًا - على الأوامر، والنَّواهي، والأحكام، التي تأتي - أحيانًا - صراحةً، وأحيانا أخرى ضِمنًا، وفي سياقٍ وَعْظِيّ.

١٠- تناولت نصوصُ الزبور - التي وصلتْ إلى علماء المسلمين، ودوَّنُوها في مصادرهم - موضوعات، منها: البشارة بالنبيِّ محمد ﷺ، وذِكر أسمائه، وصِفاتِه (الخُلقية، والخَلقية)، وشمائله، ومكانته بين الأنبياء، وشريعته، وتأييد الله له، ووَصْف أمَّتِه، وخصائصها، وتفضيلها على الأمم، الدَّعوة إلى التحلِّي بالمكارم، والتخلِّي عن الرذائل، أوامر، ونواهي، حِكَم، وأمثال، ومواعظ.

١١- لم يأت دَاودُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بشَريعَةٍ تخالف شريعةَ التَّوراةِ.

١٢- لا توجد نسخة كاملة لـ «الزبور» باقية في المصادر الإسلامية المعروفة لنا، والموجود منه فقراتٌ متناثرة، تتفاوَت طُولاً وقِصَراً.

١٣- لـ «وهب بن مُنبِّهٍ» ترجمة للزبورِ، هي أوثق مِن غيرها من الترجمات القديمة، غير أنه لم يصلنا منها إلا النَّزر اليسير.

١٤- هناك تباين واضح بين نصوص «المزامير» التي يتداولها أهلُ الكتاب، وبين نصوص «الزبور» التي وقف عليها علماءُ المسلمين؛ ولعل

هذا الاختلاف راجع إلى تفاوت الترجمات، أو بسبب تحريفِ أهل الكتاب لأسفارهم؛ محاولة منهم لطمس الحقّ الوارد بالبشارة بالنبيِّ محمّد ﷺ.

١٥- بين بعض نصوص الزَّبور، وبين القرآن الكريم تماثل وتشابه؛ وهو دليلٌ على أنَّ الحقَّ من الله - تعالى - واحد لا يتغيَّر؛ ﴿وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

١٦- جَمَعَ اللهُ - تَعَالَى - لِلنبيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ - في القُرآنِ الكريمِ - مَحَاسِنَ ما في الكُتُبِ السَّابقةِ عليه؛ قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَا﴾ [فاطر: ٣٢].



المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**. (جَلَّ مَنْ أَنْزَلَهُ).

٢- **أبجديات البحث في العلوم الشرعية**. د/ فريد الأنصاري، سلسلة الحوار، العدد ٢٧، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٣- **الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة في الردِّ على الملَّةِ الكافرة**. أحمد بن إدريس القرافي، تحقيق: مجدي محمد الشهاوي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.

٤- **إحياء علوم الدين**. محمد بن محمد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، بدون طبعة.

٥- **الأدب المفرد**. محمد بن إسماعيل البخاري. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م.

٦- **الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام**. د/ علي عبد الواحد وافي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ط الأولى، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٧- **إظهار الحق**. رحمت الله بن خليل الرحمن الهندي، تحقيق: د/ محمد أحمد ملكاوي، طبع ونشر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٨- **أعلام النبوة**. علي بن محمد بن حبيب، الشهير بالماوردي. دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٩- **الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام**. محمد بن أحمد

القرطبي، تحقيق وتعليق: د/ أحمد حجازي السقا، دار التراث العربي.

١٠ - **الأعلام**. خير الدين بن محمود الزركلي، دار العلم للملايين، ط الخامسة عشرة، ٢٠٠٢م.

١١ - **أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي)**. عبد الله بن عمر البيضاوي، تحقيق: محمد المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

١٢ - **البحث الصريح في أَيِّمَا هو الدِّين الصحيح**. زيادة بن يحيى الرَّاسي، تحقيق ودراسة: د/ سعود بن عبد العزيز الخلف، عمادة البحث العلمي، الجامعة الإسلامية، بالمدينة النبوية، الإصدار رقم٤٢، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

١٣ - **بحر الدموع**. عبد الرحمن بن علي، ابن الجوزي، تحقيق: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث، ط الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

١٤ - **البحر المحيط في التفسير**. محمد بن يوسف، أبو حيَّان الأندلسي، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠هـ.

١٥ - **البداية والنهاية**. إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

١٦ - **البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع**. محمد بن علي الشوكاني، دار المعرفة، بيروت.

١٧ - **البرهان في علوم القرآن**. محمد بن بهادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. دار المعرفة، بيروت، ١٣٩١هـ.

١٨ - **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**. محمد بن يعقوب

الفيروزآبادي، تحقيق: محمد علي النجار. المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

١٩- **تاج العروس من جواهر القاموس**. السيد محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مكتبة حكومة الكويت، بدون طبعة.

٢٠- **تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام**. محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د/ بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط الأولى، ٢٠٠٣م.

٢١- **تاريخ التراث العربي**. د/ فؤاد سزكين، نقله إلى العربية: د/ محمود فهمي حجازي، وراجعه: د/ عرفة مصطفى، د/ سعيد عبد الرحيم، إدارة الثقافة والنشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٢٢- **تاريخ مدينة دمشق**. علي بن الحسن، ابن عساكر، تحقيق: عمر بن غرامة العمري. دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.

٢٣- **التبصرة**. عبد الرحمن بن علي الجوزي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤- **تخجيل مَن حرَّف التوراة والإنجيل**. صالح بن الحسين الجعفري، تحقيق: محمود عبد الرحمن قدح، مكتبة العبيكان، الرياض، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٢٥- **تفسير القرآن العظيم**. إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط الثانية، ١٤٢٠هـ.

٢٦- **تفسير القرآن**. منصور بن محمد السمعاني، تحقيق: ياسر بن

إبراهيم، غنيم بن عباس، دار الوطن، الرياض، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

٢٧- **جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري)**. محمد بن جرير الطبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٢٠ هـ.

٢٨- **جامع بيان العلم وفضله**. يوسف بن عبد الله القرطبي، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، السعودية، ط الأولى، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

٢٩- **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)**. محمد بن أحمد القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٣٠- **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، تحقيق: علي بن حسن، وآخرون، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط الثانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٣١- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**. أحمد بن عبد الله الأصبهاني، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٣٢- **الخصائص الكبرى**. عبد الرحمن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٣٣- **الدر المنثور في التفسير بالمأثور. (تفسير السيوطي)**. عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، بيروت، بدون طبعة.

٣٤- **دلائل النبوة**. أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: د/ عبد المعطي

قلعجي، دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث، ط الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٣٥- **الدِّين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد** ﷺ. علي بن ربَّن الطبري، حقَّقه وقدم له: عادل نويهض، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٣٧م.

٣٦- **الرسالة القشيرية**. عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: د/ عبد الحليم محمود، د/ محمود بن الشريف، دار المعارف، القاهرة.

٣٧- **الرضا عن الله بقضائه**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية، بومباي، ط الأولى، ١٤١٠هـ.

٣٨- **روح البيان**. إسماعيل حقي البروسوي. دار الفكر، بيروت، بدون طبعة.

٣٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني (تفسير الألوسي)**. محمود بن عبد الله الألوسي، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٥هـ.

٤٠- **الزهد**. أحمد بن محمد بن حنبل، وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

٤١- **الزهد**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، دار ابن كثير، دمشق، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٤٢- **الزهد**. هنَّاد بن السَّرِي، تحقيق: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ.

٤٣- **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**. محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٤- **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة**. محمد ناصر الدين الألباني، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٤٥- **سنن ابن ماجه**. محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، دار الرسالة العالمية، ط الأولى ١٤٣٠هـ.

٤٦- **سنن الترمذي**. محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، وآخرون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط الثانية، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

٤٧- **سنن الدارمي**. عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المغني، السعودية، ط الأولى، ١٤١٢هـ - ٢٠٠٠م.

٤٨- **السنن الكبرى**. أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٤٢٤هـ.

٤٩- **سير أعلام النبلاء**. محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين، بإشراف الشيخ/ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط الثالثة، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

٥٠- **شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية**. محمد بن عبد الباقي الزرقاني، دار الكتب العلمية، ط الأولى، ١٤١٧هـ.

٥١- **شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك**. محمد بن عبد الباقي

الزرقاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٥٢- **شعب الإيمان**. أحمد بن الحسين البيهقي، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: د/ عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

٥٣- **الشكر**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: بدر البدر، المكتب الإسلامية، الكويت، ط الثالثة، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

٥٤- **صحيح البخاري**. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، نشر دار طوق النجاة، ط الأولى، ١٤٢٢هـ.

٥٥- **صحيح مسلم**. مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

٥٦- **الطبقات الكبرى**. محمد بن سعد، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ط الأولى، ١٩٦٨م.

٥٧- **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**. محمود بن أحمد العيني، دار إحياء التراث العربي، بيروت، بدون طبعة.

٥٨- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان (تفسير النيسابوري)**. الحسن بن محمد النيسابوري، تحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٦هـ.

٥٩- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**. أحمد بن علي بن حجر، رقَّم كتبه وأبوابه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ.

٦٠- **فتح القدير**. محمد بن علي الشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم

الطيب، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٤هـ.

٦١- **الفرج بعد الشدة**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، خرجه وعلق عليه: عبيد الله بن عالية، دار الريان للتراث، مصر، ط الثانية، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.

٦٢- **الفروق اللغوية**. الحسن بن عبد الله العسكري، حقَّقه وعلَّق عليه: محمد إبراهيم سليم. دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

٦٣- **فضائل القرآن وما أنزل من القرآن بمكة وما أنزل بالمدينة**. محمد بن أيوب بن الضِّرِّيس، تحقيق: عروة بدير، دار الفكر، دمشق، سوية، ط الأولى، ١٤٠٨هـ.

٦٤- **فهرسة ابن خير الإشبيلي**. محمد بن خير الأموي، وضع حواشيه: محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ.

٦٥- **فيض القدير شرح الجامع الصغير**. عبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي، المكتبة التجارية، مصر، ط الأولى، ١٣٥٦هـ.

٦٦- **قاموس الكتاب المقدس**. نخبة من الأساتذة النصارى، دار الثقافة المسيحية، ط الثانية.

٦٧- **القناعة والتعفف**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٦٨- **كتاب التوبة**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، تحقيق وتعليق: مجدي السيد إبراهيم، مكتبة القرآن.

٦٩- **كتاب الدِّيباج**. إسحاق بن إبراهيم الختلي، تحقيق: إبراهيم صالح، دار البشائر للطباعة والنشر والتوزيع، ط الأولى، ١٩٩٤م.

٧٠- **كتاب الزهد الكبير**. أحمد بن الحسين، أبو بكر البيهقي، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الثالثة، ١٩٩٦م.

٧١- **الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار**. أبو بكر بن أبي شيبة، تحقيق: كمال الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى، ١٤٠٩هـ.

٧٢- **الكِتَابُ المقَدَّس**. الرَّهبانية اليسوعية، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط الثالثة، ١٩٩٤م.

٧٣- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (تفسير الزمخشري)**. محمود بن عمرو الزمخشري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٧٤- **اللباب في علوم الكتاب**. عمر بن علي الحنبلي، تحقيق: عادل عبد الموجود، علي معوض. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٧٥- **لسان العرب**. محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، بدون طبعة.

٧٦- **لطائف الإشارات - تفسير القشيري**. عبد الكريم بن هوازن القشيري، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط الثالثة.

٧٧- **مباحث في علوم القرآن**. مناع بن خليل القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط الثالثة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٧٨- **المجالسة وجواهر العلم**. أحمد بن مروان الدينوري، تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، جمعية التربية الإسلامية، البحرين، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

٧٩- **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد**. علي بن أبي بكر الهيثمي، تحقيق: حسين سليم الدّاراني، دار المأمون للتراث.

٨٠- **محاسبة النفس**. عبد الله بن محمد بن عبيد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: مصطفى بن علي بن عوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٨١- **محاسن التأويل**. محمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١٨هـ.

٨٢- **المحبة لله سبحانه**. إبراهيم بن عبد الله الخُتَّلِيّ. تحقيق: د/ عادل عبد الشكور الزرقي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

٨٣- **مداراة الناس**. عبد الله بن محمد، ابن أبي الدنيا، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

٨٤- **مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي)**. عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق: يوسف علي بديوي، راجعه وقدَّم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٨٥- **المدخل إلى الكتاب المقدس**.حبيب سعيد، صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة، بالاشتراك مع مجمع الكنائس في الشرق

الأدنى.

٨٦- **مرقاة المفاتيح**. علي بن سلطان محمد القاري، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.

٨٧- **مروج الذهب ومعادن الجوهر**. علي بن الحسين المسعودي، اعتنى به: د/ يوسف البقاعي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط الأولى.

٨٨- **المستدرك على الصحيحين**. الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى، ١٤١١هـ.

٨٩- **مسند الإمام أحمد**. أحمد بن محمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وآخرون، إشراف: د/ عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط الأولى، ١٤٢١هـ.

٩٠- **مشكاة المصابيح**. محمد بن عبد الله التبريزي، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة، ١٩٨٥م.

٩١- **معالم التنزيل في تفسير القرآن - تفسير البغوي**. الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى، ١٤٢٠هـ.

٩٢- **المعجم الأوسط**. سليمان بن أحمد الطبري، تحقيق: طارق بن عوض الله، عبد المحسن بن إبراهيم، دار الحرمين، القاهرة.

٩٣- **المعجم الكبير**. سليمان بن أحمد الطبري، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط الثانية.

٩٤- **مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)**. محمد بن عمر بن الحسن الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط الثالثة، ١٤٢٠هـ.

٩٥- **المفردات في غريب القرآن**. الحسين بن محمد، الراغب الأصفهاني، تحقيق: صفوان عدنان الداودي. دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط الأولى، ١٤١٢هـ.

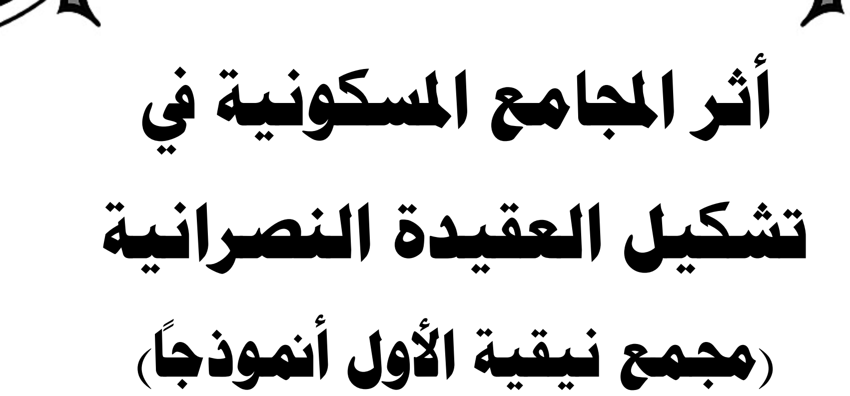
٩٦- **موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**. محمد بن علي التهانوي، تقديم: د/ رفيق العجم، تحقيق: د/ علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د/ عبد الله الخالدي، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط الأولى، ١٩٩٦م.

٩٧- **نوادر الأصول في أحاديث الرسول ﷺ**. محمد بن علي، الحكيم الترمذي، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت.

٩٨- **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى**. محمد بن أبي بكر، ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - المملكة العربية السعودية، ط الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٩٩- **الوافي بالوفيات**. صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث، بيروت، سنة ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

فهرس الموضوعات



أثر المجامع المسكونية في تشكيل العقيدة النصرانية

(مجمع نيقية الأول أنموذجاً)

د. خيرية بنت محمد القحطاني

أكاديمية سعودية – أستاذ مساعد، بجامعة الأميرة
نورة بنت عبد الرحمن، كلية الآداب

ملخص البحث

يعنى هذا البحث بدراسة أثر المجامع المسكونية في تشكيل العقيدة النصرانية، ويهدف إلى بيان هذا الأثر عن طريق دراسة مجمع نيقية على أنه أنموذج لهذا الأثر، وقد كان المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وكانت أهم نتائج هذا البحث: بيان الدور الذي أدّته المجامع في تشكيل عقائد النصرانية، تأثر النصرانية بالفلسفات والأديان الوثنية، أثر السلطة السياسية على قرارات المجامع، تحريف الكتاب المقدس وضياع الأناجيل الأصلية، مناقضة عقائد النصرانية للنقل والعقل. ومن أهم توصيات البحث: دراسة كل مجمع على حِدَة لإعطاء صورة شبه متكاملة؛ لتشكل النسق العقدي للنصرانية عبر العصور، أهمية تسليط الضوء على الدور المؤثر للأباطرة الرومان على الديانة المسيحية، إيضاح العلاقة البينية لرجال الكنيسة ورجال السياسة وأثره على الديانة المسيحية.

د. خيرية بنت محمد القحطاني

الرياض، المملكة العربية السعودية

ص.ب (٨٤٤٢٨) الرمز (١١٦٧١)

dkariyh6@gmail.com

The Impact of Ecumenical Councils in the Formulation of Christian Creed
(The First Council of Nicea)

Dr. Khayria bint Mohammed al-Qahtani

Saudi Academic, Assistant Professor, at the Princess Nora bint Abdul Rahman University, Faculty of Arts

THESIS ABSTRACT

This research studies the impact of ecumenical councils in the formulation of Christian creed. It targets to explain this impact through studying The First Council of Nicea, as a model for this impact. The analytic induction method was used in the research.

<u>The most important conclusions of the research:</u>

- Manifesting the role played by such councils in formulating Christian creed.
- Impact of pagan philosophies and religions on Christianity.
- Impact of political authority on resolutions adopted by the ecumenical councils.
- Distortion of the Bible and loss of the original gospels.
- Contradiction of the Christian creed to reason and [religious] narrations.

Most important recommendations reached by the research:

- Studying each council in separate to give an almost complete picture of how the Christian creed was formed through the ages.
- The importance of spotlighting the influential rule of roman emperors on Christianity
- Clarifying inter-relationship between clergymen and politicians and its impact on Christianity

Dr. Khayria al-Qahtani
Riyadh, Saudi Arabia
PO Box 84428 , Postal code 11671

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلى من دعا بدعوته إلى يوم الدين.

وبعد، فإن المتتبع لتاريخ النصرانية منذ عصورها الأولى حتى الآن يلحظ أنها مرت بتغيرات تاريخية، متأثرة بعدة عوامل، كان من أهمها: قرارات المجامع المسكونية التي كان لها الأثر الأكبر فكراً وعقيدة.

تجلى هذا التأثير في حسم الصراع والجدل حول طبيعة المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وعقيدة الألوهية، وانتهت تلك المجادلات إلى القول بالتثليث.

ونجد أن أصول العقائد النصرانية تبلورت من خلال تلك المجامع، التي بسطت هيمنتها وسلطانها، ونجحت في تشكيل أهم الأصول العقدية للنصرانية، وقد توجَّه الحراك الديني للنصرانية بشخصيات ذات ارتباط بشكل أو بآخر بهذه المجامع، كقسطنطين إمبراطور الرومان، الذي قام بدعم قرارات المجمع الأول بقوة السلطان، وكان فكره لا يزال متأثراً بالوثنية، وكان دعمه لقرارات المجمع أحدَ أهم المؤثرات التي ظهرت لاحقـًا في إقرار عقيدة التثليث[1].

وإن الجدل الذي أثير حول طبيعة المسيح أثار كل الإشكالات العقدية،

---

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، القس جرجس الخضري (١/ ٦٣٠-٦٣٧).

وبات من المؤكد أن عقائد النصرانية تشكلت تدريجياً عبر هذه المجامع، التي كانت في كل مجمع تؤكد عقيدة وتشطب أخرى، ومع مرور الزمن تشكل نسق عقدي معتمد.

إذن: دراسة هذه المجامع تكشف تاريخ وحقيقة ما حدث وما استُحدث من عقائد، وإن الصراعات التي كان يغذيها الجدل اللاهوتي[١] هي التي غيرت أُسس المسيحية عبر قرون عديدة، فعلى سبيل المثال لم يُقرّر أن الروح القدس انبثق عن الآب والابن في الكنيسة اللاتينية إلا في حدود القرن التاسع[٢]، وبحق إن هذه المجامع قلبت أصول العقيدة الصحيحة وغيرت بالكلية الدينَ السليم الذي جاء به عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

ولهذا كله رغبتُ في تسليط الضوء _من خلال هذه الدراسة_ على هذه المجامع، وجعلت مجمع نيقية أنموذجاً لدراستها؛ لأن هذا المجمع هو الذي أرسى قواعد القول بالتثليث في المسيحية ووضع اللَّبِنات الأولى لها.

وستحاول هذه الدراسةُ عرضَ دور المجامع وأثرها في تشكيل العقيدة النصرانية، بالتركيز على دراسة مجمع نيقية، مع ذكر الأسباب الداعية لانعقاده، والظروف والأحداث التي أحاطت به، وأهم قراراته، وبعد البحث والتّحري لم أجد – بحسب علمي وإطلاعي– من بحث هذا الموضوع

---

(١) لاهوتي: اسم منسوب إلى لاهوت: العلم بالعقائد الدينية والقضايا الإلهية. انظر: معجم اللاهوت الكاثوليكي، كارل راهنر (٢٨٢-٢٨٣).

(٢) انظر: أصول المسيحية، داود الفاضلي (٢٥١).

وحرر مسائله على النّحو الذي أطمح في الوصول إليه، غير أني وجدت بعض الدراسات التي لها علاقة بهذا الموضوع.

ويمكن الإشارة إلى ثلاث دراسات عرضت لموضوع المجامع المسكونية بشكل عام؛ وهي:

١- كتاب: (المجامع النصرانية ودورها في تحريف المسيحية) للدكتور: سلطان عبد الحميد سلطان، والكتاب مقسم إلى ثلاثة أبواب: الأول عن المسيحية في القرآن، والثاني عن المسيحية عند النصارى، والثالث عن المجامع النصرانية وأثرها في انحراف عقيدة النصارى، وفي هذا الباب أفرد لكل مجمع فصلاً تطرق فيه إلى تاريخ انعقاد المجمع ومكان انعقاده، وهذا الكتاب مفيد؛ ركّز فيه صاحبه -من خلال الأبواب الثلاثة- على إبراز العوامل التي ساهمت في بناء العقيدة النصرانية ونشرها، وبيان كيف أدت المجامع إلى فصل الكنيسة جغرافياً إلى شرقية وغربية، وكيف انفصلت عقائدياً إلى أرثوذكسية وكاثوليكية وبروتستنتية، وكيف فُصِل الدين عن الدولة، وأهم القرارات التي صدرت عن تلك المجامع، التي أثرت على تغيير العقيدة المسيحية بشكل عام. ولكن هذه الدراسة لم تتطرق إلى الجوانب التي عرضتُها في هذا البحث إلا من خلال بعض الالتقاءات في الجوانب المتعلقة بمجمع نيقية محور الدراسة.

٢- كتاب: (عصر المجامع) للقمص كيرلس الأنطواني، وهو نصراني مصري، وهذا الكتاب عبارة عن دراسة تبحث عن المجامع النصرانية

الكبرى التي عقدت في القرنين الرابع والخامس الميلاديين، يعرض فيه صاحبه دراسةً تاريخية للعصور التي عقدت فيها المجامع المسكونية من وجهة نظر نصرانية بحتة.

٣- كتاب: (تاريخ المجامع المسكونية الكبرى المجمع المسكوني الأول) تأليف الأب ميشال أبرص والأب أنطوان عرب، وهو عبارة عن كتاب تاريخي يرصد تاريخ كل واقعة أو حدث وقع خلال انعقاد المجمع الأول، مع تسليط الضوء على التسلسل التاريخي والتدرج الزمني للمرحلة السابقة للمجمع الأول والمرحلة التي تليها. قُسِّمَ هذا الكتاب إلى مقدمة تعرض بإيجاز تاريخ الكنيسة في القرون الثلاثة الأولى، ويليها أربعة فصول: الفصل الأول يعرض أبعاد المجمع الأول ويوضح نتائجه، والفصل الثاني يذكر أسباب الدعوة إلى المجمع، ويسلط الفصل الثالث الضوء على المجمع وتفاصيل كل ما جرى فيه والقوانين والقرارات التي ثبتها، أما الفصل الرابع فيعرض المقاومة العنيفة التي لقيها هذا المجمع والانقسامات والتحالفات التي تلته، وخُتم الكتاب بخلاصة عن أهمية هذا المجمع، وأثره في الكنيسة والدولة، وهذا الكتاب لا يختلف عن الكتاب السابق المعنون بـ(عصر المجامع)؛ فهو دراسة للمجمع من وجهة نظر نصرانية بحتة.

وعلى الرغم من تناول موضوع المجامع في الدراسات السابقة إلا أنني تعمدت الكتابة فيه لأسباب كثيرة؛ منها:

١- أن الدراسات السابقة التي أشرت إليها لم تعالج الموضوع وتتناوله

بنفس الخط والمنهجية التي سأسير عليها خلال هذه الدراسة.

٢- في ضوء الدراسات السابقة التي أشرت إليها، يبدو لي -والعلم عند الله تعالى- أن ثمة جوانب أخرى في الموضوع ما تزال بحاجة إلى مزيد من العناية والدراسة، ومن أبرزها: دور الإمبرطور قسطنطين، بدعة آريوس، تأثير الفلسفات والديانات الوثنية، نص قانون الأمانة وتحليله، النقد المفصل لقانون الإيمان النيقي، العوامل التي أثرت في صدور وثيقة الأمانة.

لهذه الأسباب حاولت بحث الموضوع من جديد هادفة إلى تحقيق ما يلي:

١- بيان التأثيرات السياسية والدينية والنفسية التي نتج عنها صدور قرارات هي في غاية الانحراف والزيغ.

٢- تأكيد أو نفي بشرية العقائد الصادرة عن تلك المجامع، من خلال دراسة مجمع نيقية بوصفه أنموذجاً لأثر تلك المجامع في تشكيل العقائد النصرانية.

ولعلي خلال مرحلة الإعداد لهذا البحث لم أدخر جهداً لإخراجه بالصورة الأفضل التي أطمح إليها.

وقد سلكت في منهج البحث المنهج الاستقرائي في جمع المادة العلمية، ثم المنهج التحليلي في التعامل مع هذه المادة العلمية، واستخلاص النتائج منها.

وجاء ترتيب خطة البحث على النحو التالي:

- **المقدمة:** تتضمن أهمية الموضوع، وسبب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

- **المبحث الأول:** المجامع المسكونية تاريخها وأهميتها وأنواعها، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف المجامع.

المطلب الثاني: تاريخ المجامع ونظامها.

المطلب الثالث: أهمية المجامع المسكونية.

المطلب الرابع: أنواع المجامع وشروطها وعددها .

- **المبحث الثاني:** المجمع المسكوني الأول نيقية (٣٢٥م)، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أسباب انعقاد المجمع.

المطلب الثاني: جلسات واحداث المجمع.

المطلب الثالث: قرارات المجمع وقوانينه.

المطلب الرابع: نقد المجمع وقوانينه.

- **الخاتمة:** وفيها أهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

المجامع المسكونية (تاريخها، أهميتها، وأنواعها)

المطلب الأول

تعريف المجامع

المجامع في اللغة: لها معانٍ تدور في مجملها حول معنى: الجمع والاجتماع، فقد جاء في اللسان: من جمع الشيء عن تفرِقةٍ، يجمعه جمعًا، وجمّعهُ وأجمَعهُ فاجْتَمع واجْدَمع، وهي مضارَعةٌ، وكذلك تجمّع واستجمع.

والمجمَّع: يكون اسمًا للناس وللموضع الذي يجتمعون فيه[1].

والمجامع في المعنى الاصطلاحي:

تعرض عدد من الباحثين لتحديد معناها، وتعريفاتهم لها متقاربة[2].

ويمكن إجمال تلك التعريفات فيما يلي:

المجامع هي: مجالس وهيئات شورية في الكنيسة المسيحية، رسم

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (٨/ ٥٣).

(٢) انظر: تاريخ الأمة القبطية وكنيستها، أ. ل تبشر (٢/ ١١٢)؛ قاموس الأديان الكبرى، نور الدين خليل (١٩٨)؛ معجم اللاهوت الكاثوليكي، كارل راهنر- هربرت قورغربملر (٣٠٥)؛ قاموس المصطلحات الكنسية، القمص تادرس ملطي (٤٨)؛ المدخل إلى دراسة الأديان، عبد الرزاق أسود (١/ ٢٢٥).

الرُّسلُ[١] نظامها في حياتهم[٢]، تتألف من أساقفة ومندوبين كنسيين؛ للتسوية والنظر في القضايا العقائدية والتنظيمية، وتعدّ قراراتها ملزمة لأتباع الكنيسة جميعـًا.

ومصطلح مسكونية: أي نسبة إلى مَسْكونة؛ أي: العالم، وأطلقت هذه التسمية على المجامع التي تجمع رجال الكنائس من كل أنحاء المعمورة؛ أي البلاد المسكونة[٣]، وتنقسم المجامع إلى قسمين: مجامع مسكونية، ومجامع محلية[٤].

ويتضح من التعريف أن المجامع عادة ما تعقد في الكنائس التي تمثل السلطة الدينية، ويمكن أن تعقد في غيرها من المحال التي تمثل السلطة السياسية بمباركة وموافقة الأساقفة وممثلي الكنائس[٥]، وتجدر الإشارة هنا إلى أن المجامع المتعارف عليها في تاريخ الكنيسة المسيحية تختلف عن المجامع التي عرفت في تاريخ الديانة اليهودية[٦].

---

(١) الرسل: هم الأتباع الذين جاءوا بعد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

(٢) هذه دعوى مغلوط فيها؛ إذ لا دليل على اجتماع الرسل ووضع النظم. انظر: مصادر النصرانية، عبدالرزاق الآرو (٢/ ٧١٠).

(٣)انظر: قصة الكنيسة القبطية، إيريس المصري (١/ ١٦٧)

(٤)انظر: المطلب الرابع من هذا البحث.

(٥) المجمع المسكوني الأول عقد في قصر الإمبراطور قسطنطين وبمباركة وموافقة الأساقفةكما سيأتي معنا في الصفحات القادمة.

(٦) سيأتي إيضاح ذلك في المطالب القادمة.

المطلب الثاني
تاريخ المجامع

من الصعوبات المتعددة التي واجهتها المسيحية في أواسط القرن الثاني الميلادي نتيجة الابتعاد عن تعليمات المسيح ومخالفتها: الأراء المتطرفة لبعض الفرق المسيحية، والتقاليد المختلفة بين الكنائس، والاضطهاد الذي مارسته السلطات الرومانية على المسيحيين، وبروز عدة اتجاهات تشترك كلها في الانتماء إلى المسيحية وتذهب كل منها مذهباً خاصّاً في تأويلها، وتكاثر الكتب ومناقضة بعضها بعضاً، والفوضى العقدية العارمة التي سادت الأوساط المثقفة، والإيمان البسيط والسطحي في الأوساط الشعبية، والتأويلات التي نشرها المفكرون المسيحيون بحثاً منهم عن تعبير يلائم المعطيات الكتابية والثقافات المختلفة الموجودة في المناطق التي بلغتها الدعوة المسيحية، واحتفاظ الكثير من معتنقي المسيحية الجدد بالأخلاق والعادات الوثنية التي كانوا عليها[١]، يقول ج. ويتلر: «كانت أصول العقيدة المسيحية إبان المرحلة التي سبقت مجمع نيقية لا تزال في الطور الضباب»[٢].

كل تلك العوامل التي واجهتها النصرانية كانت بمثابة الحافزِ لها على تدارك أمورها ولمّ شتاتها والفرصةِ للقيام باختيارات مصيرية بدأت تعطي ثمارها مع بدء القرن الثالث الميلادي. وفتحت الباب على مصراعيه

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (٩٠-١٠٢) بتصرف.

(٢) الهرطقة في المسيحية، ج.ويتلر (٤٧)

للمناقشات اللاهوتية التي أشغلت الفكر المسيحي[١]، ومهدت لابتداء عصر المجامع المسكونية؛ لتحتل الدور الأكبر في تشكيل ورسم قوانين الإيمان المسيحي، مستهلة أول أدوارها بانعقاد المجمع المسكوني الأول عام ٣٢٥م في نيقية.

والمجامع المسكونية في تاريخ الديانة المسيحية هي التي صاغت للكنيسة عبر القرون قوانين إيمانها، ووضعت نُظُمها، وأصدرت قراراتها، وعقدت لحل الإشكالات الدينية وفض النزاعات العقدية[٢]، ولم يكن النصارى أوّلَ من عقدها، فمن الثابت تاريخياً أن نظام المجامع كان معروفاً ومعمولاً به عند اليهود، الذين سبقوا النصارى في العمل بالنظام المجمعي[٣]؛ إذ ثبت أن كهنة اليهود وأحبارهم عقدوا مجامع للمسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يعارضون فيها ما جاء به من حق من عند الله، كما ذكر الكتاب المقدس شيئاً عن اجتماعهم للتشاور على صلب المسيح، وهذه المجامع التي عقدها اليهود هي نفس المجامع التي كان يدخلها المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لدعوة اليهود إلى رسالته[٤].

يقول زكي شنودة عند تعليقه على المجامع اليهودية «قام نحميا بتنظيم

(١)انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (٩١، ١٠٢) بتصرف.
(٢)انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث ،محمد الحاج (١٦٦).
(٣) انظر: حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، أحمد حجازي السقّا (١٣٠).
(٤) انظر: إنجيل متى (٤: ٢٢؛ ١٢: ٩؛ ٢٦: ٣، ٢٩)؛ إنجيل مرقس (١: ١٥)؛ إنجيل لوقا (٤: ١٦-١٨).

المجامع منذ عام ٤١٠ قبل الميلاد ... وقد ظلت المجامع قائمة في بلاد اليهود حتى اندثار أمتهم على يد الرومان سنة ٧٠ ميلادي»[١].

ومع أن النظام المجمعي كان معمولاً به منذ عصر اليهود، إلا أن المجامع اليهودية تختلف عن المجامع النصرانية، فالمجمع عند اليهود هو مكان الاجتماع، ومركز للعبادة، ودار للقضاء العالي، وكان يستعمل كمدرسة[٢].

نشأت فكرة المجامع عند اليهود في أثناء السبي البابلي، حيث كانت العبادة قبل السبي تؤدّى في هيكل أورشليم[٣]، ثم تعذر على اليهود إقامة الشعائر وقراءة التوراة وتعليمها، وأصبحت العبادة في أورشليم مستحيلة وغير ممكنة لما كان الشعب تحت وطأة السبي، فأقيمت المجامع اليهودية لتكون مكاناً للعبادة والتعليم الكتابي، مع أن البعض يزعم أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هو من نظم المجمع، وقد جاءت كلمة معاهد الله في المزمور

---

(١) المجتمع اليهودي ، زكي شنودة (١٨٢-١٨٣).

(٢) راجع: كتاب حقيقة النصرانية، أحمد حجازي السقا (١٣٠) وصف لمجامع بني اسرائيل.

(٣) هيكل أورشليم: هيكل كلمة سومرية معناه: (البيت الكبير)، الهيكل هو مكان عبادة الله، وهو يقوم مقام الكنيسة اليوم، ولكن اليهود لم يطلقوا اسم هيكل على كل مكان للعبادة، بل على مكان واحد كبير في القدس، أما باقي أماكن العبادة فكانت تسمى مجامع، ومفردها: مجمع. أما هيكل القدس فقد بناه سليمان، ثم جدد في عهد زربابل وفي عهد هيرودس الكبير. وقد وردت لفظة هيكل في الكتاب بمعنى: هيكل الرب في القدس، في معظم الأحيان. قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين وذوي الاختصاص (١٠١٢).

(٧٤: ٨) بمعنى مجامع الله أو محافل أو مقادس[١]. يقول جون لوريمر: «وقد ظهر المجمع متأخراً في حياة الأمة اليهودية كضرورة حتّمتها ظروف السبي، فعندما وجد اليهود أنفسهم بعيدين عن أورشليم حيث الهيكل مركز عبادتهم: استبدلوه بهذا المجمع يقيمون فيه أينما كانوا -سواء في السبي أو الشتات- العبادةَ وتعاليمَ الناموس»[٢].

وكما تبين من تعريف المجامع النصرانية واليهودية يتضح لنا الفرق بينهما؛ فالأولى عبارة عن هيئات شورية أسسها رجال الدين الذين جاءوا بعد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لتقرير العقائد وصياغة أصول الدين المسيحي، والثانية عبارة عن مقارّ للعبادة والصلاة وإقامة الشعائر.

وأول مجمع عُقد للنصارى هو مجمع أورشليم الذي عُقد سنة ٥٥م، بعد ترك المسيح لهم باثنين وعشرين عامـًا، ووصف سفر أعمال الرسل هذا الاجتماع وما كان فيه من خلاف بين المجتمعين.

وقد سن التلاميذ والمشايخ للمسيحيين سنة جمع المجامع لدراسة ما يتعلق بالعقيدة والشريعة[٣].

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس، نخبة من اللاهوتيين وذوي الاختصاص (٢٦٩ -٢٧٠)؛ المجتمع اليهودي، زكي شنودة (٢٥٦).

(٢) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (١/ ٣٣).

(٣) انظر: سفر أعمال الرسل (١٥/ ١٣-٣٠)؛ ومحاضرات في النصرانية، أبو زهرة (١٢٣-١٢٤).

المطلب الثالث

أهمية المجامع المسكونية

تبرز أهمية دراسة المجامع المسكونية من زاوية أنها أضفت على وجودها وقراراتها صبغة القداسة الشرعية، بما لا يدع مجالاً للشك في عصمتها[١].

يقول القمص كيرلس الأنطواني «تعترف كنيستنا القبطية بما للمجامع من سلطان في إصدار الأحكام على المبتدعين أو المخالفين لقوانين الكنيسة وقراراتها...»[٢].

وهذا يعني أن تقرير العقائد والشرائع في المسيحية وقع تحت سيطرة رجال الكهنوت المسيطرين على هذه المجامع.

ففي معجم اللاهوت الكاثوليكي جاء ما يلي: «إن الأساقفة المجتمعين في مجمع مسكوني، عندما يتحاورون ويقررون مع البابا وتحت إدارته، يمارسون حسب التعليم الكاثوليكي والحق القانوني... سلطة الكنيسة العليا. وعندما يتبنى المجمع تحديداً رسمياً، فإن لهم إذاك العصمة في مادة الإيمان، وهذا يطبق عليهم أيضاً عندما يمارسون ويعلنون كلهم تعليم

---

(١) انظر: أضواء على المسيحية، متولي شلبي (٩٣)؛ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٢٣-١٢٤)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (١٦٦-١٦٧).

(٢) عصر المجامع ، كيرلس الانطواني (٣٠-٣١).

الكنيسة العادي... فإن مجمعًا مسكونيًا يسمح بإظهار وحدة الكنيسة بصورة أوضح وباستيعابٍ أكبر لتعددية الأساقفة وكنائسهم المحلية»[١].

ولا يعتبر المجمع مسكونيًا ومعترفًا بقراراته إلا إذا كان انعقاده بدعوة من البابا[٢] نفسه أو تثبيتًا منه[٣]، ولعصر المجامع في تاريخ الكنيسة المسيحية من المميزات الكثيرة، ما يجعل له أهمية كبيرة، فهو أول سلسلة مترابطة الحلقات صاغت للكنيسة قوانين إيمانها ووضعت لها نُظمها وقراراتها، وأصبحت قرارات المجامع أصولاً ملزمة لأتباع الكنيسة جميعًا في الدين المسيحي، فبالإضافة إلى العقائد التي أقرتها منحت الكنيسة سلطة محو السيئات، وأقرت عصمة البابا[٤].

وعليه تعدّ قراراتها إجبارية على الإطلاق، وتقبل التعاليم الكنسية كل القرارات الرسمية للمجامع التي تتعلق بمسائل العقيدة، وتعدها من وحي

---

(١) معجم اللاهوت الكاثوليكي، كارل راهنر – هربرت فوغريملر (٣٠٥).

(٢) البابا: لقب كنسي كان يطلق على كل أسقف، ثم أصبح مقصوراً على رئيس الكنيسة الكاثوليكية، الذي اتخذ مدينة روما ثم الفاتيكان مقراً له. انظر: مصادر النصرانية، عبدالرزاق الآرو (٧٥) نقلاً عن الدائرة البريطانية (١٨/ ٢٢٤).

(٣) انظر: قاموس الأديان الكبرى الثلاث، نور الدين خليل (١٩٨)؛ سيأتي زيادة بيان وتوسع فيه في المطلب الرابع من هذا البحث إن شاء الله تعالى.

(٤) انظر: عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (٨)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد أحمد الحاج (١٦٦)؛ قاموس الأديان الكبرى، نور الدين خليل (١٩٨)؛ أضواء على المسيحية، متولي يوسف شلبي (١١٢-١١٦)؛ المسيحية، أحمد شلبي (٢٠٠).

الروح القدس[١]، وتصل قراراتها إلى درجة الكمال إذا كانت صادرة على الأخص من المجامع المسكونية[٢]. يقول دين ستاتلي موضحًا أهمية المجامع في تاريخ الكنيسة: «تعتبر المجامع في بناء تاريخ الكنيسة صروحًا عالية مشيدة، فهي أعلى ما يكون في هذا البناء منزلة وأرفع شأنًا، وجدير بنا أن نراها بهذه العين إن لم نكن قد عرفناها بها من قبل، وجعلناها في محلها اللائق»[٣].

فإذا ما انتقلنا إلى مجمع نيقية من ناحية الأهمية نجد أن جل المؤرخين للمسيحية يعتبرون انعقاد مجمع نيقية وما تمخّض عنه من قرارات: الحدثَ الأبرز في تاريخ المسيحية، الذي كيّف مصيرها وأكسبها الخصائص التي عرفت بها في التاريخ حتى العصور الحديثة، فهو في الوقت نفسه تتويج لمرحلة تأسيسية حاسمة ونقطة انطلاق لمرحلة ثانية، لعل أبرز مميزاتها ازدهار حركة الشرح وتوضيح العقائد وتحديدها، كل ذلك في نطاق تنظيم كنسي متزايد الأحكام، وفي إطار علاقات متينة بين السلطة المدنية والسلطة الدينية[٤]، يقول الأنباساويرس ابن المقفع: «يعد المجمع النيقاوي أول حلقة في سلسلة التاريخ الكنسي، ويحق لنا أن نسميه بحق: تاريخ الكنيسة،

---

(١) الروح القدس: أحد أقانيم الثالوث النصراني، قيل: سمي روحًا؛ لأنه مبدع الحياة، وقدوسًا؛ لأن من أعماله تقديس قلب المؤمن. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٤١٤).

(٢) الروح القدس في محكمة التاريخ، روبرت تسكر (٢١ ، ٢٥) بتصرف.

(٣) عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (١٨).

(٤) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (١١١).

وأصبح بذلك هو الخط الذي اختارته الكنيسة لنفسها، وهو أعظم وأهم الحوادث التي حدثت في الكنيسة، فهذه أول مرة تجتمع الكنيسة المسكونية ممثلة في أساقفتها، ووضعت دستور إيمانها وهو المعمول به إلى الآن، وفيه هبت الكنيسة هبة رجل واحد للدفاع عن لاهوت السيد المسيح رب ومؤسس الديانة المسيحية، وهو أجلُّ عمل قامت به الكنيسة»[١].

ويقول ج. ويتلر «فتح مجمع نيقية ما يمكن تسميته الفترة اللاهوتية الأولى، الطور الأول من تطور الفكر المسيحي، وهذا الفكر يتصدى منذ البداية لأكثر المشكلات لحاحاً: مشكلة تثبيت مبادئ الإيمان»[٢].

المطلب الرابع

أنواع المجامع شروطها وعددها

أولاً: أنواع المجامع:

يتبين من تعريف المجامع أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم ينشئ هذا النظام ولم يشِر إليه ولم يدعُ إلى تأسيسه، وإنما الذي رسمه وشرعه ووضع نظامه الرسل[٣]، الذين جاءوا بعد المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ،وهذا يعني أن المسيحيين لم يستندوا إلى نص صحيح من قول أو فعل في تأسيس النظام المجمعي.

---

(١) تاريخ البطاركة، ساويرس ابن المقفع (١/ ٤٥).

(٢) الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر (٧٥).

(٣) راجع تعريف المجامع في المطلب الأول.

إن قوانين الإيمان وقواعد الديانة المسيحية إنما أساسها تشريع مجمع أو قرارات لمجمع.

والمجامع في الديانة المسيحية تنقسم إلى قسمين:

١. **مجامع مسكونية:** نسبة إلى الأرض المسكونة، وهي عندهم كل مجمع «حازت تحديداته وقوانينه القبول في المسكونة كلها»[(١)]، وهذا التعريف كان مقبولاً لدى جميع الطوائف النصرانية حتى عهد الانشقاق الكبير بين الكنيستين الشرقية والغربية، وأما بعد ذلك، ونظراً لعدم واقعية التعريف، فقد جاء تعريف آخر من متأخري الكتّاب الكاثوليكيين[(٢)]، وهو أن المجمع المسكوني هو: «الذي يدعى إليه الأساقفة ومن لهم حق التصويت من كل أنحاء العالم، والذي يُعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه، ويجيز مراسيمه، فيتحتم على المسيحيين لذلك وجوب التقيد بأوامره»[(٣)].

ومما يؤخذ على التعريف ما جاء فيه أن المجمع المسكوني يعقد برئاسة البابا أو أحد مندوبيه، فإن المجمع المسكوني الثاني المنعقد في عام (٣٨١م) لم يحضره البابا ولم يكن له نائب فيه، وتعترف الكنيسة الغربية الكاثوليكية بمسكونيته[(٤)].

---

(١) انظر: مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب (١٠).

(٢) انظر: مصادر النصرانية، عبدالرزاق الآرو (٢/ ٧١٢).

(٣) مجموعة الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب (١٠).

(٤) انظر: المرجع نفسه؛ ومصادر النصرانية، عبدالرزاق الآرو (٢/ ٧١٣).

وعليه فإن اشتراط أن يكون انعقاد المجمع بدعوة من البابا نفسه أو تثبيتاً منه ليكون مسكونياً شرط لا تعترف به جميع الكنائس، ولم تنظر إليه بدلالة اعترافهم بمسكونية عدد من المجامع التي لم يدعُ البابا إلى انعقادها ولم ينِب عنه ممثلاً لحضورها.

وقد عقدت المجامع المسكونية عدة مرات في القرون الأولى، وشهدها الأساقفة[١]، والقساوسة[٢]، وشمامسة[٣] الكنائس من سائر أنحاء المسكونة[٤]، وقد علل الدكتور شلبي سبب عقدها ظهور آراء دينية غريبة

---

(١) الأساقفة: مفرد أسقف، كلمة يونانية الأصل، معناها: مشرف، وتستخدم أحياناً مرادفاً لكلمة مندوب أو وكيل، والأسقف رتبة دينية عند النصارى فوق رتبة القسيس ودون رتبة البطريرك، انظر: قاموس الكتاب المقدس(٧٢-٧٣)؛ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/ ٩٦٦).

(٢) القساوسة: القس كلمة يونانية بمعنى: شيخ، والقسيس: رئيس النصارى في العلم، والمفتي في الدين، ومرتبته بين الأسقف والشماس، وقد يكون القس راعياً في قرية أو حي، أما الأسقف فيرأس إبرشية مكونة من عدة كنائس. انظر الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب (٢/ ١٢٥).

(٣) شمامسة: كلمة معربة من الكلمة اليونانية (دياكوتس)، ومعناها: الخادم، والشماس: درجة كهنوتية داخل الكنيسة ترجع إلى عصر مبكر جداً، مهمته القيام بالخدمة الاجتماعية والروحية والوعظ أحياناً ومساعدة الأسقف في الخدمة. انظر: قاموس الكتاب المقدس(٥١٩-٥٢٠)؛ الموسوعة الميسرة في الأديان (٢/ ١٠٩٣).

(٤) انظر: تاريخ الأمة القبطية ، لجنة التاريخ القبطي (٢/ ١١٢).

رئي من الضروري فحصها في هذه المجامع وإصدار قرارات بشأنها[١]، وهذا يعني أن عمل هذه المجامع هو فحص المسائل المتعلقة بالإيمان، وإصدار القرارات والقوانين الخاصة بالعقائد الإيمانية[٢]، ويضيف الدكتور الحاج تعليلاً آخر يوضح فيه سبب عقد المجامع المتمثل في ظهور الصراع والخلاف حول ركن الألوهية والتوحيد، فمنهم من يقر بإلهية المسيح ومنهم من ينكرها[٣].

ومنذ القرن الرابع أخذت المشاكل الخاصة بالتنظيم الكنسي والعقيدة تناقش عن طريق الاجتماعات الكنسية التي يتمثل أعلاها في المجامع المسكونية، وقد عقد من المجامع المسكونية عشرون مجمعـًا، كان من أهمها ذلك الذي دعا إليه قسطنطين وعقد في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة ٣٨١م، حيث قُرِّرت العقائد الرئيسة للمسيحية، والتي تلتقي حولها جميع الفرق والمذاهب، وكانت الدعوة لهذه المجامع توجه إلى كل الأساقفة أو من ينوبون عنهم إذا لم يتيسر حضورهم شخصياً، وتصبح مناقشات هذه المجامع ملزمة للكنيسة كلها، وتتم هذه الإجراءات جميعها تحت الرعاية الإمبراطورية[٤].

---

(١) انظر: المسيحية، أحمد شلبي (١٩٧).

(٢) عصر المجامع ، القمص كيرلس الانطواني (٢١).

(٣) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (١٦٦).

(٤) انظر: العالم البيزنطي، ج. م هسي (٢٥٦-٢٥٧)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (١٥٦).

٢. مجامع محلية أو مكانية (إقليمية): تخص إقليماً بعينه، أو ملِّية تخص ملَّة بعينها أو طائفية بعينها، وهي التي كانت ولا تزال الكنائس تعقدها في دوائرها الخاصة من أساقفتها وقساوستها، إما لإقرار أو لرفض عقائد عامة، أو للنظر في بعض الشؤون المحلية الخاصة[١]، والمهم من هذا التقسيم ما يختص بالقسم الأول: المجامع المسكونية؛ لأنها هي المختصة بتقرير القواعد والقرارات الدينية العامة التي ينبغي أن تلتزم بها كل الطوائف، والكنائس، والقساوسة، والرهبان، والأساقفة، والبطريركيات، أما بالنسبة للمجامع المكانية فتأثيرها محدود وقراراتها خاصة بالمكان والملة والإقليم الذي عقدت فيه، فلا يهم ذكرها أو حصرها[٢].

ثانياً: شروط المجامع المسكونية[٣]:

ينبغي أن تتوفر في المجامع العامة المسكونية بضعة شروط حتى يطلق عليها اسم مجامع مسكونية، نوجزها فيما يلي:

١. أن تنعقد بسبب بدعة أو انشقاق.

٢. أن تنعقد بدعوة من الإمبراطور المسيحي.

---

(١) تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي (٢/ ١١٢).

(٢) انظر: أضواء على المسيحية، رؤوف شلبي (٩٥).

(٣) انظر: عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (٢٤-٢٦)، هناك شروط أخرى غير ما ذكرت، لكن لم تتفق عليها جميع الكنائس النصرانية، وما اثبت أعلاه من شروط هو محل اتفاق بين الكنائس جميعها.

٣. أن يحضرها غالبية أساقفة الكنيسة شرقًا وغربًا لتتمثل فيها المسكونة[1].

٤. تقرير شيء جديد لم يكن مقرراً من قبل.

وعلى ضوء هذه الشروط، نستطيع أن نقول: إن جميع المجامع التي سبقت المملكة المسيحية؛ أي التي انعقدت في الثلاثة القرون الميلادية الأولى، لا تسمى مجامع مسكونية، بل تعتبر مجامع مكانية.

ولسنا نجد في تاريخ الكنيسة من المجامع التي تنطبق عليها الشروط السابقة، سوى ثلاثة فقط يطلق عليها اسم المجامع المسكونية؛ وهي:

١) مجمع نيقية[2]: وهو المجمع المسكوني الأول -محور دراستنا-، وانعقد عام (٣٢٥م) بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الكبير[3]؛ لظهور بدعة

---

(١) لايشترط في الأساقفة الحاضرين في مجمع مسكوني أن يبلغوا عدداً معينًا، كما أنه ليس من الضروري أن تكون جميع أقطار العالم ممثلة فيه، أو أن الدعوة قد وجهت إلى أساقفتها، وإنما المهم في اعتبار المجمع مسكونيًا أن يجري الاعتراف به في جميع أنحاء المعمورة أنه مسكوني. انظر: مجموع الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب(١٠)؛ ومصادر النصرانية، عبدالرزاق الآرو (٢/ ٧١٣).

(٢) مجمع نيقية: نسبة إلى مدينة نيقية التي عقد المجمع فيها، وهي من أعمال إسطنبول بآسيا الصغرى، وفيها اجتمع آباء الملة المسيحية لحضور مجمع نيقية، تسمى الآن: أرنك، وكانت عاصمة الإمبراطورية البيزنطية من (١٢٦م – ٢٠٤م). انظر: مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، صفي الدين البغدادي (١/ ١٤١٢).

(٣) قسطنطين الكبير: سيأتي التعريف به مفصلاً في الصفحات القادمة.

آريوس[(١)] القس الإسكندري، وقد حضره ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفاً، ووضع قانون الإيمان مع عشرين قانوناً لسياسة الكنيسة.

٢) مجمع القسطنطينية: وهو المجمع المسكوني الثاني، وانعقد عام (٣٨١م) بدعوة من الإمبراطور ثيؤدوسيوس الكبير[(٢)]؛ لدحض بدعة مكدونيوس[(٣)]، وحضره مئة وخمسون أسقفاً، وقد أكمل قانون الإيمان النيقاوي، كما وضع قوانين لسياسة الكنيسة.

٣) مجمع أفسس الأول: وهو المجمع المسكوني الثالث، وانعقد عام (٤٣١م) بدعوة من الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير[(٤)]؛ لظهور بدعة

---

(١) آريوس: سيأتي التعريف به مفصلاً في الصفحات القادمة.

(٢) ثيؤدوسيوس الكبير: تولى عرش القسطنطينية بعد مقتل إمبراطور الشرق (فالنز) سنة (٣٨٠م)، وكان موصوفاً بالفطنة والسياسة ومعرفة فنون الحرب، وكان يهدف إلى تحقيق وحدة الإمبراطورية، فكان عنيفاً ضد المخالفين لقرارات مجمع نيقية، أصدر مرسوماً سنة ٣٨٠م يقضي بتجريم كل من عارض وخالف قرارات مجمع نيقية، لقب بالملك الأرثذوكسي، توفي في مدينة ميلان سنة (٣٩٥م). انظر: شرح مبسط لقانون الإيمان، الأنباء إغريفوريوس (٤٠)؛ الإمبراطورية البيزنطية، عبد القادر اليوسف (٣٢).

(٣) مكدونيوس: أحد أتباع آريوس وأسقف لكنيسة القسطنطينية من سنة (٣٤٢م) إلى (٣٤٦م)، ومن سنة (٣٥١م) إلى (٣٦٠م)، ثم عزل بسبب مقالته في الروح القدس، فكان ينادي بأن الروح القدس مخلوق كسائر المخلوقات؛ أي: ليس بإله، وكان له أتباع كثيرون استمروا بعد موته، أطلق عليهم الماكدونيين. انظر: تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي (٢/ ١١٥)؛ شرح مبسط لقانون الإيمان، الأنباء إغريفوريوس (٤٢).

(٤) ثيؤدوسيوس الصغير: بعد وفاة الإمبرطور أركاديوس سنة (٤٠٨م) خلفه ابنه =

نسطور[١]، وقد حضره مئتا أسقفٍ، وانتهى إلى وضع مقدمة قانون الإيمان مع ثمانية قوانين لسياسة الكنيسة.

وقد اعترفت جميع الكنائس المسيحية شرقًا وغربًا بهذه المجامع الثلاث، وتمسكت بمبادئ إيمانها، كما نفّذت قراراتها وقوانينها.

ثالثاً: عدد المجامع المسكونية:

المجامع التي انعقدت لصياغة أصول العقيدة النصرانية وأطلق عليها مسكونية في الغالب[٢] بلغت عشرين مجمعًا، من القرون الأولى للمسيحية إلى سنة ١٨٦٩م، وقد أحصاها صاحب كتاب (سوسنة سليمان) نوفل بن نعمة الله بن جرجس، وذكرها كلها بالإجمال، وذكر قراراتها بالإشارة[٣].

وتحصي الكنيسة الكاثوليكية اليوم واحداً وعشرين مجمعًا مسكونيًا

=

ثيؤدوسيوس الصغير ،كان مقطوع النسل كثير الصوم حافظًا للكتاب المقدس. انظر: عصر المجامع المسكونية، القمص كيرلس الانطواني (١٣٨-١٣٩).

(١) نسطور: أسقف القسطنطينية، ولد بسوريا سنة (٣٨٠م)، اشتهر بالخطابة والتقوى وحسن السيرة، عي!ن بطريركًا على كرسي القسطنطينية، بقي كذلك حتى أعلن مذهبه بأن مريم العذراء أم المسيح الإنسان وليست والدة الإله، وإليه ينسب المذهب النسطوري. انظر: تاريخ الأمة القبطية، لجنة التاريخ القبطي (٢/ ١١٦).

(٢) لوجود خلاف في مسكونية بعض المجامع، كما أن هناك مجامع عقدت بعد عهد الانشقاق في الكنيسة على أنها مجامع مسكونية، ولا يوافق خصوم منظميها عليها. انظر: مجموع الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب (١٤-١٥، ٧٦٣).

(٣) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٢٤) نقلاً عن كتاب: سوسنة سليمان.

لم تكن جمعيها مسكونية فيما مضى، ولكن إذا وجدت الكنيسة في قرارات بعض المجامع المحلية القديمة قيمة في التعليم العقدي وتعبيراً أدقَّ عن إيمانها كما تفهمه في الأيام القائمة؛ فليس هناك من مانع في أن تعتبر ذاك المجمع مسكونيّـًا؛ أي أنه في ثقل مجمع مسكوني في المعنى الحالي، وتعتبر قراراته موجبة حتى اليوم القائم. فالمجمع القديم إذا كان يمثل بصورة خفيفة وحسب ظروف الحق الكنسي آنذاك الكنيسةَ كلها، وكان قد أقر عقيدة أرادها موجبة بصورة مطلقة وأكيدة للكنيسة كلها؛ فذلك المجمع هو أصلاً معصوم[١].

أما الكنيسة القبطية الأرثذوكسية المصرية فتعترف بثلاثة مجامع فقط؛ هي: المجمع الأول (مجمع نيقية المنعقد سنة ٣٢٥ م)، والمجمع الثاني (مجمع القسطنطينية سنة ٤٨١ م)، والمجمع الثالث (مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٣١م)[٢].

ونحن هنا لا نريد تتبع هذه المجامع، فقد اقتصرنا -فيما سبق- على الأولى منها، المهمة والمشهورة، والتي تصدت لما بدأ في نظر الكنيسة هرطقات[٣] عليها اقتلاعها كالآريوسية والنسطورية.

---

(١) انظر: معجم اللاهوت الكاثوليكي (٣٠٥).

(٢) انظر: قاموس المصطلحات الكنسية، ملطي تادرس (٤٨).

(٣) الهرطقات: مفردها هرطقة، وهي كلمة يونانية الأصل تعني (الرأي المستقل) أو (الاجتهاد الفردي)، وقد استخدمتها الكنيسة بمعني المذهب الخارج عن المسيحية وعلى ما تقرر في المجامع المسيحية. انظر: الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر (١٧-١٨).

وبمتابعتنا السابقة لهذه المجامع بتواريخها وقراراتها يتضح لنا بما لا يدع مجالاً للشك كيف تمت صياغة المسيحية عبر المجامع على مر العصور، ويوضح أنها أصدرت عقائد وقرارات لا يعرف عنها المسيح أي شيء؛ لأنها صيغت بعد القرن الثاني مع صياغة الأناجيل[١].

فالمجمع الأول: قرر ألوهية المسيح.

والمجمع الثاني: قرر ألوهية الروح القدس.

والمجمع الثالث: قرر أن المسيح اجتمع فيه الإنسان والإله فقط، وأن مريم والدة الإله.



(١) انظر: المساومة الكبرى، زينب عبد العزيز (١٣٠).

المبحث الثاني

المجمع المسكوني الأول: نيقية (٣٢٥م)

المطلب الأول

أسباب انعقاد المجمع

شهدت القرون الأولى للمسيحية أزمة شديدة، تمثلت في الظلم والاضطهاد الواقع عليها من ملوك الرومان، إلى أن مال الإمبراطور قسطنطين إلى المسيحيين، وأصدر مرسوماً يأمر فيه بالتسامح معهم سنة (٣١٣م)، عرف بمرسوم ميلان[١]، يتضمن حرية العبادة في الإمبراطورية الرومانية، فازدهرت المسيحية، ولكن هذا الازدهار لم يدم طويلاً؛ إذ بدأت الخلافات الحادة تظهر على السطح بين فرق النصارى المختلفة، التي كانت منشغلة فيما مضى بدفع الاضطهاد الروماني الوثني عن أتباعها، وقد كان الاضطهاد يمنع ظهور مثل هذه الاختلافات[٢].

يقول أدولف هرنك أستاذ تاريخ الكنيسة بجامعة برلين: «لما كان

(١) مرسوم ميلان: أصدره الإمبراطور قسطنطين والإمبراطور ليسينيوس سنة (٣١٣م)، وينص على إعطاء النصارى الحرية في الديانة، وإرجاع املاكهم المغتصبة، وإقرار حرية الأديان عموماً. انظر: نص المرسوم في كتاب: المساومة الكبرى، زينب عبد العزيز (٣١٧).

(٢) انظر: المسيحية النصرانية، ساجد مير (٧٣)؛ دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمد البار (٤٢٨)؛ محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٢٥).

الاضطهاد الروماني ضد المسيحية قد توقف، فإن السؤال عن لاهوت المسيح وناسوته بدأ يغلب في كنيسة الإسكندرية، ولم يكن آريوس هو أول من أثاره، إذ كان ذلك موضع جدل قبل ذلك...»[١].

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة: «نعم، لم يكن آريوس مبتدع هذه الفكرة بين المسيحيين، بل إنها مشهورة ومعروفة، إن الذنب ليس على آريوس، بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع، ولكن تأثيره هو كان الأقوى»[٢].

وكان من أبرز وجوه الاختلاف ما كان بين كنيسة الإسكندرية التي رفعت مقام عيسى إلى ابن الله القديم إله حق من إله حق، وهو مساوٍ للآب، وأول من قال بهذا القول بولس[٣]، وبين كنيسة أسيوط التي تبنت قول

(١) طائفةالموحدين ، أحمد عبد الوهاب (١٠).

(٢) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٢٦).

(٣) بولس: اسمه العبري (شاؤول)، ولد في طرطوس بآسيا الصغرى، حوالي السنة العاشرة الميلادية، تأثر بالبيئة التي عاش فيها في القدس في المدارس اليهودية، وتحول بولس فجأة من اليهودية إلى النصرانية، على الرغم من عدائه الشديد للمسيح وتلاميذه، آمن بألوهية المسيح، وغيّر اسمه ليصبح بولس، استطاع أن يدّعي الرسالة العالمية، ويعمم أفكاره اللاهوتية الجديدة، عمل على تقريب النصرانية إلى الوثنية الرومانية مع المزج بالفلسفة اليونانية، وقد سجن بولس في سجن رومية، وأعدم ضربـاً بالسيف خارج روما بثلاثة أميال سنة (٦٧ أو ٦٨م). انظر: قاموس الكتاب المقدس (١٩٦)؛ الموسوعة العربية الميسرة، مجموعة من العلماء (٨٣٧)؛ المسيحية، أحمد شلبي (٨٢، ٩٨)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (١٤٢-١٤٥).

آريوس[١]، الذي يقول: إن المسيح خلق من خلق الله، أوجده من العدم، ليس إلهـًا ولا مساويـًا للآب، ولا مشاركـًا له في الجوهر[٢]، وأخذ على عاتقه بيان فكرة أتباعه من الموحدين والدفاع عنها في مصر وفلسطين والقسطنطينية[٣].

استفحل أمر هذا الخلاف، واشتد الجدل في هذه المسألة، وتعددت الآراء حولها، وطرحت عند النصارى مسألة تأليه المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فنشأ الصراع والانقسام فيها بين مؤيد ومعارض، يقول الأستاذ محمد فريد وجدي: «كانت الكنائس النصرانية في الجيل الرابع متوزعة بين حزبين؛ أحدهما: يقر بإلهية المسيح، والآخر: ينكرها»[٤].

وحين وجد الإمبراطور قسطنطين أن النزاع بين آريوس وبطريرك الإسكندرية قد بلغ حداً لا يمكن تجاهله؛ بعث خطابـًا لكل منهما يوبخهما على تنازعهما لأجل أمور تافهة واختلافات وهمية فيما يقول عالم اللاهوت ميلر. وقد أمر قسطنطين في رسالته أن يتخلى كل واحد منهما عن عاطفة عدائية تجاه الآخر.

---

(١) ستأتي ترجمته مفصلة في المطلب الثاني.

(٢) انظر: الهرطقة في المسيحية، ج.ويتلر (٧٩-٨٠)؛ طائفة الموحدين، أحمد عبدالوهاب (١١-١٢).

(٣) انظر: العقائد المسيحية بين القرآن والعقل، هاشم جودة (١٢٥).

(٤) دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وجدي (١٠/ ٢٠٣).

أدرك الإمبراطور خطورة الأمر على كيان مملكته، مع تزايد اتساع هوة الخلاف إلى أقصى مدى له بين كلا الطرفين، فخشى أن يمتد ذلك النزاع خارج تخوم مصر ويبلغ الولايات الرومانية الأخرى.

بالإضافة إلى ذلك كان قد فطن إلى أن إيقاف الظلم عن المسيحيين واتحاد المسيحية وتعاونها معه من أمسّ الحاجات السياسية إلى الدولة، وسوف يؤدي إلى اتحاد الإمبراطورية كلها.

وتنبه إلى أن الصراعات العنيفة بين رجال الدين تؤثر في أمن الدولة، وهو الذي دان بالمسيحية أصلاً لهذا الغرض، كما يميل كثير من المؤرخين.

لهذا كله دعا إلى عقد مجمع ديني كبير يحضره كبار القساوسة في الإمبراطورية؛ لمناقشة تلك الافكار التي دعا إليها آريوس[١].

يقول القمص مينا جاد كاهن بمدينة إسنا: «المجمع المسكوني الأول، والمعروف بمجمع نيقية، والذي انعقد بمدينة نيقية سنة ٣٢٥م، بأمر الملك قسطنطين الكبير ليناقش ويبطل بدعة آريوس»[٢].

ويقول ول ديورنت: «إن أتباع المسيح قد انقسموا في الثلاثة القرون الأولى من ظهوره إلى مئة عقيدة وعقيدة»[٣].

---

(١) انظر: مختصر تاريخ والمسيحية، ميلر (١٥٧)؛ المسيحية، ساجد مير (٧٤)؛ النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (١٧٥).

(٢) كنيسي عقيدة وإيمان، للقمص مينا جاد (٧٦).

(٣) قصة الحضارة، ول ديورنت (٣/ ٢٩١)

ويتبين لنا مما سبق أن السبب العام وراء انعقاد هذا المجمع هو اختلاف المسيحيين في المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ هل هو إله ابن إله، وإن كان إلهـًا فكيف يكون إنسانـًا حقـًا في الوقت نفسه[١].

ومن الملاحظ أن المسيحيين قبل انعقاد المجمع كانوا على آراء كثيرة ومختلفة حول المسيح، نذكر منها باختصار ما يلي:

١-منهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله.

٢-ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية منها.

٣-ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب؛ لأن كلمة الله دخلت في أذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها.

٤-ومنهم من كان يقول إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت كواحد منا في جوهره، وإن ابتدأ الابن من مريم، وأنه اصطفي ليكون مخلصـًا للجوهر الأسمى، وصحبته النعمة الإلهية، وحلت فيه المحبة والمشيئة، ولذلك سمّي ابن الله، ويقولون: إن الله جوهر قديم واحد وأقنوم[٢] واحد،

---

(١) انظر: النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها،عرفان فتاح (٨٤).

(٢) أقنوم وأقانيم: هذه الكلمة للتعبير والتمييز بين الآب والابن والروح القدس، وفي نظر المسيحيين تعني الخواص التي يتميز بها كل أقنوم مع عدم الانفصال والاستقلال، فهي الشيء المستغني بذاته عن أصل جوهره. انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، =

يسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس.

٥-ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاث مئة وثمانية عشر أسقفًا، وذلك هو سبب الانعقاد الخاص، خلاف غير محدود وآراء غير متلاقية ولا متحدة بوجه من الوجوه[١].

وهكذا يمكن أن نحصر أسباب انعقاد المجمع في سببين:

عام: هو الاختلاف بين المسيحيين في شخص المسيح.

وخاص: هو الخلاف بين آريوس وبطريرك الإسكندرية حول حقيقة المسيح والعلاقة بينه وبين الآب.

يقول ويل ديورنت في قصة الحضارة: «ولما جاء قسطنطين إلى نقوميديا بعد أن هزم ليسينوس سمع من أسقفها قصة خلاف آريوس وألكسندر، فأرسل إليهما رسائل شخصية يدعوهما أن يتخلقا بأخلاق الفلاسفة، وأن يوفقا بين آرائهما المختلفة في سلام، فإن لم يفعلا فلا أقلّ من أن يخفيا جدلهما عن آذان الجماهير»[٢].

ويجدر بنا قبل أن ندخل في تفاصيل المجمع أن نبين أن هناك أسبابـًا ودواعيَ كثيرةً غيرَ ما ذكرنا تطلبت عقد المجمع لإيجاد حلّ لها كما ذُكر في

=

محمد الحاج (٢٠٧-٢١٢).

(١) العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن بن حبنكة الميداني (٥٨، ٧٨).

(٢) قصة الحضارة، ول ديورنت (١١/ ٣٩٣).

تاريخ المجامع، تلك الأسباب تتعلق بمسائل تنظيمية تشريعية تخص النظام الكنسي، ونحن لا تهمنا مثل هذه الدواعي، الذي يهمنا هو تلك الأسباب والدواعي المتعلقة بالمسائل العقدية[1].

المطلب الثاني
جلسات وأحداث المجمع

أولاً: مكان انعقاد المجمع:

انعقد المجمع المسكوني العالمي الأول في مدينة نيقية سنة ٣٢٥م، بأمر وطلب من الإمبراطور قسطنطين؛ للبت بصفة نهائية في المسائل التي أثارها آريوس، وكان المجمع سينعقد في أنقرة، إلا أن الإمبراطور أمر بنقله من هناك إلى مكان قريب من القسطنطينية حتى يتابع بنفسه حضور المجمع وأحداثه، وسخر البريد الرسمي لنقل الأساقفة من مختلِف جهات الإمبراطورية، ورغم أن هذا المجمع قد اعتبر مسكونياً إلا أن أغلب الأساقفة الذين اجتمعوا في نيقية يمثلون الكنائس الشرقية، وكانت وفود الكنائس الغربية محدودة العدد جداً[2].

ومما يجب أن يذكر في هذا المجال، أن الإمبراطور قسطنطين لم يستشر

(١) ذكرت تلك الأساب والدواعي كاملة في كتاب: عصر المجامع، للقمص كيرلس الأنطواني (٣٦-٤١).

(٢) انظر: المسيحية النصرانية، ساجد مير (٧٤)؛ الفكر الاسلامي في الرد على النصارى عبد المجيد الشرفي (١٠٨).

كرسي روما بما يخص الدعوة إلى مجمع مسكوني، إنما بعث بدعوة إلى بابا روما كسائر الأساقفة، ولقد ثبت البابا موافقته على الدعوة الإمبراطورية، بإرسال كاهنين من قبله، وأصبح ذلك سنة في المجامع التي انعقدت بعد ذلك[١].

خصص للاجتماع الساحة الوسطى في القصر الملكي لاتساعها، حيث أعدت فيها المقاعد الكثيرة، كما وضع في الوسط كرسي من الذهب يجلس عليه الإمبراطور[٢].

ثانياً: عدد الحضور:

مَثّل الكنائس عدد غفير من الأساقفة، من شتى الكنائس المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية الرومانية، يقول يوسابيوس القيصري: «إن زهرة خدام الله من جميع الكنائس المنتشرة في أوربا وأفريقيا وآسيا كانت مجتمعة في ذلك المجمع»[٣].

ودار جدل طويل بين المؤرخين لعصر المجامع حول عدد الأساقفة الذين حضروا هذا المجمع، فهناك عدة روايات -منها رواية أسقف أنطاكية- ذكرت أن العدد بلغ مئتين وسبعين أسقفاً، وبعض الروايات تحدد

(١) انظر: تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، ميشيال أبرص (١٤٧).

(٢) عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (٨٧-٨٨).

(٣) مختصر تاريخ الكنيسة، أندروميلر (١٩٧).

العدد ما بين ثلاث مئة وخمس مئة وعشرين أسقفـاً[1]، أما القمص كيرلس الأنطواني فيقول: «بلغ عدد الآباء ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفـاً، منهم ثلاث مئة وعشرة من الشرق، وثمانية فقط من الغرب»[2].

ويلاحظ أن ممثلي كنائس الشرق قد احتلوا المكانة الأولى، بل إن الأغلبية الساحقة من أعضائه جاءت من الشرق، ولم يأت من الغرب إلا أربعة أو خمسة أشخاص، ولعل هذا يرجع إلى أن المسألة التي انعقد المجمع بسببها انبعثت من الشرق وانتشرت هناك، وهذا له دلالة مهمة في المجمع وما صدر عنه من قرارات تم فرضها وإلزام الحاضرين بها[3].

ويذكر ماري سليمان في كتاب (المجدل) وابن البطريق أن عدد الحضور بلغ ألفين وثمانية وأربعين أسقفـاً[4].

واعتادت الكنيسة تقليديـاً تسمية هذا المجمع بمجمع (الثلاث مئة وثمانية عشر أبـاً) وهذا العدد يمثل الأساقفة الذين وافقوا ووقعوا على قانون نيقية. ولقد سمي هذا المجمع إضافة إلى التسمية التقليدية للكنيسة بمجمع الآباء المعترفين، وفيه أحضر كل أب ما لديه من معلومات عن

---

(١) انظر: تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (٣/ ٤٢).

(٢) عصر المجامع، كيرلس الانطواني (٩٧).

(٣) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، الخضري (١/ ٦٣١)؛ مصادر النصرانية، الآرو (٢/ ٧٤٥).

(٤) انظر: دراسات في الأديان، سعود الخلف (١٨١) نقلاً عن كتاب: المجدل لماري سليمان؛ وتاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، ابن البطريق (١٢٦).

مجمع نيقية، وأعادوا جمع القوانين العشرين، وقانون الإيمان النيقاوي، ولائحة الآباء. ويعود سبب الاختلاف في تحديد عدد الأباء الحاضرين إلى كثرة روايات المؤرخين الكنسيين، سواء في العصور القديمة، أو في العصور الحديثة[1]، وكان من أبرز الحاضرين: البابا ألكسندروس، وهو البابا الوحيد في ذلك الوقت المدعي ضد آريوس، وكان معه سكرتيره الخاص أثناسيوس رئيس الشمامسة، الذي تولى الدفاع عن لاهوت السيد المسيح ضد حجج آريوس، وقد اعترض الأساقفة المؤيدين لآريوس على حضور أثناسيوس كونه شماساً، إلا أن الإمبراطور لم يسمع لهم وأمر بإبقاء أثناسيوس في جلسات المجمع[2].

ثالثاً: افتتاح المجمع وجلساته:

افتتح المجمع أولى جلساته صباح اليوم العشرين من شهر أيار عام ٣٢٥م كما ترجح، وكما تؤكد أغلبية المراجع المسيحية.

وقد اتخذ كل واحد من الأساقفة مكانه المخصص في المجمع، وعندئذ حضر الإمبراطور قسطنطين مع أفراد حاشيته، وجلس في المكان المخصص له، ودعا الأساقفة إلى الجلوس ، ويذكر أن الإنجيل وُضع بين الإمبراطور والأساقفة؛ دلالة على الحضور الإلهي بينهم.

(١) تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، ميشيال أبرص (١٤٩).

(٢) انظر: المجامع المسكونية المقدسة، الأنبابيشوي، المجمع المسكوني (١) مجمع نيقية (٣٢٥م).

وقد اختلف المؤرخون حول الشخص الذي استهل الجلسةالأولى، لكن المتفق عليه أن أوسابيوس المؤرخ أسقف قيصرية[1] هو الذي تولى سكرتيرية المجمع، ورأس الإمبراطور قسطنطين هذا المجمع، وألقى خطبة الافتتاح وسمح للحاضرين بالمناقشة والحوار، وأمرهم بإيجاد حل للنزاع الحاصل.

وقد نظم قسطنطين هذا المجمع، على نسق تنظيم المجالس المدنية في الإمبراطورية، تلك التي كانت تعقد للتداول في أمور ذات أهمية في الدولة، وكانت جلسات المجمع عامة دائماً لجميع المشاركين فيما يبدو، دون أن يكون هناك لجان خاصة أو ما شابهها.

بدأ المجمع يزاول أعماله بالنظر إلى الموضوع الأهم والأكثر إلحاحاً، والذي من أجله جمع الإمبراطور الأساقفة؛ أي الحديث عن بدعة

---

(١) أوسابيوس: القيصري مطران قيصرية مؤرخ مشهور ولد سنة (٢٦٣م) في قيصرية في فلسطين، وعشق العلوم منذ حداثته، وفاق كل الآباء اليونانيين في المعرفة والعلم، كان باحثاً ومجاهداً لا يكل، واستمر يكتب حتى سن متقدمة، اشتغل بعلم التاريخ حتى سمي: (أبا التاريخ الكنسي)، صنف كثيراً من الكتب التاريخية والدينية والعلمية، ترقى في مراتب الكهنوت حتى صار أسقفاً على قيصرية فلسطين نحو سنة ٣١٥م، وكان صديقاً حميماً للملك قسطنطين الكبير، وكان من الموالين لآريوس، توفي نحو سنة ٣٤٠م. انظر: تاريخ الكنيسة الشرقية، الأب البير أبونا (١/ ١٠)؛ والمسيحية في الأراضي المقدسة، يسطس الأورشليمي، (١/ مجمع نيقية).

آريوس[١]، ومناقشة مسألة الكتب المشكوك في قداستها، سواء تلك التي زادت بها الترجمة السبعينية[٢] لأسفار التوراة على الأصل العبري، وغيرها من أسفار النصارى أنفسهم[٣].

بدأت المناقشات حول العلاقة بين الآب والابن، وهل هما متساويان في الجوهر أم أن الابن غير الآب، فحدث الكثير من الجدل والنقاش بين آريوس وإثناسيوس، وشرح كل منهما مذهبه، وحدثت انقسامات ومناقشات حامية.

وإليك ما دار في هذا المجمع من أحداث ومناقشات كما جاءت في كتاب تاريخ المجامع المسكونية الكبرى[٤]:

---

(١) انظر: تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، ميشال أبرص (١٥٥-١٥٦)؛ عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (٨٧-١٠٤) بتصرف.

(٢) الترجمة السبعينية: هي نسخة لكتاب اليهود المقدس (التوراة)، سميت بالسبعينية نسبة للاثنين والسبعين شيخاً الذين قاموا بترجمة التوراة من العبرية إلى اليونانية، صارت هذه النسخة هي المتداولة والشائعة أيام ميلاد السيد المسيح، ولقد اقتبس كتاب العهد الجديد كل آياتهم من العهد القديم من هذه الترجمة السبعينية، وكانت هذه الترجمة سنة (٢٨٥) ق.م. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جنيبر (١٠٨).

(٣) انظر: في مقارنة الأديان بحوث ودراسات، محمد الشرقاوي (٣٢).

(٤) سنورد مجريات الأحداث والنقاشات هنا لأهميتها، ولأنها تحدد مجرى المناقشات التي حدثت وكيف آلت الأمور إلى صدور قانون وقرار المجمع. انظر: تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، ميشال أبرص (١٥٨-١٦٣).

سعى الآريوسيون إلى السيطرة على الوضع، محاولين إبهار الحاضرين، علَّهم يصيبون بعض النجاح، فقدموا قانون إيمان لم يتركه التاريخ لنا، وما أن كادوا ينتهون من تلاوته، حتى ضجت قاعة الاجتماعات، وعلت الأصوات غاضبة، حتى إن البعض منهم سدوا آذانهم، نافرين من هذه الأفكار المنكرة ولاعنينها، وقد أثارت عاصفة من الاستهجان والاحتجاجات.

بعد أيام من الجدال وأمام إصرار آريوس على مواقفه، ولإنهاء النزاع، قرر الآباء تحديد هوية طبيعة الابن؛ أي وضع تعابير جلية واضحة بعيدة كل البعد عن أي غموض أو تفسير محرف؛ لأن آريوس وأتباعه كانوا يؤولون على مزاجهم وبطريقة محرفة كل التعابير التي كان يعرضها آباء المجمع، فمثلاً عندما قال الآباء: إن «الابن هو من الآب» قبلوا بهذا التعبير على اعتبار أن كل الأشياء هي من الله، وعندما نادوا بأن الابن هو قوة الآب وصورته الأزلية وهو مشابه له في كل شيء؛ لم يرفضوا ذلك على اعتبار أن الإنسان هو أيضـاً صورة الله وبهاؤه وقوته ومجده، وعندما أعلنوا أن «الابن ثابت مثل الآب» أجابوا: طبعـاً؛ هو ثابت نوعـاً ما، وأزلي أيضـاً.

وللاتفاق على مبدأ معين، عرض الآباء بعض قوانين الإيمان التي كانت تستخدم في كنائسهم لدى منح سر العماد، إلا أن أغلبها لم يفِ بالغرض، وكذلك عرض أوسابيوس القيصري[١] -وكان من بين أكثر الآباء علماً،

(١) أوسابيوس القيصري: سبقت ترجمته.

سواء في العلوم الوثنية أو الكنسية- قانونَ إيمان كنيسته، فنال دستور أوسابيوس رضا الأكثرية التي اعتبرته خاليـًا من أي خطأ لاهوتي، وأنه يعبر عن ألوهية الكلمة وأزليته، كما رضي به آريوس وأتباعه، إلا أن الشماس أثناسيوس وأسقفه وغيرهما من حزب اليمين لاحظوا أن آريوس قد قبل به؛ لأنه يفسر تعبير (مولود) بمعنى (مخلوق)، هنا طُرح على الآباء إجراء تعديل عليه بإدخال كلمة: (أومووسيوس)؛ أي: (المساوي في الجوهر)، للتعبير عن عقيدة الإيمان حول العلاقة بين الآب والابن، وبعد أخذٍ وردٍّ بين الأطراف المتنازعة تقرر إضافة كلمة (أومووسيوس)[1] إلى قانون إيمان قيصرية؛ لمنع أي التباس أو تفسير خاطئ أمام آريوس وأعوانه، فاحتج هؤلاء أن لهذه الكلمة رفضـًا سابقـًا في الكنيسة، وعاد الجدل من جديد: نقاشات حادة وشكاوى متبادلة واتهامات بالهرطقة، ألحّ البعض على عدم إدخال أي جديد في نص الإيمان المنقول منذ عهد الكنيسة الأولى، واعترض البعض على هذه الإضافة؛ لأنها عبارة فلسفية غير واردة في الكتاب المقدس، في حين شدد الفريق الأرثوذكسي الذي عرض إضافة تلك الكلمة، على أن ثمة قضايا لاهوتية من الواجب تحديدها بدقة، وأن هذه العبارة (أومووسيوس) ضرورية لردع هرطقة آريوس.

في نهاية المطاف وبعد جدال طويل وحجج وبراهين، استطاع حزب اليمين أنصار ألكسندروس أسقف الإسكندرية وشماسه أثناسيوس

---

(١) أومووسيوس: أي مساو في الجوهر.

والأساقفة الغربيون إقناعَ الآباء بعدم خطورة هذا التغيير، فحرروا قانون إيمان قيصرية معدلاً، وأضافوا إليه كلمة (أومووسيوس)؛ أي: مساو في الجوهر وليس فقط مشابه في الجوهر، وأكدوا ألوهيته، وأبعدوا بذلك كل فكرة دونية للابن تجاه الآب.

اضطر قسطنطين أن ينهي هذا النزاع بميله إلى الفئة المؤيدة لكنيسة الإسكندرية، التي كانت تنادي بألوهية المسيح ومساواته للآب في الجوهر والأزلية، وكان عددهم ثلاث مئة وثمانية عشر أسقفًا، فوضع لهم مجلسًا خاصًا بهم، وجلس في وسطهم، وأوعز لهم بعدم الاختلاف وأعطاهم جميع السلطات لوضع صيغة إيمانية، وقال لهم: «إن لكم هذا اليوم سلطان الكهنوت والمملكة لتحلوا وتربطوا، فمن أردتم نفيه أو إبقاءه فلكم ذلك»[1]، فما كان منهم إلا أن ردوا قائلين له: أظهر دين النصرانية وذب عنه[2]. ومن الأمور الغريبة جداً أننا لا نستطيع الاطلاع على محاضر جلسات المجامع؛ وذلك لضياعها جميعًا، يقول الأستاذ علي الريس تعليقًا على هذا الأمر: «وكأن هنا مخطط مقصود لإخفاء الحوارات التي دارت في هذه المجامع، فنحن في حاجة إلى الاطلاع على حجج كلا الطرفين لتقييم وجهات النظر المختلفة، بعيداً عن الدسائس وسيف

---

(١) السنكسار، بطرس الجميل ومجموعة من الأساقفة (١/ ١٢٣).

(٢) التاريخ المجموع على التحقيق، ابن البطريق (١/ ١٢٧).

الإمبراطور»[١]، ومما يؤكد ما سبق أن المسيحيين أنفسهم يذكرون أن هناك محاضر جلسات، قد فقدت مع الزمن، فنجد في كتاب تاريخ المجامع المسكونية الكبرى ما يلي: «لم تصلنا أعمال المجمع: بالحقيقة لم يبق لنا منها سوى ثلاث قطع، وهي: أولاً قانون الإيمان، ثم العشرين قانونـًا، وأخيراً الرسالة المجمعية»[٢].

رابعاً: شخصيات أثرت في قرارات المجمع:

من خلال حديثنا عن أسباب انعقاد المجمع ومجريات أحداثة برزت لنا شخصيات أدّت دوراً بارزاً في قرارات المجمع وسيرِ أحداثه ، وأحدثت – بلا شك– انقلابـًا شاملاً في المسيحية، واستطاعت أن تؤسس عقيدة تختلف تمامـًا عن العقيدة التي جاء بها المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

تلك الشخصيات المؤثرة انحصرت في شخصيتين:

الأولى: كانت سببـًا رئيسيـًا لانعقاد المجمع بسبب أرائها التي تتحدث عنه جميع المراجع المسيحية عند حديثها عن الزندقة والإلحاد في المسيحية، وتعتبر عقيدته التي نادى بها هرطقة، ذلك هو آريوس الهرطوقي كما تسمية المسيحية.

والثانية: كانت سببـًا رئيسـًا في إصدار ما يعرف بالقانون النيقوي الذي

---

(١) نفي الوهية الروح القدس، علي الريس (٢٠٢).

(٢) تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، الأب ميشال أبرص – الأب أنطوان عرب (١٥٦).

غير مجرى العقيدة المسيحية، وأثرت تأثيراً مباشراً على مجريات المجمع وأحداثه وقوانينه التي صدرت، ذلك هو الإمبراطور قسطنطين الذي بتوليه عرش الإمبراطورية تخلص النصارى من عصر الاضطهاد الذي عاشوه طويلاً على يد الرومان.

١-آريوس:

ولد بالقيروان بليبيا عام (٢٧٠م)، وكان له إلمام بعلوم كثيرة، وجاء إلى الإسكندرية فدخل المدرسة اللاهوتية، وتقدم في علومها تقدماً كبيراً، وأظهر خضوعاً للبابا بطرس، فسامه شماساً ثم قساً، ويقال إنه أخذ تعاليمه من لوسياس الأنطاكي، وقام بنشرها ونظم تعاليمه في مقطوعات شعرية ولقنها لأتباعه، فأذاعوها بين العامة، ولقد أجمع الكتاب على أن آريوس كان عالماً مثقفاً، وواعظاً مفوهاً، وزاهداً متقشفاً، وعالماً في التفسير، فاستطاع هذا الشاب العالم المتقشف الزاهد أن يجذب حوله جماعة من أهل الإسكندرية، على الأخص من الرهبان والراهبات الذين وجدوا في أسلوبه الوعظي والتعليمي تجديداً وابتكاراً يختلف عن العظات التي تعودوا على سماعها[١].

اتبع تعاليم المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ ورفض بشدة قبول البدع التي أدخلها بولس في المسيحية، وكان شعاره الدائم لتلاميذه قوله: «اتبعوا المسيح كما

---

(١) انظر: تاريخ الفكر المسيحي، حنا الخضري (٦١٩)؛ مدخل إلى تاريخ الكنيسة، مجموعة الحياة الكنيسية (٤٠).

وعظ»، وصار اسم آريوس مرادفًا للتوحيد، فحاربت الكنيسة آراءه، وحرمت قراءة أفكاره، واعتبرته مصدر كل هرطقة وكفر.

وكانت النتيجة أن فُصل من الكنيسة، وعُيّن مكانه أسقف جديد لكنيسة الإسكندرية، وجرى بينهما صراع عنيف حول ألوهية المسيح وبشريته(١).

وخلاصة عقيدة آريوس التي دعا إليها: أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ليس إلهـًا، بل هو بشر مخلوق لله تعالى.

ولنسمع ما يقوله القمص مينا جاد عن آريوس: «آريوس: ليبي الأصل، سكندري الإقامة، قس أرثذوكسي، عالم متفقه في أمور الدين والفلسفة، لكنه ضل عن الإيمان المستقيم، ونشر بدعته في مدينة الإسكندرية ضد لاهوت المسيح (أقنوم الابن) قائلاً:

- إنه مخلوق، وجد بمشيئة الأب، وقال عن المسيح أيضـًا:
- لم يكن الابن أزليـًا ولذلك فهو قابل للتغير.
- لا فضل للابن ولا قيمة له على سائر المخلوقات إلا بما تفضل به الآب عليه.
- ليس الابن إلهـًا بجوهره، ولكنه عالي القيمة نظراً لعلو مكانته بالنسبة للمخلوقات البقية.

---

(١) انظر: تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ١٥٠)؛ الهرطقة في المسيحية، ج ويتلر (٧٦-٧٧).

هذا هو ملخص تعليم آريوس ضد لاهوت المسيح»[١].

وعلى ذلك فمذهب آريوس يقوم على الوحدانية، وبهذه العقيدة قام في وجه كنيسة الإسكندرية التي كانت تنادي بمساواة الابن للآب في الجوهر والأزلية، فحدث الصراع والانقسام بين من ادعى ألوهية المسيح وبين الموحدين بزعامة آريوس، الذي لاقى مقاومة شديدة من كنيسة الإسكندرية ورجالها، ولكنه استمر بدعوته رافضاً أوامر بطريرك الإسكندرية، الذي استدعى الأساقفة وألفوا مجمعاً حرموا فيه آريوس ومذهبه.

وكان هذا الخلاف والنزاع من الأمور التي أدت إلى تدخل الإمبراطور، الذي حاول فصل النزاع، فطلب بعقد مجمع نيقية[٢]، يقول قسطنطين في رسالته إلى الكنائس: «بما أني رأيت أنه لمن المستحيل أن يعم نظام ثابت وأكيد إلا باجتماع الأساقفة كلهم معاً، أو على الأقل غالبيتهم، في مكان واحد، حتى يفحص كل منهم المسائل المتعلقة بالديانة المقدسة لهذا السبب، فيجتمعوا بأكبر عدد ممكن، أنا نفسي أكون حاضراً كواحد منكم، لأني لا استطيع إنكار أني حاميكم، هذا ما يبهجني، وبعد أن تفحص كل الأمور بدقة يتخذ القرار المرضي لدى الله[٣]. ونتج عن انعقاد مجمع نيقية

---

(١) كتاب كنيستي عقيدة وإيمان، القمص مينا جاد جرجس (٧٦).

(٢)انظر: فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية، لويس عزدية (٢/ ٢٨٧)؛ دائرة معارف القرن العشرين، محمد مزيد وجد (١٠/ ٢٠٣)؛ الروم، أسد رستم (١/ ٥٧).

(٣) تاريخ المجامع المسكونية الكبري والآب ميشيال أبرص (١٤٥).

القول بألوهية المسيح وَفق القانون الذي أصدره المجمع، لكن آريوس لم يتراجع عن مذهبه، بل تابع محاربته لألوهية المسيح، الأمر الذي أدى إلى قتله مسموماً في القسطنطينية عام ٣٣٦»[١].

ولعل من تمام الفائدة أن نذكر المناظرة التي جرت بين آريوس وأثناسيوس رئيس شمامسة الإسكندرية بحضور الإمبراطور قسطنطين، وهذه المناظرة تعتبر المصدر الأصلي والوحيد لبيان عقيدة آريوس[٢].

وقد ذكر لنا زكي شنودة كلاماً لآريوس يشرح فيه مذهبه، بعد أن طلب الإمبراطور منه ذلك فقال: «إن الابن ليس مساوياً للآب في الأزلية، وليس من جوهره، وقد كان الأب في الأصل وحيداً، فأخرج الابن من العدم بإرادته، والآب لا يمكن أن يراه أو يكيّفه أحد، ولا حتى الابن؛ لأن الذي له بداية لا يعرف الأزلي»[٣].

يقول زكي شنودة: «فتصدى له (أثناسيوس) رئيس شمامسة الإسكندرية، ودارت بينهما هذه المناظرة[٤]:

آريوس: إن سليمان الحكيم تكلم بلسان المسيح قائلاً: «خلقني أول طرقة».

---

(١) انظر: اضمحلال الامبراطورية الرومانية، إدوارد جيبون (٤٤١).

(٢) انظر: الروم، أسد رستم (١/ ٥٦).

(٣) تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ١٥٤).

(٤) نفس المرجع (١/ ١٥٥-١٥٦).

أثناسيوس: معنى خلقني هنا ولدني.

آريوس: إن الابن قال: «أبي أعظم مني»[١]، فالابن إذن أصغر من الأب ولا يساويه في الجوهر.

أثناسيوس: الابن دون الآب لكنه تجسد...؛ أي أنه بناسوته يمضي إلى الأب الذي هو أعظم من ناسوت الابن، وإلا كيف يتكلم بلاهوته، إنه يمضى إلى الأب حال كونه في حضن الأب.

آريوس: إن المسيح نسب ذاته لعدم معرفة ساعة الدينونة بقوله لتلاميذه: «أما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعرفها أحد، ولا ملائكة السماوات ولا الابن إلا الآب وحده»[٢]، فإذا كان الابن لا يعرف وقت الدينونة فيكف يكون إلهـًا؟

أثناسيوس: إن المسيح قال ذلك لتلاميذه لئلا يسألوه عن هذا السر الذي لا يجوز لهم أن يطلعوا عليه.

آريوس: إن المسيح قال: «أنا لا أقدر أن اصنع مشيئتي بل مشيئة الذي أرسلني»[٣]، فهو إذن عبد للآب ودونه.

أثناسيوس: إن المسيح تكلم عن مواضيع كثيرة بحسب كونه إلهـًا صار إنسانـًا كقوله: «إلهي إلهي لماذا تركتني»[٤]، «إني صاعد إلى أبي وأبيكم

(١) إنجيل يوحنا: (١٤/ ٢٨).

(٢) إنجيل متى: (٢٤/ ٣٦).

(٣) إنجيل يوحنا (٤/ ٣٤).

(٤)إنجيل متى (٢٧/ ٤٦).

وإلهي وإلهكم»[١]، وبصفته إلهًا كقوله: «من رآني فقد رأى الذي أرسلني»[٢]، وقوله: «أنا في الآب والآب فيّ»[٣].

٢-قسطنطين:

هو فلافيوس فاليروس قسطنطين، ولد في ناسيوس في داكيا سنة (٢٧٤م)، تربى بالرها، وتعلم حكمة اليونان، وبعد وفاة والده تولى الحكم، وخلال السنوات التالية أثبت قسطنطين كفاءة في حروبه، وحقق انتصارات عظيمة، فأصبح إمبراطوراً للعالم الروماني جميعه سنة ٣٢٤م[٤].

كان قسطنطين منذ البداية يميل إلى صداقة النصارى، وإن لم تكن العقيدة تعنى له في البداية شيئًا، ولكن بدأ اهتمامه بها منذ بدأ النصارى يصبحون قوة لفتت أنظار بقية طوائف الشعب والدولة لها، فبدأ سياسته الجديدة بأن حرم اضطهاد النصارى، وأصدر مرسوم ميلان سنة (٣١٣م)، وطالب حكام الولايات بالالتزام الدقيق ببنود المرسوم، وتأمين حرية العقيدة، وحدد السبب الذي دفعه لاتخاذ تلك السياسة، وهو الدافع

---

(١) إنجيل يوحنا (٢٠/ ١٧).

(٢)إنجيل يوحنا (١٢/ ٤٥).

(٣) إنجيل يوحنا (١٧/ ٢١).

(٤) انظر: الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنستانيوس، زبيدة عطا (١٢٥)؛ هداية الحياري في أجوبة اليهود والنصارى، ابن القيم الجوزية (١/ ١٧٢)؛ تاريخ الدولة البيزنطية، محمود السيد (١٧).

الإنساني الذي يستهدف أمن الشعب وسلامته[١].

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً حول الدوافع التي جعلت قسطنطين يعطف على المسيحيين ويتسامح معهم ويرفع الاضطهاد عنهم، فمنهم من يرى أن هذا التسامح جاء نتيجة إيمانه بالديانة المسيحية واقتناعه بها، ومنهم من يرى أن السبب وراء هذا التسامح هو الدافع السياسي ليحفظ للإمبراطورية أمنها ويجمع حوله المؤيدين من جميع الديانات المنتشرة في أرجاء الإمبراطورية، والرأي الأول يدعمه مؤرخوا الكنيسة، جاعلين من قسطنطين حوارياً يضاف إلى حواريي المسيح الاثني عشر[٢]، بل إن الكنيسة نافقت هذا الإمبراطور حتى زعم بعض رؤسائها أنه المسيا المنتظر[٣]، والمخلص[٤] في آخر الزمان، وينقل عن المفسر كي (Kee): «منذ بدء الخليقة قسطنطينُ وحده هو الذي أعطى القدرة على الخلاص والإنقاذ، وأصبح بذلك قسطنطين المنقذ

---

(١) انظر: الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنستاسيوس، زبيدة عطا (١٢٦-١٢٧).

(٢) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ٩٥).

(٣) المسيا المنتظر: كلمة مسيا كلمة آرامية مشتقة من الكلمة العبرية (ماشيح) أو مشيح؛ أي: مسح بالزيت المقدس، ومعناها يشير إلى ملك اليهود المنتظر من نسل داود، سيأتي بعد ظهور النبي (الياس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) ليجمع شتات المنفيين من اليهود، ويعيدهم إلى صهيون، ويتخذ أورشليم عاصمة له، ويعيد بناء الهيكل، ويحكم بالشريعة والقانون. انظر: المسيا المنتظر، أحمد السقا (٨١-٨٢)؛ معجم اللاهوت الكتابي، مجموعة من المؤلفين (٧٤١).

(٤) المخلص: هو يسوع المسيح المخلص الذي أتى وتجسد في صورة الإنسان؛ ليخلص البشر من الخطيئة الأولى ويفديهم كما يزعم النصارى. انظر: معجم اللاهوت الكتابي، مجموعة من المؤلفين (٨٧٠-٨٧١).

الوحيد للعالم ليحل محل يسوع المسيح، أو يكون معه في مرتبته»[١]. وقال يسبوس: «وكما أن الله للكون كذلك الإمبراطور للدولة، فالكلمة الإلهية تستوطن الإمبراطور معلمة إياه الفضائل، ليصبح الراعي الصالح لشعبه وينقذهم من الخطيئة»[٢]، أما الرأي الثاني فيؤكده جل الدارسين المحدثين، جاعلين من قسطنطين سياسيًا حاذقًا[٣]، معتقدين أن سياسة قسطنطين الدينية قد أملتها ضرورات سياسية، فكان اتجاهه للمسيحية بالعطف والتسامح نابعًا من حاجته السياسية لهم؛ إذ رأى في اجتذاب المسيحيين إليه سبيلاً إلى كسب المعارك والإمساك بزمام أمور الإمبراطورية، وهذا ما يؤكده المؤرخ بوركات بقوله: «إن قسطنطين لم يأبه بالدين، وإنه كان يلجأ إلى أي أمر يؤدي إلى تدعيم مركزه ويساعد على تحقيق أهدافه، وإن تفضيله الدين المسيحي يرجع لإدراكه أنه سيصبح قوة عالمية»[٤]، ونجد في كتاب الدم المقدس والكأس المقدسة لمجموعة من المؤلفين هذا القول: «إن قضية الإيمان لدى قسطنطين هي باختصار قضية سياسية، وأي إيمان سيدعم وحدة الإمبراطورية المقسمة سيعامل بكل تأييد...»[٥].

وكما اختلف المؤرخون وعلماء الأديان في تحديد الدوافع التي أدت

---

(١) دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمد البار (٤٢٢).

(٢) أسطوره تجسد الالة في المسيح، جون هيك (٢١٧).

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ٩٥).

(٤) الدولة البيزنطية ، زبيدة عطا (١٢٤).

(٥) الدم المقدس والكأس المقدس ، مجموعة من المؤلفين(٥١٥).

إلى اتّباع قسطنطين للمسيحية وتعاطفه مع النصارى؛ كذلك اختلفوا في تحديد تاريخ اتباعه لها، وتحدد جماعة اتباعه للمسيحية سنة (٣١٢م) وترى جماعة أخرى أنه لم يتبع النصرانية إلا وهو على فراش موته، وهذا الاختلاف اتسعت رقعته اتساعاً يصعب معه الوفاق بين الآراء أو ترجيح بعض الآراء على بعض.

ويذهب المؤرخ الإنجليزيهـ. ج ولز والدكتور ميكل هارت الأمريكي إلى أن قسطنطين تنصر قبل مجمع نيقية بأعوام كثيرة، إلا أنه اختار أن يُعمد[١] وهو على فراش الموت، وأنه قد تنصر قبل ذلك بكثير[٢].

يقول ابن قيم الجوزية: «فلما سمع أهل روسية بقسطنطين، أنه مبغض للشر محب للخير، وأن أهل مملكته معه في ود وسلام، كتب رؤساؤهم إليه يسألونه أن يخلصهم من عبودية ملكهم، فلما قرأ كتبهم اغتم غماً شديداً وبقي متحيراً لا يدري كيف يصنع، قال سعيد بن البطريق: فظهر له على ما يزعم النصارى نصف النهار في السماء صليب من كوكب مكتوب حوله: بهذا تغلب، فقال لأصحابه: رأيتم ما رأيت؟ قالوا: نعم، فآمن حينئذ بالنصرانية»، وقال ابن تيمية: «فآمن ذلك الوقت بالنصرانية، وذلك لست سنين من بعد موت أبيه»[٣].

---

(١) التعميد: طقس الغسل بالماء رمزاً للنقاوة والانخراط في سلك طائفة ما، وتطهير النفوس من الخطيئة. انظر: قاموس الكتاب المقدس (٦٣٧).

(٢) انظر: معالم تاريخ الأنسانية ،هـ. ج ولز (٣/ ٧١٧) ؛ المائةالأوائل، مايكل هارت (٩١).

(٣) هداية الحيارى، ابن القيم (١٧٢)؛ الجواب الصحيح، ابن تيمية (٣/ ٩٩).

وهذا الكلام كان قبل مجمع نيقية بخمسة عشر سنة من رياسته، ونحن نترك التعليق للمؤرخ ول ديورنت الذي يقول بعد سرده لهذه القصة: «ولعل حقيقة الأمر أن قسطنطين رأى أن يربط حظة بحظ المسيحيين، حين رأى (مكسنتيوس) يرفع لواء (مثراس) وهو لواء الشمس التي لا تقهر»[١].

ويتساءل ول ديورانت بعد ذلك فيقول: «تُرى هل كان قسطنطين حين اعتنق المسيحية مخلصاً في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية؟ أو هل كان ذلك العمل حركة بارعة أملتها عليه حكمته السياسية؟ أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الصواب...»[٢].

يقول جون لوريمر: «إن قسطنطين لم يتخل عن عبادته لإله الشمس محتفظاً برموز هذا الإله على العملات النقدية جنباً إلى جنب مع شعار المسيحية، وهو الحرفان الأولان من كلمة: خرستوس؛ أي المسيح في اليونانية، مما يبين أنه في الواقع لم يفهم تفرد يسوع المسيح باعتباره ابن الله ورئيس الإيمان المسيحي، وهناك تمثال في روما لقسطنطين يحمل عليه رمحاً عليه صليب منقوش أنه حرر المدينة من الطغاة بفضل علامة الخلاص هذه. وثمة تمثال آخر له في القسطنطينية وهالة إله الشمس تحيط برأسه، ثم إن قوس قسطنطين الشهير الذي ما زال قائماً في روما عليه نقوش لإله الشمس، ومع ذلك يكتب لأسقف قرطاجنة عن الكنيسة الكاثوليكية

---

(١) قصةالحضارة، ول ديورانت (١١/ ٣٨٥).

(٢) المرجع السابق (١١/ ٣٨٧).

القانونية المقدسة واستناداً إلى مثل هذه الأدلة يلخص كوكران (Cockrane) رأيه بالقول: «إن الإيمان الغامض بالله عند قسطنطين يجمع بمهارة بين متناقضات عبادة الشمس والمسيحية»[(١)].

ومهما كانت دوافع قسطنطين الحقيقية، وسواءً دان بالمسيحية عن إيمان أو لغايات سياسية بحته، فإنه قد قام بدور رئيس ومؤثر في المسيحية منذ سنة (٣١٣م) بإصداره لمرسوم ميلان الشهير الذي من خلاله اعترف بالديانة المسيحية ديانةً رسمية ومعترف بها في الإمبراطورية الرومانية.

يقول أندرو ميلر عن سنة (٣١٣م): «وفي ذلك التاريخ عينه صدر المرسوم الشهير الذي منح المسيحيين الحرية الدينية إلى أقصى حدودها، ومهد السبيل لجعل المسيحية الديانة الشرعية الرسمية للبلاد؛ مما أدى إلى رفع شأنها وأعلاء منزلتها فوق سائر الأديان...»[(٢)].

استطاع قسطنطين أن يأسر الكنيسة بما أغدقه عليها من خيرات، وبما أولاها من نعم، فكسب ولاء رجالها وتأييدهم، فحفظت له الكنيسة جميل أنعمه، ففرض عليها هو بالتالي قاهر إرادته، بمعنى أن قسطنطين اعتبر تسامحه مع المسيحيين أكبر جميل عليهم، فاستغله لصالحه أفضل استغلال، ففرض عليهم ما يريده[(٣)].

---

(١) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (٣/ ٢٣).

(٢) مختصر الكنيسة، ميلر (١٤٧).

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ١٢١ ، ١٢٧ – ١٢٨)؛ الفكر الإسلامي =

يقول برتراند رسل: «والظاهر أن هذا هو ما قصد إليه قسطنطين، فقد كان لا بد من محاباة المسيحيين باعتبارهم كتلة منظمة واحدة؛ لكي يظفر منهم بالتأييد، على حين كانت كل الفرق المعادية للمسيحيين على غير نظام، وبالتالي لم يكونوا ذوي أثر من الوجهة السياسية»[١]، لقد أعطى قسطنطين لنفسه الحق في التدخل المباشر في شؤون الكنيسة، فسعى إلى حل النـزاعات القائمة بين المسيحيين في شمال أفريقيا فيما بينهم، فكانت تلك سابقة خطيرة يلتجئ فيها مسيحيون إلى السلطة المدنية للقضاء على مسيحيين آخرين؛ حتى يضمنوا وحدة الإمبراطورية، فدعا إلى عقد المجامع الدينية المحلية، وتدخل في تعيين الأساقفة وعزلهم[٢]، كما تدخل في عقد المجامع المسكونية، وترأس جلساتها، وأدار مناقشاتها، وصدق على قراراتها، وشارك في صياغة العقيدة على النحو الذي أصبح قانونـًا رسميـًا للإيمان، كما حدث في مجمع نيقية.

لقد جعل قسطنطين من نفسه راعيـًا ورئيسـًا فخريـًا للمجامع الدينية، وفيصلاً في المنازعات بين المذاهب، ومشيراً مطاعـًا في تقرير عقائد الكنيسة[٣].

=

في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (١٠٦).

(١) تاريخ الفلسفة الغربية، برتراند رسل (٢/ ٤٨).

(٢) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ٧)؛ قصة الحضارة، ول ديورنت (٣/ ٣٩١).

(٣) انظر: تاريخ أوربا العصور الوسطى، فشر (٧).

المطلب الثالث

قرارات المجمع وقوانينه

قرر المجمع قوانين وقرارات تتصل بالعقيدة والشريعة والتنظيم الكنسي، ولا يهمنا من تلك القرارات والقوانين إلا ما يتصل بجانب العقيدة[١].

كان من أهم القوانين والقرارات المتصلة بجانب العقيدة قراران؛ هما:

١- قانون الإيمان أو (قانون الأمانة).

٢- الاتفاق على الكتب المقدسة واعتمادها قانونياً وإحراق ما سواها.

أولاً: قانون الإيمان[٢]:

يعتقد المسيحيون بما يسمى بـ(قانون الإيمان المسيحي) الصادر عن مجمع نيقية عام ٣٢٥م، وينص (قانون الإيمان أو الأمانة) على ما يلي:

---

(١) لم تتفق المصادر النصرانية على عدد القوانين والقرارات التي وُضعت وأُقرت في هذا المجمع، مع أنه الحدث التاريخي الأهم في تاريخ الكنيسة في القرن كله، أهي عشرون أم أربعون أم ستون أم سبعون أم ثمانون قانوناً؟ لا ندري ولا يدري أحد على وجه اليقين إلا الله عز وجل، فغاية ما في الأمر أنهم يرجّحون الرأي القائل بأنها عشرون قانوناً؛ لكثرة القائلين به. انظر: مصادر النصرانية، الآرو (٢/ ٧٤٨-٧٤٩)؛ انظر هذه القوانين بالتفصل في مجموع الشرع الكنسي، الأب متى (٤٦-١٠٠).

(٢) يعتمد في الرجوع لنص قانون الإيمان على كتاب عصر المجامع، كيرلس الأنطواني - نص قانون مجمع نيقية ص (١٠٦-١٠٧)؛ كتاب تاريخ الفكر المسيحي، حنا الخضري (١/ ٦٣١) ؛ كتاب كنيسة مدينة الله، أسد رستم (١/ ٢٠٣).

«نؤمن بإله واحد، الله الآب ضابط الكل، خالق السموات والأرض، وما يُرى وما لا يرى، نؤمن برب واحد، يسوع المسيح، ابن الله الوحيد، المولود من الآب قبل كل الدهور، نور من نور، إله حق من إله حق، ومولود غير مخلوق، مساوٍ للآب في الجوهر، كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، هذا الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا نزل من السماء، وتجسد من الروح القدس، ومن مريم العذراء وتأنس، وصُلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم، وقبر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه ،يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، الذي ليس لملكه انقضاء»[١].

بناءً على العبارات التي وردت في قانون الأمانة السابق يتضح أن المسيحيين يعتقدون ما يلي:

أولاً: الإيمان بالإله الآب خالق السموات والأرض.

ثانيًا: الإيمان بوجود ابن الله تعالى، وهذا الابن المزعوم له نفس صفات الإله الآب، فهو إله مع الإله الآب، وهذا الابن الإله هو يسوع المسيح المنبثق من الروح القدس ومريم العذراء.

ثالثًا: الإيمان بأن يسوع مولود غير مخلوق، بمعنى أن المسيح ابن الله – تعالى– بالمعنى الحقيقي؛ لأنه ولد من الآب، لا بل هو إله حقيقي، وكذلك

---

(١) إلى هذه الفقرة هذا قرار مجمع نيقية عام (٣٢٥م)، ثم أضيف إليه فقرات في مجمع القسطنطينية عام (٣٨١م)، ثم وضعت له مقدمة في مجمع أفسس الأول عام (٤٣١م).

إنسان حقيقي؛ لأنه ولد من مريم العذراء، وهو مساوٍ للآب في الجوهر.

رابعًا: يؤمن المسيحيون بأن للمسيح طبيعتين متميزتين: الطبيعة الإلهية، والطبيعة البشرية، أو بتعبير آخر: إنه إله كامل وإنسان كامل معًا(١).

خامسًا: إن المسيح ابن الله قد تجسد؛ أي صار جسداً، واتخذ طبيعة البشر باتخاذه جسداً حقيقيًا، فاتحد اللاهوت –الألوهية– مع الناسوت –الطبيعة البشرية– دون أن يفقده ذلك شيئًا من جوهره، ودون أن يتحول الناسوت إلى لاهوت، ودون أن يمتزج أحدهما بالآخر، والسبب في هذا التجسد لأجل خلاص البشر من الخطيئة الأصلية، فقبِل أن يقدم نفسه فدية لخلاص الناس، فتعرض للآلام والصلب، وقبِل الموت؛ ليطهر شعبه وينال البشر الخلاص، ولأجل أن ينال البشر الخلاص يجب عليهم أن يؤمنوا بالمسيح إلهًا وابنًا للإله، ومخلصًا وفاديًا(٢).

ثانياً: الكتب المقدسة قانونياً:

أ. الكتب المعتمدة:

مما نوقش في هذا المجمع مسألة الكتب المشكوك في قداستها، سواء تلك التي زادت بها الترجمة السبعينية لأسفار التوراة على الأصل العبري، أو

---

(١) هناك اختلاف في طبيعة المسيح بين فرق النصارى، انظر هذه المسألة في كتاب: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٠٤–١٠٥).

(٢)انظر: المسيح في الفكر الإسلامي الحديث، الأب منير خوام (٢٧٧) وما بعدها بتصرف.

غيرها من أسفار النصارى أنفسهم[١]. قرر في هذا المجمع وجوب التسليم باعتماد الأناجيل الأربعة، ورفض ما سواها؛ لمخالفتها لما تم الاتفاق عليه في المجمع.

لبث المسيحيون أكثر من ثلاثة قرون وليس لهم كتاب يسيرون عليه، وعندما عُقد مجمع نيقية نظروا في الأناجيل المختلفة التي بين أيديهم، ويزيد عددها على الخمسين[٢]؛ ليبحثوا بين الرسائل والكتب التي لا عدد لها، الموزعة في مختلف بقاع العالم؛ لعلهم يستخلصون من بين هذه كلها الكتبَ التي يغلب على ظنهم صحتها منها، وبعد نقاش طويل قُرر في هذا المجمع وجوب التسليم باعتماد الأناجيل الأربعة، المنسوبة لـ(متى، لوقا، مرقص، يوحنا)، ورفض ما سواها وإحراقها وإبادتها؛ لمخالفتها ما اتُّفق عليه في المجمع[٣].

ب.تحريم الكتب المخالفة لقانون الإيمان النيقي:

لم يعترف مجمع نيقية بكثير من الكتب، إذ لم يعترف بما يلي: رسالة بولس إلى العبرانيين، ورسالة بطرس الثانية، ورسالة يوحنا الثانية والثالثة،

---

(١) في مقارنة الأديان، الشرقاوي (٣٢).

(٢) انظر: دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمد البار (٦٢) وما بعدها؛ وكتاب المسيح بين الحقائق والأوهام، محمد وصفى (٤٣) وما بعدها.

(٣)انظر: المسيح بين الحقائق والاوهام، محمد وصفي (١١٦-١١٧)؛ المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيز (١٥٤)؛ في مقارنة الأديان، الشرقاوي (٣٢-٣٤).

ورسالة يعقوب، ورسالة يهوذا، ورؤيا يوحنا، ولم يحكم بصحة هذه الكتب إلا في مجمع لوديسيا سنة (٣٦٤م)[١].

يقول الدكتور علي عبد الواحد وافي في رسائل الحواريين: «لم تعتمد هذه الرسائل جميعها إلا في سنة (٣٦٤م)، أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك في صحة حقائقها، وصحة نسبتها إلى أصحابها عند كثير من المسيحيين، حتى إن مجمع نيقية نفسه -وهو أكبر مجامعهم المسكونية- لم يعتمد إلا رسالتين اثنتين من هذه الرسائل، وهي رسالة بطرس الأولى ورسالة يوحنا الأولى ورفض ماعداها»[٢].

ويقول لوريمر: «لم تصلنا إلى الآن معرفة وافية عن الكيفية التي اعتبرت بها الكتب المقدسة كتباً قانونية»[٣].

ومن كل ما سبق يجب أن نضع في الاعتبار أن المجمع اختار الأسفار التي تتفق مع قوانينه، وسلم بها، وجعلها كتباً قانونية، ورفض ما يخالف رغبته وحرمها وأحرقها وأبادها.

---

(١) انظر: محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٠٦).

(٢) حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة، أحمد السقا (١٣٢) نقلاً عن كتاب الأسفار المقدسة، علي عبد الواحد وافي (٩٤).

(٣) تاريخ الكنيسة، جون لوريمر (١/ ١٥٢).

المطلب الرابع
نقد المجمع وقوانينه

إن النظام المجمعي لا يقف أمام النقد طويلاً، ولقد وُجّه إلى المجامع كثيرٌ من أوجه النقد التي تثير الشكوك والريبة في قانونية انعقادها وشرعية عقائدها وقراراتها الصادرة عنها.

ونحن لا نريد هنا أن نورد هذه الأوجه كلها، فذلك يحتاج إلى مجلدات ضخمة، ولكننا سنقتصر هنا على بعض أوجه النقد الخاصة بهذا المجمع أنموذجِ الدراسة؛ حتى يتبين لنا أن هذه المجامع لم ينزل بها الله من سلطان.

والأمر الذي لا شك فيه أن نظام المجامع بصورتها التي أسست عليها في أواخر القرن الثالث الميلادي وأوائل القرن الرابع الميلادي لم ينشئها المسيح، ولم يدعُ إلى تأسيسها على النحو الذي أصبحت تعقد عليه، وهذا يعني أن تأسيس النظام المجمعي الحالي لم يستند إلى مرجعية دينية من أقوال أو أفعال المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، أو نصوص الكتاب المقدس.

لقد أنشئت هذه المجامع لتشرع وتبدل وتنظم ما يراه رجال الدين الذين أتوا بعد عصر الحواريين، لذلك وجدنا أن قوانين الإيمان وقواعد وأصول الديانة المسيحية إنما أسستها قرارات المجامع. ونعود لنؤكد ما قدمنا له في بدء هذه الدراسة، أن دراسة هذه المجامع تمثل من زاوية أنها أضفت على وجودها مسحة من الأحقية في التشريع الديني بما لا يوجد له لا فيه نص واحد من نصوص الأناجيل، بل إن الرسائل التي تعتبر المصدر الوحيد

للطقوس، والبروتوكول الديني؛ لم يُعترف بها إلا في بدء القرن الرابع الميلادي، وما قبله من الزمن فهي إما مجهولة، وإما غير معترف بصحتها[١].

وأختم النقد العام بشهادة شاهد من أهلها، يقولهـ. ج ولز المؤرخ الانجليزي: «ومن الضروري أن نستلفت نظر القارئ إلى الفروق العميقة بين مسيحية نيقيا هذه التامة التطور وبين تعاليم يسوع الناصري، فإن المسيحيين جميعـاً يعتقدون أن الأولى تنطوي على الثانية وتحتويها احتواءً تامـاً، على أن هذه مسألة تخرج عن مجالنا، فمن الواضح تمامـاً أن تعاليم يسوع الناصري تعاليم نبوية من الطراز الجديد، الذي ابتدأ بظهور الأنبياء العبرانيين، وهي لم تكن كهنوتية، ولم يكن لها معبد مقدس حبسـاً عليها ولا هيكل، ولم يكن لديها شعائر ولا طقوس، كان قربانها قلبـاً كسيراً خاشعـاً، وكانت الهيئة الوحيدة فيها هيئة من الوعاظ، وكان رأس ما لديها من عمل هو الموعظة، بيد أن مسيحية القرن الرابع الكاملة التكوين -وإن احتفظت بتعاليم يسوع في الأناجيل كنواة لها- كانت في صلبها (ديانة كهنوتية) من طراز مألوف للناس من قبل منذ الآف من السنين»[٢].

النقد التفصيلي للمجمع وقراراته:

يمكن إبراز المداخل النقدية لمجمع نيقية في الأمور التالية:

---

(١) انظر: أضواءعلى المسيحية، متولى شلبي (٩٣).

(٢) معالم تاريخ الانسانية،هـ. ج ولز (٣/ ٣).

أولاً: خضوع المجمع لسلطة الإمبراطور وهيمنته:

عقد مجمع نيقية بدعوة من الإمبراطور قسطنطين، الذي خول لنفسه التدخل في المجمع وفرض قوانينه وقراراته بالقوة[١]، وهذا التدخل لم يكن نابعـًا عن دافع ديني أكثر من كونه دافعـًا سياسيـًا؛ لتثبيت الحكم والمحافظة على وحدة المملكة، ومما يؤكد هذا أننا نجد في الخطاب الذي وجهه قسطنطين إلى آريوس وأسقف الإسكندرية ما يلي: «لقد اقترحت أن أرد جميع آراء الناس في الله إلى صورة واحدة؛ لأني قوي الاعتقاد بأني إذا استطعت أن أوحد آراءهم في هذا الموضوع سهُل علي تصريف كثير من الشؤون العامة...»[٢].

ونجد كثيراً من التناقض في هذا المجمع، فبالرغم من اعتراف قسطنطين نفسه أن الحكم الفصل في قضايا الإيمان هو من اختصاص المسيح الذي خصه بسلطة الأساقفة فقط، نجده مع ذلك يعطي نفسه الحق في فرض قوانين وقرارات مستخدمـًا سلطته وهيمنته السياسية[٣].

وبهذا قام قسطنطين بدور كبير في إرساء قواعد التثليث، وأجبر بقية المجتمعين الرافضين لهذه العقيدة على التوقيع على قانون الإيمان المؤيد للتثليث؛ إذ تمت المصادقة على قانون الإيمان تحت الضغط المادي

---

(١) انظر: الروح القدس، روبرت تسلر (٢٧).

(٢) قصة الحضارة، ويل ديورنت (١١/ ٣٩٣).

(٣) انظر: عصر المجامع ، كير لس الانطواني (٣٦).

والمعنوي للسلطة السياسية، وفقدت الكنائس المحلية حريتها بعد أن أصبحت ملزمة بقانون ذي صيغة قضائية، ومهد ذلك لنشأة ما صار يصطلح عليه باللاهوت السياسي؛ أي: خضوع القضايا العقدية لمصالح السلطة السياسية وتقريراتها.

يقول أ. تروكمي في الأساقفة وشعورهم إثر انقضاض المؤتمر: «حقـًا لقد استبدلوا نور حريتهم بظلام الخضوع للسلطة الزمنية»، وكانت آخر صيحة للقديس ثيودروس السندوسي (ت: ٨٢٦م) وهو على فراش الموت: «لا تدعوا السلطة الزمنية تتدخل في المسائل الدينية والعقدية»[١].

ولم يكتفِ الإمبراطور بإجبار الأسقافة على التوقيع على صيغة القانون بسلطته السياسية بل استحوذ على المجمع بأكمله، يقول زكي شنودة: «كانت هذه المجامع في بداية أمرها وسيلة للدفاع عن الإيمان المسيحي، ثم لم تلبث أن أصبحت بعد ذلك أداة في يد الإمبراطور..»[٢]، ولا زالت الكنيسة تذكر هذا الخضوع بأسى كبير، وما لبث المسيحيون بعد انعقاد هذا المجمع وصدور قراراته أن خسروا دينهم الأصيل، وصار لهم دينٌ وثنيٌّ نسخ دينَ المسيح ومسخه.

يقول المؤرخ المسيحي اندروملر: «لأن قسطنطين الذي تبوأ أريكة عرش العالم اعتبر نفسه الرئيس المطلق الوحيد المتصرف في شؤون

---

(١) النصرانية نشأتها التاريخيةوأصول عقائدها ، عرفان عبد الحميد فتاح (٨٨-٨٩).

(٢) تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ١٧٦).

الكنيسة، فاستخدم ما لديه من سلطان ونفوذ وحدد، وعرف ما أقره من التعاليم الدينية غاضّـاً النظر عن كلمة الله»[١].

ويقولهـ. ج ولز المؤرخ الانجليزي: «وثمة أمر هام جداً علينا أن نلحظه ونسجله، وهو الدور الذي لعبه الإمبراطور في تثبيت المسيحية، فلم يقتصر الأمر على أن قسطنطين الكبير هو الذي دعا لاجتماع مجمع، بل إن كل المجامع العظيمة، ومنها اثنان بالقسطنطينية (٣٨١م، ٥٥٣م) وواحد بإفيسوس (Ephesus) (٤٣١م) وخلقدون (Chalcedon) (٤٥١م) جمعتها كلها يد الإمبراطور، والجلي الذي لا خفاء فيه أن قدراً كبيراً من تاريخ المسيحية في ذلك العصر يشف عن روح قسطنطين الكبير بقدر ما يشف عن روح يسوع إن لم يزد»[٢].

وهكذا كانت الكنيسة ورجالها في تلك الفترة تحت سلطة الإمبراطور وتصرفه، وكل من يخالف رأي الإمبراطور يُعرِّض نفسه للعقاب والحرمان، يقول الدكتور أسد رستم: «وأيد قسطنطين هذه القرارات وأمر بوجوب تنفيذها والخضوع لها، ونفى من الأساقفة كل من امتنع عن الموافقة عليها»[٣].

وأكثر من ذلك أن قسطنطين هو الذي أدخل ما تُعورف عليه بصيغة (

---

(١) مختصر تاريخ الكنيسة، اندروملر (١/ ٢٧).

(٢) معالم تاريخ الإنسانية ،هـ. ج ولز (٣/ ٣٨).

(٣) الروم، أسد رستم (٥٩).

هومسيوس)؛ أي مساوٍ في الجوهر، الشهيرة في قرارات مجمع نيقية، وفرضها على الأساقفة باستعمال سطوته[١]، ولعلنا نختم بما ذكره العالم روبرت تسلر في كتابه (الروح القدس) حتى تتضح لنا السياسة التي كانت تمارس بالفعل من قبل الإمبراطور في إدارة المجامع، يقول روبرت تسلر: «كان القيصر الروماني في بداية القرن الرابع أيضـاً رئيس قساوسة ديانة الدولة الرومانية والقس الأعلى، وهو نفس اللقب الذي اتخذه البابا عنه، وبذلك ترأس القيصر ديانة الدولة، وأصبحت لديه السلطة العليا لاتخاذ القرارات في أمور الدين والعقيدة وتنظيم الكنيسة، وعندما أصدر قسطنطين وليتشينيوس مرسوم التسامح واعتنق قسطنطينُ نفسُه الديانةَ المسيحية، حيث عبد المسيح، بعد ذلك امتدت سلطته كرئيس للكهنة والرأس العليا لديانة الدولة بحرية تصرف كبيرة، لتشمل الديانة المسيحية أيضـاً، فقد اعتبر قسطنطين حكومة الكنيسة المسيحية شأنـاً من شؤون الدولة والمجمع ضربـاً من ضروب برلماناتها التي يشترك فيها ممثلوا الكنيسة والدين، من أجل ذلك كانت الحكومة هي التي تقرر (بكل تعسف) من تدعوهم من الأساقفة لهذه المجامع، وكان على الأساقفة بالطبع الانصياع والحضور، وعند الضرورة استعملت العنف في إحضارهم، وكان من البدهيّ في نظر قسطنطين -كأكبر موظفي الدولة- أن يعين من يقود هذه المؤتمرات، وكذلك لم يكن لافتـاً للنظر آنذاك أن يكون بإمكان القيصر التأثير على المؤتمر في قراراته، أو أن

---

(١) انظر: الروح القدس، روبرت تسلر (٢٨).

يفرض إرادته على التجمعات الكنسية حتى في مسائل العقيدة ، إلا أن هذا ما كان يحدث غالباً، ولهذه الأسباب كان القياصرة الرومان هم القادة القانونيون والفعليون للمجامع الرومانية الأولى، فلم يكن يوجد في ذلك الوقت بابا معترف به»[١].

ثانياً: خضوع المجمع للأهواء والآراء والمصالح الشخصية:

ومن الانتقادات التي توجه إلى المجمع أن المجتمعين توصلوا إلى قراراتهم حسب الهوى والرأي وما أملته عليه آراؤهم وأهواؤهم، فالقرارات التي اتخذت وقررت في المجمع كانت نتيجة لعدة اجتهادات ومناقشات خضعت لسلطان الهوى، ولم تكن مستندة إلى أدلة نقلية (نصوص الكتاب المقدس)، أو تعاليم المسيح أو الرسل، أو أدلة وبراهين العقل، يقول الشيخ محمد أبو زهرة: «إن المجمع فرض نفسه حكومة وجماعة كهنوتية تلقي على الناس أوامر الدين، وعليهم أن يطيعوا راغبين أوكارهين، وقرر أن تعاليم الدين لا يتلقونها من كتب المسيحية رأساً، بل لا بد من تلقيها من أفواه أولئك العلماء ورجال الكهنوت، وأن اقوالهم في ذاتها حجة، سواء اختلفت النصوص أم وافقت، وسواء أكانت الصواب أم جافت الحق»[٢].

ومما يوكد أن المجامع تخضع لأهواء ورغبات الأساقفة والأباطرة واجتهاداتهم الظنية أن كثيراً من قرارات المجامع لا يُعمل بها وتنقض في

---

(١) الروح القدس، روبرت تسلر (٢٦-٢٧).

(٢) محاضرات في النصرانية، أبو زهرة (١٥٢-١٥٣).

المجامع التالية، فالإمبراطور قسطنطين مثلاً غيّر ونقض رأيه بعد انتهاء مجمع نيقية بعامين، لما رأى أن المذهب الآريوسي ظل قويـًا وقائمـًا في الأجزاء الشرقية من الإمبراطورية، استدعي آريوس من منفاه سنة (٣٢٧م) وقام باسترضائه واتبع مذهب وعقيدة آريوس، ولعل السبب الذي أدى بالإمبراطور إلى تغيير ميوله نحو آريوس وأتباعه عزُمه على نقل عاصمة الإمبراطورية الرومانية إلى القسطنطينية، التي كانت في الجزء الشرقي من الإمبراطورية، وكان سكانها من المؤيدين والمعتنقين للمذهب الآريوسي، وتؤكد هذه الخطوة ما سبق أن ذكرناه من أن ميل قسطنطين واتباعه المسيحية وجعله الصليب علامةً ورمزاً له في معاركه ضد أعدائه ليس ناتجـًا عن قناعة دينية، بل كان لأسباب سياسية، حيث ظل يؤيد مذهب التثليث النيقوي لما كانت عاصمته واعتماده على الغرب في قوته، وعندما أحس بالحاجة إلى سكان الشرق المتبعين لمذهب آريوس، لم يجد غضاضة في تغيير عقيدته أو ميوله نحو المذهب الآريوسي[١].

يقول كانتو: «كان باستطاعة قسطنطين أن يرسي التقاليد التي جعلت من حق الإمبراطور أن يقوم بحل مشكلات العقيدة وفقـًا لرأيه الخاص في غالب الأحيان، وذلك بأن يدعو إلى عقد المجامع الكنسية ويرأسها وينفذ قراراتها»[٢].

---

(١) انظر: أوروبا في العصور الوسطى، سعيد عاشور (١/ ٥٨).

(٢) التاريخ الوسيط، نورمان كانتو (١/ ٨٥).

لقد سيطرت ميول قسطنطين الوثنية على القرارات والقوانين التي مال لها وأيدها وأقرها وفرضها فرضـًا يؤيدها سلطانه، لذا سلك مسلك رجل السياسة الذي يريد المحافظة على وحدة إمبراطوريته، مع إرضاء وإشباع رغباته الدينية القديمة، فعمل على إرضاء الوثنيين والمسيحيين على السواء، مع عدم تخليه عن ولائه الحميم للوثنية ومنصبها (الكاهن الأعظم)[١]. تقول المؤررخة الإنجليزية هس: «فإن اعتقاد قسطنطين في إله المسيحية وإيمانه بالإرث الروماني دفعاه إلى الاقتناع بأن عليه أن يأخذ زمام المبادرة لإيجاد وحدة عقيدية تنظيمية داخل الكنيسة المسيحية»[٢].

لذا كانت موافقته وتأييده في هذا المجمع للعقائد التي رآها تقترب وتتلاءم مع الوثنية التي يدين لها ولا تنفر منها، وهو عندما اختار الأساقفة الثلاث مئة والثمانية عشر بالذات دون غيرهم من المجتمعين البالغ عددهم ألفين وثمانية وأربعين أسقفـًا؛ لأنهم هم الذين يقولون بألوهية المسيح، وهذا الاعتقاد أفضل في نظره وأقرب لميوله ورغباته ومعتقده ومعتقد الوثنيين الذين كانوا يعظمونه ويرفعونه إلى مرتبة الألوهية، وهو بهذا فتح المجال أمام الوثنيين ليدخلوا في المسيحية التي أصبحت أقرب إلى فكرهم ومعتقدهم، فيحقق من وراء ذلك الوحدة في المعتقد حتى يضمن وحدة الإمبراطورية[٣].

---

(١) انظر: مختصر تاريخ الكنيسة، اندروملر(١/ ٢٦٣-٢٦٤)؛ قصة الحضارة، ول ديورنت (٣/ ٣٨٩).

(٢) العالم البيزنطي، ج. م هسي (٩٢).

(٣) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ١٨٦).

ثالثاً: خضوع المجمع لرأي الأقلية وتغليبه لها:

ليس شرطـًا أن تكون الأغلبية في صالح عقيدة حتى تُقرر في مجمع، وليس شرطـًا أن تكون العقيدة سماوية مقدسة أو وضعية بشرية حتى تنال قبول المجمع، ولكن الأهم أن تنال العقيدة المقررة قبول الحكام والأباطرة وتتوافق مع عقائدهم؛ حتى يوافقوا عليها ويدعموها ويقروها ويضفوا عليها صبغة شرعية وقانونية، ولم يكن الإمبراطور متعمقـًا في الديانة المسيحية وعالمـًا بعقائدها وتشريعاتها حتى يحكم ويقرر أيها حق وأيها باطل، ولكنه قرر ما هو قريب لعقيدته الوثنية.

لقد اتخذ المجمع قراراته وأصدر قوانينه مهمشـًا رأي الأكثرية من الأساقفة، حيث بلغ عدد الحضور المجتمعين كما تذكر بعض الروايات ألفين وثمانية وأربعين أسقفـًا، إلا أن الثلاث مئة وثمانية عشر أسقفـًا القائلين بألوهية المسيح هم الذين أعطوا الحق من قبل الإمبراطور في تقرير عقائد المجمع وقوانينه، ذلك أن الإمبراطور عندما رأى أن الأغلبية مع آريوس فض المجلس، وأعاد انعقاده بثلاث مئة وثمانية عشر أسقفـًا، ممن كانوا يرون القول بألوهية الآب والابن والمساواة بينهما في الجوهر[1]. لقد اختار قسطنطين الذين ألهوا المسيح ليضعوا دستور الإيمان للمسيحيين، وهو بهذا اختار من هم أقرب إلى وثنيته، ومع أن المجامع تُعرف بأنها هيئات

---

(١) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق، ابن البطريق (١/ ١٢٧)؛ الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ١٨٠).

شورية، بمعنى أنها تقوم على نظام الشورى وأخذ الرأي وتبادله، إلا أنه في الواقع لم تلتزم بذلك، ويمكن القول بأنها هيئات شورية إلزامية[١].

وعليه فإن مجمع نيقية لم تنتصر فيه الشورى والأغلبية المسيحية، بل انتصرت فيه الإرادة والميول الإمبراطورية، بممارسة سياسة الترغيب والترهيب؛ الترغيب بأن أجزل لهم العطايا والهبات[٢]، والترهيب بتوعد من لم يوقع على صيغة الإيمان المختارة بالوعيد، تقول مايل وربتن: «وُضع قانون الإيمان القديم، وقُدم للمجمع، وطلب الإمبراطور إلى جميع الأساقفة التوقيع عليه مهدداً بنفي كل من لا يفعل ذلك، ورغم التهديد استنكف عدد قليل من التوقيع»[٣]، وهذا يعني أن دستور الإيمان الذي أقرته الفئة التي اختارها الإمبراطور لم يكونوا كلهم راضين به وبمضمونه، ولكنهم خوفاً من البطش والنفي والحرمان وقعوا عليه[٤].

رابعاً: منافاة عقائد المجمع للعقائد التي جاء بها المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ:

عقيدة ألوهية المسيح وبذور التثليث أُقرت في هذا المجمع في القرن

---

(١) يقول الدكتور سعود الخلف معلقاً على كون المجامع شورية: هكذا يزعم النصارى أنها هيئات شورية، والناظر في تلك المجامع التي بحثت في العقيدة يجد أن هناك جبراً وموافقة قسرية على قول من تلك الأقوال. انظر: دراسات في الأديان (١٧٨).

(٢) انظر: الدولة والكنيسة، رأفت عبد الحميد (٢/ ١٢٧-١٢٨).

(٣) صراع عبر الزمان، مايل وربتن (٥٧).

(٤) انظر: تاريخ المجامع المسكونية الكبرى، ميشال ابرص (١٦٠-١٦١).

الرابع الميلادي، تحديداً عام (٣٢٥م)، وعقيدة ألوهية الروح القدس أقرت في مجمع القسطنطينية عام (٣٨١م)، كما اتفق على أن مريم العذراء والدة الإله الذي اتحد بالطبيعة الإنسانية اتحاداً تامّاً، في مجمع أفسس الأول عام (٤٣١م)، ولم يتم تثبيت قانون الإيمان أو دستور الإيمان المسيحي بصيغته النهائية الحالية إلا قبل القرن السادس الميلادي، بل إن ما يلفت الانتباه أن المسيحيين لم يعرفوا عبارة (الثالوث) التي لم ترد أصلاً في الكتاب المقدس إلا قبل نهاية القرن الثاني الميلادي[1]، وعليه فإن العقائد التي قررت في تلك المجامع لم يكن لها وجود قبل القرن الرابع الميلادي، وهذا يعني أن المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يأتِ بها؛ لأن دعوته قامت على التوحيد، وهذه المجامع قامت على الدعوة للتثليث وتبنت الوثنية، وأصلتها في المسيحية.

المسيح عندما جاء صرح بأنه ليس ناسخاً للتوراة ولا مغيراً من العقيدة أو من الشريعة شيئاً، وبناءً على تصريحه بعدم نسخها تكون الوحدانية التي صرحت بها التوراة في كثير من المواضع، واستشهاد المسيح بنصوصها لإثبات وحدانية الله ملزمة للنصارى إلزاما تاماً[2].

ومن نصوص التوراة التي استشهد بها عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على الوحدانية ما يلي: «اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا رب واحد، فتحب الرب إلهك من كل

---

(١) انظر: قاموس الكتاب المقدس (٢٣٢).

(٢) انظر: الوحدانية، بركات دويدار (٤٥١).

قلبك ومن كل نفسك، ومن كل قوتك»[١].

ونراه عَلَيْهِ السَّلَامُ يؤكد وحدانية الله المطلقة ونبوته المرسلة فيقول: «وهذه الحياة الأبدية، أن يعرفوك أنت، الإله الحقيقي وحدك، ويسوع المسيح الذي أرسلته»[٢]

يقول الدكتور بركات دويدار: «كان من الواجب على المسيحيين أن يرجعوا إلى نصوص الوحدانية في الكتاب المقدس ويرفضوا كل عقيدة ضد التوحيد، ولكن الأمر سار على غير هذا، فعقدت المجامع وفي كل مجمع كان يخنق صوت التوحيد ليرفع صوت الشرك والتثليث»[٣].

ويقول الدكتور يوسف الكلام: «إن كثيراً من الناس مسيحيين وغير مسيحيين اليوم، يظنون أن المسيحية بعقائدها الحالية وشعائرها ديانة أسّس بنيانَها السيدُ المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ويجهلون الحقيقة التاريخية في كونه عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يؤسّس هذه المسيحية، ولم يكن هو نفسه مسيحياً في يوم من الأيام وَفق المعنى المتعارف عليه اليوم، وأن مضامين الألوهية التي أسبغوها عليه لم تكن معروفة بين النصارى أتباع عيسى الأوائل»[٤].

لقد تبرأ المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ من كل صفة من صفات الكمال أو العظمة

---

(١) سفر التثنية (٦: ٤-٩).

(٢) إنجيل يوحنا (١٧: ٣).

(٣) الحركة الفكرية ضد الاسلام، دويدار (٢١٧).

(٤) تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام (٢٨٢).

الخاصة بالله تعالى، ورفض أي تسمية أو وصف يشير من قريب أو بعيد إلى أنه يحمل شخصية متميزة عن البشر ترتقي لصفات الألوهية، ويقرر دائماً بأنه إنسان محدود القدرة، فيقول: «أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئاً»[١]، بل ويندد بغضب شديد بتلميذه بطرس لأنه ناده باسم الرب قائلاً: «.. حاشاك يارب، لا يكون لك هذا فالتفت [أي: المسيح] وقال لبطرس: اذهب عني يا شيطان، أنت معثرة لي، لأنك لا تهتم بما لله، لكن بما للناس»[٢].

تلك العقائد التي توصلت لها المجامع تعبر عن الفكر الوثني الذي لا زال راسخاً في ذهن الإمبراطور قسطنطين والأباطرة الذين أقروا العقائد الأخرى في المجامع التالية، لقد جاء قرار مجمع نيقية على حسب ما أراده الإمبراطور والأساقفة المؤيدون له، بل إنه جاء بأكثر مما كانوا يطالبون به؛ إذ قرر المجمع أن الابن والآب من جوهر واحد وأن يسوع إله كامل وإنسان تام.

يقول البروفيسور ليتزمان في تاريخه المفصل عن الكنيسة: «والشيء المدهش أن الملك أصر على إدخال مصطلح لم يقدمه أحد من الجانبين؛ أي اتحاد الجوهر»[٣].

يعني ذلك أن القرار الذي حُرّم وجُرّم على أساسه المخالفون، وأحرقت على أساسه الكتب المخالفة، لم يعتمد مطلقاً على أقوال المسيح أو على

---

(١) إنجيل يوحنا (٥: ٣٠).

(٢) إنجيل متى (١٦: ٢٢-٢٣).

(٣) المسيحية، ساجد مير (٧٥) نقلاً عن كتاب: تاريخ الكنيسة للبروفسور ليتزمان.

الأناجيل أو حتى على الإنجيل المحرف، ولذلك يقول المحققون المسيحيون المنصفون بصراحة: «ألفاظها (هذه العقيدة) الأساسية -من جوهر واحد معاً- غير موجود في الكتاب المقدس»[١]، ويوضح شيخ الاسلام ابن تيمية الطرق التي تكونت من خلالها العقائد المسيحية فيقول: «إن ما وضعه المجمع بتوجيه الملك قسطنطين من العقائد -مثل التثليث وروح القدس وكون المسيح ابن الله وكونه من جوهر الرب- ينعدم ذكرها في أقوال الأنبياء السابقين، وحتى في أقوال عيسى»[٢].

ويقول في موضع آخر: «فالنصارى تضع لهم عقائدهم وشرائعهم أكابرهم بعد المسيح، كما وضع لهم الثلاث مئة والثمانية عشر الذين كانوا في مجمع نيقية الأمانة التي اتفقوا عليها، ولعنوا من خالفها من الآريوسية وغيرهم، وفيها أمور لم ينزل الله بها كتاباً، بل تخالف ما أنزل الله من الكتب مع مخالفتها العقل الصريح»[٣].

ويزيد ول ديورانت المعنى وضوحاً فيقول: «إن المسيحية لم تقض على الوثنية، بل تبنتها؛ ذلك أن العقل اليوناني المتحضر عاد إلى الحياة في صورة جديدة في لاهوت الكنيسة وطقوسها»[٤].

---

(١) المسيحية، ساجد مير (٧٦).

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية (١/ ١٨) و(٣/ ١٤٣).

(٣) المرجع السابق (١/ ١١٥).

(٤) قصة الحضارة، ول ديورانت (٣/ ٢٧٥).

والواجب استخلاصه مما سبق أن المسيح لم يكن إلا مؤمناً بالإله الواحد كما هو ظاهر من أقوله الكثيرة، مثل قوله: «مكتوب: للرب إلهك تسجد، وإياه وحده تعبد»[١]، «أيها المعلم الصالح أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الابدية؟ فقال له: لا تدعني صالحاً، ليس أحد صالحاً إلا واحد، وهو الله»[٢].

يقول العالم فانك: «يجب علينا البدء بإنزال عيسى منزلته الحقيقية؛ لأنه هو نفسه طلب ذلك، وهو يستحق ما طلب، وهذا دَين له في أعناقنا، إننا إن أنزلنا عيسى منزلته الحقيقية فسيصبح متاحاً لنا كونه المؤسس الحقيقي للنصرانية، وفي منزلته الجديدة الحقيقية، وسيكف عن كونه معبوداً ميثولوجياً في أساطير الآلهة التي تهبط إلى الأرض، ثم تعود إلى السماء، تموت ثم تحيا، وعندئذ فقط تصبح بعثته ذات معنى، يمكننا البدء بتحطيم هذه الأيقونه، عيسى الإله أو ابن الإله، ونعيدها إلى ما كانت عليه في الأصل، ليعود عيسى نفسه كما كان محطماً للأصنام وللأيقونات»[٣].

خامساً: مناقضة العقائد الصادرة عن نيقية للعقل:

إن طبيعة المعتقدات المسيحية التي قُررت في هذا المجمع تخالف العقل البشري وتناقضه، كعقيدة ألوهية المسيح، وبنوته لله تعالى، وطبيعة

---

(١)إنجيل متى (٤: ١٠).

(٢) إنجيل متى(١٦: ١٧ - ١٩).

(٣) المسيحية والإسلام، الزين محمد فاروق (٩٨).

المسيح بدعواهم أنه من جوهر واحد مساوٍ للآب.

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن النصارى أنفسهم لا يدركون ولا يفهمون حقيقة عقيدة التثليث (واحد في ثلاثة وثلاثة في واحد)؛ لأنها تصطدم مع العقل البشري، فلا يستطيع هضمها وإدراكها، والنصارى أنفسهم لا يسمحون لعقولهم بالتعمق في كنهها، ومن ثم أعلنوا أن عقيدة التثليث سر غامض، وعلى الإنسان أن يؤمن بها إيمانـاً أعمى من دون أن يخضعها للمناقشة العقلية، فهم يقرون بأنها فوق طاقة العقل البشري وفوق إدراكه، وأنه من الصعب محاولة فهم هذا الأمر بعقولهم القاصرة[١].

وفي هذا ينقل الدكتور الحاج عن القس توفيق جيد من كتابه (سر الأزل) قوله: «إن الثالوث سر يصعب فهمه وإدراكه، وإن من يحاول إدراك سر الثالوث تمام الإدراك كمن يحاول وضع مياه المحيط كله في كفه»[٢].

وعن الثالوث يقول نقولا يعقوب: «لست أحاول الآن تفسير عقيدة، لم يستطع تفسيرها الأوائل، ولن يتوصل إلى إدراك كنهها الأواخر»[٣].

ويعلق الباحث الألماني د. ف ستراوس في هذه العقيدة: «الحقيقة أن كل من يعلن إيمانه بهذه العقيدة، إنما يعلن تخليه عن كل قوانين التفكير البشري»[٤].

---

(١) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام (٢٨٧) بتصرف.

(٢) النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج (٢٠٧).

(٣) أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين، نقولا يعقوب (٦٦).

(٤) دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمد البار (٤٥٦).

ويقول كارل جوستاف العالم الفرنسي: «عندما تطورت فكرة التثليث المسيحية عبر القرون حاربت كل التيارات العقلانية، وخاصة ما سمي الهرطقة الآريوسية التي كانت تذهب إلى أن المسيح إنسان وليس ابنًا لله... وبذلك كانت عقيدة التثليث كبحًا للحرية وللفكر العقلاني، وكانت التصريحات الدينية غير عقلانية بالمعنى الحرفي للكلمة»[١].

وإذا كان قد وجد من النصارى من أقر بغموض هذه العقيدة وصعوبة فهمها ومناقضتها للعقل ومع ذلك سلم وآمن بها؛ فإنه وُجد منهم من قام بنقدها وإنكارها لِما تنطوي عليه من تصادم مع العقل.

وسنكتفي بذكر مثال واحد لأبرز المنتقدين من النصارى، وهو الفيلسوف الفرنسي بطرس إبيلارد، وهو من أشهر العلماء في علم الجدل، كما أنه صاحب فلسفة الشك والتشكك في كل شيء حتى في طبيعة المسيح، وله عدة مؤلفات، لعل من أشهرها في اللاهوت كتاب: مقدمة إلى اللاهوت، يحتوي هذا الكتاب على مئة وسبعة وخمسين سؤالاً تشمل أهم العقائد الأساسية للدين المسيحي، وقد وضعت في عمودين متقابلين، تحت كل سؤال طائفتان من الأقوال؛ إحداها تؤيد الرد الإيجابي، والأخرى تؤيد الرد السلبي، وكلتاهما مقتبسة من الكتاب المقدس أو من آباء الكنيسة، أو من

---

(١) المرجع السابق نقلاً عن كتاب: علم النفس والدين الغربي للباحث د. ف ستراوس (١١١-١٢٠).

الآداب اليونانية الرومانية القديمة[١].

وقد وقفت الكنيسة ورجالها من هذا العالم موقف العداء، يقول برنارد أوف منتقداً إبيلارد: «إن من يحاول تفسير الأسرار المقدسة بقواعد العقل والمنطق فهو المعصية والحماقة بعينها، وإن العقل الذي يبدأ بتفسير هذه الأسرار الخفية سينتهي آخر الأمر إلى تدنيسها»[٢].

طبيعة الدين المسيحي واحتواؤه على مسائل عقدية غامضة وأصول إيمانية معقدة تثير التناقض، وتقف عقبة أمام التفكير العقلي وحرية النظر؛ جعل المنتسبين لها ينتقدونها ويحاولون تفسيرها وتأويلاها بما يناسب إدراك العقل.

ولعل منافاة العقائد المسيحية للعقل ناتج عن تكونها من عدة أديان وفلسفات وثنية مختلفة؛ قام أتباعها بالتحريف والتبديل فيها[٣].

وكما أن النصارى أنفسهم قاموا بنقد عقائدهم الناتجة عن مجمع نيقية وغيره من المجامع لمخالفتها العقل والنقل، كذا قام علماء المسلمين ممن تناولوا عقائد النصارى بالدراسة والنقد وهم كُثر، ولعلنا ننقل ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قانون إيمان مجمع نيقية، ورده عليه ،وبيانه لتناقضه وعدم صحته، ومخالفته للعقل والنقل، بأسلوب رائع وبمنطق

(١) انظر: قصة الحضارة، ول ديورنت (٤/ ٧٤).

(٢) المرجع السابق (٨٧).

(٣) انظر: أثر الكنيسة على الفكر الأوربي، أحمد عجيبه (٣٣).

فكري معقول.

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ففي هذه الأمانة التي جعلتموها أصل دينكم ذُكر الإيمان بثلاثة أشياء: بإله واحد خالق السموات والأرض وكل شيء.... وهو الذي لا إله غيره، وهو الذي دعت جميع الرسل لعبادته وحده لا شريك له. ثم قلتم: وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد، فصرحتم بالإيمان مع خالق السموات والأرض برب واحد.... وقلتم: «هو إله حق من إله حق من جوهر أبيه»، وهذا التصريح بالإيمان بإلهين أحدهما من الآخر... ولا يساوي الآب في الجوهر إلا جوهرٌ، فوجب أن يكون الابن جوهراً ثانيـاً، وروح القدس ثالثـاً، وهذا تصريح بإثبات ثلاثة جواهر وثلاثة آلهة، ويقولون مع ذلك: إنما نثبت جوهراً واحداً، وهذا جمع بين نقيضين، فهو حقيقة قولهم. فهم يجمعون بين جعل الآلهة واحداً، وإثبات ثلاثة آلهة، وبين إثبات جوهر واحد وإثبات ثلاث جواهر، وقد نزه الله عن ذلك نفسه بقوله: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[1]، فنزه نفسه عن قولهم بأنه الآب فقال: (لم يلد) ونزه نفسه عن قولهم بأنه الابن المولود فقال: (ولم يولد)»[2].

فإذا ما انتقلنا إلى الإمام ابن القيم الجوزية تلميذ شيخ الإسلام ابن تيمية نجده قد بين أن دين النصارى مبني على معاندة العقول والشرائع وتنقص إله

---

(١) سورة الاخلاص(١-٤).

(٢)الجواب الصحيح ، ابن تيمية(٢/ ١١٧).

العالمين، وبيّن كذلك أن كل نصراني لا يأخذ بحظه من هذه البلية فليس بنصراني على الحقيقة، ثم يتساءل: «أفليس هو الدين الذي أسسه أصحاب المجامع المتلاعنين على أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد؟ فيا عجباً كيف رضي العاقل أن يكون هذا مبلغ عقله ومنتهى علمه؟»(١).

سادساً: تأثير الفلسفات والديانات الوثنية على عقائد وقرارات مجمع نيقية:

كان للفلسفة اليونانية والوثنية السائدة في المجتمع الروماني والوثنيات المنتشرة حوله أثر بارز في تسرب الوثنية إلى النصرانية، ونفهم ذلك جلياً إذا علمنا أن هذه الوثنيات قد عرفت عقيدة الأبوة والبنوة والتثليث بأشكال مختلفة، لقد ساعدت هذه العوامل بالإضافة إلى عوامل أخرى على التأثير في انحراف المسيحية.

كما قام المؤمنون الجدد من الأمميين (الوثنيين) الذين اتبعوا المسيحية بدور كبير في التأثير في العقائد المسيحية، إذ كانوا في بدء الأمر متشبعين بثقافة عصرهم الوثنية، التي تنظر للعظماء من الأباطرة والقادة على أنهم أنصاف آلهة أو أبناء آلهة تجسدت لخلاص بني الإنسان وهدايتهم ، فصار كثيرٌ منهم ينظرون لشخصية المسيح بالمنظار نفسه، خاصة أنه كان يعبر عن المسيح في لغة الأناجيل بابن الله، فأخذوا البنوة على معناها الحرفي لوجود نظير لذلك في

---

(١) إغاثة اللهفان، ابن القيم (٢/ ٢٦٨).

ثقافتهم الوثنية، ورأوا فيه ابن الله الحقيقي الذي كان إلهـًا فتجسد[١]. كل هذا يبين بوضوح تام أن العقيدة المسيحية الحالية إنما صيغت وتطورت تبعـًا للتأثر بالبيئة التي عاشها أصحاب المجامع الأولى، الذين صاغوا هذه العقائد، وفق ما حملوا من عقائد أقوامهم قبل دخولهم في المسيحية.

وهناك سجلات تاريخية طيلة قرون عديدة، تثبت بوضوح تام أن دعوى ألوهية المسيح وبنوته لله -تعالى- في العقيدة المسيحية، كان من جراء رواسب الفكر والمعتقدات الوثنية، القائمة على الخرافة واللاعقلية، فليست عقيدة ألوهية الابن من مبتكرات المسيحيين، وإنما ترجع جذورها إلى أقدم العصور التاريخية.

لم يكن يسوع المسيح الذي اعتقد المسيحيون أنه الإله الذي تجسد وقدّم نفسه للموت على الصليب؛ افتداءً لخطايا البشر، لم يكن المسيح وحده هو الابن الوحيد للإله الذي جاد بحياته من أجل البشر، بل هناك كثيرون أمثاله ممن ظهروا في التاريخ، وفي مختلف الأمم والشعوب، حيث وجد العديد ممن أُلحقت بهم فكرة أنهم أبناء الإله تجسدوا وماتوا لأجل البشر[٢].

وقد بين القران أن مصدر هذه العقيدة الباطلة التي اعتنقها النصارى من الامم الضالة قبل النصارى في قوله عز وجل: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ

(١) التوحيد في الأناجيل الأربعة، سعد رستم (٢٣).

(٢) انظر: الأصول الوثنية للمسيحية، مجموعة مؤلفين (٤١-٤٧)؛ العقائد الوثنية في الديانة النصرانية ، محمد التنير (٣٥-٥٦) بتصرف.

﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

يقول دون: «إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة ذبيحة، فداء عن الخطيئة، قديم العهد جداً، عند اليهود الوثنيين وغيرهم»[١].

ولا مجال للشك في أن الروح الوثنية فيما يختص بمظاهر العبادة العملية قد فرضت نفسها على المسيحية شيئًا فشيئًا حتى أصبحنا نجدها كاملة في احتفالاتها، وزاد التقارب بشكل ملحوظ منذ القرن الرابع عندما دعت الضرورة إلى القضاء على بعض التقاليد القديمة الصلبة، وكانت سلطة رجال الكنيسة تعمل على دعم ذلك الحق الذي اكتسبته منذ مدة طويلة، انتهت إلى التفرد والتصرف في القوة السحرية للطقوس التي أطلق عليها اسم: (الأسرار المقدسة)[٢].

يقول ول ديورنت موضحًا تأثر المسيحية باليونانية: «أصبحت اللغة اليونانية قرونًا عديدة صاحبة السلطان على السياسة، وأداة الآداب والطقوس المسيحية، وانتقلت الطقوس اليونانية الخفية إلى طقوس القداس الخفية الرهيبة، وساعدت عدة مظاهر أخرى من الثقافة اليونانية على إحداث هذه النتيجة المتناقضة الأطراف، فجاءت من مصر آراء الثالوث... ومنها جاءت عبادة أم الطفل... إلى آخره... وقصارى القول أن المسيحية

---

(١) انظر: العقائد الوثنية في الديانة النصرانية، محمد التنير (٥٣)

(٢) انظر: دراسات في العهد الجديد، محمد البار (٢٢٠)

كانت آخر شيء عظيم ابتدعه العالم الوثني القديم»[١].

ولو بحثنا عن مصدر لفظة (ابن الله) التي اتخذت مستنداً لألوهية المسيح لوجدنا أن أساسها أتى من عبارة (خادم يهوه) التي كان يطلقها اليهود على كل إنسان يظنون أن لديه إلهاماً منه، والتوراة السبعينية ترجمت هذه العبارة إلى اليونانية بكلمة تعني في وقت واحد خادماً أو طفلاً، وكانت هذه العبارة منفذاً أدخل منه (بولس) لفظة (ابن الله)، وهي اللفظة ذات الدلالة الواضحة عند اليونان وفي ديانات الخلاص، إذ يتمثل دور الابن المبعوث من الإله الأب في تخليص المؤمنين[٢].

وهكذا فسر المسيحيون تحت تأثير النظريات اليونانية (ابن الإله) تفسيراً لفظياً بحتاً، فإذا ما انتقلنا إلى لفظه (أقنوم) أو (أقانيم) التي عبر بها عن مكونات عقيدة التثليث نجد أن المسيحية في دعواها الأقانيم الثلاثة (الآب – الابن – الروح القدس)، إنما تتمسك بفكرة فلسفية هي خليط من تعاليم المدارس الفلسفية، وخاصة (الأفلوطونية) و(الأفلوطونية الحديثة)، **الأولى**: مدرسة غربية في الأمة الإغريقية اليونانية، **والثانية**: مدرسة في الشرق بالإسكندرية، هُيئ لها جو من أساتذة الفكر الروماني اليوناني، كما هيئ لشيخها أن ينقل عديداً من ثقافات الهند وفارس ويصهرها كلها في بوتقة

---

(١) قصة الحضارة، ول ديونت (٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) انظر: تاريخ وعقائد الكتاب المقدس، يوسف الكلام (٢٨٥).

واحدة قيل لها فيما بعد: المسيحية، واعتبرها الناس ديناً[١].

يقول الأستاذ متولي شلبي: «إذن فالذي يجب أن يتنبه إليه الباحث دائماً هو: علاقة الفهم والتنظيم في المسيحية بكل من:

١-الفلسفة الأفلاطونية الإغريقية

٢-الفلسفة الأفلاطونية الشرقية

٣-التنظيم الثالوثي في الوثنية القديمة لدولة الرومان.

والسابق أستاذ اللاحق، وصاحب السلطان أقوى في التأثير على الأضعف المنقاد،... والمسيحية عاشت مضطهدة مرؤوسة مغلوبة، والوثنية الرومانية عاشت فوقها متسلطة غالبة قاهرة، فمن هو المتأثر، ومن هو المؤثر!؟»[٢].

ويقول الخواجا كمال الدين في مؤلفه عن المسيحية: «إن تعاليم عيسى وكلماته لا تتسق مع اتجاه الكنائس في عهدنا الحاضر، وإن أكثر تعاليم المسيحية الحالية مستعار من الوثنية»[٣].

وإن مما يزيد العجب أن كثيراً من علماء النصارى يدركون بل ويقرون في كتبهم أن الوثنية قد تسربت إلى مسيحيتهم، فهذا أستاذ تاريخ الأديان

(١) انظر: أضواء على المسحية، متولي شلبي (٣٣).

(٢) المرجع السابق.

(٣) النصرانية والإسلام، محمد عزت الطهطاوي (٩٠ – ٩١).

الفرنسي الدكتور أندريه نايتون يؤكد هذا بقوله: «ونحن في دراستنا لتاريخ الأديان اليوم لا نستطيع أن ننكر ما بين المسيحية والوثنية من صلات وثيقة، وأواصر متينة، بل إنه يلزمنا ويجب علينا أن نبين كيف أن هذه المسيحية تحدرت من الوثنية، وصار لهما نسب واحد وأصل مشترك، وهذا أمر منطقي وطبيعي جداً لدى مؤرخ الأديان.... إننا لا نستطيع أن نفهم مسيحيتنا حق الفهم إذا لم نعرف جذورها الوثنية، فقد كان للوثنية قسط وافر في تطور الدين المسيحي»[١].

ويعترف اللاهوتيون الكاثوليك بوجود تأثيرات وثنية على بعض العقائد المسيحية، فيقولهـ.لوكليرك: «طبعـًا استعار المؤمنون من هنا وهناك بعض التفاصيل الوثنية أنى وجدوها»[٢].

وقد كتب الأستاذ محمد طاهر التنير كتابـًا سماه «العقائد الوثنية في الديانة النصرانية» فصل فيه الحديث عن علاقة النصرانية بالعقائد الوثنية السابقة، وأوضح العلاقة الوطيدة بين كل شعيرة من شعائر النصرانية، وما يماثلها من عقائد الوثنيين، مما يؤكد الأصول الوثنية للديانة المسيحية، ويثبت أن المسيحية صارت ديانة لا تمت إلى الرسالات السماوية بصلة.

سابعاً: اختلاف صيغ قانون الإيمان:

رغم اختلاف النصارى في أسس عقيدتهم إلا أنهم متفقون على ما

(١) الأصول الوثنية للمسيحية، مجموعة من المؤلفين (١٩-٢٠).
(٢) المرجع نفسه (٢٦).

يسمونه بقانون الأمانة، أو وثيقة الأمانة، أو قانون الإيمان، أو دستور الايمان، الذي صيغت حروفُه الأولى في مجمع نيقية، ثم جاءتها إضافات في المجامع اللاحقة، وتختلف صيغة هذه الوثيقة بين كنيسة وأخرى. والكنائس الثلاثة[١] اليوم، وإن كانت تؤمن بهذا القانون وتعتبره أساس عقيدتها، إلا أنه يختلف في النص الكاثوليكي عنه في النص الأرثذوكسي[٢]، فقانون الإيمان صدر جزؤه الأول سنة (٣٢٥م)، وصدر جزؤه الثاني سنة (٣٨١م)، أما مقدمته فقد وضعت في مجمع أفسس الأول سنة (٤٣١م)[٣]، وهي عبارة عن تجميع لنص عقيدة الإيمان الصادرة عن مجمع نيقية ونص عقيدة الإيمان الصادر عن مجمع القسطنطينية، وفي هذه المقدمة قالوا: «إن مريم القديسة العذراء ولدت إلهنا وربنا يسوع المسيح الذي مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت والطبيعة. وأقروا بطبيعتين، ووجه واحد، وأقنوم واحد»[٤]، فإذا ما بحثنا عن المصدر الذي صيغت منه وثيقة أو قانون الإيمان نجد أن أساسه مستقى من الصيغة التي كانت مستعملة في قانون التعميد المستخدم في كنيسة قيصرية، فأضيف إلى عبارة (إله من إله نور من

---

(١) الكنائس الثلاثة هي: أ- الكاثوليكية ومركزها روما، ب- الارثوذوكسية ومركزها القسطنطينية والإسكندرية، جـ- البروتستانتية الإنجلية. انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثليث، محمد الحاج – هامش (١٩٦).

(٢) انظر: النصرانية من التوحيد إلى التثلث، محمد الحاج (١٩٥- ١٩٦).

(٣) تاريخ الأقباط، زكي شنودة (١/ ١٧٨).

(٤) دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمد البار (٤٤٢).

نور) عبارة: (من جوهر أبيه) وهي عبارة مدرجة غير كتابية، وتكمن أهمية إقحام هذه العبارة من وجهة نظر مسيحية في الاعتراف بخصب المجهود اللاهوتي في توضيح (المعطى الموحى به)، والتعبير الملائم عن محتوى الإيمان، ومما يلفت الانتباه بصفة خاصة أنه قدم في ظرف عشر سنوات خلال الأعوام من (٣٤١م) إلى (٣٥١م) سبع صيغ على الأقل لتعويض الصيغة المنبثقة عن نيقية.

إلا أن عدم الاتفاق على صيغة واحدة يدل في حد ذاته على المأزق الذي تردت فيه المذاهب المختلفة فيما بينها حول المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وطبيعته، وهذا بدوره أدى إلى اختلافات عقدية متعددة، وجدير بالملاحظة أن الاختلافات العقائدية كانت ترجع بنسبة كبيرة إلى لبس في المفاهيم والمصطلحات وإلى اختلاف وتعدد اللغات[1]، وهذا بدوره أدى إلى تعدد صيغ قانون الإيمان وإلى حدوث الاختلافات في ألفاظه بين الكنائس، وعلى صعيد آخر نود أن ننبه إلى أن الإمبراطور قسطنطين اتخذ صفة عالم اللاهوت حين فسر بنفسه الصيغة التي يجب أن يوافق عليها الجميع لقانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية[2].

ولعل أهم عبارة في صيغة قانون الإيمان النيقي، التي أثارت كثيراً من

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (١٠٩-١١٣) بتصرف؛ الهرطقة في المسيحية، ج. ويتلر (٨٤).

(٢) انظر: طائفة الموحدين، أحمد عبد الوهاب (١٥).

السجال بين الأطراف المتنازعة حول صيغة القانون الصادر عن هذا المجمع هي كلمة (مساوٍ في الجوهر)، التي أدرجت ضمن صيغة التعميد المستخدم في كنيسة قيصرية، والتي هي الأساس لقانون الإيمان.

حاول الكثير من علماء اللاهوت آنذاك التوفيق بين الأطراف المتنازعة بإيجاد عبارة ترضي الأطراف، فاستبدلوا صيغة (من جوهر مشابه) بصيغة (مساوٍ في الجوهر)؛ لأجل التوفيق بين الأطراف المختلفة، وفي عام (٣٣٧م) استبعدت هاتان الصيغتان من نص قانون الإيمان، فكان قانون الإيمان يقول: «لقد أثارت هاتان الصيغتان الكثير من الاضطراب، لذا من الأفضل عدم استخدامهما؛ لأنهما ليستا موجودتين في الكتاب المقدس، وتتجاوزان علم الإنسان؛ لأنه لا أحد يستطيع بحسب الكتاب المقدس، أن (يروي ولادة ابن الله)، الآبُ وحده يعرف كيف ولد ابنه، والابن وحده يعرف كيف وُلد من الآب»[١].

إن المتأمل في صيغة قانون الإيمان المسيحي بشكل مجمل، يجده يعبر عن أركان العقيدة المسيحية، ولكن يتضح له ما يلي:

إن المجامع الكنسية التي صاغت هذا القانون عبر حقبات زمنية متلاحقة قد كتبت معاني وأفكار هذا القانون وألفاظه دون أن يكون لها مصدر ومرجع من العهد الجديد أو القديم، فهو عبارة عن جمل مقطعة اقتُبست وبُترت وصيغت من آيات الكتاب المقدس، وهذا يؤكد على مسألة أن هذا القانون لا

---

(١) الهرطقة في المسيحية وج. ويتلر (٨٢ ، ٨٥-٨٦).

أصل شرعي له في الكتاب المقدس مطلقـاً، بالشكل الذي صيغ عليه.

ومع تعدد صيغ دستور أو وثيقة الأمانة، ومع وجود عدد من كتب التاريخ التي تناولت المجامع ، وكلها تحتوي على قراراتها؛ إلا أن الملاحظ أنه لا توجد إلى اليوم صيغة عربية موحدة في الكنائس الناطقة بالضاد لقانون الإيمان[1].

والجدير بالملاحظة أنه لم يكن يشترط في اتخاذ القرارات في هذا المجمع وغيره من المجامع المسيحية أن تؤيدها نصوص من الإنجيل، يقول كتاب (موجز عن المسيحية): «كان من عادة علماء الإسكندرية أن يقبلوا مبدئيّـًا النظريات العامة عن المسيح، القائلة بأنه ابن الله وكلمته، بعد ذلك كانوا يقبلون على محاولة تفسير الإنجيل وشرحه حسب هذه النظريات»[2].

ثامناً: تهافت دعوى عصمة المجامع من الوقوع في الخطأ:

رغم ما أثبتته القوانين والأنظمة الكنسية من سلطان للمجامع، وما ألبسته من صفات تشريعية مقدسة تفوق سلطان الكتب المنزلة والأنبياء المرسلة[3]، إلا أننا نجد تخبطـاً وتناقضـاً تزاوله المجامع المسكونية فيما يصدر عنها من قرارات وقوانين، وهذا كفيل بإبطال دعوى العصمة

---

(١) انظر: الفكر الإسلامي في الرد على النصارى، عبد المجيد الشرفي (١١٠) الهامش.

(٢) المسيحية، ساجد مير (٨٢-٨٣) نقلاً عن كتاب: موجز عن المسيحية، مجموعة من الكُتاب(٩).

(٣) انظر: مجموع الشرع الكنسي، حنانيا الياس كساب (١٠).

والقدسية التي نسبتها المجامع لنفسها، ونضرب لذلك مثالين:

المثال الأول: ما يخص إضافة وزيادة عقائد إلى صيغة قانون الإيمان، نرى الأساقفة ينادون بضرورة عقد مجامع أخرى لإدخال زيادات وتفسيرات على قانون الإيمان الذي صدر عن مجمع نيقية أو المجامع التي انعقدت بعده، وهذا يوكد بطلان دعوى العصمة؛ إذ لو كان المجمع معصوماً من الخطأ لكانت قوانين الإيمان الصادرة عنه كاملة وثابته لا تقبل الزيادة أو النقصان[١]، كما حدث في مجمع القسطنطينية ومجمع أفسس، ففي مجمع القسطنطينية أضيفت عقيدة ألوهية الروح القدس ومساواته في الجوهر للآب والابن ،ووضعوا الإطار النهائي لعقيدة التثليث التي مُهد لها في مجمع نيقية عندما أُعلن عن ألوهية الابن ومساواته في الجوهر للآب، فاكتملت هذه العقيدة في مجمع القسطنطينية، وثبتوا فيه أن الآب والابن والروح القدس ثلاثة أقانيم وثلاثة وجوه وثلاث خواص وحدية في تثليث، وتثليث في وحدية، كيان واحد في ثلاثة أقانيم، إله واحد جوهر واحد طبيعة واحدة[٢].

وفي مجمع أفسس المنعقد سنة (٤٣١م) قرر المجمع أن مريم العذراء (والدة الله) وأن المسيح إله حق ذو طبيعتين بشرية إلهية متحدة في الأقنوم[٣]، وهذا في حد ذاته دليل على التحريف؛ إذ لو كان المجمع ذا سلطة تشريعية وقانونية وعصمة إلهية لما أضيف إليه عقائد زائدة.

---

(١) انظر: عصر المجامع، كيرلس الأنطواني (٣٤).

(٢) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق، ابن البطريق (١/ ١٤٥-١٤٦).

(٣) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق، ابن البطريق (١/ ١٥٧).

والمثال الثاني: تخطئة قوانين أُقرت سابقـًا، كتخطئة هذا المجمع للقرار الذي أصدر بتحريم قراءة بعض الكتب المسيحية من قبل المجامع التي انعقدت لاحقـًا، فاعترفت بتلك الكتب وأقرت بشرعيتها، هذا في حد ذاته دليل على أن المجمع كان مخطئـًا في بعض أحكامه، وإذا كان هذا المجمع عرضة للخطأ في بعض القرارات المتعلقة بتحريم بعض الكتب، فإن آراءه الأخرى تكون أكثر عرضة للخطأ وأكثر استهدافـًا للنقد، ومن ثم تزول عنه صفة الشرعية والعصمة[١]، وهذا يعني أن العقائد التي قررها هذا المجمع ناقصة ولم تقرر مرة واحدة، بل استكملت وقررت على فترات زمنية متباعدة وفي عدة مجامع، مما يؤكد أن العقائد التي صدرت عن هذا المجمع والمجامع التالية هي من وضع البشر، وهذا يدل على التحريف الذي أصاب الديانة المسيحية التي جاء بها عيسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ.

وقد انتبه القاضي أبو البقاء الجعفري إلى أن هذه الأمانة (العقيدة) جاءت على مراحل وليست دفعة واحدة، حيث قال: «فاتفق رأي الإسكندروس وجماعة على نظم هذه الأمانة بعد أن أفسدوها دفعات وزادوا ونقصوا»[٢].

تاسعاً: تهافت دعوى شرعية وقانونية الأناجيل:

لعل أبرز قرار اتُّخذ في المجمع إلى جانب إصدار قانون الإيمان

(١) انظر: دراسات معاصرة في العهد الجديد، محمدالبار (٦٣-٦٤)؛ تاريخ الكنيسة القبطية، الأنبا الإكسندروس (١/ ١٣٩)؛ محاضرات في النصرانية، أبو زهرة (١٥٣).

(٢) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، أبو البقاء الجعفري (٢/ ٥٠١-٥٠٢).

المقدس هو القرار المتعلق بقانونية الأناجيل، حيث إن هذه الأناجيل لم تُعرف معرفة كاملة قبل مجمع نيقية سنة (٣٢٥م)، ولم يتحدد موقفها إلا في هذا المجمع الذي أقر ولأول مرة في تاريخ المسيحيين قانونية هذه الأناجيل(١).

تقول دائرة المعارف البريطانية: «إن النسخ الأصلية لكتب العهد الجديد أُفنيت منذ مدة طويلة، وفيما عدا بقايا من صعيد مصر، فإن كل النسخ التي سبقت مجمع نيقية قد غشيها نفس المصير، وما يجب ذكره أنه حتى اختراع الطباعة لم يكن قد تم الوصول إلى اتفاق كامل من نصوص العهد الجديد الإغريقية أو اللاتينية»(٢).

ومن الجدير بالذكر أن الأناجيل التي اختارتها الكنيسة كانت مجهولة لدى النصارى ولم تعرف إلا في عصر متأخر، حتى قيل إنه لم يكن معترفاً بها قبل إقرار الكنيسة، ويذكر بعض المؤرخين أنه لا توجد إشارة إلى إنجيل متى ومرقس ولوقا قبل آواخر القرن الثاني أو ابتداء القرن الثالث، وأول من ذكرها القديس أرينيوس عام (٢٠٩م) ،وأورد بعض الدلائل على عددها، ثم قرر أنها مجرد صور لإنجيل واحد، ثم جاء إكليمندس الإسكندري سنة (٢١٦م) فاجتهد وقرر أن الأربعة واجبة التسليم واعترف بصحتها(٣).

---

(١) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله، منقذ السقار (١٢٣-١٢٤).

(٢) محاضرات في الأديان، إبراهيم خليل أحمد (٤٧ ، ٩٨).

(٣) انظر: مقارنة الأديان، الشرقاوي (٣٢-٣٤)؛ محاضرات في الأديان، إبراهيم خليل (١٣-١٧).

وفي ذلك يقول العالم الألماني تولستوي في مقدمة إنجيله الخاص الذي وضع فيه ما يعتقد صحته: «لا ندري السر في اختيار الكنيسة هذا العدد من الكتب وتفضيلها إياه على غيره، واعتباره مقدساً منزلاً دون سواه، مع كون جميع الأشخاص الذين كتبوها في نظرها رجال قديسون... ويا ليت الكنيسة عند اختيارها لتلك الكتب أوضحت للناس هذا التفضيل... إن الكنيسة أخطأت خطأً لا يغتفر في اختيارها بعض الكتب ورفضها الأخرى واجتهادها..»[١].

وقد اعترف كثير من النصارى بأن هذه الكتب لم تعرف إلا بعد موت من تنسب إليه بعشرات السنين، مما يؤكد على مسألة انقطاع السند ونسبتها إلى المسيح.

وفي هذا يقول الدكتور القس فهيم عزيز الأستاذ بكلية اللاهوت الإنجيلية: «لكن قانونية أسفار العهد الجديد لم تتم في وقت واحد، ولم يكفها جيل أو جيلان، بل استمرت مدة طويلة، ولم تقف الكنائس المختلفة موقفاً موحداً من الأسفار المختلفة، بل اختلفت آراؤها من جهة بعض الأسفار، واستمرت في ذلك حقبة طويلة، فلهذا يلزم تتبع هذا التاريخ الطويل للقانونية أسفار العهد الجديد، ومن المعلوم جيداً أنه لم تكن في تلك الفترة كتب مقدسة تسمى العهد الجديد»[٢].

من المعلوم أنه لم يُسلَّم في مجمع نيقية إلا بالأناجيل الأربعة، وظلت

(١) المسيح بين الحقائق والأوهام، محمد وصفي (٤٣).

(٢) المدخل إلى العهد الجديد، فهيم عزيزر (١٤٥).

الأسفار الأخرى المشكوك فيها كما هي غير مسلَّمة عند علماء مجمع نيقية.

وبعد تسع وثلاثين سنة انعقد مجمع العلماء النصارى سنة (٣٦٤م) في بلدة لوديسيا، وحكم هذا المجمع بوجوب التسليم لسبعة أسفار، سبق أن رفضها مجمع نيقية واعتبرها غير مقبولة، وهي: سفر أستير، رسالة يعقوب، رسالة بطرس الثاني، رسالة يوحنا الثانية، رسالة يوحنا الثالث، رسالة يهوذا، الرسالة إلى العبرانيين، وبعد ثلاث وثلاثين سنة انقعد مجمع لعلماء النصارى سنة (٣٧٠م) في بلدة قرطاجة، وحكم هذا المجمع بوجوب التسليم لسبعة أسفار متبقية، وهي: سفر وذدم، سفر طوبيا، سفر باروخ، سفر إكلير يستكس، يوشع بن سيراخ، سفر المكابيين الأول، وسفر المكابيين الثاني، سفر مشاهدات يوحنا، وهي التي رفضها المجمعان السابقان واعتبرها مكذوبة ومشكوكة لا يجوز التسليم بصحتها، فهذا المجمع القرطاجي نقض حكم سابقيه وحكم بأن جميع الأسفار المكذوبة المشكوكة هي صحيحة واجبة التسليم، ومقبولة عند جمهور النصارى، وهكذا فإن الكتب التي أجمع على رفضها ألوف الأسلاف لفقدان أصولها وتحريفها وكانت مردودة عند اليهود وفاقدة لصفة الوحي والإلهام؛ صارت عند الخلف إلهامية ومقبولة وواجبة التسليم[١].

والقول باختلاف الأناجيل أو عدم أصالتها هو قول ردده الكتّاب الغربيون المنصفون، ومنهم النصارى أكثر من مرة، وقد جاء في دائرة المعارف البريطانية عن هذه الأناجيل: «إن فلسفة الإغريق والقانون الروماني

---

(١) انظر: إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ٥٦-٥٨)

جعلا الإنجيل لا يمثل حقيقته، كما أثر في تدوينه، والباحث المنصف في تاريخ الكنيسة لا يستطيع ولو لحظة واحدة أن ينكر آراء مزيفة، وأغراضاً غير كريمة، واعتقادات خاطئة كانت أسباباً مسيطرة أحياناً، دفعت إلى هذا التبديل الذي حدث في الأناجيل»[١].

إن الناظر إلى هذه الأناجيل يجدها ممتلئة بالأغلاط التي يكذبها التاريخ والواقع، وثبوت الغلط في الكتاب يحيل قداسته، ويحيل دعوى إلهامه إلى سراب[٢].

وقد أحصى العلامة الشيخ رحمة الله الهندي -المتوفى سنة (١٣٠٨م)- الاختلافاتِ بين الأناجيل، وذكر أنها بلغت مئة وعشرة اختلافاً، وقال بعد هذا الإحصاء العلمي الدقيق: «... لا مجال لأهل الكتاب أن يدّعوا أن كل سفر من أسفار العهد العتيق والجديد كتب بإلهام (أي إلهام الرسل بهذه الكتب)»[٣].

وهكذا يتبين لنا أن شرعية وقدسية هذه الأسفار والرسائل والأناجيل عمل بشري لا يستند إلى وحي إلهي، بل هو قانون اختلفت فيه المجامع حتى أُقر، ولو كان من الوحي لما اختلفت فيه المجامع، ولما احتاج إلى تأييد سياسي وإلزام كنسي حتى يصبح وحياً قانونياً مقدساً[٤].

---

(١) الأسفار المقدسة، صابر طعيمة (٢٣٧).

(٢) انظر كتاب: هل العهد الجديد كلمة الله، منقذ السقار (١٣٧).

(٣) إظهار الحق، رحمة الله الهندي (١/ ١٧٦).

(٤) انظر: هل العهد الجديد كلمة الله، منقذ السقار (١٢٢).

وبعد فيمكننا في خلاصة وجيزة أن نطرح هذه الأسئلة الملحة:

الأول: ما دام المسيحيون يعتقدون عصمة الإنجيل وقدسيتها وشرعيتها، أليس الإنجيل بكاف لتفسير وتفصيل العقيدة المسيحية؟ هذا أولاً.

الثاني: ما دام المسيح ابن الله إله من إله -كما يعتقدون- مساوٍ له في الذات؛ أليس في هذا ما يؤكد على عصمته من الخطأ والنسيان؟ فلماذا لم يقرر العقائد ويوضحها ويفسرها ويفصلها في وقت مكثه بينهم، بما أنه مخلصهم وفاديهم؟

الثالث: لماذا لم يتم تعليم عقيدة ألوهية الابن وبنوته لله، وترسيخها في كتب العهد الجديد -على الأقل- بنفس الوضوح والرسوخ الذي علمت ووضحت ورسخت به عقيدة التوحيد في العهد القديم؛ إذا كان حقاً أن المسيح إله ابن إله هو العقيدة التي جاء بها المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ؟!

الرابع: لماذا تأتي نصوص العهد الجديد التي تتحدث عن التوحيد لله تعالى بشكل عفوي واضح، مستساغ في السياق العام للمعنى المطروق، على حين تأتي النصوص التي تتحدث عن ألوهية المسيح والتثليث مبهمة غامضة غريبة عن النص والسياق، وتكون غالباً بناءً على استنتاجات من تعابير عارضة، لا يمكن أن يشير إليها المعنى العام للنصوص!؟

الخاتمة

الحمد لله على ما يسر من إتمام هذا البحث، وقد توصلت الدراسة إلى ما يلي:

١-أن المجامع النصرانية ليست هيئات شورية، بل هي هيئات قهرية مستبدة، ترجح رأي الأقلية على الأكثرية، وتغلب المصالح والأهواء الشخصية، وترجح قرارات السلطة السياسية ومصالحها على قواعد وعقائد الدين.

٢-المجامع والأباطرة هما المشرعان الحقيقيان للنصرانية المحرفة؛ لأنهما لا يقومان على مصادر شرعية صحيحة، بل على نصوص وضعية محرفة، حاولوا شرعنتها بإيجاد مرجع لها من أقوال المسيح والرسل وتحقيق اتصال السند لها.

٣-المجامع التي كانت تقام لم تكن تُبطل دعاوى دخيلة وتعود لأصل العقيدة، بل كانت تعقد لفرض آراء جديدة لا يُتفق عليها، وتنقض قوانين وقرارات سابقة اتُّفق عليها.

٤-الوثنية هي العقيدة التي غلبت على أهل الأرض، وهي التي دفعت المتأثرين بها الذين اعتنقوا النصرانية إلى إدخال ما رسخ في أذهانهم من أمور الشرك، فطمسوا التوحيد الذي أتى به المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

٥-يعتبر مجمع نيقية العلامة الفاصلة في تاريخ الديانة النصرانية، فهو الذي أثبت عقيدة الأبوة والبنوة، وأكد المساواة بين الأب والابن في الجوهر، وقرر ألوهية الأب والابن، ومهّد لتشكيل وبلورة عقيدة التثليث.

٦-يتحمل مجمع نيقية جزءاً من مسؤلية ضياع النسخة الأصلية من الإنجيل؛ بما قرره من اعتماد الأناجيل الأربعة وحرق جميع ما سواها.

٧-تقرير المجمع للعقائد المحرفة اقترن بلعن دعاة التوحيد وطردهم واضطهادهم وحرق كتبهم، وهذا بدوره أدى إلى تثبيت العقائد المحرفة في عقول النصارى وقلوبهم على حساب عقيدة التوحيد، فبعُدت النصرانية بعداً تاماً عن تعاليم المسيح.

٨-كما أن مجمع نيقية يعتبر علامة فاصلة في الديانة النصرانية، فكذلك قسطنطين يعتبر علامة فاصلة في الديانة النصرانية للدور الذي قام به في دمج النصرانية بالوثنية وتوحيدهما في سبيل مصلحته الشخصية والسياسية.

ويمكننا في خلاصة وجيزة أن نقول:

إن مجمع نيقية وقسطنطين اجتمعا على ديانة المسيح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فغيّرا وجهها وبدّلاها، وأدخلا فيها ما ليس منها، وطعّماها بالأفكار والمعتقدات الوثنية السائدة.

ومن التوصيات الناتجة عن هذا البحث:

١. دراسة كل مجمع من المجامع المسكوينة على حِدَة؛ ليصبح لدينا صورة واضحة عن تشكل النسق العقدي للنصرانية عبر العصور.

٢. تسليط الضوء على دور الأباطرة الرومان وأثرهم في الديانة المسيحية.

٣. إيضاح العلاقة البينية لرجال الكنيسة ورجال السياسة وأثرهما في الديانة النصرانية.

وفي الختام أسأل الله التوفيق والسداد والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

قائمة المصادر والمراجع

۞ **أبحاث المجتهدين في الخلاف بين النصارى والمسلمين**. يعقوب، نقولا. ط.٤، القاهرة: مطبعة المعارف، ١٩٧٧م.

۞ **أثر الكنسية على الفكر الأوربي**. عجيبة، أحمد علي. ط١، القاهرة: دار الافاق، ٢٠٠٤م.

۞ **الأسفار المقدسة قبل الاسلام**. طعيمة، صابر. ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤١٦هـ.

۞ **أسطورة تجسد الالة في المسيح**. هيك، جون. تعريب: نبيل صبحي. ط١، الكويت: دار القلم، ١٩٨٥م.

۞ **الأصول الوثنية للمسيحية**. مجموعة مؤلفين. ترجمة: سميرة عزمي الزين. ط١، المعهد الدولي للدراسات الانسانية، ١٩٩١م

۞ **اضمحلال الإمبراطورية الرومانية**. جيبون، ادوارد.ترجمة: محمد أبو الدرة. ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م.

۞ **اضواء على المسيحية**. شلبي، متولي يوسف. د.ط، الدار الكويتية، د.ت.

۞ **اظهار الحق**. الهندي، رحمة الله. ط١، القاهرة: المركز الاسلامي، ١٩٨٦م.

۞ **إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان**. ابن القيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق: محمد الفقي. د.ط، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧٥م.

۞ **الإمبراطورية البيزنطية**. اليوسف، عبدالقادر أحمد. د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٦٦م.

۞ **أوربا في العصور الوسطى**. عاشور، سعيد عبدالفتاح.ط٢، القاهرة: الإنجلو المصرية، ١٩٦٤م.

۞ **تاريخ الأقباط**. شنودة، زكي. ط٢، القاهرة: مطابع البلاغ، ١٩٦٨م.

۞ **تاريخ الأمة القبطية**. لجنة التاريخ القبطي.ط٢، القاهرة: مطبعة التوفيق، ١٩٩٢م.

۞ **تاريخ الأمة القبطية وكنيستها**. تبشر، أ.ل.تعريب: إسكندر تاو ضروس.د.ط، القاهرة: مطبعة مصر، ١٩٠٠م.

۞ **تاريخ أوربا العصور الوسطى**. فشر،هـ.ا.ل. ترجمة: محمد مصطفى- السيد الباز.ط٦، القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٦م

۞ **تاريخ البطاركة**.ابن المقفع، الأنبا ساويرس.د.ط، مطبعة: حنا غبريال، د.ت.

۞ **تاريخ الدولة البيزنطية**. السيد، محمود محمد.د.ط، الإسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، د.ت.

۞ **تاريخ عقائد الكتاب المقدس**. الكلام، يوسف.ط١، سوريا: دار صفحات للدراسات والنشر، ٢٠٠٩م.

۞ **تاريخ الفكر المسيحي**. الخضيري، القس حنا جرجس.د.ط، القاهرة: دار الثقافة المسيحية، ١٩٨١م.

۞ **تاريخ الفلسفة الغربية**. رسل، برتراند. ترجمة: زكي محمود. ط٣، القاهرة: لجنة التأليف والنشر والترجمة، ١٩٧٨م.

۞ **تاريخ الكنسية**. لوريمر، جون. د.ط، دار الثقافة المسيحية، ، الجزء الأول ١٩٨١م، الجزء الثاني ١٩٨٥م.

۞ **تاريخ الكنيسة الشرقية**.الأب البير أبونا.ط٢، بغداد، ١٩٨٥م

۞ **تاريخ الكنيسة القبطية**. الانبا الكسندروس. د.ط، مطبعة النجمة، د.ت.

۞ **تاريخ المجامع المسكونية الكبرى**. أبرص، ميشال - عرب، انطوان. ط١، لبنان: المكتبة البولسية، ١٩٩٧م.

۞ **التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق**. ابن البطريق، سعيد. د.ط، بيروت: مطبعة الاباء اليسوعيين، ١٩٥٠م النسخة (١)، النسخة (٢) – د.ط– د.ت.

۞ **التاريخ الوسيط**. كانتو، نورمان. ترجمة: قاسم عبده قاسم. د.ط، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.

۞ **تخجيل من حرفّ التوراة والإنجيل**. الجعفري، أبو البقاء صالح بن حسين. د.ط تحقيق: محمود قدح، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٩٩٨م.

۞ **التوحيد في الأناجيل الاربعة**. رستم، سعد. ط٢، سوريا: دار صفحات للطباعة والنشر، ٢٠٠٧م.

۞ **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**. ابن تيمية، أحمد بن عبدالحليم. تحقيق: علي حسن وآخرين. ط١، الرياض: دار العاصمة، ١٤١٤هـ.

۞ **الحركة الفكرية ضد الاسلام أهدافها ومقاومتها**. دويدار، بركات عبدالفتاح. ط٢، القاهرة: دار التراث العربي، ١٩٨٠م

۞ **حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة**. السقا، أحمد حجازي. د.ط،

القاهرة: درا الفضيلة، د.ت.

۞ **دائرة معارف القرن العشرين.** وجدي، محمد فريد. ط٣، بيروت: دار المعرفة، ١٩٧١م.

۞ **دراسات في الأديان.** الخلف، سعود بن عبدالعزيز. ط١، الرياض: أضواء السلف، ١٩٩٧م.

۞ **دراسات معاصرة في العهد الجديد.** البار، محمد علي.ط٢، دمشق: دار القلم، ٢٠١١م.

۞ **الدم المقدس والكأس المقدسة.** مجموعة مؤلفين. ترجمة: محمد الواكد. ط٢، سوريا: دار الأوائل، ٢٠٠٨م.

۞ **الدولة البيزنطية من قسطنطين إلى أنستانيوس.** عطا، زبيدة. د.ط، دار الفكر العربي، د.ت.

۞ **الدولة والكنيسة.** عبدالحميد، رأفت. ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٣م.

۞ **الروح القدس في محكمة التاريخ.** تسلر، روبرت. ترجمة: علاء أبو بكر. ط١، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠٠٦م.

۞ **الروم.** رستم، أسد. ط١، بيروت: دار المكشوف، ١٩٥٥م.

۞ **السنكسار.** الجميل، بطرس ومجموعة من الاساقفة. ط٢، القاهرة: مكتبة المحبة، ١٩٧٨م.

۞ **شرح مبسط لقانون الإيمان.** الأنبا أغريغوريوس. د.ط، ١٩٨٢م.

۞ **صراع عبر الزمان.** وربرتن، مايل. نقلة إلى العربية: القس إيليا خوري. د.ط، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية، د.ت.

۞ **طائفة الموحدين**. عبدالوهاب، أحمد. ط٢، القاهرة: مكتبة وهبة، ٢٠١٠م.

۞ **العالم البيزنطي**. هسى، ج.م. ترجمة: رأفت عبدالحميد. د.ط، القاهرة: مكتبة سعيد رأفت، ١٩٧٦م.

۞ **عصر المجامع**. الأنطواني، كيرلس. ط١، مكتبة المحبة، د.ت.

۞ **العقائد المسيحية بين القران والعقل**. جودة، هاشم. ط٢، القاهرة: المركز العربي للنشر، د.ت.

۞ **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية. التنير**، محمد طاهر.تعليق: محمد الشيباني. د.ط، الكويت: مكتبة ابن تيمية، د.ت.

۞ **العقيدة الإسلامية وأسسها**. الميداني، عبدالرحمن بن حبنكة. ط.٤، دمشق: دارس القلم، ١٩٨٦م.

۞ **الفكر الإسلامي في الرد على النصارى**. الشرفي، عبدالمجيد. ط٢، لبنان: دار المدار الاسلامي، ٢٠٠٧م.

۞ **فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية**. غردية، لويس - قنواتي، ج. نقله إلى العربية: صبحي الصالحي- فر يد جبر.ط١، بيروت: دار العلم، ١٩٦٧م.

۞ **في مقارنة الأديان**. الشرقاوي، محمد عبدالله. ط٢، بيروت: دار الجيل، القاهرة: مكتبة الزهراء، ١٤١٠هـ.

۞ **قاموس الأديان الكبرى**، جمع وتحقيق: نور الدين خليل. د.ط، الاسكندرية: مؤسسة حورس الدولية للنشر، ٢٠٠٨م.

۞ **قاموس الكتاب المقدس**. نخبة من اللاهوتيين. ط٧، القاهرة: دار

الثقافة، ١٩٩١م.

۞ **قاموس المصطلحات الكنيسة**.الملطي، القمص تادرس يعقوب.د.ط، القاهرة: مطبعة الأخوة المصريين، ١٩٩١م.

۞ **قصة الحضارة**. ديورنت، ول. ترجمة: زكي نجيب. ط.٤، القاهرة: لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٧٣م؛ ط٣، ترجمة: محمد بدران القاهرة، ١٩٩٦م.

۞ **قصة الكنيسة القبطية**. المصري، ايريس. د.ط، الاسكندرية: مكتبة كنيسة الشهيد مارجرجس، د.ت

۞ **الكتاب المقدس**.طبعة الإنجليين، القاهرة: دار الكتاب المقدس، ١٩٨٠م.

۞ **الكتاب المقدس**.طبعة الكاثوليك، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٣م

۞ **كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمى**. رستم، أسد. د.ط، بيروت: دار النور، د.ت

۞ **كنيستي عقيدة وإيمان**. جاد، القمص مينا، كاهن مدينة اسنا، ايداع ٧٣٦٣/ ٢٠٠٢م.

۞ **لسان العرب**. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم. د.ط، بيروت: دار صادر، د.ت.

۞ **المائة الأوائل**. هارت، مايكل. ترجمة: أنيس منصور. ط٧، القاهرة: الزهراء للإعلام، ١٩٨٩م.

۞ **المجامع المسكونية المقدسة**. الانبا بيشوي، جزء من الكتب المقررة على طلبة الكليات الاكليركية القبطية، موقع الأنبا تكلاهيمانوت.

۞ **المجتمع اليهودي**. شنودة، زكي. د.ط، القاهرة: مكتبة الخانجي، د.ت.

۞ **مجموعة الشرع الكنسي**. المسكين، الأب متى.ترجمة: حنانيا كساب. د.ط، بيروت: منشورات النور، د.ت.

۞ **محاضرات في مقارنة الأديان**. أحمد، ابراهيم خليل.د.ط، القاهرة: دار المنار، ١٤١٢هـ.

۞ **محاضرات في النصرانية**. أبو زهرة، محمد.ط٢، القاهرة: دار الفكر، د.ت.

۞ **مختصر تاريخ الكنسية**. ميلر، اندرو. د.ط، القاهرة: مكتبة كنيسة الأخوة، ١٩٧١م.

۞ **مدخل إلى تاريخ الكنيسة**، مجموعة الحياة الكنسية. ط١، دار الجيل، ٢٠٠١م.

۞ **المدخل إلى دراسة الأديان والمذاهب**. أسود، عبدالرزاق محمد. د.ط، بيروت: دار المسيرة، د.ت.

۞ **المدخل إلى العهد الجديد**. عزيز، القس فهيم. د.ط، القاهرة: دار الثقافة المسيحية. د.ت.

۞ **مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع**. البغدادي، صفي الدين عبدالمؤمن.تحقيق: علي البجاوي. ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٩٥٥م.

۞ **المساومة الكبرى**. عبدالعزيز، زينب ط٢، ٢٠٠٨م.

۞ **المسيا المنتظر**. السقا، أحمد حجازي.ط١، مصر: مكتبة الثقافة الدينية، ١٩٧٧م.

۞ **المسيح بين الحقائق والأوهام**. وصفي، محمد. مراجعة: علي الجوهري. د.ط، القاهرة: دار الفضيلة، د.ت.

۞ **المسيح في الفكر الإسلامي الحديث**. خوام، الاب منير. ط١، بيروت: مؤسسة خليفة للطباعة، ١٩٨٣م.

۞ **المسيحية**. شلبي، أحمد. ط٩، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٩٠م.

۞ **المسيحية في الأراضي المقدسة**. الأورشليمي، يسطس. ط١، مصر، ٢٠١٠م.

۞ **المسيحية والإسلام والاستشراق**. فاروق، الزين محمد.ط١، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠٠م.

۞ **المسيحية نشأتها وتطورها**. جنيبر، شارل. ترجمة: عبدالحليم محمود. د.ط، بيروت: المكتبة العصرية، د.ت.

۞ **المسيحية النصرانية**. مير، ساجد. ط١، الرياض: دار السلام، ٢٠٠٢م.

۞ **مصادر النصرانية**.الأرو، عبدالرزاق.ط١، الرياض: دار التوحيد، ٢٠٠٧م

۞ **معالم تاريخ الإنسانية**. ولز،هـ.ج. ترجمة: عبدالعزيز توفيق. ط٢، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٦٧م.

۞ **معجم اللاهوت الكاثوليكي**.كارل راهنر- هربرت فورغريملر.نقلة إلى العربية: المطران عبدخليفة.د.ط، بيروت: دار المشرق، د.ت.

۞ **معجم اللاّهوت الكتابي**، مجموعة من المؤلفين. ط٢، بيروت: دار المشرق، ١٩٨٨م.

۞ **الموسوعة العربية الميسرة.** مجموعة من العلماء والباحثين. ط١، بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠١٠م.

۞ **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب.** ط٣، الرياض: دار الندوة العالمية، ١٤١٨هـ.

۞ **النصرانية والاسلام.** الطهطاوي، محمد عزت. د.ط، القاهرة: مطبعة التقدم، د.ت.

۞ **النصرانية من التوحيد إلى التثليث.** الحاج، محمد أحمد. ط١، دمشق: دار القلم، ١٩٩٢م.

۞ **النصرانية نشأتها التاريخية وأصول عقائدها.** فتاح، عرفان عبدالمجيد. د.ط، الأردن: دار عمار، ٢٠٠٠م.

۞ **نفي الوهية الروح القدس.** الريس، علي. د.ط، هادف للنشر والتوزيع، د.ت.

۞ **هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى،** ابن القيم، محمد بن أبي بكر. تحقيق: أحمد السقا. ط٢، القاهرة: المكتبة القيمة، ١٣٩٩هـ.

۞ **الهرطقة في المسيحية.** ويتلر، ج. تعريب: جمال سالم. ط٢، بيروت: التنوير، ٢٠١٠م.

۞ **هل العهد الجديد كلمة الله.** السقار، منقذ بن محمود.ط١، دار الاسلام، ٢٠٠٧م.

۞ **الوحدانية.** دويدار، بركات عبدالفتاح. ط١، القاهرة: دار الافاق العربية، ٢٠٠٦م.

فهرس الموضوعات

Contents

JOURNAL OF

THEOLOGICAL STUDIES

G. *Header: size 12 font bold*
H. *Title: size 18 font bold*
I. *Subtitles: size 16 font bold*

13. *Three copies of the final draft must be submitted: two on separate CDs in addition to one hard copy.*
14. *The Journal does not guarantee that any manuscript, accepted for publication or not, will be returned to its author.*
15. *The author shall be given three copies of the issue in which his research is published as well as fifteen offprints.*

Publishing Guidelines:

Material submitted for publication in the Journal must adhere to the following guidelines:

1. *It cannot have been published or submitted for publication elsewhere.*
2. *The material must be exclusively for the Journal.*
3. *It must be original, unique, and contribute to knowledge.*
4. *It must adhere to the standards and methodology of academic research and be written in Arabic.*
5. *The research must be within the scope of the Journal's specialty.*
6. *The material submitted cannot be part of prior published research, or a section of one's thesis or dissertation.*
7. *The manuscript must be typed and submitted on a CD.*
8. *The manuscript should not be more than one hundred (100) pages or less than ten (10). However, the editorial board reserves the right to make exceptions where necessary.*
9. *An abstract not exceeding half a page should precede the article.*
10. *The manuscript should be accompanied by a brief biography of the author, stating his or her occupation, contact information, and most important academic works.*
11. *The author must submit five copies of the manuscript.*
12. *Manuscripts should be submitted using the following format:*
    - A. *Microsoft Word XP or a similar program*
    - B. *Lotus Linotype font*
    - C. *Quranic verses should be written as follows:*

      ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]

    - D. *Page size: 12 x 20cm*
    - E. *Text: size 16 font*
    - F. *Footnotes: size 12 font*

About the Journal

The Journal of Theological Studies is a refereed, academic periodical published by the Saudi Academic Association for the Study of Theology, Religions, Sects, and Ideologies, which is under the supervision of the Islamic University of Madinah. The journal aims to publish research and academic studies specific to the fields of Islamic creed, comparative religion, heresiology, and ideological trends.

An expert board comprising several university professors is responsible for editing the journal. Manuscripts are accepted for publication following approval by two specialists. The journal was first published in Muharram 1430 (January 2009) with subsequent issues being published semiannually.

Correspondence

All correspondence should be addressed to the managing editor:

Mobile: **+966.55.253.4282**

Phone: **+966.14.847.1155**

Fax: **+966.14.847.3076**

Email: **aqeedaamm@gmail.com**


بسم الله الرحمن الرحيم

ISSN: 1658-516X



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
Islamic University of Madinah
Faculty of Islamic Preaching and Theology
Saudi Academic Association
for the Study of
Theology, Religions, Sects & Ideologies



JOURNAL OF THEOLOGICAL STUDIES

A Refereed Academic Journal

Volume 9 • Number 19

Rajab 1438 – March 2017